

حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين السيوطي
(ت: ٩١١هـ)

جلال الدين المحامي
(ت: ٨٦٤هـ)

تأليف

العلم العلامة القاري بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوئي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

مُحَقَّقٌ عَلَى نَسْخِ خُطْبَةِ نَفْسِهِ
وَمَطْبُوعَةِ قَدِيمَةِ سَلِيمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْبَدِيلِ

رَاجِعًا وَقَدَّمَ لَهَا
الدكتور عبد القادر الحسين

شَرَفَ بِحِذِّهَا
مرعي حسن الرشيد

الجزء الرابع

سُورَةُ الْأَنْعَامِ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

حاشية العلامة الصافي

تفسير الجلالين

دار تحقيق الكتاب

Title: Ḥāshiyat al-Şāwī 'alá Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ġalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ġalāl-ad-Dīn Suyūṭī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitab

Pages: 587 (vol.4)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.

المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 587 (المجلد الرابع)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB 'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.

Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden

üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission of the publisher.

دار تحقيق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقيق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناص

MEHMET NURI NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS
1948

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümnî İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com

✉ : info@tahkikalkitab.com



ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ...﴾ الْآيَاتِ الثَّمَانِ. مائة وعشرُ آياتٍ أو واحدَي عشرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تنزيهه ﴿١﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

وتسمَّى سورة (بني إسرائيل)، وتسمَّى سورة (سبحان)؛ لأنه جرَّت عادة الله في كتابه أنه يُسمِّي السورة باسم بعضها. و(سورة): مبتدأ، و(مَكِّيَّة): خبرٌ أول، وقوله: (مئة... إلخ): خبرٌ ثانٍ. قوله: (إلا ﴿وَإِنْ كَادُوا...﴾ إلخ) وقيل: كلُّها مَكِّيَّة.

قوله: (الآيات الثمان) أي: وآخرها قوله تعالى: ﴿سُلْطَنًا نَّصِيرًا﴾، لكن بحث البيضاوي فيه: بأنَّ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ...﴾ إلخ نزلت بمكة حين أُمِرَ ﷺ بالهجرة^(١)، وقد يجاب عن بحثه: بأنها لما نزلت بعد الأمر بالهجرة.. التحقت بالمدنيِّ خصوصاً، وقد قال العلماء: المدنيُّ: ما نزل بعد الهجرة وإنْ بأرض مكة.

قوله: (﴿سُبْحَنَ﴾) هو في الأصل مصدر سماعي لـ(سَبَّح) المشدد، أو اسم مصدر له، ثم صار علماً على التنزيه؛ أي: وعلى كلِّ فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: (أَسْبَحْ)، فالمقصود منه؛ إما التنزيه فقط؛ أي: تنزيه مَنْ هذا وصفه عن كلِّ نقص؛ لأنَّ هذه معجزةٌ لم تَسْبِقْ لغيره ﷺ، أو المقصود: التعجب فقط، على حدِّ: «سبحان الله، المؤمن لا ينجس»^(٢) أي: عجباً لباهر قدرة

(١) تفسير البيضاوي (٣/٢٦٤).

(٢) رواه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٧٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا

﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ مُحَمَّد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ - نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ - والإسراء سَيْر اللَّيْلِ،
وفائدة ذكره الإشارةُ بِتَنْكِيرِهِ

حاشية الصاوي

فاعل هذا الفعل وكماله، أو التنزيه مع التعجب كأنه قال: عَجِبًا لتنزيه الله تعالى عن كلِّ نقص؛ حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة.

قوله: ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول مضاف لـ ﴿سُبْحَنَ﴾، والموصول وإن كان مبهمًا إلا أنه تميّز بالصلة؛ فإنَّ هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيّما مع تصدير الجملة بالتسييح الذي هو مختصٌّ بالله.

قوله: ﴿أَسْرَى﴾ هو و(سَرَى) فعل لازم بمعنى: سار في الليل، فالهمزة ليست للتعديّة إلى المفعول^(١).

قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ لم يَقُلْ: بِنَبِيِّهِ، ولا برسوله؛ إشارةً إلى أنَّ وصف العبودية أخصُّ الأوصاف وأشرفُها؛ لأنه إذا صَحَّتْ نسبة العبد لربِّه؛ بحيث لا يشرك في عبادته أحدًا.. فقد فاز وسعد؛ ولذا ذكره الله في المقامات الشريفة في مقام الوحي، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدُكَ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وفي مقام الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ...﴾ [الجن: ١٩] إلخ؛ ولذا قال القاضي عياض^(٢): [الوافر]

وممَّا زادني شَرَفًا وَتِيهًا وَكَذْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: يَا عِبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتُ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا
وهناك وجهٌ آخر، وهو: خوفُ ضلال أُمَّتِهِ به كما ضَلَّتْ أُمَّةُ عيسى به؛ حيث قالوا: ابن الله.
وقوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أي: بِرُوحِهِ وَجَسَمِهِ عَلَى الصَّحِيح، خلافاً لمن قال: إِنَّ الإسراء بالروح فقط،
ونقل عن عائشة^(٣) وهو مردودٌ: بأنها كانت حديثه السَّنُّ إِذْ ذَاكَ، ولم تُكُنْ فِي عَصْمَتِهِ ﷺ.

قوله: (مُحَمَّد) إنما لم يُصْرَحْ به؛ لعلمه من السياق وَمِنْ سَبَبِ النُّزُولِ.

قوله: (وفائدة ذكره) أي: مع علمه من ذكر الإسراء.

(١) وإنما جاءت التعديّة هنا من الباء، ومعنى (أسرى به): صَيَّرَهُ سَارِيًّا بِاللَّيْلِ. «فتوحات» (٢/٦٣٨).

(٢) انظر «مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ» لملا علي القاري (١/٩).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٣/١١٤)، و«تهذيب الآثار» للطبري (٦/٢٧٦).

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.....

إلى تَقْلِيلِ مُدَّتِهِ، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيُعِدَّهُ مِنْهُ، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بِالثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ،

حاشية الصاوي

قوله: (إلى تَقْلِيلِ مُدَّتِهِ) أي: فقليل: قدر أربع ساعات، وقيل: ثلاث، وقيل: قدر لحظة، قال السبكي في «تأنيته»^(١): [الطويل]

وَعُدْتُ وَكُلُّ الْأَمْرِ فِي قَدْرِ لِحْظَةٍ

قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (من): لا ابتداء الغاية.

قوله: (أي: مكة) إنما فُسِّرَ بذلك؛ لِيَصْدُقَ بِكُلِّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ وَهُمَا: هل كان مضطجعا في المسجد أو في بيت أم هانئ؟ وفي الحقيقة: لا تَخَالَفُ؛ لأنه على القول بأنه كان في بيت أم هانئ فقد احتملته الملائكة وجأوا به إلى المسجد وشَقُّوا صدره هناك، ثم أَتَوْا له بالبراق بعد ذلك، فلم يحصل الإسراء إلا من المسجد، فالأولى للمفسِّر أن يُبْقِيَ الْآيَةَ على ظاهرها، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف، ثم وَسَّعَهُ الْمُلُوكُ، وَأَوَّلَ مِنْ وَسَّعَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فكانوا يَشْتَرُونَ دُورَ مَكَّةَ ويدخلونها فيه.

قوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ هو أول مسجد بُنِيَ في الأرض بعد الكعبة، بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة.

والحكمة في الإسراء به إلى بيت المقدس: لِيُظْهِرَ شَرْفَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ لأنه ﷺ صَلَّى بِهِمْ إِمَامًا فِي مَكَانِهِمْ، وَشَأْنُ الَّذِي يَتَقَدَّمُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي بَيْتِهِ يَكُونُ هُوَ السُّلْطَانُ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ لَهُ التَّقَدُّمُ عَلَى غَيْرِهِ مُطْلَقًا، وَلَيْسَ هَلْ عَلَى أُمَّتِهِ الْمُحْشَرِ حَيْثُ وَضَعَ قَدَمَهُ فِيهِ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ يُحْشَرُونَ هُنَاكَ^(٢).

قوله: (بيت المقدس) من إضافة الموصوف لوصفه؛ أي: البيت المقدس؛ أي: المطهر عن عبادة غيره تعالى؛ ولذا لم يُعَبَّدَ فِيهِ صَنَمٌ قط.

قوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي: بركة دنيويَّة بالثمار والأنهار كما قال المفسِّر، وأمَّا في داخله.. فليست مختصة به، بل البركة في كلا المسجدَيْنِ، بل هي أتمُّ في المسجد الحرام.

(١) انظر شرحها للعلامة أحمد الترماني (ص ١٠٢).

(٢) كما رواه ابن ماجه (١٤٠٧) عن سيدتنا ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ : عَجَائِبُ قُدْرَتِنَا، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: الْعَالِمُ بِأَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِنُرِيَهُ﴾ (اللام: للحكمة؛ أي: حِكْمَةُ إِسْرَائِنَا بِهِ رُؤْيَتِهِ مِنْ آيَاتِنَا، وَعَامَّةُ الْقِرَاءَةِ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالنُّونِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (لِنُرِيَهُ) بِالْيَاءِ^(١)؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ فِي الْكَلَامِ التَّفَاتَانِ: الْأَوَّلُ: مِنَ الْغَيْبَةِ لِلتَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَرَكَاتًا﴾ و﴿لِنُرِيَهُ﴾، الثَّانِي: مِنَ التَّكْلُمِ لِلْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَعَلَى الثَّانِي: يَكُونُ فِيهِ أَرْبَعُ التَّفَاتَاتِ: الْأَوَّلُ: مِنَ الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَمْدِدْهُ﴾ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَرَكَاتًا﴾، الثَّانِي: مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي: ﴿لِنُرِيَهُ﴾، الثَّالِثُ: مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾، الرَّابِعُ: مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

و﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾: لِلتَّبْعِيضِ؛ أَي: لِنُرِيَهُ بَعْضَ آيَاتِنَا، وَإِنَّمَا أَتَى بِهَا؛ تَعْظِيمًا لآيَاتِ اللَّهِ؛ أَي: إِنَّ مُحَمَّدًا وَإِنْ رَأَى مَا رَأَى مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْعَجَائِبِ الْفَخِيمَةِ.. فَهُوَ بَعْضٌ بِالنِّسْبَةِ لآيَاتِ اللَّهِ وَعَجَائِبُ قُدْرَتِهِ وَجَلَائِلُ حِكْمَتِهِ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ مَا هُنَا يَقْتَضِي التَّبْعِيضَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] أَنَّهُ لَا تَبْعِيضَ، فَظَاهِرٌ هَذَا: أَنَّ مَا رَأَاهُ إِبْرَاهِيمَ أَكْثَرَ مِمَّا رَأَاهُ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ؟

أَجِيبَ: بِأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَعْضُ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي رَأَاهَا مُحَمَّدٌ، فَلِإِبْرَاهِيمَ رَأَى بَعْضَ الْبَعْضِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ المشهور: أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ أَي: هُوَ السَّمِيعُ لِلْأَقْوَالِ، الْبَصِيرُ بِالْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَحِكْمَةُ الْإِتْيَانِ بِهِذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ: الثَّنَاءُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ حَيْثُ شَاهِدَ مَا شَاهَدَ، وَسَمِعَ مَا سَمِعَ، وَلَمْ يَزِغْ بَصَرُهُ، وَلَمْ يَدْهَشْ سَمْعُهُ؛ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]؛ إِشَارَةً إِلَى عُلوِّ مَقَامِهِ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ؛ وَلِذَا قَالَ الْعَارِفُ الْبَرْعِيُّ^(٢):
[الوافر]

(١) انظر «الدر المصون» (٣٠٧/٧).

(٢) «ديوان البرعي» (ص ٢٤٤).

وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراءِ المُشتمِل على اجتماعه بالأنبياء وعُروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت ومُنَاجاتِهِ لَهُ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ»

حاشية الصاوي

وَأَنْ قَابِلْتُ لَفْظَةً ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ بِـ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ فَهِيَ مَعْنَى
فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ ذَاكَ وَخِيَا وَكَلَّمَ ذَا مُشَافَهَةٍ وَأَذْنَى
إِلَى أَنْ قَالَ:

فَمُوسَى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَأَخْمَدُ لَمْ يَكُنْ لِيَزِيغَ ذَهْنًا

قوله: (على اجتماعه بالأنبياء) أي: الرسل وغيرهم، وصلّوا خلفه.

قوله: (وعروجه إلى السماء) أي: صعوده إليها محفوظاً بالملائكة الكرام.

قوله: (ورؤية عجائب الملكوت) أي: كالملائكة والجنة والنار.

واعلم: أَنَّ العوالم أربع: عالم الملك وهو: ما نشاهده، وعالم الملكوت وهو: ما خفي عنا، وعالم الجبروت وهو: العلوم والأسرار، وعالم العزة وهو: ما لا يُمكن التعبير عنه كذات الله، ويسمى: سِرٌّ سِرِّ السِّرِّ؛ قال السيد البكري: (وبسّر سرّ سرّ الذي لا تفي بالإفصاح عن حقيقته الرقائق)^(١).

قوله: (ومُنَاجاتِهِ لَهُ تَعَالَى) أي: شَفاهاً مع رفع الحجاب.

قوله: (فإنه ﷺ... إلخ) القصد من ذلك: تفصيلُ ما أجمل في الآية الكريمة، وقد اختلفت الروايات في الإسراء والمعراج جدّاً، وقد اقتصر المفسّر على هذه الرواية؛ لكونها رواية البخاري ومسلم^(٢).

قوله: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ) أي: بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملكٌ آخر، فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم، فأضجعوه وشقّوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات، ثم ملأوه حِلْماً وعلماً وبقيناً وإسلاماً، ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتى بالبراق - بضم الباء - مأخوذ من البرق؛ لسرعة سيره، أو من البريق؛ لشدة صفاء لونه ولمعانه، وهو من جملة سبعين ألف^(٣) براق ترتع في ربض الجنة مُعدّة له ﷺ.

(١) كما في ورد السحر له رحمه الله تعالى.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، و«صحيح مسلم» (٣٣٠) عن سيدنا مالك بن صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) في (ط ٢): (أربعين ألف)، وانظر الخبر في «عمدة القاري» (٢٥/١٧)، و«نزهة المجالس» (٩٨/٢).

وهو دَابَّةٌ أبيضُ فوقَ الحِمَارِ ودُونِ البَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِندَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، فَرَكِبَتْهُ فَسَارَ بِهِ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالحَلْقَةِ الَّتِي تَرِبُّ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ،

حاشية الصاوي

قوله: (دابة) أي: ليست ذكراً ولا أنثى، وفي الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوباً، ويؤنث باعتبار كونه دابة.

قوله: (فوق الحمار ودون البغل) أي: فهو متوسط بينهما.

قوله: (عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء: البصر.

قوله: (فركبته) أي: وكان جبريل عن يمينه أخذاً بركابه، وميكائيل عن يساره أخذاً بزمام البراق.

قوله: (حتى أتيت بيت المقدس) في هذه الرواية اختصار، وزيد في غيرها: (أنه نزل بالمدينة ومدين وطور سيناء وبيت لحم، فصلى في كل موضع ركعتين بأمر من جبريل عن الله^(١))؛ لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن، وليقتدي به غيره في العبادة بالأماكن المشرفة، ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة في قصة النجم الغيطي^(٢).

قوله: (فربطت الدابة) يقال: رَبَطَ يَرْبُطُ؛ من باب (ضرب): شدة.

قوله: (بالحلقة) بسكون اللام، ويجوز فتحها، والربط تعليماً^(٣) للاحتياط في الأمور، وإشارة إلى أن الأخذ في الأسباب لا يُنافي التوكل.

قوله: (التي يربط فيها الأنبياء) أي: الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته، وفي رواية: (أن جبريل أخذ البراق من الباب، وأدخله المسجد، وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها)^(٤).

قوله: (فصلت فيه ركعتين) أي: إماماً بالأنبياء أجساداً وأرواحاً والملائكة وأرواح المؤمنين،

(١) رواها النسائي في «المجتبى» (٢٢١/١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه ذكر صلاته ﷺ بمدين، وقد رواها البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٥٦/٢).

(٢) فقد جمع روايات الإسراء والمعراج في جزء سماه «قصة المعراج».

(٣) كذا في الأصول بالنصب، والخبر محذوف جوازاً، والتقدير: (والربط حاصل تعليماً...)، والرفع على الخبرية أولى.

(٤) رواها الترمذي (٣١٣٢) عن سيدنا بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، قَالَ: ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ،
حاشية الصاوي

وهذه الصلاة لم يُعلم كونها فرضاً أو نفلاً، غاية ما يقال: إنه أمرٌ بها وهو مطيعٌ، وفي الحديث اختصارٌ؛ لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حتى اجتمع جميع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين، ويحتمل أن يقال: إن الركعتين المذكورتين في الحديث هما تحية المسجد، وطوى ذكر الركعتين التي أمَّ فيهما الناس.

قوله: (فجاءني جبريل) أي: حين أخذني من العطش أشدَّ ما أخذني.

قوله: (أصبت الفطرة) أي: الخلقة الأصلية، وهي فطرة الإسلام، وفي بعض الروايات: (أن جبريل قال له: ولو اخترت الخمر.. لَغَوْتُ أُمَّتَكَ، ولم يتبعك منهم إلا القليل)^(١)، وفي رواية: أن الآنية كانت ثلاثاً، والثالث فيه ماء، وأن جبريل قال له: (ولو اخترت الماء.. لَغَرَقْتُ أُمَّتَكَ)^(٢).

قوله: (قال) أي: الراوي، وهو أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

قوله: (ثم عرج بي) أي: بعد أن أُتِيَ بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس، وهو سلَّم له عشر مراقي؛ إحداها: من ذهب، والأخرى من فضة، وأحد بابيه من ياقوتة حمراء، والآخر من ياقوتة بيضاء، وهو مكلَّل بالذَّوْدُ؛ سبعٌ منها للسموات السبع، والثامنة للسدر، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما همَّ بالصعود.. نزلت المراقبة التي عند السماء الدنيا، فركبها، وصعدت بهما إلى محلِّها، ثم نزلت الثانية لهما... وهكذا.

قوله: (إلى السماء الدنيا) وهي من مرج مكفوف، والثانية من مَرْمَرَةٍ بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، والكرسي من ياقوتة بيضاء، والعرش من ياقوتة حمراء، وأبواب السماوات كُلُّها من ذهب، وأقفالها من نور، ومفاتيحها اسم الله الأعظم.

قوله: (فاستفتح جبريل) أي: طلب الفتح من الملك الموكل بالباب، وحكمة غَلَقِها إذ ذاك: لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له ﷺ.

(١) رواها الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٩/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٧٩) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) رواها الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٥٩/٦) عن سيدنا أنس ؓ.

قِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (قِيلَ: مَنْ أَنْتَ... إلخ) فيه اختصارٌ، وفي الرواية المشهورة: (قِيلَ: مرحباً به وأهلاً، حيَّاه الله من أخٍ ومن خليفة، فَنِعِمَّ الْأَخُ، وَنِعِمَّ الْخَلِيفَةُ، وَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ)^(١).

قوله: (قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ) المعنى: أَجَاءَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

إِنْ قُلْتَ: إِنْ رِسَالَتُهُ لَيْسَتْ خَافِيَةً عَلَيْهِمْ حَتَّى يَسْأَلُوا عَنْهَا؟

أَجِيب: بِأَنَّ الْمُرَادَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِلْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْمَكَالِمَةِ.

قوله: (فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ) فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (وَعَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَبَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ وَبَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ؛ فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ... ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ... حَزَنَ وَبَكَى، فَسَأَلَ جِبْرِيلُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ الْأَسْوَدَةُ نَسَمُ بَنِيهِ، وَالبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ، وَالَّذِي عَنْ يَسَارِهِ بَابُ النَّارِ؛ فَإِذَا رَأَى مَنْ يَدْخُلُ قَبْلَ يَمِينِهِ... ضَحَكَ، وَإِذَا رَأَى مَنْ يَدْخُلُ قَبْلَ يَسَارِهِ... بَكَى)^(٢).

قوله: (فَرَحَّبَ بِي) أَي: قَالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

قوله: (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا) أَي: أَنَا مَعَ جِبْرِيلَ.

قوله: (بِابْنِي الْخَالَةِ) فِيهِ مَسَامَحَةٌ؛ إِذْ عِيسَى ابْنُ بَنْتِ خَالَةِ يَحْيَى، وَيَحْيَى ابْنُ خَالَةِ أُمِّ عِيسَى؛ لِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَهِيَ بَنْتُ حَنَّةَ، وَحَنَةُ أُخْتُ أَشْعَاةَ، وَأَشْعَاةُ أُمُّ يَحْيَى، وَقَدْ اتَّصَفَ عِيسَى بِصِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ؛ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يَشْرَبُ، وَلَا يَنَامُ.

(١) رواها البزار في «مسنده» (٩/١٧)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٢٦٠/٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٣٣٤) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

قد أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: أَوَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ:

حاشية الصاوي

قوله: (شطر الحسن) أي: نصفه، والنصف الآخر قُسم بين جميع الخلق، وحُسنه ﷺ غير ذلك الحسن الذي أعطي يوسف شطره؛ إذ هو غير منقسم، ولم يُعط منه شيء لغيره، قال البوصيري^(١):

[البسيط]

مُنَزَّةٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوَّهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

قوله: (بإدريس) وهو أوَّل من خاط الثياب، وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود.

قوله: (بهارون) في بعض الروايات: (ونصف لحيته سوداء، ونصف لحيته بيضاء، وذلك من مسك أخيه موسى لها حين جاء وَوَجَدَ قَوْمَهُ قَدْ عَبْدُوا الْعَجَلَ)^(٢).

قوله: (إِذَا أَنَا بِمُوسَى) في بعض الروايات: (وحوله نفر من قومه، فلَمَّا جَاوَزْتُهُ.. بكى، فقيل له: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَن غَلَامًا بُعِثَ مِنْ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؛ فَلَوْ أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ.. لَمْ أَبَالِ بِهِ)، وفي رواية: (أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ)^(٣).

(١) كما في قصيدته المشهورة البردة.

(٢) رواها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٣٩٠).

(٣) انظر الروايتين في «الشرعية» لأبي بكر الآجري (١٠٢٧)، و«الدر المنثور» (٥/٢٠٢).

قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا أَوْرَاقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَاقِلِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ

حاشية الصاوي

قوله: (بإبراهيم) أي: خليل الرحمن، فقال لي: «مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح، ودعا لي بخير، وقال: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١).

قوله: (وإذا هو) القصد من ذلك: بيان أن الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدر: ٣١].

قوله: (ثم ذهب بي) أي: عُرجَ بي؛ لأنَّ هذا هو المعراج الثامن.

قوله: (إلى سدره المنتهى) أي: إلى أعلاها؛ فإنَّ السدره أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة.

قوله: (كأذان الفيلة) أي: في الشكل، وإلا.. فكلُّ ورقة تظلُّ هذه الأمة.

قوله: (كالقلاقل) جمع قُلَّة، وكانت معلومةً عند المخاطبين، وفي بعض الروايات: (كقلاقل هجر)^(٢) وهي بلدة؛ القُلَّة منها كالري الكبير.

قوله: (فلما غشيها) أي: قام بها من الحُسن والبهاء.

قوله: (قال: فأوحى) فيه اختصار؛ أي: ثم رفع إلى مستوى سَمِعَ فيه صريف الأقلام، وهو المعراج التاسع، ثم دُلِّي الرفرف، فزَجَّ به في النهر، فعند ذلك تأخَّر جبريل، فقال له: أهنا يفارق الخليل خليله؟! فقال: هذا مكاني؛ فلو فارقتُ.. لا احترقتُ من النور؛ أي: ذهب نُوري وتلاشيتُ؛ لشدة الأنوار وظهورها، قال رسول الله: «فخاطبني ربي ورأيتُه بعيني بصري وأوحى إلي... إلخ».

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاري (٣٢٠٧) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

ما أوحى، وفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (ما أوحى) أبهم ذلك؛ إشارة إلى عِظَمِ ما أوحى به إليه، وعدم إحاطة جميع الخلق به، قال البوصيري^(١): [البسيط]

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
وقوله: (وفرض عليّ... إلخ) عطف خاصّ على عامّ، وإنما صرّح به؛ لِعَلَّاقِهِ بِالْأُمَّةِ، وَأَمَّا عَطَايَاهُ الَّتِي تَخَصُّهُ.. فَلَمْ يُعَبِّرْ عَنْهَا؛ إِذْ لَا تَحِيطُ بِهَا الْعِبَارَةُ، وَلَا تَخَصُّهَا الْإِشَارَةُ، وَقَوْلُهُ: (عَلَيَّ) أَي: وَعَلَى أُمَّتِي؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ الْخُصُوصِيَّةِ إِلَّا لِلدَّلِيلِ يَدُلُّ عَلَى التَّخْصِصِ، فَذَكَرَ الْفَرَضَ عَلَيْهِ يَسْتَلْزِمُ الْفَرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ.

قوله: (فنزلت) أي: ومَرَرْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.
قوله: (إلى موسى) أي: فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَالْحِكْمَةُ فِي أَنَّ مُوسَى اخْتَصَّ بِالْمَرَاةَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ أُمَّتَهُ كَلَّفَتْ مِنَ الصَّلَوَاتِ بِمَا لَمْ يُكَلَّفْ بِهِ غَيْرَهَا، فَثَقُلَتْ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ مُوسَى بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِكَوْنِهِ طَلَبَ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا.

وَأَيْضًا: فَقَدْ طَلَبَ مُوسَى الرُّؤْيَا فَلَمْ يَنْلُهَا، وَمُحَمَّدٌ نَالَهَا مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ، فَأَحَبَّ مَرَاةَتَهُ وَتَرَدَّدَهُ؛ لِيَزَادَ مِنْ نَوْرِ الرُّؤْيَا، فَيَقْتَبِسَهُ مُوسَى مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ لِيَكُونَ رَئِيًّا مَنْ رَأَى، قَالَ ابْنُ الْفَارُضِ^(٢): [الخفيف]

أَبْقَى لِي مُقْلَةً لَعَلِّي يَوْمًا قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَأَا
وفي هذا المعنى قال ابن وفا: [البسيط]
وَالسَّرُّ فِي قَوْلِ مُوسَى إِذْ يُرَدِّدُهُ لِيَجْتَلِيَ النُّورَ فِيهِ حَيْثُ يَشْهَدُهُ
يَبْدُو سَنَاهُ عَلَى وَجْهِ الرَّسُولِ فِيَا اللَّهُ حُسْنُ جَمَالٍ كَانَ يَشْهَدُهُ

(١) كما في قصيدته المشهورة «البردة».

(٢) كما في «ديوانه» (ص ١٥٧).

وَحَبَّرْتَهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: أَيُّ رَبِّ خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِي! فَحَظَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: قَدْ حَظَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَبِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (وَحَبَّرْتَهُمْ) أي: جَرَّبْتَهُمْ حيثُ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بَرَكَتَيْنِ فِي الْغَدَاةِ، وَرَكَعَتَيْنِ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ، وَرَكَعَتَيْنِ فِي الْعِشِيِّ فَلَمْ يُطِيقُوا ذَلِكَ وَعَجَزُوا عَنْهُ.

قوله: (قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي) أي: الْمَكَانَ الَّذِي نَاجَيْتُ فِيهِ رَبِّي، وَلَيْسَ الْمُرَادُ: أَنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَرَجَعَ لَهُ؛ فَإِنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ كُفْرٌ، بَلِ الْمُرَادُ: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذَا الْمَكَانَ مَحَلًّا لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يُنَاجِيهِ فِيهِ؛ لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ الرَّفْعَتَيْنِ الْحُسْنِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

قوله: (وَيَحُطُّ عَنِّي) أي: اللَّهُ تَعَالَى، فَجُمْلَةُ الْمَرَاتِ تِسْعٌ، وَكُلُّ مَرَّةٍ يَرَى فِيهَا رَبَّهُ كَمَا رَأَاهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى؛ فَقَدْ رَأَى رَبَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ.

قوله: (حَتَّى قَالَ... إلخ) هَذَا حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: «كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ»^(١).

قوله: (بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا) أي: فِي الْمَضَاعِفَةِ وَالثَوَابِ، فَقَدْ تَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَكْثِيرِ الثَّوَابِ عَلَى تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْقَلِيلَةِ.

قوله: (وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ) الْمُرَادُ بِالْهَمِّ: تَرْجِيحُ الْفِعْلِ دُونَ عِزْمٍ وَتَصْمِيمٍ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يُكْتَبُ فِي الْخَيْرِ، وَلَا يُكْتَبُ فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا الْعِزْمُ وَالتَّصْمِيمُ.. فَيُكْتَبُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَمَّا الْهَاجِسُ وَالْخَاطِرُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ.. فَلَا يُوَازِدُ الْإِنْسَانَ بِهَا لَا فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمُ الْخَمْسَةَ بِقَوْلِهِ: [الْبَسِيطُ]

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ هَاجِسٌ ذَكَرُوا	فَخَاطِرٌ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا
يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزَمٌ كُلُّهَا رُفِعَتْ	سِوَى الْأَخِيرِ فَفِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٣٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ».

حاشية الصاوي

قوله: (فنزلت) في بعض الروايات: أن الله قال له: «قد أمضيتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي»^(١).

قوله: (استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة.

قوله: (رواه الشيخان) أي: البخاري ومسلم^(٢)، والمعنى: روي معنى حديث الإسراء واتفقا عليه.

قوله: (واللفظ لمسلم) أي: وأما البخاري.. ففيه تغيير لبعض الألفاظ.

قوله: (رأيت ربي) أي: بعيني رأسي، وأتى بهذا الحديث تنميماً للقصة، ثم بعد تمام الأمر هَبَطَ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّيْعَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَأَتَى مَكَّةَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ.. قطع وعرف أن الناس تُكذِّبُهُ فَقَعَدَ حَزِينًا، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أُسْرِيَ بِيَ اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ»، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِذَا دَعَوْتُ قَوْمَكَ.. أَتَحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ؛ هَلُمُّوا، فَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، فَحَدَّثَهُمْ ﷺ بِذَلِكَ، فَبَقِيَ النَّاسُ بَيْنَ مُصْفَقٍ وَوَاضِعِ يَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ مَتَعَجِبًا، وَضَجُّوا لِذَلِكَ وَعَظَّمُوهُ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَدَّثَهُ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، صَدَقْتَ، فَقَالُوا: أَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبَحَ؟! فَقَالَ: نَعَمْ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أَصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رُوحَةٍ؛ فَلِذَلِكَ سَمَّيْتُ الصَّدِيقَ.

فقال القوم: صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَشَرَعَ فِي وَصْفِهِ حَتَّى إِنَّ جَبْرِيلَ نَقَلَهُ مِنْ مَكَانِهِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُصِفُ لَهُمْ فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَا النِّعَتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرْنَا

(١) رواها البخاري (٣٢٠٧) عن سيدنا مالك بن صعصعة ؓ.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، و«صحيح مسلم» (٣٣٠) عن سيدنا مالك بن صعصعة ؓ.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾

﴿٢﴾ قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: لَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿يُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ﴾ - وفي قراءة: ﴿يَتَّخِذُوا﴾ بالفوقانيَّة التفاتاً، ف(أن) زائدة والقول مُضْمَرٌ ..

حاشية الصاوي

عن عيرنا، فأخبرهم عنها تفصيلاً، فقالوا: إن هذا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] ^(١).

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى﴾ معطوف على جملة ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، ومُنَاسِبَتُهَا لما قبلها: أَنَّ كَلَامًا مُتَعَلِّقًا بِعَطَايَا نَبِيٍّ؛ فالأولى مُتَعَلِّقَةٌ بِعَطَايَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وهذه مُتَعَلِّقَةٌ بِعَطَايَا مُوسَى عليهما السلام؛ بجامع أن موسى أُعْطِيَ التَّوْرَةَ بِمَسِيرِهِ إِلَى الطُّورِ، وهو بمنزلة معراجِهِ ﷺ؛ لَأَنَّهُ مُنِحَ ثَمْتُ التَّكْلِيمِ، وَشُرِّفَ بِاسْمِ الْكَلِيمِ.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى، أو الكتاب.

قوله: ﴿هُدًى﴾ أي: هادياً من الضلالة والشرك.

قوله: ﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا﴾ (أَنْ): مصدرية، و(لا): نافية، والفعل مَنْصُوبٌ بِحَذْفِ النُّونِ، ولام التعليل مَقْدَّرَةٌ كما زادها المفسِّر، وهذا على التَّحْتِيَّةِ، وأما على قِراءة التاء الفوقية.. فالفعل مجزوم بـ(لا) الناهية، و(أَنْ): زائدة، والقول مَقْدَّرٌ، والتقدير: وقلْتُ لَهُمْ: لا تَتَّخِذُوا... إلخ ^(٢)، وقوله: ﴿مِن دُونِي﴾ في محل المفعول الثاني، و﴿وَكِيلًا﴾ مفعول أول، وهو مُفْرَدٌ فِي اللفظ، جمع في المعنى؛ أي: لا تَتَّخِذُوا وكلاء غيري تَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِمْ وَتُفَوِّضُونَ أَمْرَكُمْ إِلَيْهِمْ.

قوله: ﴿فَهَـٰؤُلَاءِ﴾ (فَهَـٰؤُلَاءِ): زائدة المناسب: أَنَّهَا هُنَا مَفْسَّرَةٌ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ مَوَاضِعِ زِيَادَتِهَا؛ فَيُقَدَّرُ جُمْلَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ، وَلَمَّا كَانَ وَجْهُ زِيَادَتِهَا ظَاهِرًا بِحَسَبِ الصُّورَةِ.. حَمَلَهَا الْمَفْسِّرُ عَلَيْهِ.

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٩٤/٣).

(٢) قرأ أبو عمرو (أن لا يتخذوا) بياء الغيبة جرياً على قوله: ﴿لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، والباقون بالخطاب التفاتاً. انظر «الدر المصون» (٣٠٩/٧).

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا بِعَنَّا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ

﴿٣﴾ يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴿٣﴾ فِي السَّفِينَةِ ﴿٣﴾ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾: كَثِيرَ الشُّكْرِ لَنَا حَامِدًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ.

﴿٤﴾ وَقَضَيْنَا ﴿٤﴾: أَوْحَيْنَا ﴿٤﴾ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴿٤﴾: التَّوْرَةِ ﴿٤﴾ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿٤﴾: أَرْضِ الشَّامِ بِالْمَعَاصِي ﴿٤﴾ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾: تَبْعُونَ بَغْيًا عَظِيمًا.

﴿٥﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا ﴿٥﴾: أُولَىٰ مَرَّتَيِ الْفَسَادِ ﴿٥﴾ بِعَنَّا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾... إلخ) أعربه المفسر منادى، وحرف النداء محذوف، وحينئذ فالمعنى: يا ذرية من حملنا مع نوح؛ وخذوا الله واعبدوه واشكروه في جميع حالاتكم كما كان نوح، إنه كان عبداً شكوراً، فقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾... إلخ تعليل لمحذوف، وهذا هو الأقرب والأسهل.

وبعضهم أعرب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مفعولاً ثانياً لـ ﴿تَتَّخِذُوا﴾ و﴿وَكَيْلًا﴾ مفعول أول، أو: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بدل من ﴿وَكَيْلًا﴾، أو: منصوب على الاختصاص؛ فتحصل أن في إعراب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ أربعة أقوال، أسهلها ما مشى عليه المفسر.

قوله: (أوحينا) فسر القضاء بالوحي؛ لتعديده بـ(إلى)؛ فإنَّ (قضى) يتعدى بنفسه أو بـ(على)، وما هنا فهو مضمَّن معنى الإيحاء، والمراد بـ(الكتاب): التوراة.

ويصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه: التقدير والحكم، وتكون (إلى) بمعنى (على) أي: حمكنا وقدّرنا على بني إسرائيل، وحينئذ: فالمراد بـ(الكتاب): اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ (تثنية مرة)، وهي: الواحدة من المرّ؛ أي: المرور.

قوله: (تبغون) أي: تظلمون وتظفون.

قوله: ﴿وَعَدُ أُولَهُمَا﴾ المراد بالوعد: الوعيد؛ أي: وقت العقاب الموعود به.

قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ أي: جالوت وجنوده كما يأتي للمفسر، وقيل: بخت نصر.

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ

شَدِيدٍ: أصحاب قُوَّة في الحرب وبَطْشٍ، ﴿فَجَاسُوا﴾: تَرَدَّدُوا لِطَلْبِكُمْ ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: وَسَط دِيَارِكُمْ لِيَقْتُلُوكُمْ وَيَسْبُوكُمْ، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾، وقد أَفْسَدُوا الْأَوَّلَى بِقَتْلِ زَكْرِيَّا، فَبُعِثَ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ وَجُنُودَهُ فَقَتَلُوهُمْ وَسَبَّوْا أَوْلَادَهُمْ وَخَرَّبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ.

﴿٦﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ: الدَّوْلَةُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَجَاسُوا﴾ هو بالجيم باتفاق الجمهور، وقُرئ شذوذاً بالحاء المهملة^(١)، والمعنى على كلِّ: نَقَبُوا وَفَتَّشُوا.

قوله: ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ إما مُفْرَدٌ بِمعنى: وسط كما قال المفسر، أو جمع (خَلَلٍ) ك: جبل وجبال.

قوله: ﴿وَكَانَ﴾ أي: البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم.

قوله: (بقتل زكريا... إلخ) مشى المفسر على أنَّ المرة الأولى هي قتل زكريا، والثانية هي قتل ولده يحيى، ومشى غيره على أنَّ المرة الأولى مخالفةُ أحكام التوراة وقتل شعيا - وقيل: أرمياء - والثانية قتل زكريا ويحيى، وقصد قتل عيسى^(٢).

قوله: (فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح: أن الذي بعث عليهم في المرة الأولى بخت نَصْرُ، وقيل: وكانت مدة مُلكه سبع مئة سنة، وأما جالوت وجنوده.. فلم يقع منهم تخريبُ لبيت المقدس، بل جاؤوا لِيَغْزَوْهُمْ، فخرج إليهم داوود وطالوت بجيوشهم، فقتل الله جالوت على يد داوود كما تقدم مفضلاً في (سورة البقرة)^(٣).

قوله: (الدولة) في «المصباح»: (تداول القوم الشيء، وهو: حُصُولُهُ فِي يَدِ هَذَا تَارَةً، وَفِي يَدِ هَذَا أُخْرَى، وَالاسْمُ: الدَّوْلَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَضَمِّهَا، وَجَمْعُ الْمَفْتُوحِ: دَوْلٌ بِالْكَسْرِ ك: قَصْعَةٌ وَقِصْعٌ، وَجَمْعُ الْمَضْمُونِ: دَوْلٌ كغرفة وغُرْف). اهـ^(٤)

(١) قرأ بها طلحة وأبو السمال. انظر «الدر المصون» (٧/٤١٣).

(٢) انظر «تفسير البضاوي» (٣/٢٤٨).

(٣) انظر (١/٤٠٥-٤٠٦).

(٤) «المصباح المنير»، مادة: (دول).

عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْتَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِيَّتْ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
وَلِإِنْ أَسَأْتُمْ

وَالْغَلْبَةُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ يَقْتُلُ جَالُوتَ، ﴿وَأَمَدَدْتَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِيَّتْ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ
نَفِيرًا﴾: عَشِيرَةٌ.

﴿٧﴾ وَقُلْنَا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّ ثَوَابَهُ لَهَا، ﴿وَلِإِنْ أَسَأْتُمْ﴾
بِالْفُسَادِ
حاشية الصاوي.

قوله: (وَالْغَلْبَةُ) تفسير.

قوله: ﴿وَأَمَدَدْتَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِيَّتْ﴾ أي: بَعْدَ النِّهْبِ وَالْقَتْلِ الْأَوَّلِ.

قوله: ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أَكْثَرَ النَّاسِ اجْتِمَاعاً وَذَهَاباً لِلْعَدُوِّ، وَ﴿نَفِيرًا﴾: مَنْصُوبٌ
عَلَى التَّمْيِيزِ^(١).

قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ الْخِطَابُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فَلَا يَصِلُ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْ طَاعَتِكُمْ؛ إِذْ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
أَنْ يَصِلَ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ، وَحَيْثُذ: فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْتَخِرَ بِطَاعَتِهِ، بَلْ يَعْمَلُ الطَّاعَاتِ
وَهُوَ رَاجٍ قَبُولَهَا مِنْ رَبِّهِ؛ لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ عَلَى دَوَامِ السَّعَادَةِ لِمُصَاحِبِهَا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ؛
فَفِي الْحَدِيثِ: «يَا عِبَادِي؛ إِنْ كُنْتُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوْنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَإِنَّمَا
هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا.. فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ..
فَلَا يَكُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢)، قَالَ الْعَارِفُ: ^(٣) [مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]

مَاذَا يَضُرُّكَ وَهُوَ عَا صٍ أَوْ يُسْفِيْكَ وَهُوَ طَائِعٌ؟

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَنْتَفِعُ بِالْعِبَادَةِ.. فَقَدْ كَفَرَ؛ لِإِسْبَةِ الْاِفْتِقَارِ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ.

(١) وَفِيهِ أَوْجُهُ، أَحَدُهَا: أَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ؛ أَي: أَكْثَرَ نَافِرًا؛ أَي: مَنْ يَنْفِرُ مَعَكُمْ. الثَّانِي: أَنَّهُ جَمْعُ نَفَرٍ نَحْوُ:
عَبْدٍ وَعَقِيدٍ، قَالَ الزَّجَاجُ، وَهُمْ: الْجَمَاعَةُ الصَّائِرُونَ إِلَى الْأَعْدَاءِ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ مُصَدَّرٌ؛ أَي: أَكْثَرَ خُرُوجًا إِلَى الْغَزْوِ.
انْظُرْ «الدَّر الْمَصُون» (٧/٣١٥)

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧) مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وَهُوَ ابْنُ النَّحَّاسِ الْحَلْبِيُّ كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» (ص ١٢٢).

فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَلَوُا تَتَبَرَّأَ ﴿٧﴾

﴿فَلَهَا﴾ إساءةٌ تُكْم، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ الْمَرَّةِ ﴿الْآخِرَةِ﴾ بَعَثْنَاهُمْ ﴿لِيَسْتَوْا وُجُوهَكُمْ﴾ يُحْزِنُونَكُمْ
بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي حُزْنًا يَظْهَرُ فِي وُجُوهِكُمْ، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾: بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَيُخَرَّبُوهُ
﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وَخَرَّبُوهُ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَلِيُتَبَرَّأُوا: يُهْلِكُوا ﴿مَا عَلَوُا﴾: غَلَبُوا عَلَيْهِ ﴿تَتَبَرَّأَ﴾:
هَلَكَآ، وَقَدْ أَفْسَدُوا ثَانِيًا بِقَتْلِ يَحْيَى، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ بُخْتَنَصْرَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ

حاشية الفاوي

قوله: ﴿فَلَهَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، قدره المفسر، واللام بمعنى (على)، وإنما عبّر بها
للمشاكلة.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ جواب الشرط محذوف، قدره المفسر بقوله: (بعثناهم) دلّ عليه جواب
(إذا) الأولى.

قوله: ﴿الْآخِرَةِ﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: (المرّة).

قوله: ﴿لِيَسْتَوْا وُجُوهَكُمْ﴾ متعلق بهذا الجواب المحذوف، وفيها ثلاث قراءات سبعة:
الأولى: بضمير الجماعة مع الباء؛ فالواو فاعل.

الثانية: بالنون للعظمة وفتح الهمزة آخرًا، والفاعل هو الله.

الثالثة: بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة، والفاعل: إما الله، وإما الوعد، وإما البعث،
وإما النفي، تأمل^(١).

قوله: (بقتل يحيى) أي: وقيل: بقتل زكريا ويحيى، وقصد قتل عيسى.

قوله: (فبعث عليهم بختنصر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه:
ابن، ونَصَّر: بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة: اسم صنم، وهو عَلم أعجمي مركب،
وسمي بذلك؛ لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند صنم ولم يُعرف له أب، فنسب إليه، قيل: إنه ملك
الأقاليم كلها.

(١) قرأ ابن عامر وحزمة وأبو بكر: (ليسوء) بالياء المفتوحة وهمزة مفتوحة آخر الفعل، والكسائي: (لنسوء) بنون
العظمة؛ أي: لنسوء نحن، وقرأ الباقون: ﴿لِيَسْتَوْا﴾ مسنداً إلى ضمير الجمع العائد على العباد. انظر الدر
المصون، (٧/ ٣١٦-٣١٧).

عَسَىٰ رُبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

أُلُوفًا، وَسَبَىٰ ذُرِّيَّتَهُمْ وَخَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ.

﴿٨﴾ وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِنْ تُبْتُمْ، ﴿وَلَنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفسادِ ﴿عُدْنَا﴾ إلى العُقُوبَةِ، وقد عَادُوا بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ قُرَيْظَةَ وَنَفْيِ النَّصِيرِ وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحْبَسًا وَسِجْنًا.

حاشية الصاوي

وقيل: المسلط عليهم في المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل، وسبأتي في السيرة.

قوله: (ألوفاً) أي: نحو الأربعين.

قوله: (وسبى ذريتهم) أي: نحو السبعين ألفاً.

قوله: (وقلنا في الكتاب) أي: التوراة.

قوله: (وضرب الجزية عليهم) أي: على باقيهم كأهل خيبر.

قوله: (وسجناً) تفسير؛ فيكون معنى ﴿حَصِيرًا﴾: محلاً حاصراً لهم، وقيل: حصيراً: فرشاً

كالحصير، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

تمة: يذكر فيها تلخيص القصة التي ذكرها المفسرون في هذه الآيات:

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب، وكان الله متجاوزاً عنهم ومحسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك عليهم الملك... بعث معه نبياً يسدده ويرشده ويتبع الأحكام التي تنزل عليه، فبعث الله معه شعياء بن أمضيا عليه السلام، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى؛ ففي آخر مدة صديقة عظمت الأحداث فيهم والمعاصي، فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه سِت مئة ألف راية، فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قَرَحَةٍ كانت في ساقه، فجاء شعياء وقال: يا ملك بني إسرائيل؛ إن سنجاريب نزل بك هو وجُنوده، فقال: يا نبي الله؛ هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتُخبرنا به؟ فقال: لم يأتني وحى في ذلك، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء أن ائت إلى ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته؛ فإنه مَيّت، فأخبره شعياء بذلك، فأقبل الملك على القِبلة وصار يصلي ويتضرع إلى الله بقلب مُخلص، فاستجاب الله دعاء الملك، وأوحى إلى شعياء أن أخبر صديقة أن ربّه استجاب له ورحمه، وأُخِّرَ أَجَلُهُ خَمْسَةَ عَشْرَ سَنَةً، وأنجاه من عَدُوّه

حاشية الصاوي

سنجاريب، فلمَّا قال له ذلك.. انقطع عنه الحزن وخرَّ ساجداً شاكراً لله مُتضرعاً، فلمَّا رفع رأسه.. أوحى الله إلى شعيب أن قل للملك يأتي بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، فأخبره ففعل فشفي، فقال الملك لشعيب: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانعٌ بعدونا هذا، قال الله لشعيب: سيُصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتَّابه، فلمَّا أصبح.. وجدوا الأمر كما ذكر، فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يجدْه في الموتى، فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفرٍ أحدهم بختٌ نصَّر، فجعلوهم في أطواق الحديد، وقال الملك لسنجاريب: كيف رأيتَ فعل ربنا بكم، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنجاريب: قد أتاني خبرُ ربكم ونصره إيَّاكم قبل أن أخرج من بلادِي، فلم أطمع مرشداً، وأوقعني في الشقوة قلَّة العقل، فقال الملك لسنجاريب: إن ربنا لم يبقك ومَن معك لكرامة بك عليه، وإنما أبقاك ومَن معك؛ لتزدادوا شقاوةً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة، ولتُخبروا مَن وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم.

ثم إن الملك أطل عليهم العذاب، فقال سنجاريب له: القتل خيرٌ مما تفعل، فأوحى الله إلى شعيب أن يرسل سنجاريب ومن معه؛ ليُنذروا من وراءهم، ففعل، فخرج سنجاريب ومن معه حتى قَدَموا بابل، فأخبروهم الخبر، فقال له قومه: نهيناك فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمرُ سنجاريب تخويفاً لبني إسرائيل، ثم كفاهم الله تعالى شرَّهم تذكرةً وعبرةً.

ثم إنَّ سنجاريب لبث سبع سنين، ثم مات واستخلف على ملكه بختٌ نصَّر، فعمل بعمله واستمرَّ متباعداً عن بني إسرائيل حتى مات ملكهم، فتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضاً، وشعيب ينهاتهم فلم يقبلوا، فأوحى الله لشعيب قُمْ في قومك.. أوحى على لسانك^(١)، فلمَّا قام.. أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا سماء استمعي، يا أرض أنصتي؛ فإنَّ الله يريد أن يقضي شأن بني إسرائيل الذين ربَّاهم بنعمته، واصطنعهم لنفسه، وحفَّهم بكرامته، وفضَّلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، وضرب الله لهم مثلاً، ثم قال: إنه مثلٌ ضربته لهم يتقربون إليَّ بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربوا إليَّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرَّمتها وأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملَّة بدمائها، يُشيِّدون لي بالبيوت مساجد ويُطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنِّسونها، ويزوِّقون لي المساجد ويُزينونها، ويخربون

(١) كذا في الأصول بإثبات الياء، وهي لغة لبعض العرب، على حدِّ قراءة قبل: (إنه مَن يَنْقِي وَيَصِيرُ) بجزم (يصير).

حاشية الصاوي

عقولهم وأخلاقهم ويُفسدونها، فأَيُّ حاجة لي إلى تشييد البيوت ولستُ أسكنها؟ وأيُّ حاجة لي إلى تزيين المساجد ولستُ أدخلها؟ إنما أمرت بوضعها لأذكرَ وأُسَبِّحَ.

يقولون: صُمنا فلم يرفع صيامنا، وصلَّينا فلم تنورَ صلاتنا، وتصدقنا فلم تَزُكْ صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئب في كل ذلك لا يُستجاب لنا، قال الله: فسَلِّمهم ما الذي يمنعني أن أَسْتَجِيبَ لهم؟ أَلَسْتُ أَسْمَعَ السامعين، وأَبْصَرَ الناظرين، وأَقْرَبَ المجيبين، وأَرْحَمَ الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يَلْبِسُونَهُ بقول الزور، ويتَقَوَّونَ عليه بِطُعْمَةِ الحرام؟ أم كيف أنورَ صلاتهم وقلوبهم صاغيةً إلى مَنْ يحاربني ويُحَادِّثُنِي وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكُّو عُنْدِي صدقاتهم وهم يتصدَّقون بأموالٍ غيرهم؟ إنما أَجْرُ عليها أهلها المغصوبين، أم كيف أَسْتَجِيبُ دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد؟! . . . إلى أن قال:

وإني قضيت يوم خلقت السماوات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعرَّ في الأذلاء، والقوة في الضُّعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهلة، والحلم في الأميين؛ فسَلِّمهم متى هذا، ومَنْ القائم بها؟ مَنْ أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يَعْلَمُونَ؟ فإني باعْتُ لذلك نبيًّا أميًّا ليس أعجميًّا من عُميان ضالين، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا مُتَزِين بالفحش، ولا قوال لِلخنا، أسدِّده لكل جميل، وأهب له كلَّ خلقٍ كريم، أجعل السكينة لباسه، والبرَّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلِّم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلِّف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأْمُرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر؛ توحيداً لي، وإيماناً بي، وإخلاصاً لي، يُصلُّون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، يقاتلون في سبيلي صفوفاً وزُخُوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاءَ رضواني، أَلْهَمَهُم التَّكْبِيرَ والتَّوْحِيدَ والتَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ والمدحَ لي والتمجيدَ لي في مَسِيرِهِمْ ومَجَالِسِهِمْ ومُضَاجِعِهِمْ ومُتَقَلِّبِهِمْ ومُثَوَاهُمْ، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رُهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيهِ من أشاء، والله ذو الفضل العظيم.

حاشية الصاوي

فلَمَّا فرغ شعبياء من مَقالته . . عدّوا عليه ؛ ليَقْتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرةً فانقلقت له ، فدخل فيها ، فوضعوا المنشار في وسطها فانتشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها ، واستخلف الله عليهم ملكاً يقال له : ناشئة بن أموص ، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً ، ثم عظمّت الأحداث وارتكاب المعاصي ، فأوحى الله إلى أرمياء أن انت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به . . .

إلى أن قال : وإني حلّفت بعزّتي ؛ لأقيضنّ لهم فتنة يتحيّر فيها الحليم ، ولأسلطنّ عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرحمة ، فسَلَطَ الله عليهم بختَ نصّر ، فخرج في سِت مئة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ، وقَتَلَ بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس وكان من أجلّ البيوت ، ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام ، سَخَّرَ له الجنّ فأَتَوْه بالذهب والفضة والمعادن ، وأَتَوْه بالجوهر والياقوت والزمرد ، وبَنَوْه بهذه الأصناف ، فاحتمل تلك المعادن والأموال على سبعين ألفاً ومئة ألف عجلة ، فأودعها ببابل ، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مئة عام . . .

إلى أن قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ بُخَت نصّر وأصحابه .

ثم إن بُخَتَ نصّر قام في سُلطانه ما شاء الله ، ثم رأى رؤيا عجيبة ؛ إذ رأى شيئاً أصابه ، فأنساه الذي رأى ، فدعا دانيال وحنانيا وعازيا وميشائيل كانوا من ذُراري الأنبياء وسألهم عنها ، فقالوا : أخبرنا به نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، ولئن لم تُخبروني بها وتأويلها . . لأنزعنّ أكتافكم ، فخرجوا من عنده فدعوا الله ، فأعلمهم بالذي سألهم ، فجاءوه فقالوا : رأيت تمثالاً قدماء وساقاه من فخار ، وركبته وفخذه من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد ، قال : صدقتم ، قالوا : فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة فدقته فهي التي أنستكها ، قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا : إنك أريت مُلْكَ الملوك ؛ بعضهم كان ألين ملكاً ، وبعضهم كان أحسن ملكاً ، وبعضهم كان أشدّ ملكاً ؛ فالفخار أضعفه ، ثم فوقه النحاس أشدّ منه ، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك ، والذهب أحسن من الفضة ، ثم الحديد مُلْكك ، فهو أشدّ مما كان قبله ، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبيّ يبعثه الله فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه ، فلما تجبّر بُخَتَ نصّر على أهل الأرض . . ظنّ أنه بحوله وقوته فقال لأصحابه : قد ملكت الأرض

حاشية الصاوي

فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا، فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً، فبعث الله عز وجل إليه بعوضة، فدخلت منخره حتى عصت على أم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى مات، فلما مات.. شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه.

وارتحل من بقي من بني إسرائيل إلى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، وكانت التوراة قد حرقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل، فلما رجع إلى الشام.. جعل يبكي ليله ونهاره، وخرج عن الناس، فبينما هو كذلك إذ جاءه ملك في صورة رجل فقال له: يا عزير؛ ما يُبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي لا يُصلح ديننا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ ارجع فضم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غداً، ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء، فسقاه من ذلك الماء، فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل فأملاها لهم، وعادت كما كانت، ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي يكذبون الأنبياء ويقتلونهم، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى، فقتلوا زكريا ويحيى، وقصدوا إلى قتل عيسى، فرفعه الله.

والسبب في قتل يحيى: أن ملك بني إسرائيل كان يُكرمه ويُدني مجلسه، وأن الملك هوي بنت امرأته - وقيل: بنت أخيه - فسأل يحيى تزويجها، فنهاه عن نكاحها، فبلغ ذلك أمها، فحققت على يحيى، وعمدت حين جلس الملك على شرايه فألبستها ثياباً رفاقاً حمراء وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه؛ فإن هو راودها عن نفسها.. أبت عليه حتى يُعطيها ما تسأله، فسألته أن يأتيها برأس يحيى في طست، ففعل، وفي الحديث: «لا خير في الدنيا؛ فإن يحيى بن زكريا قتلته امرأة»^(١)، فسلب الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: خردوش فسار إليهم بأهل بابل، فدخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم.. أمر رأساً من رؤساء جنوده يقال له: بيروزاذان فدخل بيت المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يُقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فسألهم عنه فقال: يا بني إسرائيل؛ ما شأن هذا الدم يغلي؟! أخبروني خبره، فقالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يُقبل منا؛ فلذلك يغلي، فقال: ما صدقتموني، وقتل منهم سبع مئة وسبعين روحاً فلم يهدأ الدم، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فقال: يا بني إسرائيل؛

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٩١) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه: (إن من هوان الدنيا على الله) بدل (لا خير في الدنيا).

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

(٩ - ١٠) ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: أي: لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: أَعَدَلُ

حاشية الصاوي

ويلكم اصدقوني قبل ألا أترك منكم نافع نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته، فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، وأمن بالثورة وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش، ثم قال: يا يحيى بن زكريا؛ قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم، فاهذا بإذن ربك قبل ألا أبقي من قومك أحداً، فهذا الدم بإذن الله، ورفع القتل عن بني إسرائيل.

وقال لهم: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى يسيل دماؤكم وسط العسكر، وإنني لا أستطيع أن أعصيه، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأتوا بالخيول والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فأمر بذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل، فاكتفى بذلك، وأمر برفع القتل.

وهذه الواقعة الأخيرة التي أنزل الله فيها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وَجُوهَكُمْ...﴾ إلخ، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين، إلا أن بقايا بني إسرائيل كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا، فسلب الله عليهم ططوس بن أسبيانوش الرومي، فخرّب بلادهم وطردهم عنها، ونزع الله منهم الملك والرئاسة وضرب عليهم الذلة، فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب، فعمره المسلمون بأمره. انتهى^(١).

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: الذي أنزل على محمد.

قوله: ﴿يَهْدِي﴾ أي: يُرشد ويوصل.

قوله: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: فمن تمسك به.. نجا، ومن حاد عنه.. هلك؛ ففي الحديث: «إني تارك فيكم ثقلين؛ إن تمسكتُم بهما.. لن تضلوا أبداً: كتاب الله، وعترتي»^(٢).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/١١٨-١٢٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

وأصوب، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٩﴾ و﴿يُخَبِّرُ﴾ أَنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا ﴿١٠﴾: أَعْدَدْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً هو النار.

﴿١١﴾ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضَجَرَ ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: كدعائه له
﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ الْجِنْسُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعَدَمَ النَّظَرِ في عاقبته.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾﴾ أي: لا يعلم قدره غيره تعالى، وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات
وإن لم يكن حافظاً لألفاظ القرآن، بل المدار على امثال الأوامر، واجتناب النواهي.

قوله: (ويخبر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على ﴿يُبَشِّرُ﴾ فهو غير
داخل في حيز البشارة^(١).

قوله: (أعدنا) أي: هيأنا وأحضرنا.

قوله: ﴿﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾﴾ حُذِفَتِ الواو لالتقاء الساكنين، وحُذِفَتِ في الخط تبعاً لحذفها
في اللفظ.

قوله: (إذا ضجر) أي: أصابه شدة الغم والغَيْظ.

قوله: (أي: كدعائه) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على التشبيه، والمعنى: أن الإنسان إذا أصابه
الغم.. يدعو على نفسه وأهله بالشر كما يدعو لهم بالخير إذا كان منبسطاً راضياً، وتقدّم في قوله
تعالى: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ...﴾ [يونس: ١١] الآية:
أن الله يستجيب الدعاء بالخير، ولا يستجيب الدعاء بالشر^(٢).

قوله: ﴿﴿عَجُولًا﴾﴾ أي: لا يتأمل في عاقبة ما يُريد فعله، بل يُقدِّمُ على فعل كل ما خطر بباله؛
فإذا كان كذلك.. فينبغي للإنسان التأني في الأمور، وتفويضها إلى الله تعالى؛ ليحصل له الراحة

(١) ويحتمل أن يكون عطفاً على «أن» الأولى؛ أي: يُبشِّرُ المؤمنين بشيئين: بأجر كبير، وبتعذيب أعدائهم، ولا شك أن
ما يصيب عدوك سرور لك. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٢٠).

(٢) انظر (٣/ ١٨٢-١٨٣).

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا

﴿١٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دَالَّتَيْنِ عَلَى قُدْرَتِنَا، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾: طَمَسْنَا نُورَهَا بِالظَّلَامِ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، - والإضافة للبيان - ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مُبْصِرًا فِيهَا بِالضَّوِّ، ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ فِيهِ ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِالْكَسْبِ ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بِهِمَا
حاشية الصاوي

في الدنيا، والسعادة في العقبى، ولا يتعجل في الأمور بحيث يُسارع في الانتقام ممن ظلمه والدعاء على من أساء عليه^(١)، بل الواجب إما التفويض، أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير.
قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ أي: علامتين على عظيم قُدْرَتِنَا وباهر حِكْمَتِنَا؛ حيث جعلناهما على منوال واحد، ينقص هذا، ويزيد هذا.

قوله: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: خَلَقْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، وليس المراد: أنه كان مضيئاً ثم محي ضوءه، وفي الحقيقة في الكلام حكمتان:

الأولى: حكمة خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما، وهي: الدلالة على باهر قُدْرَةِ صَانِعِهِمَا.
الثانية: حكمة كون الليل خُلِقَ مَظْلَمًا، والنهار خُلِقَ مَضيئًا، وهي: لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ.

قوله: (لتسكنوا فيه) قَدْرُهُ؛ أَخَذًا لَهُ مِنْ مَقَابِلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ فِي جَانِبِ النَّهَارِ: ﴿لِتَبْتَغُوا...﴾ إلخ.
قوله: (والإضافة للبيان) أي: آيَةُ هِيَ اللَّيْلِ، وكذا يُقَالُ فِي ﴿آيَةَ النَّهَارِ﴾.
قوله: (أي: مُبْصِرًا فِيهَا) هو بفتح الصاد، وأشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ الْحَذْفُ وَالْإِيصَالُ؛ حَذْفُ الْجَارِ فَاتَّصَلَ الضَّمِيرُ، فَيَكُونُ فِيهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ مِنْ إِسْنَادِ الْحَدِيثِ إِلَى زَمَانِهِ.
قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ أي: تَطْلُبُوا.

قوله: ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بهما) أي: فهو متعلق بكلٍّ من (مَحَوْنَا) و(جَعَلْنَا)؛ لِأَنَّ عِلْمَ عَدِّ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمُرُورِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ جَمِيعًا.

(١) يقال: أساء به، وأساء إليه، وأساء عليه، وأساء له، ضد: أحسن. انظر «تاج العروس»، مادة (سوا).

عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ

﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ لِلْأَوْقَاتِ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: بَيَّنَّاهُ تَبْيِينًا. (١٣ - ١٤) ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ﴾: عَمَلَهُ يَحْمِلُهُ ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خُصَّ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ اللَّزُومَ فِيهِ أَشَدُّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَفِي عُنُقِهِ وَرَقَةٌ.....
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْحِسَابِ﴾ هو معطوف على ﴿عَدَدَ﴾، ولا يقال: هو تكرار؛ لأنه يقال: إن العدد موضوع الحساب.

قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ الأحسن أنه من باب الاشتغال، ف(كل): منصوب بفعل محذوف يُفسره قوله: ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾، وكذا يقال في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ﴾^(١).

قوله: (للأوقات) أي: كأجال الديون، وأوقات الصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا.

قوله: ﴿تَفْصِيلًا﴾ مصدر مؤكد لعامله؛ إشارة إلى أَنَّ الله لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا إلا بيَّنه؛ نظير قوله تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ﴾ فسر المفسر الطائر بالعمل، وفسره غيره بالكتاب، وإليه يُشير بقول مجاهد^(٢).

ويسمى العمل طائراً؛ إما لأنَّ العرب إذا أرادوا فعل أمر.. نظروا إلى الطير إذا طار؛ فإن طار مُتِيامناً.. قدموا على ذلك الأمر وعرفوا أنه خير، وإن طار متياسراً.. تأخروا وعرفوا أنه شر، فلما كثر ذلك منهم.. سموا نفس الخير والشر طائراً؛ تسميةً للشيء باسم لازمه.

قوله: (خص بالذكر؛ لأنَّ اللزوم فيه أشد) أي: ولأنَّ العنق إما محلُّ الزينة كالقلادة ونحوها، أو الشين كالأغلال ونحوها؛ فإن كان عمله خيراً.. كان كالقلادة في عنقه وهو مما يزينه، وإن كان شراً.. كان كالغلل في عنقه وهو مما يشينه.

(١) ورجَّح نصبه؛ لتقدم جملة فعلية، ويجوز على بعد: أنه منصوب نسقاً على (الحساب) أي: لتعلموا كلَّ شيء أيضاً، ويكون ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ على هذا صفة. انظر «الدر المصون» (٧/٣٢٢).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/١٣).

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

مَكْتُوبٌ فِيهَا شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مَكْتُوبًا فِيهِ عَمَلُهُ، ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ - صِفَتَانِ لِكِتَابٍ - . وَيُقَالُ لَهُ: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: مُحَاسِبًا.

حاشية الصاوي

قوله: (مكتوب فيها: شقيٌّ أو سعيدٌ) خصَّ مجاهد السعادة والشقاوة وإن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضاً؛ لأنَّ السعادة والشقاوة هما اللذان يَبْقِيَانِ معه في الآخرة، وأما الرزق والأجل.. فَيَنْقُضِيَانِ بموته.

قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ قال الحسن: بُسِطَتْ لَكَ صحيفة، ووُكِّلَ بِكَ ملكان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك؛ فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك، حتى إذا مَتَّ طُويْتُ صَحِيفَتُكَ وَجُعِلَتْ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ حَتَّى تُخْرَجَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

قوله: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ﴾ روي: «أن الإنسان يقرأ كتابه وإن لم يكن قارئاً في الدنيا»^(٢).

قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ الباء: زائدة في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، و﴿حَسِيبًا﴾: تمييز، و﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به.

و﴿حَسِيبًا﴾: إما بمعنى حاسب، أو كافي، أو محاسب كما قال المفسر، والمعنى: أنه يكتفي بمحاسبة الشخص لنفسه؛ فلا يحتاج لأحد يحاسبه، بل إذا أنكر.. تشهد عليه أعضاؤه بما عَمِلَتْ. ثم ما مشى عليه المفسر من أن المراد بالطائر العمل يكتب ويوضع في عنقه وهو في بطن أمه فيلزمه ما دام في الدنيا؛ فإذا كان يوم القيامة يُخْرَجُ لَهُ كِتَابًا مِنْ خَزَانَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ وهو الصحيفة التي كانت الملائكة تكتبها عليه في الدنيا، فيأخذها إما يمينه إن كان مسلماً، أو شماله إن كان كافراً فيُقَابِلُهُ عَلَى مَا فِي عُنْقِهِ.. هو أحد تفسيرين في الآية.

والآخر: أَنَّ الْكِتَابَ وَاحِدَ تَكْتَبُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِذَا مَاتَ طُويَ وَوُضِعَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَانَةِ وَلَزِمَهُ فِي عُنْقِهِ، فَيَكُونُ مَعْنَى ﴿الزَّمْنَةُ طَائِرَةٌ﴾ فِي

(١) رواه الطبري بسنده في «تفسيره» (١٧/٤٠٠).

(٢) روى ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ﴾ قال: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا. انظر «تفسير الطبري» (١٧/٤٠١).

مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

﴿١٥﴾ مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿﴾ لِأَنَّ ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ لَهُ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لِأَنَّ إِثْمَهُ عَلَيْهَا، ﴿وَلَا نُزِرْ وَازِرَةٌ﴾ نَفْسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: أَيْ: لَا تَحْمِلُ ﴿وَزَرَ﴾ نَفْسٍ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ أَحَدًا ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يُبَيِّنُ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ.

حاشية الصاوي

عُنْفُهُ: أَيْ: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ تَطَايُرِ الصَّحَفِ، وَيَكُونُ عَطْفُ قَوْلِهِ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ عَطْفِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أَيْ: فَإِنَّمَا تَعُودُ مَنَفْعَةُ اهْتِدَائِهِ إِلَى نَفْسِهِ لَا تَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أَيْ: فَإِنَّمَا وَبَالَ ضَلَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ، لَا عَلَى مَنْ عَدَاهُ مِمَّنْ لَمْ يَبَاشِرْ، وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتُهُ طَافِرُهُ فِي عُنْفِهِ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا نُزِرْ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ أَيْ: لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ مَذْنِبَةً بَلْ وَلَا غَيْرُ مَذْنِبَةٍ ذُنُوبَ نَفْسٍ أُخْرَى.

إِنْ قُلْتَ: وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً.. فَعَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١) فَمُقْتَضَاهُ: أَنَّهُ يَحْمِلُ وَزَرَ فَيَكُونُ مَنَافِيًا لِهَذِهِ الْآيَةِ؟

أَجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَزْرِ الَّذِي يَحْمِلُهُ فِي الْحَدِيثِ: وَزَرَ التَّسْبُّبِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّسْبُّبَ مِنْ فِعْلِ الشَّخْصِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَنْقُصُ مِنْ وَزْرِ الْفَاعِلِ شَيْءٌ، فَالْمَتَسَبِّبُ الْفَاعِلُ يُعَاقَبُ عَلَى فِعْلِهِ وَتَسْبُّبِهِ، وَالْفَاعِلُ بَدُونَ تَسْبُّبٍ يُعَاقَبُ عَلَى فِعْلِهِ فَقَطْ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أَيْ: وَلَا مُثَبِّبِينَ عَلَى الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ شَرْطَ صِحَّةِ الْعِبَادَاتِ وَوُجُوبِهَا بُلُوغُ الدَّعْوَةِ؛ فَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ، وَلَا تَصِحُّ مِنْهُ لَوْ فَعَلَهَا؛ فَلَا يَثَابُ عَلَيْهَا، وَعَمُومُ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْفِتْرَةِ جَمِيعًا نَاجُونَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلَوْ غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا، وَمَا وَرَدَ مِنْ تَخْصِصِ بَعْضِ أَفْرَادِ كَحَاتِمِ الطَّائِي وَامْرِئِ الْقَيْسِ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ.. فَهِيَ أَحَادِيثُ أَحَادٍ لَا تُعَارِضُ الْقَطْعِيَّ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٠٣) عَنْ سَيِّدِنَا جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ

﴿١٦﴾ وَلِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا: مُنَعِمِيهَا بِمَعْنَى رُؤَسَائِهَا بِالطَّاعَةِ عَلَى لِسَانِ رُسُلِنَا، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فَخَرَجُوا عَنْ أَمْرِنَا، ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ﴾: بِالْعَذَابِ، ﴿فَنَدْمَرْنَهَا تَدْمِيرًا﴾: أَهْلَكْنَاهَا بِإِهْلَاكِ أَهْلِهَا وَتَخْرِيبِهَا.

﴿١٧﴾ وَكَمْ: أَي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾: الْأُمَمَ ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عَالِمًا بِبَوَاطِنِهَا وَظَوَاهِرِهَا، - وَبِهِ يَتَعَلَّقُ ﴿بِذُنُوبِ﴾ ..

﴿١٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أَي: الدُّنْيَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مُتْرَفِيهَا﴾: الثَّرَفَةُ بِالضَّمِّ: النِّعْمَةُ، وَالطَّعَامُ الطَّيِّبُ، وَالشَّيْءُ الظَّرِيفُ.

قوله: (مُنَعِّمِيهَا) أَي: الْمُنْهَمِكِينَ فِي شَهَوَاتِهَا، الْغَافِلِينَ عَنِ الْآخِرَةِ.

قوله: (بِالطَّاعَةِ) مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَمْرِنَا﴾.

قوله: (بِإِهْلَاكِ أَهْلِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: دَمَّرْنَا أَهْلَهَا.

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ (كَمْ): خَبَرِيَّةٌ مَنْصُوبَةٌ بِ﴿أَهْلَكْنَا﴾، وَ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: تَمْيِيزٌ ل(كَمْ).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾: خَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ.

قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾: الْبَاءُ: زَائِدَةٌ فِي الْفَاعِلِ، وَ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: تَمْيِيزَانِ، وَ﴿بِذُنُوبِ﴾: مُتَعَلِّقٌ

بِ: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، وَقَوْلُهُ: (عَالِمًا بِبَوَاطِنِهَا وَظَوَاهِرِهَا) لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ؛ فَالْعِلْمُ بِالْبَوَاطِنِ هُوَ مَعْنَى الْخَبِيرِ، وَبِالظَوَاهِرِ هُوَ مَعْنَى الْبَصِيرِ.

قوله: (وَبِهِ يَتَعَلَّقُ ﴿بِذُنُوبِ﴾) هَكَذَا فِي النُّسخِ الَّتِي بِأَيْدِينَا، وَلَعَلَّ فِيهِ تَحْرِيفًا، وَالْأَصْلُ:

وَ﴿بِذُنُوبِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ (أَي: مَنْ كَانَ حَظَّهُ الدُّنْيَا، فَهُوَ صَادِقٌ بِالْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ، وَيَدْخُلُ

فِي ذَلِكَ الْمَرَاؤُونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ إِذْ لَوْ لَا الْمَدْحَةُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ.. مَا فَعَلُوا الطَّاعَاتِ.

عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التَّعَجُّيلَ لَهُ، - بَدَلٌ مِنْ ﴿لَهُ﴾ بِإِعَادَةِ الْجَارِّ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾: يَدْخُلُهَا ﴿مَذْمُومًا﴾: مَلُومًا ﴿مَذْحُورًا﴾: مَطْرُودًا عَنْ الرَّحْمَةِ.

﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عَمِلَ عَمَلَهَا اللَّاتِقَ بِهَا ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ - حَالٌ -
﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ عِنْدَ اللَّهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾﴾ أي: أعطينا لمن نريد في الدنيا الذي نشاءه من سعة رزق وعافية وغير ذلك، والمعنى: لا نزيده على ما قَدَّرَ له أَزْلاً، بل ما يُعْطَى إِلَّا ما سبق في علمه تعالى أنه يُعْطَاهُ؛ فمحبته في الدنيا لم تزد شيئا منها، فيتبقى الإخلاص في العبادة، والتوجه لله تعالى، والإقبال عليه؛ لِيَحْظِيَ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿لَهُ﴾) أي: إن قوله: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَهُ﴾ بَدَلٌ بَعْضٌ مِنْ كُلِّ إِعَادَةِ اللَّامِ، وقوله: ﴿﴿عَجَّلْنَا﴾﴾: جواب الشرط وهو ﴿مَنْ﴾، و﴿كَانَ﴾: فعله، و﴿يُرِيدُ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها: ضمير مستتر.

قوله: ﴿﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾﴾ أتى بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ إشارةً إِلَى أَنْ دَخَلَ النَّارَ مُتَأَخِّرًا.

قوله: ﴿﴿مَذْمُومًا﴾﴾ أي: إِنَّ الْخَلْقَ فِي الْقِيَامَةِ يَلُومُونَهُ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿﴿مَذْحُورًا﴾﴾ من: دَحَرَ يَدْحُرُ مِنْ بَابِ (خَضَعَ)، فهو مدحور بمعنى: أَنَّ اللَّهَ طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ عَنْ جَنَّتِهِ.

قوله: ﴿﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾﴾ أي: مَنْ كَانَ حَظُّهُ وَنَيْتُهُ وَمُنْتَهَى أَمَالِهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ؛ بَأَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا قَرَارًا لَهُ وَلَا وَطَنًا، بَلْ جَعَلَهَا سَفِينَةً مُوصِلَةً لِمَقْصُودِهِ.

قوله: ﴿﴿سَعْيَهَا﴾﴾ إما مفعول به، أو مفعول مُطْلَقٌ، والمعنى كما قال المفسر: عمل عملها الذي يليق بها كأعمال البر والطاعات، واجتناب المنهيات.

قوله: (حَالٌ) أي من ضمير (سعى).

قوله: ﴿﴿فَأُولَئِكَ﴾﴾ جواب الشرط، وفيه مراعاة معنى (من)، وفيما قبله مُرَاعَاةٌ لِفِظْهَا،

كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ اَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ اَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَّاَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

أي: مَقْبُولًا مُثَابًا عَلَيْهِ.

﴿٢٠﴾ ﴿كُلًّا﴾ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿نُمِدُّ﴾: نُعْطِي ﴿هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ﴾ - بَدَل - ﴿مِنْ﴾ - مُتَعَلِّق بِـ ﴿نُمِدُّ﴾ - ﴿عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فِيهَا ﴿مَحْظُورًا﴾: مَمْنُوعًا عَنْ أَحَدٍ.

﴿٢١﴾ ﴿اَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فِي الرِّزْقِ وَالْجَاهِ، ﴿وَلِلْآخِرَةِ اَكْبَرُ﴾: اَعْظَمُ ﴿دَرَجَتٍ وَّاَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا، فَيَنْبَغِي الْاِعْتِنَاءُ بِهَا دُونَهَا.

حاشية الصاوي

وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال فهو من أهل الجنة: الإيمان، والعمل الصالح، والإخلاص؛ ولذا قال بعضهم: مَنْ لم يكن معه ثلاث لم يَنْفَعه عمله: إيمانٌ ثابتٌ، ونيةٌ صادقةٌ، وعملٌ مصيبٌ، وتلا هذه الآية، وهذا هو كمال الدين.

قوله: (مثاباً عليه) أي: فشكر الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم.

قوله: (﴿كُلًّا﴾) مفعول لـ ﴿نُمِدُّ﴾.

قوله: (من الفريقين) أي: مُريد الدنيا، ومريد الآخرة.

قوله: (بَدَل) أي: من ﴿كُلًّا﴾ بَدَل كُلٍّ مِنْ كُلٍّ، كأنه قال: نَمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ؛ الأول: للفريق الأول، والثاني: للفريق الثاني، فهو لَفٌّ ونَشْرٌ مرتَّب.

قوله: (في الدنيا) أي: كسعة الرزق والحياة والعافية وغير ذلك.

قوله: (ممنوعاً عن أحد) أي: مؤمن أو كافر، وأما في الآخرة فعطاؤه ممنوعٌ عن الكافر، وهو مختصٌ بالمؤمن.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾) منصوب على الحال من ﴿فَضَّلْنَا﴾ كأنه قال: انظر فضلنا بعضهم على بعض كأننا على أيِّ حالة.

قوله: (من الدنيا) أي: من درجاتها؛ لأنَّ فضل الآخرة عظيمٌ لا ينقطع، بل هو دائمٌ لا يفنى.

قوله: (فينبغي الاعتناء بها) أي: بِالْآخِرَةِ، وقوله: (دونها) أي: الدنيا.

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ

﴿٢٢﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا: لا ناصر لك.

﴿٢٣﴾ وَقَضَىٰ: أَمَرَ ﴿رَبُّكَ أَكُنْ أَيْ: بِأَنْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الخطاب إما للنبي والمراد غيره، أو لكل مكلف وهو الأولى، والمعنى: لا تُشرك أيها المكلف غير الله مع الله لا في ظاهرك ولا باطنك، بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه، ولا تجعل الغير في خيالك؛ فإنه نقص من مراتب الأخيار؛ ولذا قال ابن الفارض^(١): [الطويل]

ولو خَطَرْتُ لي في سِوَاكَ إِرَادَةً على خَاطِرِي يَوْمًا حَكَمْتُ بِرِدَّتِي

قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (قعد) بمعنى: عجز؛ ف﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: حالان، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بمعنى: صار؛ ف﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: خبران لها.

قوله: (لا ناصر لك) تفسير لـ ﴿مَخْذُولًا﴾، وتقدم تفسير ﴿مَذْمُومًا﴾ بـ: مَلُومًا، والمعنى: مَلُومًا من الخلق، مخذولاً من الخالق لم يجعل له ناصرًا.

قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾... إلخ ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات جملةً من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكماً؛ بعضها أصلي، وبعضها فرعي، وابتدأ منها بالتوحيد بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وختم به بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَلْتَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾؛ إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها، وما عداه من الأحكام مبني عليه.

ولما كان حقّ الوالدين أكدّ الحقوق بعد حقّ الله ورسوله.. ذكّر بعد التوحيد وشّدّد فيه دون بقية التكاليف؛ لأنّ أمر العقوق فظيع، وفيه الوعيد الشديد؛ ففي الحديث: «قُلْ لِعَاقٍ والديه يفعل ما يشاء؛ فإنّ مصيره إلى النار»^(٢).

قوله: (أمر) أي: أمراً جازماً، وقيل: إنّ (قضى) بمعنى: أوصى، وقيل: بمعنى: حكم، وقيل: بمعنى: ألزم، وقيل: بمعنى: أوجب، وكلّ صحيح.

(١) كما في تائيته الكبرى في السلوك، ويروى عجزه: (على خاطري سهواً قضيت بردتي). انظر «ديوانه» (ص ٥٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/٢١٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها بلفظ: «يقال للعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فإني لا أغفر لك، ويقال للبار: اعمل ما شئت فإني أغفر لك».

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾ أَنْ تُحْسِنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بِأَنْ تَبْرُوهُمَا، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ - فاعل - ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ - وفي قراءة: (يَبْلُغَانَّ)، فـ ﴿أَحَدُهُمَا﴾ بَدَل

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي: بأن لا تُشركوا معه في العبادة غيره، فتمثلوا أوامره، وتجنبوا نواهيه، ودخل في ذلك الإقرارُ لرسول الله بالرسالة ومحَبَّته وتعظيمه؛ لأنَّ ذلك من جملة المأمورية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى أَنَّ (أن) مصدرية، ويكون الفعل منصوباً بحذف النون، ويصح أَنَّ (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو: فاعل على كل حال^(١).

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ متعلق بمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (وَأَنْ تُحْسِنُوا)، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾.

قوله: (بأن تبروهما) أي: تُطيعوا أمرهما في غير معصية الله.

قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ (إِنْ): شرطية مدغمة في (ما) الزائدة، والفعل مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، و﴿أَحَدُهُمَا﴾: فاعل: و﴿كِلَاهُمَا﴾: معطوف عليه، وجواب الشرط هو قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّهَآ أَفٍّ﴾ وما عطف عليه من بقية الخمسة التي كلف بها الإنسان في حقِّ والديه.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢)، وعليها: فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع، والألف: فاعل، والنون المشددة المكسورة: للتوكيد. والتقييد بحالة الكبر خَرَجَ مخرج الغالب؛ لأنَّ الولد غالباً إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما.

ومعنى قوله: ﴿عِنْدَكَ﴾: أن يكون في منزلك وكفالتك ومَعْدوداً من عيالك، وهذا بحسب الغالب، وإلا... فالولد مطلوب ببرِّ والديه مطلقاً؛ كانا عنده أو لا.

(١) وقول المفسر: (أي: بأن لا) غير سديد؛ حيث أثبت النون بين الهمزة و(لا) النافية بقلم الحُمْرة، فيقتضي أنها من رسم القرآن مع أنه ليس كذلك. «فتوحات» (٢/ ٦٥١).

(٢) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: «يبلغان» بألف التثنية قبل نون التوكيد المشددة المكسورة، والباقون دون ألف ويفتح النون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٣٥).

فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أَفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ

من أَلِفِه - ، ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أَفٍ﴾ - بفتح الفاء وكسرِها، مُنَوَّنًا وَغَيْر مُنَوَّن - ، مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: تَبًّا وَقُبْحًا، ﴿وَلَا نَنْهَرُهُمَا﴾: تَزْجُرُهُمَا، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جَمِيلًا لَيِّنًا.
﴿٢٤﴾ ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾: أَلِنْ لَهُمَا جَانِبَكَ الذَّلِيلَ

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الفاء) أي: من غير تنوين، وقوله: (وكسرِها) أي: منوَّنًا وغير منوَّن؛ فالتعميم راجع لقراءة الكسر، خلافاً لما يُوهمه المفسر؛ فالقراءات السبعية ثلاث، وقرئ شذوذاً بالرفع مع التنوين وتركه، وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء؛ فتكون الشواذ أربعاً، فجملة القراءات سبع هنا وفي (الأنبياء) وفي (الأحقاف)، ولغاتها أربعون لغة، ذكرها ابن عطية في «تفسيره»^(١).

قوله: (مصدر بمعنى: تَبًّا) بفتح التاء وضمُّها^(٢)؛ أي: خُسْرَانًا، وقوله: (وقبحاً) أي: لا تقل لهما: قبحاً لكما ولا لأفعالكما، والأوضح أن يقول: (اسم فعل مضارع) أي: لا تقل لهما: أنا أنضجرُ من شيء يصدر منكما.

قوله: (تزجرهما) أي: عمّا لا يعجبك منهما بإغلاظ؛ بآلاً تأمرهما ولا تنهاهما ولو كان ذلك الأمر غير مناسب، بل إذا أحبَّ أن يأمرهما أو ينهاهما.. فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق.

قوله: ﴿﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾﴾ أي: حسناً؛ كأن يقول لهما: يا أبتاه، يا أماه، ولا يُسمِّيها باسمهما.

قوله: ﴿﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾﴾ في الكلام استعارةً تبعيةً في الفعل؛ حيث شبَّهت إلانة الجانِب بخفض الجناح، والجامع الرأفة في كلِّ، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتق من الحَفْض: اخفض بمعنى: أَلِن، وفي الجناح أصلية؛ حيث شبَّه الجانِب بالجناح، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه.

(١) قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وابن كثير وابن عامر بالفتح دون تنوين، والباقون بالكسر دون تنوين، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء. وقرأ نافع في رواية: (أَفٌ) بالرفع والتنوين، و أبو السمال بالضم من غير تنوين، وزيد بن علي بالنصب والتنوين، وابن عباس: «أَف» بالسكون. انظر «الدر المصون» (٣٤٢/٧)، و«المحرر الوجيز» (٤٤٨/٣).

(٢) كذا في الأصول، وعبارة العلامة الجمل في «الفتوحات» (٦٥٢/٢): (أي: خسراناً وقبحاً، بضم القاف أو فتحها، وهو ضد الحسن، وفي بعض النسخ: «تنتأ وقبحاً» وهو الذي عبَّر به المحلي في سورة «الأحقاف»؛ فالفتح والضم لكلمة (قبحاً).

مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ اَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ اِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لِرِقَّتِكَ عليهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ اَرْحَمُهُمَا كَمَا﴾ رَحِمَانِي حِينَ ﴿رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾. ﴿٢٥﴾ ﴿رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ﴾ مِنْ إِضْمَارِ الْبِرِّ وَالْعُقُوقِ، ﴿اِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: طَائِعِينَ لِلَّهِ ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ﴾: الرَّجَّاعِينَ إِلَى طَاعَتِهِ ﴿غَفُورًا﴾ لِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ فِي حَقِّ حَاشِيَةِ الصَّاوِي

وإضافة ﴿جَنَاحَ﴾ لـ ﴿الذَّلِّ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: جانِبِك الذليل، وقد أشار لذلك كله المفسر.

قوله: (أي: لِرِقَّتِكَ عليهما) أشار بذلك إلى أن (مِنْ) للتعليل، والمعنى: من أجل الرحمة، لا خوفاً من العار مثلاً.

قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اَرْحَمُهُمَا﴾ أي: ادْعُ لهما بالرحمة ولو في كل يوم وليلة خمس مرات ولو كافرين إذا كانا حيَّين؛ لأنَّ من الرحمة أن يَهْدِيَهُمَا للإسلام.

قوله: ﴿كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ الكاف: للتعليل؛ أي: من أجل أنهما رحمانِي حين رَبَّيْنِي صَغِيرًا. روي: أَنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إِنَّ أَبَوَيَّ بَلَغَا مِنِّي فِي الْكِبَرِ أَنِّي أَلِي مِنْهُمَا مَا وَلِيَا مِنِّي فِي الصَّغَرِ؛ فَهَلْ قُضِيَتْ حَقُّهُمَا؟ قَالَ: «لَا؛ فَإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ وَهُمَا يُحِبَّانِ بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا»^(١).

قوله: ﴿رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ﴾ هذا وعدٌ ووعدٌ، والمعنى: لا عبرة بادعاء البرِّ باللسان؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ.

قوله: (طَائِعِينَ لِلَّهِ) أي: فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ.

قوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ﴾ مرَّتَّبٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، والتقدير: وفعلتُم معهما خلاف الأدب.

قوله: (الرَّجَّاعِينَ إِلَى الطَّاعَةِ) وقيل: هم الَّذِينَ يَذْكُرُونَ ذُنُوبَهُمْ فِي الْخَلَاءِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ مِنْهَا، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة: الْأَوَّابُ هو: التَّوَابُ.

(١) كذا أورده الزمخشري في «الكشاف» (٢/٦١٦)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه «الكافي»: (لم أجده).

وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدَرُ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾

الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً.

(٢٦ - ٢٧) ﴿وَمَاتِ﴾: أعطِ ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿حَقَّهُ﴾: من البرِّ والصَّلةِ،
﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدَرُ تَبْذِيرًا﴾: بالإنفاق في غير طاعة الله؛

حاشية الصاوي

قوله: (من بادرة) البادرة: الزلة تقع خطأً.

قوله: (وهم لا يضمرون عقوقاً) الجملة حالّة.

قوله: ﴿وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾) لما قدّم حقوق الله وحقّ الوالدين.. ذكر حقّ الأقارب غيرهما، وحقّ المساكين وأبناء السبيل الأجانب. والخطاب في هذه الآيات إما للنبي والمراد هو وأُمَّته؛ لأنّ الأصل عدم الخصوصية، أو للمكلف والأمر للوجوب عند أبي حنيفة؛ فعنده يجب على الموسر مؤاساة أقاربه المحارم كالأخ والأخت^(١)، وللندب عند غيره، ومحل الخلاف: في المؤاساة بالمال؛ بأن ينفق عليهم، وأمّا صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم.. فواجبة إجماعاً كنفقة الأصول والفروع، والآية شاملة لذلك كلّ.

قوله: (من البر) أي: الإحسان بالمال، وقوله: (والصلة) أي: مطلقاً، فهو عطف عام على خاص.

قوله: ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾) المراد به: ما يشمل الفقير، والمعنى: وآت المسكين حقه من البر والإحسان على حسب الطاقة؛ فإنّ ذلك من أوصاف المتّقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَفِي أَتُولِيهِمْ حَقَّ لِّلسَّائِلِ وَالْحَرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

قوله: ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾) أي: الغريب، وسمّي بذلك؛ لأنه ملازم للطريق، فكانه ابن لها.

قوله: (في غير طاعة الله) أي: كالمعاصي والشهوات المستغنى عنها؛ بأن يزيد في الإنفاق على المباح، وهذا مذموم إذا كان المال حلالاً، أما إن كان حراماً.. فلا يجوز له الإنفاق منه أصلاً، بل يجب عليه أن يرُدّه لأربابه.

(١) انظر «البحر الرائق» (٤/٢٢٨).

إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: على طريقتهم، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المُبْذِر.

﴿٢٨﴾ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تُعْطِهِمْ ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ﴾... إلخ) هذا غاية في الذم.

قوله: ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: ولم يزالوا كذلك، والمعنى: إن المبذرين يُشبهون الشياطين في أن كلا منهما ضلَّ في نفسه وأضلَّ غيره؛ فالشياطين صرفوا همَّتهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به في معاصي الله ولم يُصلحوا، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يُغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا.

قوله: (أي: على طريقتهم) أي: مقتدين بهم وملازمين لأفعالهم؛ لأنَّ الملازم للشيء يسمَّى أخاً له.

قوله: (شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وكان الشيطان لنعم ربِّه كفوراً.

قوله: (فكذلك أخوه المُبْذِر) أي: فقد كفر نعم ربِّه حيث صرفها في غير طاعة الله.

قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شيء وإما تعرضن... إلخ، والمعنى: لا تقطع رجاء الفقير منك، بل إمَّا أن تُعْطِيَهُ إن كان معك شيء، أو تردَّه بلطفٍ كما كان من خلقه ﷻ، فكان إذا سئل أعطى، أو وعد بالعطاء.

قوله: (وما بعده) أي: المسكين وابن السبيل.

قوله: ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ﴾ مفعول لأجله، وهو علة مقدَّمة على المعلول، والمعنى: وإمَّا تُعْرِضَنَّ عنهم لأجل عُسرِكَ.. فقل لهم قولاً ميسوراً؛ اعتماداً على الله، وطلباً لرحمة من ربك ترجوها، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي له قطع رجائه من الله، بل يعتمد على الله دائماً في عُسرِهِ

فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
مَلُومًا تَحْسُورًا ﴿٢٩﴾

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: لَيْنًا سَهْلًا، بِأَنْ تَعِدَّهُمْ بِالْإِعْطَاءِ عِنْدَ مَجِيءِ الرِّزْقِ.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لَا تُمْسِكْهَا عَنِ الْإِنْفَاقِ كُلِّ الْمَسْكَ، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ فِي الْإِنْفَاقِ ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ، ﴿تَحْسُورًا﴾: مُنْقَطِعًا لَا شَيْءَ عِنْدَكَ، رَاجِعٌ لِلثَّانِي.

حاشية الصاوي

وُسْرُهُ؛ فَإِنَّ الْغِنَى هُوَ وَثُوقُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ؛ فَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْهُ، وَلَا رَجَاءَ غَيْرِهِ فِيهِ ثَقَّةٌ بِرَبِّهِ.

قوله: (بأن تعدهم) أي: أو تدعو لهم؛ بأن تقول: أغناكم الله، سهّل الله لكم أسباب الخير... وغير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: مضمومة ومجموعة معه في الغلّ، وهو بضم الغين المعجمة: طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ يُجْعَلُ فِي الْعُنُقِ.

قوله: (أي: لا تمسكها عن الإنفاق) أي: فهو نهْيٌ عَنِ الْبَخْلِ عَلَى سَبِيلِ الْكُنَايَةِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ مَنْ جَعَلَ يَدَهُ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِهِ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّصْرِيفِ، وَشَأْنَ الْبَخِيلِ عَدَمُ التَّصْرِيفِ فِي الْمَالِ بِالْإِنْفَاقِ وَغَيْرِهِ.

قوله: (كلّ المسك) المناسب: الإمساك؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ رُبَاعِيٌّ، وَكَأَنَّهُ شَاكِلٌ قَوْلُهُ: ﴿الْبَسْطِ﴾.

قوله: ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي: بأن تُنْفِقَ زِيَادَةً عَلَى مَا يَجِبُ وَمَا يَنْدُبُ.

قوله: ﴿فَتَقْعُدَ﴾ أي: نصير، فقوله: ﴿مَلُومًا﴾ خبر ل: (تقعّد)، و﴿تَحْسُورًا﴾: معطوف عليه.

قوله: (راجع للأول) أي: البخيل.

قوله: (منقطعاً لا شيء عندك) أي: فهو من: حَسَرَهُ السَّفَرُ: إِذَا أَثَّرَ فِيهِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَسْرَةِ بِمَعْنَى: النَّدَامَةِ؛ أَيْ: نَادِمًا عَلَى مَا حَصَلَ مِنْكَ.

قوله: (راجع للثاني) أي: وهو مَنْ بَسَطَ يَدَهُ كُلَّ الْبَسْطِ، وَلَا تَشْكَلُ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ فِعْلِ السَّلَفِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ أَمْوَالِهِمْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَارُوا فَقَرَاءً؛ لِأَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ كَانَ يَعْقِبُهُ النَّدَمُ وَالْحَسْرَةُ، وَأَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ السَّلَفِ وَأَقْرَأَهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ كَأَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الَّذِينَ

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَنُحْيِيَنَّهُمْ وَإِذَا كُمُورٌ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

﴿٣٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ : يُوسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ : يُضَيِّقُهُ لِمَن يَشَاءُ ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ : عَالِمًا بِبَوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ ، فَيَرْزُقُهُمْ عَلَى حَسَبِ مَصَالِحِهِمْ .
 ﴿٣١﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بِالْوَادِ ﴿خَشْيَةً﴾ : مَخَافَةً ﴿إِمَّا لَنُحْيِيَنَّهُمْ﴾ : فَقْرٍ ، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ : إِثْمًا ﴿كَبِيرًا﴾ : عَظِيمًا .

حاشية الصاوي

كانوا يؤثرون على أنفسهم ومدحهم الله تعالى على ذلك . . فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا؛ لفنائهم عنها ، وبقائهم بالله ، وخطاب تلك الآيات إنما هو على حسب أخلاق العامة .

قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ . . . (الخ) أي : فانظر لما رزقك الله به وأنفق على حسبه ، وارض بما قسم الله لك ؛ فوسّع عند الرزق ، وضيق عند ضيقه ، وكن حيث أقامك الله .
 قوله : (ببواطنهم وظواهرهم) لفّ ونشر مرتّب .

قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ سبب ذلك : أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر ، وبعضهم خوف العار ، فحصل النهي عن ذلك ؛ لما فيه من سوء الظن بالله ، وتخریب العالم ، وكلّ منهما مذمومٌ ، وهو خطابٌ للمؤسرين ؛ بدليل قوله : ﴿خَشْيَةً إِمَّا لَنُحْيِيَنَّهُمْ﴾ ؛ ولذلك قدّم الأولاد ، وما تقدّم في (الأنعام) خطابٌ للمعسرین ؛ ولذلك قدّم ذكر الآباء ، وأخر ذكر الأولاد^(١) .

قوله : (بالوَاد) أي : الدفن بالحياة ، وخصّ بالذكر وإن كان القتل بأيّ شيء حراماً ؛ لأنه الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية .

قوله : ﴿كَانَ خِطْئًا﴾ إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن (جَمَلٍ) مصدر (خَطَى) ك : عَلِمَ ، أو بفتح الخاء : اسم مصدر لـ (أَخْطَأَ) رُبَاعِي ، أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً : مصدر لـ (خَاطَأَ) ك : قَاتَلَ ؛ ثلاث قراءات ، وكلها سبعة^(٢) .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمَّا لَنُحْيِيَنَّهُمْ وَإِذَا كُمُورٌ﴾ الآية .

(٢) قرأ ابن ذكوان : «خطأ» بفتح الخاء والطاء من غير مد ، وابن كثير بكسر الخاء والمد ، ويلزم منه فتح الطاء ، والباقيون بالكسر وسكون الطاء . انظر «الدر المصون» (٧/٣٤٦) .

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ

﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ ﴿﴾ أبلغ من (لا تأتوه)، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾: قبيحاً ﴿وَسَاءَ﴾: بشراً ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً هو.

﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ ﴿﴾: لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطاً على القاتل، ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾: يتجاوز الحدَّ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾: بأن يقتل حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ هو بالقصر في القراءة الشائعة، وقرئ شذوذاً بالمد، وخرجت على وجهين أحدهما: أنه لغة في المقصور، والثاني: أنه مصدر (زاني) ك: قاتل؛ لأنه يكون من اثنين. قوله: ﴿أبلغ من «لا تأتوه»﴾ أي: لأنه يفيد النهي عن مقدماته كاللمس والمباشرة والقُبلة صريحاً، والنهي عن الفعل بالأولى.

قوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: لأنه طريقٌ من طرق النار، وخصَّ الزنا بالنهي وإن كان اللواط أشنع وأقبح؛ لأنه كان سارياً في العرب، بخلاف اللواط؛ فقد كان في قوم لوط ثم تُنوي، ثم ظهر في هذه الأمة بعد قرن الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: حرَّم قتلها بأن عصمها منه، وهو المسلم، أو الكافر الذي تحت ذمّنا.

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مستثنى من النهي، والمعنى: لا تقتلوا النفس المعصومة إلا بالقتل الحق، وهو أحد ثلاث: كفر بعد إيمان، وزناً بعد إحسان، وقتل مؤمن معصوم عمداً؛ كما في الحديث^(١). قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ أي: وهو المؤمن المعصوم.

قوله: ﴿تَسْلُطاً عَلَى الْقَاتِلِ﴾ أي: فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً وجب على الحاكم الشرعي أن يمكّن وليّ المقتول من القاتل، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية، ولا يجوز للولي التسلُّط على القاتل من غير إذن الحاكم؛ لأنَّ فيه فساداً وتخريباً.

(١) وهو قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه مسلم (٤٣٩٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾
إِذَا عَاهَدْتُمْ اللَّهَ أَوِ النَّاسَ، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عَنْهُ، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أَيْمُونَهُ
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (غير قاتله) أي: غير قاتل المقتول.

قوله: (أو بغير ما قتل به) يستثنى منه مَنْ قَتَلَ بِمَحْرَمٍ كُلَّوَاطٍ وَسِحْرٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقَتْلُ بِذَلِكَ،
بَلْ يُقْتَلُ بِالسِّيفِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ أي: الولي ﴿مَنْصُورًا﴾ أي: من الله، ومن الحاكم.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لَا تَقْرَبُوا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا بِالْخَصْلَةِ
الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ جَمِيعِ الْخَصَالِ، وَهِيَ تَنْمِيَّتُهُ لَهُ، وَالْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ.

قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ غَايَةُ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: فَاقْرَبُوهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ؛ أَيْ: رُشْدَهُ؛ فَإِذَا بَلَغَ رُشْدَهُ فَادْفَعُوا إِلَيْهِ الْمَالَ وَلَا تَصَرَّفْ لَكُمْ فِيهِ بِوَجْهِ.

و(أشد): إما مفردٌ بمعنى: الْقُوَّةُ، أَوْ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، أَوْ جَمْعٌ (شِدَّةٌ) أَوْ (شِد) بِكَسْرِ
الشَّيْنِ فِيهِمَا، أَوْ (شَدٌّ) بِفَتْحِهَا، وَعَلَى كُلٍّ: فَالْمُرَادُ بِهِ: الْقُوَّةُ؛ بِأَنْ يَبْلُغَ عَاقِلًا رَشِيدًا وَإِنْ كَانَ الْأَشَدُّ
فِي الْأَصْلِ: بَلُوغُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

قوله: (إِذَا عَاهَدْتُمْ اللَّهَ أَوِ النَّاسَ) أي: أَوْ مَا عَاهَدَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ.

قوله: ﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾ عَنْهُ أَيْ: هَلْ وَفَّى بِهِ صَاحِبَهُ أَمْ لَا؟ وَقَدَّرَ الْمَفْسِّرُ ﷺ؛ إِشَارَةً
إِلَى أَنَّ الْمَسْئُولَ صَاحِبَ الْعَهْدِ لَا نَفْسَ الْعَهْدِ؛ إِذْ لَا يَتَأْتَى سَوَالُهُ.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ خُطَابٌ لِلْبَائِعِينَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: يُؤْخَذُ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّ أَجْرَةَ الْكَيْلِ
عَلَى الْبَائِعِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ تَمَامِ التَّسْلِيمِ مَا لَمْ تُشْتَرَطْ أَوْ يَجْرِعَ عَرَفَتْ بِأَنَّهَا عَلَى الْمُشْتَرِي.

إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ

﴿إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: الميزان السَّوِيُّ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مَالًا. ﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: تَتَّبِعْ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾: القلب ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه: ماذا فعلَ به؟. ﴿٣٧﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مَرَحٍ بِالْكِبَرِ وَالْحِيَلَاءِ، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ بضم القاف وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(١)، رُومِي استعملته العرب في لغتهم وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب ونحوه فصار عربيًا.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى هنا، والمعنى: وامتنال المأمورات واجتناب المنهيات خيرٌ في الدنيا وأحسنُ تأويلًا؛ أي: عاقبةٌ في الآخرة، ويحتمل عودُ اسمِ الإشارة على خصوص وفاء الكيل والميزان؛ فخيرُهُ في الدنيا لما فيه من إقبال المشتري على البائع، وفي الآخرة بحُسن العاقبة.

قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا تقل: رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم.

قوله: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أي: الحواسُّ الثلاثة.

قوله: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أي: في الآخرة؛ فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره بمجرد الظن، ومن ذلك: الفتوى بغير علم، وشهادة الزور، وظنُّ السوء بالناس وغير ذلك.

قوله: ﴿مَرَحًا﴾ مصدر: (مَرَح) كـ(فَرَح) وزناً ومعنى.

قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: بِكِبَرِكَ وفخرك؛ فلست أعلى من الأرض حتى تُدرك حدودها وتبلغ متنهاها.

(١) قرأ الأخوان وحفص هنا وفي سورة (الشعراء) بكسر القاف، والباقون بضمها فيهما، وهما لغتان مشهورتان. انظر

وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

تَثْقِبُهَا حَتَّى تَبْلُغَ آخِرَهَا بِكِبَرِكَ، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، الْمَعْنَى: أَنَّكَ لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلَغَ فَكَيْفَ تَخْتَالُ؟

(﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: الْمَوْعِظَةُ، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: مَطْرُودًا عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (تثقيبها) بالثاء المثناة، والنون.

قوله: ﴿﴿طُولًا﴾﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: ولن يبلغ طولك الجبال، وهذا تهكُّمٌ على العبد المتكبر، كأن الله يقول له: شأن المتكبر أن يرى كلَّ شيءٍ أحقرَ منه، وأنت ترى كلَّ شيءٍ أعظمَ منك؛ لأنك بمشيئك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها، ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها؛ فلا يليق منك التكبر.

قوله: ﴿﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾﴾ أي: المذكور من الخمس والعشرين المذكورة في قوله تعالى: ﴿﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾﴾ إلى قوله: ﴿﴿وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾﴾.

قوله: ﴿﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾﴾ بالثاء والهاء، قراءتان سبعيتان^(١)؛ فعلى الأولى: يكون المراد من قوله: ﴿﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾﴾: المنهيات، وهي اثنتا عشر خصلةً، والتأنيث في (سيئة) باعتبار معنى (كل)، وتذكير ﴿﴿مَكْرُوهًا﴾﴾ باعتبار لفظها.

وعلى الثانية: يكون المرادُ جميعَ ما تقدّم من المأمورات والمنهيات، وقوله: ﴿﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾﴾ أي: السيئ منه، وهو المنهيات الاثنتا عشرة، ويكون في الآية اكتفاء؛ أي: وكان حسنه محموداً.

قوله: ﴿﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى﴾﴾ أي: ما تقدّم من المأمورات والمنهيات بعضُ ما أوحى إليك.

قوله: ﴿﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾﴾ ختم به الأحكام كما ابتدأها به؛ إشارةً إلى أنَّ التوحيد مبدأ الأمور ومُنْتَهَاهَا، وهو رأس الأشياء وأساسها، والأعمال بدونه باطلةٌ لا تفيد شيئاً.

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الهمزة والهاء والتذكير وترك التنوين، والباقون بفتح الهمزة وتاء التأنيث منصوبة منوثة.

أَفَاصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا

﴿٤٠﴾ أَفَاصْفَكُمْ: أَخْلَصَكُمْ يا أهل مكة ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَكَةِ إِنْتًا﴾ بَنَاتًا لِنَفْسِهِ بِزَعَمِكُمْ، ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ﴾ بِذَلِكَ ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿٤١﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا: بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿لِيَذْكُرُوا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفَاصْفَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ لما أمر بالتوحيد ونهى عن الإشراك.. أتبعه بذكر التقييح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصاً أحسن الأولاد في زعمهم وهم البنات، فالاستفهام للتوبيخ والتقريع.

قوله: (أَخْلَصَكُمْ) بيان لمعنى الصفاء اللغوي؛ يقال: صفاه بمعنى: خلصه، والمعنى: أَخَصَّكُمْ ربكم بالبينين الذين تدعون أنهم أشرف الأولاد وجعل لنفسه البنات الذين تدعون خستهم^(١) عن الذكور؟! إن هذا الرأي لشنيع من وجوه: أولها: نسبة الولد من حيث هو لله، ثانيها: نسبة الخسيس له، ثالثها: الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة مع أنهم عباد مكرمون لا يُوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وكل ذلك موجب للخلود في النار.

قوله: (بناتاً لنفسه) في بعض النسخ بإسقاط الألف بعد التاء وهي الصحيحة؛ لأن من المعلوم أن (بنات) جمع مؤنث سالم يُنصب بالكسرة، وفي بعض النسخ بثبوتها، ولعلها من سهو الناسخ، أو مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة^(٢).

قوله: ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: كبيراً؛ لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوثه، وهو محال في حقه تعالى.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾ أي: أظهرنا ووضّحنا.

قوله: (من الأمثال... إلخ) بيان للمفعول، و(من): زائدة، والمعنى: بيّنا في هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد.

(١) كذا في الأصول ولعل الأولى: (وجعل لنفسه البنات اللاتي تدعون خستهن أو خستها)، والله أعلم.

(٢) وقد جوّز الكوفيون نصب ما جمع بآلف وتاء بالفتحة، وحكوا من ذلك: (سمعت لغاتهم) بفتح التاء، وأنشدوا:

فلما جلاها بالإيام تحيَّزت ثباتاً عليها ذلها واكتئابها

بنصب تاء (ثبات). انظر «التذيل والتكميل» لأبي حيان (١/١٥١).

وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَنَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ

يَتَعِظُوا، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ أي: الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَنَغُوا﴾: طَلَبُوا ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلًا﴾ لِيُقَاتِلُوهُ.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الشُّرَكَاءِ ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تَسِيحٌ لَهُ: تُنَزِّهُهُ ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ﴾: مَا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿إِلَّا يُسِيحُ﴾ مُتَلَبِّسًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿إِلَّا نُفُورًا﴾﴾ أي: إعراضاً واستكباراً عن الهدى، قال البوصيري^(١): [الخفيف]

عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءٌ

قوله: ﴿﴿قُلْ﴾ لَهُمْ﴾ أي: في الاستدلال على إبطال التعدد، وإثبات الوحدانية له تعالى.

قوله: ﴿﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾﴾ هذا إشارة إلى قياس استثنائي، يُستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم، وقد حُذف منه الاستثنائية والنتيجة، والأصل: لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله فلم يكن معه آلهة، والمعنى: لو فرض أن له شريكاً في الملك.. لنأزعه وقاتله واستعلى عليه، لكنه لم يوجد مَنْ هو بهذه المثابة، فبطل التعدد، وثبتت الوحدانية والكبرياء له سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿﴿لِيُقَاتِلُوهُ﴾﴾ أي: على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم.

قوله: ﴿﴿وَتَعَالَى﴾﴾ عطف على ما تضمنه قوله: ﴿﴿سُبْحَنَهُ﴾﴾، كأنه قال: تنزهه وتعالى.

قوله: ﴿﴿تَسِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ﴾﴾... إلخ) القصد من ذلك: التوبيخ والتفريع على مَنْ أثبت لله

شريكاً، والمعنى: كيف يُشركون مع الله غيره وكلُّ شيءٍ ينزّهه عن كلِّ نقصٍ؟!

قوله: ﴿﴿وَالْأَرْضُ﴾﴾ أفردا مع أنها سبعُ كالسموات؛ لكون جنسها واحداً وهو التراب.

قوله: ﴿﴿(من المخلوقات)﴾﴾ أي: الإنس والجنُّ والملك وسائر الحيوانات والجمادات.

بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُ. كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ...

﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ﴾: تَفْهَمُونَ ﴿تَسْيِيحَهُمْ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِلُغَتِكُمْ، ﴿إِنَّهُ، كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حَيْثُ لَمْ يُعَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يقول: سبحان الله وبحمده) أي: أعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده؛ أي: بكل كمال.
قوله: (﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾) هذا يقتضي أن تسييح الجمادات والحيوانات الغير العاقلة بلسان المقال، وهو الذي اختاره جمهور السلف، وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال؛ بمعنى: أنها تدل تلك المخلوقات على أن لها صانعاً متصفاً بالكمالات، منزهاً عن النقائص، فكان ذلك تسييحاً لها، قال العارف: ^(١) [المقارب]

وفي كل شيء له آيةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
قوله: (حيث لم يُعَاجِلْكُمْ بالعقوبة) أي: مع غفلتكم وعدم تدبركم في آياته ونظركم في مصنوعاته.

قوله: (﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾) خطابٌ للنبي ﷺ حين أراد الكفار قتله على حين غفلة.
(وأل) في ﴿الْقُرْآنَ﴾: إما للجنس الصادق بأي آية وهو الحق؛ لما في الحديث: «خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ» ^(٢)، وكون القرآن حجاباً ساتراً ليس من خصوصياته ﷺ، بل له ولأمته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهدٌ ومجربٌ بين العارفين، وأدلة السنة في ذلك أشهر من أن تذكر.

أو للعهد، والمراد: ثلاث آيات مشهورات من (النحل)، و(الكهف)، و(الجاثية)، وهي قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِي طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨]، وفي سورة (الكهف): ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وفي (الجاثية): ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَحَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْرٍ...﴾ [الجاثية: ٢٣] الآية، وزاد العلماء أول سورة (يس) إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَصِيرُونَ﴾ [يس: ٩]؛ لما ورد: أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه؛ لإرادة قتله، وأذن له في الهجرة

(١) البيت لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (ص ٤٥).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

وَيَبَيِّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ

وَيَبَيِّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ أي: ساتراً لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ .

﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴿٤٥﴾ : أَغْطِيَةً ﴿٤٥﴾ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴿٤٥﴾ مِنْ أَنْ يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ، أي: فلا يفهمونه، ﴿٤٥﴾ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٤٥﴾ : ثِقَلًا فلا يسمعون، ﴿٤٥﴾ وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ عنه.

﴿٤٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴿٤٧﴾ : : :

حاشية الصاوي

فأخذ حفنة من تراب في يده وخرج وهو يتلو (يس) إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم، ثم انصرف فلم يره أحد منهم، بل أخذ الله أبصارهم^(١).

قوله: ﴿وَيَبَيِّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (أي: وهم المنكرون للبعث).

قوله: (أي: ساتراً) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (فيمن أراد الفتك به) أي: كأبي جهل، وأم جميل زوجة أبي لهب، ويهود خيبر، ويهود المدينة، والمنافقين. والفتك - بتثنية الفاء - هو: القتل على غفلة.

قوله: (أغطية) أي: حجباً معنوية تمنعهم من إدراكه.

قوله: (فلا يسمعون) أي: إمّا أصلاً كما وقع لبعض الكفار؛ حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعون، أو المنفي سماع التدبر والاتعاظ وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين.

قوله: ﴿وَحَدَّهُ﴾ (حال من قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ بمعنى: منفرداً في الألوهية).

قوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ (أي: أعرضوا ولم يؤمنوا).

قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ (المقصود من هذه الآيات: تسليّة النبي ﷺ عما وقع من المشركين، وتهديد لهم حيث كانوا يجلسون عند النبي مُظهريّن الاستماع وفي الواقع قاصدين الاستهزاء).

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٤٦٩)، وانظر «سبل الهدى والرشاد» (٣/٢٣٢).

إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوَآءًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

بِسَبَبِهِ مِنَ الْهُزْءِ، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قِرَاءَتُكَ ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ أَيْ: يَتَحَدَّثُونَ، ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ - ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ فِي تَنَاجِيهِمْ: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: مَخْذُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٤٨﴾ ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بِالْمَسْحُورِ وَالْكَاهِنِ وَالشَّاعِرِ، ﴿فَضَلُّوا﴾ بِذَلِكَ عَنْ الْهُدَى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا إِلَيْهِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ مُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: ﴿أَهَذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوَآءًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (من الهزء) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ ظرف لـ﴿أَعْلَمُ﴾، وكذا قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾، والمعنى: نحن أعلم بالذي يستمعون بسببه وقت استماعهم إليك ووقت تناجيهم.

قوله: ﴿نَجْوَى﴾ إما مصدر، أو جمع نَجْوَى.

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾.

قوله: ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لبعضهم، أو لمن كان قريباً منهم في المجلس من المؤمنين.

قوله: ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: حيث شبهوك بالأوصاف الناقصة كالمسحور والشاعر والكاهن.

قوله: ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى) أي: لأن الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة، وهؤلاء بريئون من ذلك.

قوله: (طريقاً إليه) أي: إلى الهدى؛ لعدم تيسير أسبابه لهم.

قوله: (منكرين للبعث) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للإنكار والاستبعاد.

قوله: ﴿وَرَفْنَا﴾ هو: ما بُولِغَ في تَفَتُّيْتِهِ وَدَقِّهِ حَتَّى يَصِيرَ كَالْتَرَابِ، وقيل: هو التراب؛ يؤيده: أنه تَكَرَّرَ في القرآن ﴿تُرَابًا وَعِظَمًا﴾.

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

(٥٠ - ٥١) ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يَعْظُمُ عَنْ قَبُولِ الْحَيَاةِ فَضْلًا عَنْ الْعِظَامِ وَالرُّفَاقِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْجَادِ الرُّوحِ فِيكُمْ، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إِلَى الْحَيَاةِ؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾: خَلَقَكُمْ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْبَدءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ، بَلْ هِيَ أَهْوَنُ، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يُحَرِّكُونَ ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تَعَجُّبًا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اسْتِهْزَاءً: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أَي: الْبَعْثُ؟ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً﴾ أي: جواباً عن إنكارهم البعث، والمعنى: قل لهم: لو صرتم حجارة أو حديدًا أو خلقاً آخر غيرهما كالسماوات والأرض والجبال.. فلا بدَّ من إِبْجَادِ الْحَيَاةِ فِيكُمْ؛ فَإِنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ لَا تَعْجُزُ عَنْ إِحْيَائِكُمْ وَإِعَادَتِكُمْ لِلْجَسْمِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، فَكَيْفَ إِذَا كُنْتُمْ عِظَامًا وَرَفَاتًا؟! وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْأَمْرَ، بَلِ الْمُرَادُ: أَنْكُمْ لَوْ كُنْتُمْ ذَلِكَ.. لَمَا أَعْجَزْتُمْ اللَّهَ عَنِ الْإِعَادَةِ.

قوله: ﴿مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: اعتقادكم، والمعنى: لو كنتم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها.. لأحياكم الله؛ إذ القادر لا يعجزه شيء.

قوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ أي: يُعِيدُكُمْ الَّذِي فَطَرَكُمْ.

قوله: (بل هي أهون) أي: لأنَّ البدء لم يكن على مثالٍ سابقٍ، بخلاف الإِعَادَةِ، وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ لِعُقُولِنَا وَأَفْعَالِنَا، وَإِلَّا.. فَالْبَدءُ وَالْإِعَادَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَخَلَقَ الْجِبَلَ الْعَظِيمَ عِنْدَهُ مِثْلًا لِخَلْقِ الذَّرَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨].

قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يُقَالُ: نَغَضَ الشَّيْءُ: تَحَرَّكَ، وَأَنْغَضَ رَأْسَهُ: حَرَّكَه كَالْمَتَعَجِّبِ مِنَ الشَّيْءِ.

قوله: ﴿أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ هُوَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ خَبَرٌ ﴿عَسَى﴾ عَلَى أَنَّهَا نَاقِصَةٌ، وَاسْمُهَا: ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى (الْبَعْثِ)، أَوْ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ بِهَا عَلَى أَنَّهَا تَامَةٌ.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

﴿٥٢﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: يُنَادِيكُمْ مِنَ الْقُبُورِ عَلَى لِسَانِ إِسْرَافِيلَ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فَتُجِيبُونَ دَعْوَتَهُ مِنَ الْقُبُورِ ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بِأَمْرِهِ، وَقِيلَ: وَلَهُ الْحَمْدُ، ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾: مَا ﴿لَبِئْتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِهَوْلِ مَا تَرَوْنَ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾: الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَقُولُوا﴾: لِلْكَفَّارِ الْكَلِمَةَ ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿قَرِيبًا﴾.

قوله: (على لسان إسرافيل) هو أحد قولين، والآخر: أن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل، وصورة النداء أنه يقول: أيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، والأوصال المتقطعة، واللُّحُومُ الْمَمْرُقَةُ، والشعور المتفرقة؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ^(١).

قوله: (فتجيبون) أي: تُبْعَثُونَ.

قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾ (حال من الواو في (تَسْتَجِيبُونَ) أي: تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك؛ لما قيل: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك.

قوله: (بأمره) تفسيراً آخر لمعنى الحمد هنا، وعليه: فالباء سببية.

قوله: (وقيل: وله الحمد) أي: لما ورد: أنهم يقولون: نعم، وله الحمد، وهو إخبارٌ عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم؛ فالْمُؤْمِنُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ شُكْرًا عَلَى مَا أَوْلاَهُم مِنَ النِّعَمِ، وَالْكَافِرُونَ يَحْمَدُونَهُ رَجَاءً أَنْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ الشُّكْرُ، وهو لَا يَنْفَعُهُمْ، وقيل: هو في خصوص المؤمنين.

قوله: (في الدنيا) أي: أو في القبور؛ لأنها من جملة عمر الدنيا.

قوله: ﴿يَقُولُوا﴾ مجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (أي: ولا يُغْلَظُوا عليهم؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ إِلَى الشَّرِّ؛ كَأَن يَقُولُوا لَهُمْ: إنكم من أهل النار، ومن الأشقياء... وغير ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ (إلخ) تعليل لمفهوم ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، كأنه قال: ولا يَقُولُوا غيرها مما ينفر النفوس؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ... إلخ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) من حديث كعب.

يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَنْزَعُ: يُفْسِدُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا: بَيَّنَّ الْعَدَاوَةَ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ هِيَ:

﴿٥٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ ﴿بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ﴾، ﴿أَوْ إِنْ يَشَاءُ﴾ تَعَذِّبِكُمْ ﴿يُعَذِّبِكُمْ﴾ بِالْمَوْتِ عَلَى الْكُفْرِ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فَتُجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

﴿٥٥﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿فِيُخْصِّهُمْ بِمَا شَاءَ عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِمْ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ (أي: بين المؤمنين والمشركين).

قوله: (يفسد بينهم) أي: لأنَّ الإغلاظ عليهم ربما يُثير العناد، ويؤدي لزيادة الفساد.

قوله: (هي ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾... إلخ) أي: وما بينهما اعتراض، والمعنى: ربكم أعلم بعاقبة أمركم.

قوله: (بالتوبة والإيمان) أي: بينهما.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (أي: وما جعلنا أمرهم موكلًا لك، بل ليس عليك إلا البلاغ، فدارهم، ومُرَّ أصحابك بتحمل أذاهم).

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخ بآية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، ومقتضى العلة: أنه حيث أدَّى الإغلاظ إلى زيادة الفساد... وجب تركه في أي زمن.

قوله: ﴿يَمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (أي: بأحوالهم، فيُخْصَّ بالنبوة مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وبولايته وسعادته مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وفي هذه الآيات ردُّ على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم: كيف يكون يتيم أبي طالب نبياً؟ وكيف يكون المرأة الجوّع أصحابه؟! وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها على النبي إلا في مقام الحكاية عن الكفار؛ ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام التنقيص^(١).

(١) وقد فضّل هذه المسألة الإمام القاضي عياض المالكي رحمه الله تعالى في كتابه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» في القسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقّصه أو سبّه عليه الصلاة والسلام، فراجع إن شئت (٢/ ٢١١).

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بِتَخْصِيصِ كُلِّ مِنْهُمْ بِفَضِيلَةٍ، كَمُوسَى بِالْكَلامِ وَإِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ وَمُحَمَّدٌ بِالْإِسْرَاءِ، ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾

حاشية الصاوي

والباء متعلقة بـ ﴿أَعْلَمُ﴾، ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السماوات والأرض؛ لأنه مفهوم لقب، وهو لا يعتبر، وقد ردَّ العلماء على مَنْ اعتبره كأبي بكر الدِّقَاق^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيل من الله، ومزايا خصَّهم بها، وميِّز بعضهم على بعض.

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ خصَّ بالذكر؛ لأنَّ اليهود زعمت أنه لا نبيَّ بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، وقصدتهم بذلك إنكارُ نبوة محمد، وإنكارُ كتابه، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾؛ لأنهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع أنه جاء بعد موسى.

والزبور: كتاب أنزل على داود، مُشتمل على مئة وخمسين سورة، أطولها قدر ريع من القرآن، وأقصرها قدر سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، وكلُّها دعاءٌ وتحميدٌ، ليس فيها حلالٌ ولا حرامٌ، ولا فرائض ولا حُدود ولا أحكام، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانيَّة، والتخلي عن العلائق الجسمانيَّة، والتخلي بالأخلاق الرحمانيَّة، لا بكثرة الأموال والأنباع حتى داود عليه السلام؛ فإنَّ شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب، لا بما أُوتيه من الملك؛ فالعزُّ والتفضيل في المزايا الأخرويَّة لا الدنيويَّة؛ فإنها تكون في المؤمن والكافر، فلا يمتنُّ الله بها على أحبابه وأصفيائه.

قوله: ﴿قُلِ﴾ لَهُمْ أي: قل يا محمد ردًّا على من اعتقد مع الله شريكاً.

قوله: (أَنَّهُمْ آلِهَةٌ) أشار بذلك أن مفعولي (زعم) محذوفان.

قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره، وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: قل ادْعُوا الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، فالمعنى: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا كَمَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فاندفع ما يقال: إنَّ المشركين إنما يعتقدون الشركة مع الله، لا أنَّ الآلهة غيره وهو ليس بآله.

(١) مفهوم اللقب: هو تعليق الحكم بالاسم الجامد، سواء أكان اسم جنس أو علماً؛ فلا يدل على نفي الحكم عمَّا عداه على الصحيح. انظر «الغيث الهامع» (ص ١٣٠)، و«جمع الجوامع» (١/ ٢٠٣).

فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

كالملائكة وعيسى وعزير، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم. ﴿٥٧﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَطْلُبُونَ ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾: القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ وَاوِ ﴿يَبْتَغُونَ﴾ - أي: يَبْتَغِيهَا الَّذِي هُوَ ﴿أَقْرَبُ﴾ إِلَيْهِ فَكَيْفَ بغيره؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف يَدْعُونَهُمْ آلِهَةً، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (كالملائكة) أي: وكمرهم، فالكلام في خصوص العقلاء؛ بدليل قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ﴾ أي: لا يستطيعون إزالته؛ لعجزهم، وحينئذ فهو لا يسوا بالآله؛ لأن الإله هو القادر الذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، والجملة جواب^(١).

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هذا من تَمَّة ما قبله، واسم الإشارة: مبتدأ، وجملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ وما عطف عليه: خبر، و﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، و﴿يَدْعُونَ﴾: صلته، وقدّر المفسر مفعوليه، والمعنى: أن العقلاء الذين زعمتموهم آلهة وعبدتموهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذللهم لربهم، ويرجون رحمته ويخافون عقابه، بل كلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ فِي الدَّرَجَةِ فَهُوَ أَشَدُّ خُضُوعًا وَخَوْفًا، وَلَا يَرْضُونَ بِكَوْنِهِمْ مَعْبُودِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قوله: (بدل من واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾) أي: و﴿أَقْرَبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة؛ أي: كما أشار له المفسر بقوله: (يبتغيها الذي هو أقرب).

قوله: (فكيف تدعونهم آلهة؟!) أي: مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم، والإله لا يكون كذلك.

قوله: ﴿كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي: مخافاً منه، والمعنى: هو حقيقٌ بأن يخاف منه كلُّ أحدٍ.

(١) أي: على تقدير مبتدأ؛ لصحة دخول الفاء؛ لأن الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة... لا يُقرن بالفاء، فاحتج لجعلها جملة اسمية، والتقدير: إن دعوتهم فهم لا يملكون، وفي (ط٢): (جواب الأمر).

وَأَن مِّن قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ

﴿٥٨﴾ وَإِنْ: مَا مِّن قَرِيبٍ أُرِيدَ أَهْلُهَا ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَةِ﴾ بِالمَوْتِ، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بِالقَتْلِ وَغَيْرِهِ، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ﴿مَسْطُورًا﴾: مَكْتُوبًا.

﴿٥٩﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَن مِّن قَرِيبٍ﴾ أي: طائفة أو عاصية، وقوله: ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ أي: الطائفة، وقوله: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ أي: العاصية، والمعنى: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَفْنَى قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْنَا فَإِنَّ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وَلَكِنِ الْفَنَاءُ مُخْتَلَفٌ؛ فَمِنْهُمْ مَن يَمُوتُ مِيتَةً حَسَنَةً، وَمِنْهُمْ مَن يَمُوتُ مِيتَةً سَوْءًا.

قوله: ﴿بِالمَوْتِ﴾ أي: فَالْهَلَاكُ قَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَوْتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَمْرًا هَلَاكًا﴾ [النساء: ١٧٦].

قوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِهْلَاكِ وَالتَّعْذِيبِ.

قوله: ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: فَلَا يَغْيَرُ وَلَا يَبْدَلُ.

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ﴾... إلخ سبب نزول هذه الآية: أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَقْلَبْ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا، وَسَيِّرْ لَنَا هَذِهِ الْجِبَالَ عَنْ مَكَّةَ؛ لِنُزْرِعَ مَكَانَهَا، وَأَحْيِ لَنَا آبَاءَنَا الْمَوْتَى؛ فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ.. آمَنَّا بِكَ، فَشَرَعَ النَّبِيُّ يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(١).

والمعنى: مَا كَانَ السَّبَبُ فِي تَرْكِنَا إِجَابَتَهُمْ عَجْزًا مِنَّا، بَلِ السَّبَبُ فِي تَرْكِ الْإِجَابَةِ غَلْبَةُ رَحْمَتِنَا بِهِمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَرَتْ عَادَتُنَا مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ إِلَى وَقْتِكَ هَذَا أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ طَلَبَتْ مِنْ نَبِيِّهَا آيَةً نَأْتِيَهُمْ بِهَا؛ فَإِذَا كَفَرُوا.. اسْتَأْصَلْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا أَنَّ أَمَّتَكَ تَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ آتَيْنَاهُمْ مَا طَلَبُوهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا.. لَاسْتَأْصَلْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ فَلَمْ يَتَمَّ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِنَا، فَمَنَعُهُمْ مِمَّا طَلَبُوهُ رَحْمَةً بِأَمَّتِكَ جَمِيعًا.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٣).

حاشية الصاوى

(١) وقرأ على بن الحسين وقتادة: «مبصرة» بفتح الميم والصاد. انظر «الدر المصون» (٧/٣٢٢).

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزُّقُومُ الَّتِي تَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لَهُمْ إِذْ قَالُوا: النَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ فَكَيْفَ تُنْبِتُهُ؟ ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ﴾ بِهَا ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَخْوِيفُنَا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَوَاقِلٌ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ﴾ معطوف على ﴿الزُّقْيَا﴾.

قوله: ﴿الْمَلْعُونَةَ﴾ إسناد اللعن لها إما حقيقة باعتبار أنها مُؤْذِيَةٌ ومُذْمُومَةٌ ومَطْرُودَةٌ عن رحمة الله؛ لأنها تخرج في أصل الجحيم، أو مجازاً، والمراد: ملعون أكلوها.

قوله: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ (الشَّجَرَةَ) أي: المذكورة في القرآن.

قوله: (وهي الزقوم) هي أخبث الشجر المر، تنبت بتهامة، وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار.

قوله: (إذ قالوا: النار تحرق الشجر... إلخ) أي: فقصدوا بذلك إنكار قدرة الله تعالى، وإثبات العجز له، والاستهزاء بقول الرسول، وهو غفلةٌ منهم عن قدرة الله، مُعْتَمِدِينَ عَلَى الْأَمْرِ الْعَادِيِّ مع أنه شوهِد تخلفه في مثل النعامة؛ فإنها تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يُحْرِقُهَا، وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل، فإذا اتسخت أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ فيزول وسخها وتبقى بحالها^(١).

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ كرر قصة آدم مع إبليس في القرآن مراراً؛ لابتناء السعادة والشقاوة عليها، وإشارةً إلى أَنَّ السعيدَ هُوَ مَنْ تَبَعَ آدَمَ، والشقي هُوَ مَنْ تَبَعَ إِبْلِيسَ؛ ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة، والعذاب الأليم لأهل الشقاوة.

قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: بعد أن قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم علّمه أسماء الأنبياء كلّها، ثم عرّض الله

(١) السمندل: طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار، وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام، ولا تؤثر النار فيها. انظر «حياة الحيوان» للدميري (٤٦/٢).

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ

سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْاِنْحِنَاءِ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ - نُصِبَ بِنَزْعِ الْخَافِضِ - أَي: مِنْ طِينٍ.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أَي: أَخْبِرْنِي ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾: فَضَّلْتَ ﴿عَلَيَّ﴾ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لَهُ

حاشية الصاوي

على الملائكة المسميات وأمر آدم أن يقول للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء، قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال الله له: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم.. صار شيخاً لهم، فوجب تعظيمه واحترامه، فأمرُوا بالسجود له؛ وفاءً ببعض حقوقه عليهم.

قوله: (سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ السجود لغير الله كفرٌ والملائكة بريئون منه، ويدفع أيضاً: بأنَّ السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقابلة كالمصلين للكعبة، وأيضاً: محلُّ كون السجود لغير الله كفراً: ما لم يكن الأمر به هو الله، وإلا.. فيجب امتثاله، وقد تقدّم ذلك^(١).

قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ (أَي: الملائكة جميعاً).

قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (أَي: امتنع من السجود قولاً وفعلاً).

قوله: ﴿قَالَ مَا أَسْجُدُ...﴾ (إلخ) الاستفهام إنكاريٌّ، فهو بمعنى النفي.

قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ (الهمزة للاستفهام، و(رأى): فعل ماضٍ، والتاء: فاعل، والكاف: مؤكدة لتاء الخطاب، واسم الإشارة: مفعول أول، و(الذي): بدل منه أو صفة له، و﴿كَرَّمْتَ﴾: صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: كَرَّمْتَهُ، والمفعول الثاني محذوف تقديره: لم كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ؟! ولم يُجبه الله عن هذا السؤال تحقيراً له حيث اعترض على مَولاه، وتكبر وحسد عباد الله.

والإراءة هنا بمعنى: الإخبار؛ ففيه مجازٌ مرسلٌ، من باب: إطلاق السبب على المسبب؛ لأنَّ شأن مَنْ كان راثياً لشيء أن يُخبر به، وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب؛ ففيه مجاز على مجاز، وتقدّم نظائر هذه الآية في (الأنعام)، وسيأتي في (القصص).

لَيْنِ أَخْرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿لَيْنِ﴾ - لام قسم - ﴿أَخْرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ﴾: لَأَسْتَصِلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بِالْإِغْوَاءِ ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ مِنْهُمْ مِمَّنْ عَصَمْتَهُ. ﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿أَذْهَبَ﴾ مُنْظَرًا إِلَى وَقْتِ النَّفْخَةِ الْأُولَى،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ أي: وهي أفضل العناصر الأربع.

قوله: (لام قسم^(١)) أي: مقدّر، تقديره: والله، وقوله: ﴿لَاَحْتَنِكَنَّ﴾ جواب القسم، والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف، والتقدير: فطرده الله، فطلب اللعين الإمهال للنفخة الثانية، فأجابه الله بخلاف ما طلب، فقال: لئن أخرتني... إلخ.

والاحتناك في الأصل مأخوذ من: حنك الدابة: إذا جعل الرسن في حنكها، واحتناك الجراد الأرض: أكل ما عليها.

والياء في (أخرتني) ثابتة لبعض القراء وصلًا ووقفًا، ومحذوفة لبعضهم كذلك، وثابتة لبعضهم وصلًا، وحذفتها وقفًا؛ فالقراءات ثلاث وكلها سبعة هنا^(٢)، وأما التي تأتي في (المنافقون) فالياء ثابتة لكل؛ لثبوتها في الرسم^(٣).

قوله: (ممَّن عَصَمْتَهُ) أي: عصمة واجبة كالأنبياء، أو جائزة كالصلحاء.

قوله: ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿أَذْهَبَ﴾ هذا تهديد له، وليس الأمر في المواضع الخمسة على حقيقته، بل هو استدراج وتهديد؛ لأنه معصية والله لا يأمر بها، على حدّ: «إذا لم تستحِ.. فاصنع ما شئت».

قوله: (إلى وقت النفخة الأولى) هذا جوابٌ له على خلاف ما طلب؛ فإنه طلب الإنظار إلى النفخة الثانية؛ ليفرّ من الموت فإنه يعلم أن لا موت بعد النفخة الثانية.

(١) أي: موطنة له، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخل كما قال المصنف على (إن) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص ٣١٠).

(٢) قرأ ابن كثير بإثبات ياء المتكلم وصلًا ووقفًا، ونافع وأبو عمرو بإثباتها وصلًا وحذفها وقفًا، والباقون يحذفها وصلًا ووقفًا. انظر «الدر المصون» (٧/٣٧٩).

(٣) في قوله عزّ شأنه: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَلْمَزْتَنِي إِنَّ أَمَلِي قَرِيبٌ فَأَصْدَقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَقَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

﴿فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنتَ وَهُمْ ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ : وافراً كاملاً .

﴿٦٤﴾ ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ : استخِفْتُ ﴿مِنْ أَسْطَقَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ : بدُعائك بالغناء والمزامير وكلُّ داعٍ إلى المعصية، ﴿وَأَجْلِبَ﴾ : صَحَّ ﴿عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ وَهُمْ الرُّكَّابُ وَالْمُشَاةُ فِي الْمَعَاصِي، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ الْمُحَرَّمَةِ كَالرِّبَا وَالْغَصْبِ، ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ مِنَ الزُّنَى، ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ بِأَنْ لَا بَعَثَ وَلَا جَزَاءَ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بِذَلِكَ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ : باطلاً .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿جَزَاؤُكُمْ﴾ غلب المخاطب ؛ لأنه سبب في الإغواء .

قوله : ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بالمصدر قبله .

قوله : ﴿وافراً﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل .

قوله : ﴿بالغناء﴾ بكسر الغين والمد ، وهو : تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة .

قوله : ﴿وكلُّ داعٍ إلى المعصية﴾ كالكلام مع الأجنبية ونحوه .

قوله : ﴿بِخَيْلِكَ﴾ الباء للملابسة ، والمعنى : صَحَّ عليهم حال كونك مُلتبساً بجنودك الركاب والمشاة ، فالمراد بالخيول : ركابها ؛ وذلك كقطع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الأموال ويقتلون النفوس .

قوله : ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ أي : بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام ، والتصرف فيها فيما لا ينبغي .

قوله : ﴿(من الزنا) أي : ومثله : ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثاً وأتى منها بأولاد . . فإن الشيطان شريكه فيهم .

قوله : ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ أي : احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء .

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ
الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ

﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾: تَسَلَّطَ وَقُوَّةٌ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حَافِظًا لَهُمْ مِنْكَ.

﴿٦٦﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي ﴿لَكُمْ الْفَلَكَ﴾: السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا: تَطْلُبُوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تَعَالَىٰ بِالتَّجَارَةِ؛

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الإضافة للتشريف.

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ أي: بل هم محفوظون منك.

قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي: إِنَّ الشَّيْطَانَ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْوَسوسة بِإِقْدَارِ اللَّهِ لَهُ..
فَاللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ، فَهُوَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ كَيْدَهُ وَشَرَّهُ، فَالْمَعْصُوم: مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِ
الْوَسْوَاسِ عَنْهُ.

فائدة: ذكر الياضي عن الشاذلي: أَنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى دَفْعِ وَسوسة الشَّيْطَانِ: أَنَّكَ عِنْدَ وَسوسته
لَكَ تَضَعُ يَدَكَ الْيَمْنَى عَلَى جَانِبِ صَدْرِكَ الْأَيْسَرِ بِحِذَاءِ الْقَلْبِ وتقول: (سبحان الملك القدوس
الْخَلَّاقُ الْفَعَّالُ) سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَنْتَ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودَ
بُذْهَبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [إبراهيم: ١٩-٢٠].

قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ﴾ لما أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ الشَّيْطَانَ
مُسَلَّطٌ عَلَى بَنِي آدَمَ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ مِنْهُمْ وَحَفَظَهُ.. بَيَّنَّ أَوْصَافَ الْحَافِظِ لِلْخَلْقِ مَنْ تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ،
كَأَنَّهُ قَالَ: رَبِّكُمْ الْحَافِظُ لَكُمْ هُوَ الَّذِي يُزْجِي.

والإزجاء: الإجراء، يقال: زَجَاهُ وَأَزْجَاهُ بِمَعْنَى: أَجْرَاهُ، وَالْفَلَكَ: السَّفِينَةُ يَسْتَعْمَلُ مَفْرَدًا
وَجَمْعًا، وَوزن المفرد: (فُفْل) والجمع: (بُذْن)، وَيَذْكَرُ بِاعتبارِ الْمَرْكَبِ، وَيؤنَّثُ بِاعتبارِ السَّفِينَةِ.

قوله: (السفن) يشير إلى أن ﴿الْفَلَكَ﴾ مستعملٌ في الجمع.

قوله: ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ أي: عَذَابًا وَمِلْحًا.

قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: الوصول إلى المقاصد، دُنْيَوِيَّةً وَأُخْرَوِيَّةً؛ فَبِالسُّفُنِ يَتَوَصَّلُ
إِلَى التَّجَارَاتِ وَالْمَكَاسِبِ، وَلِلْحَجِّ وَزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ.

إِنَّهُ كَانَ يَكُفُّكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ
 أَفَأَمِنْتُمْ ﴿٦٨﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ يَكُفُّكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

﴿٦٧﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: خَوْفَ الْغَرَقِ ﴿ضَلَّ﴾: غَاب عَنْكُمْ ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ فَلَا تَدْعُونَهُ، ﴿إِلَّا إِلَهُهُ﴾: تَعَالَى؛ فَإِنَّكُمْ تَدْعُونَهُ وَحْدَهُ لِأَنَّكُمْ فِي شِدَّةٍ لَا يَكْشِفُهَا إِلَّا هُوَ، ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ﴾: مِنَ الْغَرَقِ وَأَوْصَلَكُمْ ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عَنِ التَّوْحِيدِ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾: جَحُودًا لِلنَّعْمِ.

..... أَفَأَمِنْتُمْ ﴿٦٨﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ يَكُفُّكُمْ رَحِيمًا﴾ تعليل ثان لقوله: ﴿يُرْجَى﴾.

قوله: (الشدة) أي: من أجل هبوب الريح.

قوله: (خوف الغرق) أي: من أجل خوفه.

قوله: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ أي: ذهب عن قلوبكم وخواطركم كلُّ معبود سواه؛ فلا تدعون غير الله لكشفه.

قوله: ﴿إِلَّا إِلَهُهُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا بحمل قوله: ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ على جميع المعبودات بحق أو بباطل، ويحتمل أن يكون منقطعاً بحمله على المعبود بباطل، وتكون على هذا (إلا) بمعنى (لكن).

قوله: (من الغرق) الجار والمجرور متعلق بـ ﴿نَجَّكُمْ﴾، وقوله: ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ متعلق بمحذوف، قدره المفسر بقوله: (وأوصلكم).

قوله: (أعرضتم عن التوحيد) أي: تركتموه؛ فالكافر يرجع لعبادة الأصنام، والعاصي يرجع لغفلاته وشهوته بعد أن كان الجميع آيين، متوجهين إلى الله، خائفين منه.

قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ كالتعليل لقوله: ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾.

قوله: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أنجوتكم من الغرق فأمنتم... إلخ؟ والاستفهام للتوبيخ.

أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ

أَنْ تُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ: أي: الأرض كقارون، ﴿أَوْ تُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾: حافظاً منه.

﴿٦٩﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ تُعِيدَكُمْ فِيهِ: أي: البحر ﴿تَارَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحاً شديدة لا تمرُّ بشيءٍ إِلَّا قَصَفَتْهُ فَتَكْسِرُ فُلَكُمْ، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بِكُفْرِكُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ تُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: تُخفِّيكُم في باطن الأرض، والمعنى: أنتم وإن أمنتُم من الغرق في البحر لا تأمنون من الخسف في البر. والأفعال الخمسة تُقرأ بالنون والياء، سبعيناً^(١).

قوله: (كقارون) أي: فقد وقع به الخسف، قال تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

قوله: (أي: نرميكم بالحصباء) أي: بسبب ريح تأتيكم.

قوله: (كقوم لوط) أي: فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم.

قوله: (حافظاً منه) أي: مما ذُكِرَ من الخسف وإرسال الحصباء.

قوله: ﴿تَارَةً﴾ مصدر، وتجمع على: تَيْرَّة، وتارات^(٢).

قوله: ﴿إِلَّا قَصَفَتْهُ﴾ أي: كَسَرَتْهُ.

قوله: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ مرتَّبٌ على محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (فتكسر فُلُكُم).

قوله: (بكفركم) أي: بسببه، وأشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول؛ أي: بسبب الذي كفرتم به.

(١) قرأ هذه الأفعال بنون العظمة ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالياء فيها على الغيبة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٨٥).

(٢) وقد صوّب القاضي عياض في «مشارك الأنوار» (١/ ١٢٥): أن جمعها: تَيْرٌ، وهو الذي ذكره أصحاب المعاجم.

انظر «تاج العروس»، مادة: (تور)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٢١).

ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾: ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم.
 ﴿٧٠﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: فضّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعِلْمِ والنُّطْقِ واعتِدالِ الخَلْقِ وغيرِ ذلك،
 وَمِنْهُ طَهَارَتُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ﴾ عَلَى الدَّوَابِّ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ عَلَى السُّفُنِ،
 ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ ﴿تَفْضِيلًا﴾،
 ف(مَنْ) بِمَعْنَى (مَا)،

حاشية الصاوي

قوله: (ناصراً) أي: ناصراً لكم علينا، فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم.
 قوله: (أو تابعاً يطالبنا... إلخ) تفسير ثانٍ لـ ﴿تَبِيعًا﴾، والمعنى عليه: لا تَجِدُوا لَكُمْ طَالِباً
 يأخذ ثأركم مثلاً.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي: شَرَّفْنَاهُمْ عَلَى جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ بِأُمُورٍ جَلِيلَةٍ عَظِيمَةٍ:
 منها: أنهم يأكلون بأيديهم لا بأفواههم.

ومنها: كونهم مُعْتَدِلِي الْقَامَةِ عَلَى شَكْلِ حَسَنٍ وَصُورَةٍ جَمِيلَةٍ.

ومنها: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً.

ومنها: إِخْدَامُ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ لَهُمْ حَتَّى جَعَلَ مِنْهُمْ حَفَظَةً وَكُتُبَةً لَهُمْ... وغير ذلك.

قوله: (بالعلم) أي: والعقل.

قوله: (ومنه: طهارتهم بعد الموت) أي: فذوات بني آدم طاهرة بعد الموت، ونجاسة الكفار

منهم معنوية كُتِبَتْ بَاطِنُهُمْ، وَعَلَيْهِ يَحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

قوله: (على الدواب) أي: الإبل والخيول والبغال والحمير.

قوله: ﴿مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: المستلذات كاللَّحْمِ وَالسَّمْنِ وَاللَّبَنِ وَالْحَبُوبِ وَالْفَوَاكِهِ فِي جَمِيعِ

الْأَزْمَانِ.

قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ﴾ أي: مِيزْنَاهُمْ بِفَضَائِلَ لَيْسَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ غَيْرِهِمْ.

قوله: (ف«مَنْ» بمعنى «ما») أي: فهي مُسْتَعْمَلَةٌ فِي الْعُقُلَاءِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْكَثِيرِ: جَمِيعِ

مَا سِوَاهُمْ مِنْ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ.

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ.....

أو على بابها وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفرادهم إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء.

﴿٧١﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: نبيهم فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم.....
حاشية الصاوي

قوله: (أو على بابها) أي: فهي مستعملة في العقلاء، وغلبوا على غيرهم.

قوله: (والمراد: تفضيل الجنس) أي: فجنس الإنسان أفضل من جنس الملائكة، وهذا جواب عما يقال: لا نسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة، فأجاب: بأن التفضيل بالجنس؛ فلا ينافي أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر.

قوله: (إذ هم) أي: الملائكة.

قوله: (أفضل من البشر) ظاهره: مطلقاً، وهو خلاف التحقيق، والتحقيق الذي عليه الأشاعرة: أن خواص البشر كالأنبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وعوام البشر وهم الصالحاء أفضل من عوام الملائكة وهم ما عدا الرؤساء الأربعة^(١).

قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾: معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (اذكر)، والمعنى: اذكر يا محمد هذا اليوم وهول لأمته؛ ليكون داعياً إلى الاتعاظ والخوف، فيحملهم على الاستعداد.

قوله: ﴿كُلَّ أَنَسٍ﴾: وزنه: (فُعَال)، ويجوز حذف همزته فيقال: ناس، فيصير وزنه: (عال).

قوله: (نبيهم) أي: لما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «فَيُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا أُمَّةَ إِبْرَاهِيمَ، يَا أُمَّةَ مُوسَى، يَا أُمَّةَ عِيسَى، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُومُ أَهْلُ الْحَقِّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْأَنْبِيَاءَ فَيَأْخُذُونَ كَتَبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، ثُمَّ يُنَادَى الْأَتْبَاعُ: يَا أَتْبَاعَ نَمْرُودَ، يَا أَتْبَاعَ فِرْعَوْنَ، يَا أَتْبَاعَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الضَّلَالِ وَأَكَابِرِ الْكُفْرِ، فَيَأْخُذُونَ كَتَبَهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ وَمِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ»^(٢).

قوله: (أو بكتاب أعمالهم) أي: لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]،

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص ٢٩٧)، و«تحفة المريد» (ص ٢١٨)، وما ذكر من التفصيل هو طريقة الماتريدية وهي الراجحة.

(٢) كذا أورده الخطيب في «السراج المنير» (٢/ ٣٢٣).

فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ

فيقال: يا صاحبَ الخير، يا صاحبَ الشرِّ، وهو يومُ القيامة، ﴿فَمَنْ أَوْقَى مِنْهُمْ﴾ كِتَابَهُ يَمِينِهِ، وهم السَّعداءُ أُولو البصائرِ في الدنيا، ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنْقَضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ

حاشية الصاوي

وما ذكره المفسر قولان في تفسير (الإمام)، وبقي أقوال آخر، قيل: المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم؛ فينادى في القيامة: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن؛ ماذا عملتم في كتابكم؟ هل امتثلتم أوامرهم؟ هل اجتنبتهم نواهيهم؟

وقيل: المراد به المذهب الذي كانوا يعبدون الله عليه؛ فيقال: يا حنفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدري... ونحو ذلك.

وقيل: المراد به عمل البر الذي اشتهر به في الدنيا؛ فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك.

وقيل: المراد به الأمهات؛ لأن الإمام جمع (أُمٌّ) كـ(خِفاف) جمع (خُفٌّ)؛ فينادى الخلق بأُمهاتهم فيقال: يا ابن فلانة؛ سترأ على ولد الزنا، ورعاية حق عيسى، وإظهار شرف الحسن والحسين، وردَّ هذا القول الزمخشري وقال: (إنه من بدع المفسرين)^(١).

قوله: (فيقال: يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف؛ أي: صاحب كتاب الخير.

قوله: (وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة منها: الساعة، والحاqqة، والقارعة، والواقعة، ويوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحشر... وغير ذلك.

قوله: ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ﴾ (مَنْ): إما شرطية، أو موصولة ودخلت الفاء في خبرها؛ لشبهها بالشرط.

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ (أَي): وإن لم يكونوا قارئين في الدنيا، وحين يقرؤن

(١) سياق عبارته: (ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الأباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا)، وهي أوضح من سياق عبارة المصنف، أو تصحح عبارة المصنف: (رعاية لحق عيسى، وإظهاراً لشرف الحسن والحسين)، وانظر «الكشاف» (٢/٦٣٧).

فَتَبَيَّلَا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

﴿فَتَبَيَّلَا﴾: قَدَرَ قَشْرَةَ النَّوَاةِ.

﴿٧٢﴾ ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ أي: الدُّنْيَا ﴿أَعْمَى﴾ عن الْحَقِّ ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طَرِيقِ النَّجَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أَبْعَدُ طَرِيقًا عَنْهُ.

﴿٧٣﴾ وَنَزَلَ فِي ثَقِيفٍ وَقَدْ سَأَلُوهُ ﷺ أَنْ يُحَرِّمَ وَادِيَهُمْ وَالْحَوَا عَلَيْهِ:

حاشية الصاوي

كتابهم يُظهِرُونَهُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْهُمْ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوَفَّ كِتَابَهُ يُجِيبُهُمْ يَقُولُ وَأَقْرَأُوا كِتَابَهُ...﴾ [الحاقة: ١٩] إلخ.

قوله: (قَدَرَ قَشْرَةَ النَّوَاةِ) الصواب أن يقول: قَدَرَ الْخِيطَ الَّذِي فِي قَلْبِ النَّوَاةِ، وَأَمَّا الْقَشْرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِيهِ الْقَطْمِيرُ، وَأَمَّا التَّنْقِيرُ فَهُوَ الَّذِي فِي الْفَقْرَةِ الَّتِي فِي ظَهْرِهَا، وَالثَّلَاثَةُ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

قوله: (﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾) أي: وَهُوَ الَّذِي يُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ؛ فَيَسُوذُ وَجْهَهُ حِينَئِذٍ وَيَحْصُلُ لَهُ النَّدَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوَفَّ كِتَابَهُ يُشْمَلُهُمْ يَقُولُ يُلْتَنِّي لَوْ أَوتُ كِتَابَهُ...﴾ [الحاقة: ٢٥] إلخ.

قوله: (﴿أَعْمَى﴾ عن الْحَقِّ) أي: فَالمراد: عَمَى الْقَلْبَ لَا يُبْصِرُ رَشْدَهُ.

قوله: (وَقِرَاءَةُ الْكِتَابِ) أي: قِرَاءَةُ مَسْرُوءَةٍ، وَإِلَّا... فَهُوَ يَقْرَأُ قِرَاءَةً يَحْصُلُ لَهَا بِهَا النَّدَمُ وَالْحَسْرَةُ وَالْحُزْنُ.

قوله: (﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾) أي: لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ.

قوله: (عَنْهُ) أي: عَنْ طَرِيقِ النَّجَاةِ.

قوله: (وَنَزَلَ فِي ثَقِيفٍ) أي: وَهُمْ قَبِيلَةٌ يَسْكُنُونَ الطَّائِفَ، وَحَاصِلُهُ: أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا نَدْخُلُ فِي أَمْرِكَ حَتَّى تُعْطِينَا خِصَالًا نَفْتَخِرُ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ؛ لَا نَعْشُرُ، وَلَا نَحْشُرُ، وَلَا نُجَبِّي فِي صَلَاتِنَا - فَالمراد بقولهم: «لَا نَعْشُرُ»: لَا نَعْطِي الْعَشْرَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَبِقَوْلِهِمْ: «لَا نَحْشُرُ»: لَا نُوْمِرُ بِالْجِهَادِ، وَبِقَوْلِهِمْ: «لَا نُجَبِّي» بَضَمُ النُّونِ وَفَتْحُ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدُ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ الْمَكْسُورَةِ: لَا نَرْكَعُ وَلَا نَسْجُدُ فِي صَلَاتِنَا، وَالمراد: لَا نُصَلِّي - وَكُلُّ رِبَاً لَنَا فَهُوَ لَنَا، وَكُلُّ رِبَاً عَلَيْنَا فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنَّا، وَأَنْ تُثَمِّنَا بِاللَّاتِ سَنَةَ حَتَّى نَأْخُذَ مَا يُهْدَى لَهَا، فَإِذَا أَخَذْنَاهُ... كَسَرْنَاهَا وَأَسْلَمْنَا، وَأَنْ تَحْرِمَ وَادِيَنَا كَمَا حَرَّمَتْ مَكَّةَ؛ فَإِنْ قَالَتِ الْعَرَبُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ فَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَطَمَعَ الْقَوْمُ فِي سُكُوتِهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ كَادُوا...﴾ إلخ^(١).

وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيَنا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ، وَإِذا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ

﴿وَأِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - ﴿كَادُوا﴾ : قَارَبُوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ : لَيَسْتَنْزِلُونَكَ ﴿عَنِ الَّذِي أُوْحِيَنا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ، وَإِذا﴾ لو فَعَلْتَ ذَلِكَ ﴿لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ .

﴿٧٤﴾ ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّنَّاكَ﴾ على الْحَقِّ بِالْعَصْمَةِ ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ : قَارَبْتَ ﴿تَرْكَنُ﴾ : تَمِيلُ ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئاً﴾ : رُكُوناً ﴿قَلِيلاً﴾ لِشِدَّةِ احْتِيالِهِمْ وَالْحَاجَةِ بِهِمْ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرْكَنْ وَلَا قَارَبَ .

﴿٧٥﴾ ﴿إِذا﴾ لو رَكَنْتَ ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿الْحَيَوةِ وَضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾

حاشية الصاوي

قوله : (مخففة) أي : واسمها ضمير الشأن .

قوله : (يستنزلونك) أي : يطلبون نزولك عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي .

قوله : ﴿لِنَفْتَرِيَ﴾ أي : نختلق وتكذب .

قوله : ﴿غَيْرَهُ﴾ أي : غير ما أوحينا إليك .

قوله : ﴿وَإِذا﴾ هي حرف جواب وجزاء ، تقدَّر بـ(لو) الشرطية كما قال المفسر .

قوله : ﴿لَا تَخَذُوكَ﴾ جواب قسم محذوف ، تقديره : والله لا تأخذوك ، وهو مُستقبل في المعنى ؛

لاقتضاء المجازاة الاستقبال .

قوله : (وهو صريح) أي : قوله : ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ .

قوله : (لم يركن) أي : بالطريق الأولى ، وقوله : (ولا قارب) أي : بمنطوق التركيب ، والمعنى :

امتنع قُربك من الركون ؛ لوجود تهيئة إِيَّاكَ ، وإذا امتنع القرب من الركون . . فامتناع الركون أولى .

قوله : (لو ركنت) المناسب أن يقول : لو قَارَبْتَ الركون ؛ لأنَّ جواب (لولا) هو المقاربة ،

ولأنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين ؛ فإنَّ المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموماً ،

والكاملون يُشَدَّد عليهم على قدر مقامهم ، قال العارف : [الكامل]

وَإِذا مُنِخَتْ الْقُرْبُ فَاعْرِفْ قَدْرَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ شَحِيحٌ

ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ

أي: مثلي ما يُعَذَّبُ به غيرك في الدنيا والآخرة، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: مانعاً منه.
﴿٧٦﴾ ونزل لما قال له اليهود: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَالْحَقِ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَإِنْ﴾
- مُخَفِّفَةً - ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو
أَخْرَجُوكَ ﴿لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ﴾ فيها

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مثلي ما يعذب غيرك) أي: من جميع الخلق، والمعنى: لو قاربت الركون..
لأنزلنا عليك عذاباً في الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرتين.
قوله: (مانعاً منه) أي: من العذاب المضاعف.

قوله: (لما قال له اليهود... إلخ) وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة.. كره اليهود مقامه فيها حسداً، فاتّوه فقالوا له: يا أبا القاسم؛ لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء؛ فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء؛ فإن كنت نبياً.. فات الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فسار النبي بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة، وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه، ويأتي الإذن من الله فيخرج، فنزلت هذه الآية، وسلّطه الله عليهم، فرجع فقتل منهم بني قريظة، وأجلى بني النضير بعد زمن قليل. وهذا مبني على أن الآية مدنيّة، وأمّا على أن الآية مكّيّة.. فالمراد بالأرض: أرض العرب، والمعنى: هم المشركون أن يخرجوه منها، فمَنَعَهُم الله عنه ولم ينالوا منه ما أمّلوه^(١).

قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ أي: يُزَعِجُونَكَ بمكرهم وعداوتهم.

قوله: ﴿وَإِذْ لَا يَلْبِثُونَ﴾ العامّة على ثبوت النون ورفع الفعل؛ ليعطفه على قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾، وقرئ شذوذاً بحذف النون، وخُرِجَتْ على أنه منصوب بـ(إذن)^(٢).

قوله: ﴿خَلْقَكَ﴾ وفي قراءة: ﴿خِلْفَكَ﴾، وهما سبعيتان، والمعنى واحد^(٣).

(١) انظر «تفسير الخازن» (١٣٩/٣).

(٢) هي قراءة أبيّ، وكذا هي في مُصحف عبد الله بن مسعود. انظر «الدر المصون» (٣٩٤/٧).

(٣) قرأ الأخوان وابن عامر وحفص: (خِلْفَكَ) بكسر الخاء وألف بعد اللام، والباقيون بفتح الخاء وسكون اللام. انظر «الدر المصون» (٣٩٤/٧).

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَفِيرَ الصَّلَاةِ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يُهْلَكُونَ.

﴿٧٧﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أَي: كُسِّنَتْ فِيهِمْ مِنْ إِهْلَاكِ مَنْ أَخْرَجَهُمْ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تَبْدِيلًا.

﴿٧٨﴾ أَفِيرَ الصَّلَاةِ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أَي: مِنْ وَقْتِ زَوَالِهَا ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إِقْبَالِ ظُلُمَتِهِ أَي: الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، ﴿وَقُرْآنِ الْفَجْرِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) صفة لمصدر، أو لزمان محذوف؛ أَي: إِلَّا لَبِثًا، أَوْ زَمَانًا قَلِيلًا.

قوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾) ﴿سُنَّةَ﴾: منصوب بنزع الخافض كما أشار له المفسر بقوله: (أَي: كُسِّنَتْ) والمعنى: نفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كُسِّنَتْنا فيمن قد مضى من الرسل؛ حيث نهلك مَنْ أَخْرَجَهُمْ، وهذا على أَنَّ الْآيَةَ مَدْنِيَّةٌ، وعلى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ فالمعنى: نَفْعَلُ بِأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ عَزَمُوا عَلَى إِخْرَاجِكَ كَمَا فَعَلْنَا بِمَنْ مَضَى قَبْلَهُمْ، وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُمْ بِسَيْفِهِ ﷺ فِي بَدْرٍ وَغَيْرِهَا.

قوله: ﴿أَفِيرَ الصَّلَاةِ﴾) أَي: دُمُ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَهِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَأَدَابِهَا.

قوله: ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾) مَادَّةُ الدَّلُوكِ تَدُلُّ عَلَى التَّحَوُّلِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَمِنْهُ: الدَّلَالُ؛ لَعَدَمِ اسْتِقْرَارِ يَدِهِ، وَفِي الزَّوَالِ: انْتِقَالُ الشَّمْسِ مِنْ وَسْطِ السَّمَاءِ إِلَى مَا يَلِيهِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْغُرُوبِ أَيْضًا. قوله: ﴿(أَي: مِنْ وَقْتِ زَوَالِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّامَ بِمَعْنَى (مِنْ) الْإِبْتِدَائِيَّةِ، وَالْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالِدُلُوكَ بِمَعْنَى: الزَّوَالِ، وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (بَعْدَ)، وَالْأَسْهَلُ مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿(إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ)﴾ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ مِنْ فَاعِلٍ ﴿أَفِيرَ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ مُبْتَدَأًا مِنْ دُلُوكِ الشَّمْسِ مُنْتَهِيًا إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ. قوله: ﴿(وَقُرْآنِ الْفَجْرِ)﴾) بِالنَّصْبِ عَظْفٍ عَلَى ﴿الصَّلَاةِ﴾^(١).

(١) ويحتمل أنه منصوب على الإغراء؛ أَي: وَعَلَيْكَ قُرْآنُ الْفَجْرِ، كَذَا قَدَّرَهُ الْأَخْفَشُ وَتَبِعَهُ أَبُو الْبَقَاءِ، وَأَصُولُ الْبَصْرِيِّينَ تَابَى هَذَا؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْأَفْعَالِ لَا تَعْمَلُ مُضْمَرَةً، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ؛ أَي: كَثُرَ قُرْآنُ، أَوْ الزَّمَّ قُرْآنُ الْفَجْرِ. انظر «الدر المصون» (٣٩٨/٧).

إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ

صلاة الصُّبح، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.
 ﴿٧٩﴾ ﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ﴾: فَصَلِّ بِهِ. ﴿بِالْقُرْآنِ﴾: نَافِلَةً لَّكَ. فَرِيضَةٌ زَائِدَةٌ لَّكَ دُونَ أُمَّتِكَ، أَوْ فَضِيلَةٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ،
 حاشية الصاوي

قوله: (صلاة الصبح) أي: وسميت قرآناً؛ لأنه أحد أركانها، فسميت باسم بعضها.
 قوله: (تشهده ملائكة الليل... إلخ) أي: تُحضره الملائكة الحفظة؛ لما في الحديث: «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، فيصعد الذين باتوا فيكم، فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - فيقول: ماذا تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(١)، وأخذ مالك من الآية: أن الصلاة الوسطى هي الصبح^(٢).
 قوله: ﴿وَمِنْ أَيْلٍ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ(تَهَجَّدْ)، و(مِنْ) بمعنى: بعض، والتهجد في الأصل: من الهجود، وهو النوم بالليل، ثم استعمل في الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم، فهو من تسمية الأضداد، يُستعمل في النوم وضده، والمعنى: انتبه من نومك وصل في جوف الليل والناس نيام.

قوله: (بالقرآن) أي: فالضمير عائد على القرآن بالمعنى المتقدم؛ ففيه استخدام^(٣).
 قوله: (فريضة زائدة لك) هذا مبني على أن قيام الليل كان واجباً عليه دون أمته، وحينئذ فيكون معنى النافلة: الزيادة اللغوية.
 قوله: (أو فضيلة) تفسير ثانٍ، وهو مبني على أنه في حق مندوب؛ فالنافلة على بابها.

(١) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.
 (٢) ورد في «الموطأ» (١/١٣٩) عن مالك أنه بلغه أن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس كانا يقولان: «الصلاة الوسطى صلاة الصبح»، قال مالك: «وقول علي وابن عباس أحب ما سمعت إلي في ذلك».
 (٣) الاستخدام: أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بالآخر الآخر، أو يراد بأحد ضميرين أحدهما، ثم بالآخر الآخر، و(قرآن الفجر) ذكر أولاً بمعنى صلاة الصبح، وأعيد عليه الضمير بمعنى القرآن المشهور. انظر «الفتوحات الإلهية» (٦٧٤/٢).

عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ : يُقِيمُكَ ﴿رَبُّكَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَهُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ.

حاشية الصاوي

إن قلت: على هذا التفسير لا خصوصية للنبي ﷺ بذلك، بل هو مندوبٌ لأمته كذلك. أجب: بأنها له علوُّ درجات وشكرُ الله على نعمائه؛ لما في الحديث: «كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه» فقالت له عائشة: أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(١)، ولغيره تكفيرٌ لذنوبه وخطراته، وتهجدُه ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة؛ اثنتان خفيفتان، وما بقي طوال.

قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ﴾... إلخ (عسى): في كلام الله للتحقيق؛ لأنه وعد كريم، وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿مَقَامًا﴾ منصوب بـ﴿يَبْعَثَكَ﴾؛ لأنه مُضْمَنٌ معنى (يُقيمك)، وإليه يشير المفسر بقوله: (يقيمك في الآخرة مقاماً).

قوله: (وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) أي: حين يجمع الله الناس في صعيد واحد، وتدنو الشمس حتى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر المِرْوَد، وتحيط بهم النار، والملائكة تُحْدِقُ بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدم، أو مئة ألف قدم على قدم، فيشتد الكرب على الخلائق، فيذهبون إلى آدم، فيسألون الشفاعة، فيقول: إني أكلتُ من الشجرة، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة، فيقول: إني دعوتُ على قومي، ولكن ائتوا إبراهيم، فيأتونه، فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ولكن ائتوا موسى، فيأتونه، فيقول: إني قتلْتُ نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتونه، فيقول: إن قومي عبدوني من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، فيأتونه فيقول: أنا لها، أنا لها، فيستأذن الله، فيؤذن له، ثم يخرجُ ساجداً ويشي على الله بشيء عظيم، فيقال له: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، فيرفع رأسه، فحينئذ ينفض الموقف، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يشفع ثانياً، فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة

(١) رواه البخاري (٦٤٧١)، ومسلم (٧٢٢٦) عن سيدنا المغيرة بن شعبه ؓ.

وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾

﴿٨٠﴾ ونزل لما أمر بالهجرة: ﴿وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره، ﴿وَاَخْرِجْنِيْ﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها، ﴿وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾: قوة تنصرنى بها على أعدائك.

حاشية الصاوي

من إيمان^(١)، وفي الحديث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر؛ آدم فمن دونه تحت إوائي»^(٢).

قوله: (لما أمر بالهجرة) فيه أن الآية مدنيّة، إلا أن يقال: إن ما هنا مرور على القول بأن السورة كلها مكّيّة، وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تقدّم^(٣).

قوله: ﴿اَدْخِلْنِيْ﴾ (المدينة) أي: وتسمّى طيبة، وقبة الإسلام، وقد استنارت به ﷺ.

قوله: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (المدخل بضم الميم، والمخرج كذلك؛ لأنّ فعلهما رباعي، مصدران بمعنى: الإدخال والإخراج).

قوله: (مرضياً) أي: تطمئنّ به نفسي بحيث لا يُزعجني شيء.

قوله: (لا ألتفت بقلبي إليها) أي: إلى مكة؛ ليُلَوِّغَ الآمال غيرها، وما تقدّم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسّر، وقيل: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخَلَ صِدْقٍ، وأخرجني من الدنيا وقد قُمتُ بما وجب عليّ من حقّ النبوة مُخْرَجَ صِدْقٍ.

وقيل: أدخلني في طاعتك مدخل صدق، وأخرجني من المناهي مخرج صدق.

وقيل: أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، ولا تجعلني ممن يدخل بوجه، ويخرج بوجه؛ فإنّ ذا الوجهين لا يكون أميناً عند الله؛ ولورود تلك المعاني استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (قوة تنصرنى بها على أعدائك) أي: وقد أجاب الله دعاءه، فوعده بملك فارس والروم، وقال له: ﴿وَاللّٰهُ يَعْصِيْكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣].

(١) حديث الشفاعة بطوله رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (٣٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٣٦١٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير البيضاوي» (٢٦٤/٣).

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

﴿٨١﴾ ﴿وَقُلْ﴾ عِنْدَ دُخُولِكَ مَكَّةَ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾: الْإِسْلَامُ ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: بَطَلَ الْكُفْرُ، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مُضْمَحَلًّا زَائِلًا، وَقَدْ دَخَلَهَا ﷺ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى سَقَطَتْ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَنُزِّلُ مِنَ﴾ - لِلْبَيَانِ - ﴿الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة أي: يوم الفتح.

قوله: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ يقال: زَهَقَ: اضمحل، وزَهَقَتْ نفسه: خرجت.

قوله: (يطعنها) أي: يطعن كلاً منها في عينه.

قوله: (حتى سقطت) أي: مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وبقي منها صنم خزاعة فوق

الكعبة وكان من نحاس أصفر، فقال النبي: «يا علي؛ ارم به»، فصعد فرمى به، فكسره^(١).

قوله: ﴿مِنَ﴾ للبيان أي: لبيان الجنس، وقُدِّمَ على المبيِّن اهتماماً بشأنه، فالقرآن قليله وكثيره

شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية؛ بدليل ما ورد به في حديث (الفاتحة): «وما يُدريك أنها رقية؟!»،^(٢) وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة كالكبر

والعُجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل... وغير ذلك؛ لاشتماله على التوحيد وأدلته،

وعلى مكارم الأخلاق وأدلته، وما مَشَى عليه المفسِّر من أن (من) للبيان هو التحقيق؛ لما ورد:

«خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ»، وورد: «مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ.. لا شفاه الله»^(٣)، وقيل: إنها

للتبويض، والمعنى: أنَّ منه ما يَشْفِي من الأمراض ك(الفاتحة)، وآيات الشفاء.

قوله: (من الضلالة) أي: سوء الاعتقاد، وخُصِّصَ بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسية

أيضاً؛ لأن الضلالة رأس الأمراض.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٠٧) مطولاً.

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٥٧٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١٢٩/٦)، وعزاه في «كنز العمال» (٩/١٠) لillardقطني في «الأفراد» عن سيدنا

أبي هريرة رضي الله عنه.

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ.....

﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لِكُفْرِهِمْ بِهِ.
﴿٨٣﴾ ﴿وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الْكَافِرِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنِ الشُّكْرِ، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: ثَنَى عِطْفَهُ
مُتَبَخِّرًا، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾: قَنُوطًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
﴿٨٤﴾ ﴿قُلْ كُلُّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾: طَرِيقَتِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: بركة دنيوية وأخروية، فهو عطف عام.
قوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فهم المنتفعون به دون غيرهم، ولكن يُشترط حُسن النية والاعتقاد،
والجزم بالإجابة.
قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: نقصاً وطغياناً؛ لأنهم لا يُصدِّقون به، فحُرموا من
الانتفاع به.
قوله: ﴿وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ أي: بأن أعطيناه الصحة والغنى.
قوله: (الكافر) أي: فهذه الأوصاف في حَقِّه، وكلُّ ما ورد في حقِّ الكفار من الذم فإنه يجرُّ
بذيله على عُصاة الأمة المتَّصفين بتلك الأوصاف.
قوله: (أعرض عن الشكر) أي: عن صَرف النعم في مصارفها، وتكبر وتعاظم.
قوله: (ثنى عطفه) أي: لوى جانبه.
قوله: (متبخراً) أي: متكبراً.
قوله: ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ أي: غير راجٍ رحمة الله، ولا يُنافي ما هنا قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا
مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]؛ لأنَّ الكفار مختلفون، فبعضهم في حال الشَّرِّ يُكثِرُ الدُّعَاءَ،
وبعضهم يقنط من رحمة الله، أو يقال: إنهم وإن أكثرُوا الدُّعَاءَ ظاهراً هم قانطون في الباطن من رحمة الله.
قوله: ﴿عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي: كلُّ واحدٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ يَعْمَلُ على حالته وطبيعته وروحه التي جُبل
عليها؛ فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء، وتظهر منه الأخلاق المرضية والأفعال
الجميلة، وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الأشقياء، وتظهر منه الأخلاق القبيحة والأفعال
الخبیثة، وفي هذه الآية دليلٌ على أن الظاهر عنوانُ الباطن.

فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا فَيُشِيرُهُ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: الْيَهُودُ ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَهْدَى﴾﴾ يجوز أن يكون من (اهتدى) على حذف الزوائد، وأن يكون من (هدى) المتعدي، وأن يكون من: (هدى) القاصر بمعنى: اهتدى، و﴿سَبِيلًا﴾ تمييز على كل حال، وفي الآية اكتفاء؛ أي: وبِمَنْ هو أضل سبيلاً.

قوله: ﴿﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾﴾ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى؛ فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة، واسألوهم عنه؛ فإنهم أهل كتاب، فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء؛ فإن أجاب عن كلها، أو لم يُجب عن شيء منها.. فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يُجب عن واحد.. فهو نبي:

فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ مَشْرِقَ الأرض وغربها ما خبره؟ وعن الروح، فسألوا النبي ﷺ فقال: «أخبركم بما سألتكم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي اثني عشر - وقيل: خمسة عشر، وقيل: أربعين يوماً - وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يُخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي، وشقَّ عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، ونزل في الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ...﴾ [الكهف: ٩-١٠] الآيات، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ...﴾ [الكهف: ٨٣] الآيات، ونزل في الروح قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية، فأصل السؤال من اليهود، والناقل له قريش^(١).

قوله: ﴿﴿عَنِ الرُّوحِ﴾﴾ أي: عن حقيقة الروح الذي به حياة البدن، وهذا هو الأصح، وقيل:

(١) رواه بطوله البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، وقد روى البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٧١٦١) عن سيدنا عبد الله ابن مسعود ؓ أن السائل عن الروح نفر من اليهود بالمدينة المنورة.

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي

﴿قُل﴾ لَهُمْ: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: عِلْمِهِ لَا تَعْلَمُونَهُ، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى عِلْمِهِ تَعَالَى.

(﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿وَلَيْنَ﴾ - لَا مَقَسَمَ - ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي﴾

حاشية الصاوي

الروح التي سألوه عنها هو جبريل، وقيل: ملك له سبعون ألف وجه؛ لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى بجميع ذلك، فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً، وقيل: إنهم جند من جنود الله على صورة بني آدم، لهم أيدي وأرجل ورؤوس؛ ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام، وقيل: ملك عظيم عن يمين العرش؛ لو شاء أن يبتلع السماوات السبع في لقمة واحدة.. لا يبتلعها، ليس شيء أعظم منه إلا العرش، يشفع يوم القيامة في أهل التوحيد، مُتَحَجِّبٌ عن الملائكة؛ لو كُشف لهم عنه.. لا احترقوا من نوره، وقيل: عيسى.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: مما استأثر الله بعلمه، وهذا هو الصحيح، وقيل: الروح هي: الدم، وقيل: النفس، ونُقل عن بعض أصحاب مالك: أنها صورة كجسد صاحبها. وفي الآية اقتصارٌ على وصف الروح كما اقتصر موسى في جواب قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] على ذكر صفاته؛ فَإِنَّ إدراكه بالكُنْهِ على ما هو عليه لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله.

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ردُّ لقول اليهود: أُوتِينَا التوراة وفيها العلم الكثير؛ بدليل القراءة الشاذة: (وما أُوتُوا^(١))، وقيل: الخطاب عامٌ لجميع الخلق؛ أي: إِنَّ الخلق عموماً وَإِنْ أُعْطُوا من العلم ما أُعْطُوا.. فهو قليلٌ بالنسبة لِعِلْمِهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا﴾ هذا امتنانٌ من الله تعالى على نبيه ﷺ بالقرآن، وتحذيرٌ له عن التفريط فيه، والمقصود غيره، والمعنى: حافظوا على العمل بالقرآن، واحذروا من التفريط فيه؛ فإننا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم، ولكن إبقاؤه رحمةً بكم.

قوله: (لَا مَقَسَمَ^(٢)) أي: وجوابه قوله: ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾، وجواب الشرط محذوف؛ لِدَلَالَةِ جواب القسم عليه.

(١) وبها قرأ عبد الله والأعمش. انظر «الدر المصون» (٤٠٦/٧).

(٢) أي: موطئة له، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخل كما قال المصنف على (إِنَّ) الشرطية. انظر «مغني

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ.....

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿٨٦﴾ أي: القرآن بأن نَمُحُوهُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ ﴿٨٦﴾ إِلَّا: ﴿لَكِنْ أَبْقَيْنَاهُ﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا: عَظِيمًا، حَيْثُ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ.

﴿٨٨﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴿٨٨﴾ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ.....

حاشية الصاوي

قوله: (لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء مُنْقَطِعٌ، وَقَدَّرَهُ بِ(لكن) على طريقة البصريين، وعند الكوفيين يُقَدَّرُ بِ(بل)، وقوله: (أبقيناه) أي: إلى قرب قيام الساعة، فعند ذلك يُرْفَعُ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ؛ لَمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْفَعَ الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ نَزَلَ، لَهُ دَوِيٌّ حَوْلَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ اللَّهُ: مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ: أُتِلَى فَلَا يُعْمَلُ بِي»^(١)، وَلَا يَرْفَعُ الْقُرْآنُ حَتَّى تَمُوتَ حَمَلَتُهُ الْعَامِلُونَ بِهِ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا لُكْعُ بَن لُكْع»^(٢)، فعند ذلك يُرْفَعُ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ، وَيُفِيضُونَ فِي الشَّعْرِ، فَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ بِإِثْرِ ذَلِكَ.

قوله: (حيث أنزله) علة لقوله: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

قوله: (وغير ذلك) أي: كَكُونِكَ خَاتِمَ الْمُرْسَلِينَ، وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجوابه قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، ولم يقل: والملائكة مع أنه مُعْجَزٌ لَهُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ مُتَقَادُونَ؛ فَلَا يَحْتَاجُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي: لأنه خارج عن طَوْقِ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وقوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ أي: كَلًّا أَوْ بَعْضًا، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ أَقْلَ الْإِعْجَازِ يَقَعُ بِآيَةٍ، قَالَ الْبُوصِيرِيُّ^(٣): [الخفيف]

(١) أوردته المفسر في «الدر المنثور» (٣٣٥/٥) وقال: أخرجه محمد بن نصر في كتاب «الصلاة» عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه.

(٢) اللكع: اللثيم ذليل النفس.

(٣) كما في قصيدته المشهورة الهمزية.

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾: مُعِينًا، نَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿٨٩﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ - صِفَةً لِمَحْذُوفٍ - أَي: مَثَلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مَثَلٍ لِيَتَعَطَّوْا، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُودًا لِلْحَقِّ.

(٩٠ - ٩١) ﴿وَقَالُوا﴾ - عَطَفَ عَلَى (أَبَى) -: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

حاشية الصاوي

أَعْجَزَ الْجِنَّ آيَةً مِنْهُ وَالْإِنْسُ سَ فَهَلَّا تَأْتِي بِوَالْبُلْغَاءِ
وقال بعضهم: إِنَّ أَقْلَ الإعجاز يكون بأقصر سورة؛ لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة، بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها، فتكون ثلاث آيات.

قوله: ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾... إلخ) عطف على محذوف، تقديره: لا يأتون بمثله ولو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا، ولو كان... إلخ.

قوله: (نزل ردا... إلخ) مرتبط بما قبله.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ (أَي: كَرَّرْنَا وَأَظْهَرْنَا، وَ﴿مِنْ﴾: زائدة في المفعول؛ أَي: صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ كُلِّ مَثَلٍ، وَالْمَثَلُ: الْمَعْنَى الْغَرِيبُ.

قوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ (أَي: اِمْتَنَعُوا.

قوله: (جحوداً للحق) الجحود: الإنكار مع العلم والمعادنة، فهو أخص من مطلق الإنكار.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾... إلخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها... أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ... إلخ، روى عكرمة عن ابن عباس: أن نفراً من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة، وطلبوا رسول الله ﷺ، فجاءهم، فقالوا: يا محمد؛ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ - يَعْنُونَ الْقُرْآنَ - تَطْلُبُ بِهِ مَالاً... جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الشَّرَفَ... سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مَلَكاً... مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِكَ رِثْيَا مِنَ الْجِنِّ تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ... بِذَلِكَ لَكَ أَمْوَالُنَا فِي طَلَبِ الطَّبِ

حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِلًا وَالْمَلَكُةَ
فَيْلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍفٍ

حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ : عَيْنًا يَنْبُعُ مِنْهَا الْمَاءُ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ : بُسْتَانٌ ﴿مِّنْ
نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ : وَسَطُهَا ﴿تَفْجِيرًا﴾ .

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ : قِطْعًا، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بَالِلًا
وَالْمَلَكُةَ فَيْلًا﴾ : مُقَابِلَةً وَعِيَانًا فَنَرَاهُمْ، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍفٍ﴾ : ذَهَبٌ

حاشية الصاوي

حتى نُبرِّئك منه - وكانوا يسمون التابع من الجن : رثيًا - فقال رسول الله ﷺ : «ما بي شيء مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم؛ فإن تقبلوا مني.. فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ.. أصيرُ لأمر الله عز وجلّ حتى يحكم الله بيني وبينكم»، فقالوا: يا محمد؛ إن كنت صادقاً فيما تقول.. فسَل لنا ربك الذي بعثك؛ فليُسيِّرَ عنا هذا الجبل الذي قد ضَيَّقَ علينا، ويَبْسِطَ لنا بلاداً، ويفجر لنا فيها الأنهار... إلى آخر ما قصَّ الله عنهم^(١).

قوله: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾ بضمّ التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة، ويفتح التاء وضمّ الجيم مخففة، قراءتان سبعيتان هنا فقط^(٢)، وأما قوله: ﴿فَتَفْجِرَ﴾.. فبالقراءة الأولى لا غير.

قوله: ﴿يَنْبُوعًا﴾ أي: عينا لا يَغُور ماؤها ولا يذهب.

قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾ أي: بُسْتَان.

قوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ أي: قلت: ﴿إِنْ شَاءَ فَخَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾.

قوله: ﴿كِسْفًا﴾ بسكون السين وفتحها، قراءتان سبعيتان^(٣).

قوله: ﴿فَيْلًا﴾ حال من (الله والملائكة) أي: حال كونهم مرثيين لنا.

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/٢٣٩).

(٢) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح التاء وسكون الفاء وضمّ الجيم مخففة، والباقون بضمّ التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشددة. انظر «السراج المنير» (٢/٣٣٦).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٢/٣٣٦).

أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ

﴿أَوْ تَرَقَّى﴾: تَصَعَّد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بِسَلَمٍ، ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لَوْ رَقِيتَ فِيهَا ﴿حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْكَ﴾ مِنْهَا ﴿كِتَابًا﴾ فِيهِ تَصْدِيقُكَ ﴿نَقْرُؤُهُ﴾ قُلْ ﴿لَهُمْ﴾: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تَعْجُبُ، ﴿هَلْ﴾: مَا ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ كَسَائِرِ الرُّسُلِ وَلَمْ يَكُونُوا يَأْتُونَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ. ﴿٩٤﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أَي: قَوْلُهُمْ مُنْكَرِينَ: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ وَلَمْ يَبْعَثْ مَلَكًا؟ ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَوْ تَرَقَّى﴾﴾ هو بفتح القاف مضارع (رَقِيَ) بكسرها، والمصدر: رَقِيًّا، ومعناه: الصعود الحسِّي، وأما في المعاني.. فيفتح القاف في الماضي والمضارع؛ يقال: رَقَى في الخير، وأما الرُّقِيًّا^(١) للمريض.. فماضيها رَقَى ك(رمى).

قوله: (لو رقيت) بكسر القاف.

قوله: ﴿﴿نَقْرُؤُهُ﴾﴾ حال مقدرة من الضمير في ﴿عَلَيْنَا﴾^(٢)، أو نعت ل(كتاب).

قوله: (تعجب) أي: من اقتراحاتهم، وتزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد في ألوهيته.

قوله: ﴿﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾﴾ وليس في طاقتي الإتيان بما تطلبونه.

قوله: ﴿﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾﴾ ﴿﴿أَنْ﴾﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر، مفعول ثانٍ لـ﴿مَنَعَ﴾، والتقدير: وما منع الناس الإيمان، وقوله: ﴿﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾﴾ في تأويل مصدر فاعل (منع)، وقوله: ﴿﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾﴾ ظرف لقوله: (منع)، والمعنى: لم يمنع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم: أبعث الله بشراً رسولاً؟! وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة؛ لأنه أعظمها.

قوله: ﴿﴿قُلْ﴾﴾ لهم) أي: ردّاً لشيبتهم.

(١) الرقيا: على (فُعْلَى)، والمرءة: رُقِيَّة.

(٢) لأنهم إنما يقرؤونه بعد إنزاله، لا في حال إنزاله. انظر «الدر المصون» (٧/٤١٢).

لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكُوتٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ

﴿لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدلَ البشر ﴿مَلَكُوتٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُرْسَلُ إلى قوم رَسُولٌ إِلَّا مِنْ جِنْسِهِمْ لِيُمكنَهُمْ مُخَاطَبَتُهُ والفهم عنه .
﴿٩٦﴾ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدْقِي، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ : عالِمًا بِبَوَاطِينِهِمْ وظواهرِهِمْ .

﴿٩٧﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكُوتٌ﴾... إلخ) أي: فجرت عادة الله في خلقه أنه لا يُرسل لخلقٍ رسولاً إلا من جنسهم؛ لأنهم يالفونه ويستطيعون خطابه، بخلاف ما إذا أُرسل لهم رسولاً من غير جنسهم.. فإنهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه؛ لعدم الألفة بينهم؛ فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم.. لأنزل عليكم ملكاً رسولاً.

قوله: ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾) أي: مُستوطنين بها لا يعرجون إلى السماء.

قوله: ﴿شَهِيدًا﴾) أي: على أنني رسول الله إليكم، وقد بلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم، وأنكم كذبتُم وعانَدتُم.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾) فيه تسليّة له ﷺ، ووَعِيدٌ للكفار.

قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾^(١) أي: مَنْ يَخْلُقُ فيه الهدى، وقوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ أي: يكون كذلك في الدنيا؛ بمعنى: أنه يكون حاله في الدنيا مطابقاً لما قَدَّرَ الله له أزلاً، وبذلك اندفع ما يقال: إن فيه اتحادَ الشرط والجزاء.

والمهتد: بحذف الياء من الرسم هنا وفي (الكهف)؛ فإنها في الموضعين من ياءات الزوائد، وأما في النطق.. فتُحذف وصلاً ووقفاً عند بعض القراء، ووقفاً لا وصلاً عند بعضهم^(٢).

(١) كذا في الأصول، ونظم الآية بالواو: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾.

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو بإثبات ياء «المهتدي» وصلاً وحذفها وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين. انظر «الدر المصون» (٤١٤/٧).

فَلَنْ يَجِدَ لَمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ

فَلَنْ يَجِدَ لَمْ أَوْلِيَاءَ يَهْدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا شِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أنصاراً.

قوله: ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، قدره المفسر بقوله: (ماشين).

روي عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ قال الله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] أَيْحْشَرُ الْكَافِرَ عَلَى وَجْهِهِ؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»^(١).

وروي أيضاً: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صَنْفًا مُشَاءً، وَصَنْفًا رَاكِبًا، وَصَنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ»، قيل: يا رسول الله؛ وكيف يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قال: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَعْدَامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَلْقَوْنَ بَوَاجِهُهُمْ كُلَّ حَذَبٍ وَشَوْكٍ»^(٢)، والحَذَبُ: ما ارتفع من الأرض.

قوله: ﴿عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أي: لا يُبْصِرُونَ ولا يَنْطِقُونَ ولا يَسْمَعُونَ.

إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ هُنَا وَأَثْبَتَ لَهُمْ ضِدَّ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَزَا الْمَجْرُمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]؟

أَجِيبُ: بِأَنَّ الْمَعْنَى: عُمِيَائًا لَا يَرَوْنَ مَا يَسْرُهُمْ، وَبُكْمًا لَا يَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّةٍ، وَصُمًّا لَا يَسْمَعُونَ مَا يَسْرُهُمْ، أَوِ الْمَعْنَى: يَحْشَرُونَ مَعْدُومِي الْحَوَاسِّ، ثُمَّ تُعَادُ لَهُمْ.

قوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مَسْكَنُهُمْ وَمَقَرُّهُمْ.

قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أصله: خَبَوْتُ كَ(قَعَدْتُ)، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حُذِفَتِ الْأَلْفُ لِالتقاءهما.

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٧١٨٩).

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٢) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وفيه: (ركباناً) بدل (راكباً)، و(يتقون) بدل (يلقون).

زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَوَّانًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ
سَكَنَ لَهُمَا ﴿٩٧﴾ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٨﴾ تَلَهُبًا وَاشْتِعَالًا.

﴿٩٨﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ مُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَوَّانًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعْلَمُوا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عِظْمَيْهِمَا ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الْإِنْسَانِي فِي الصَّغَرِ، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُودًا لَهُ.

﴿١٠٠﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ:
حاشية الصاوي

قوله: (سكن لهما) أي: بأن أكلت جلودهم ولحومهم.

قوله: ﴿زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: بدلناهم جلوداً غيرها، فتعود مُلْتَهَبَةً مُتَسَعِّرَةً.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من أن مأواهم جهنم، وإعادتهم بعد فنائهم.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

قوله: ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ إما مصدر من معنى الفعل، أو حال؛ أي: مخلوقين.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ردٌّ لإنكارهم البعث.

قوله: ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: فلا يُسْتَبَعَدُ عليه إعادتهم بأعيانهم.

قوله: (أي: الأناسي) جمع إنسي، وهو البشر.

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ معطوف على جملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾؛ فليس داخلًا في حيز الإنكار.

قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في ذلك الأجل.

قوله: ﴿قُلْ﴾ لهم) أي: شرحاً لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر

لنا... إلخ أي: لأجل أن تنبسط وتوسع في الرزق، وتوسع على المقلين، فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله... لداموا على بخلهم وشحهم.

لَوْ اَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْٓ اِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْاِنْفَاقِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ قَتُوْرًا ۚ وَلَقَدْ ءَايَنَّا مُوسٰىٓ اِشْعَ ءَايٰتِ بَيِّنٰتٍ

﴿لَوْ اَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْٓ﴾ مِنْ الرِّزْقِ وَالْمَطَرِ ﴿اِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ : لَبَخِلْتُمْ ﴿خَشْيَةَ الْاِنْفَاقِ﴾ : خَوْفَ نَفَادِهَا بِالْاِنْفَاقِ فَتَقْتَرُوا، ﴿وَكَانَ الْاِنْسَانُ قَتُوْرًا﴾ : بَخِيْلًا.
 ﴿١٠٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا مُوسٰىٓ اِشْعَ ءَايٰتِ بَيِّنٰتٍ﴾ : وَاَضْحَاحَتْ، وَهِيَ : الْيَدُ وَالْعَصَا وَالطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ

حاشية الصاوي

قوله : ﴿لَوْ اَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ يَجُوزُ اَنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ بَابِ الْاِشْتَغَالِ وَ﴿اَنْتُمْ﴾ : مَرْفُوعٌ بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ يَفْسِّرُهُ الظَّاهِرُ ؛ لِأَن (لَوْ) لَا يَلِيْهَا إِلَّا الْفِعْلُ ظَاهِرًا أَوْ مُضْمَرًا، وَالْأَصْلُ : لَوْ تَمْلِكُونَ، فَحُذِفَ الْفِعْلُ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، فَانْفَصَلَ الضَّمِيرُ وَهُوَ الْوَاوُ^(١).

قوله : ﴿اِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ أَي : مَنَعْتُمْ حَقَّ اللَّهِ فِيْهَا.

قوله : ﴿خَشْيَةَ الْاِنْفَاقِ﴾ عِلَّةٌ لِلْإِمْسَاكِ.

قوله : (بَخِيْلًا) أَي : مَمْسُكًا عَنْ بَذْلِ مَا يَنْبَغِيْ فِيْمَا يَنْبَغِيْ ؛ فَالْأَصْلُ فِي الْإِنْسَانِ الشُّحُّ، وَالْخَارِجُ عَنْهُ خَالَفَ أَصْلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩].

قوله : ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا﴾ اللَّامُ مُوْطِئَةٌ لِقِسْمٍ مَحْذُوفٍ^(٢).

قوله : ﴿بَيِّنٰتٍ﴾ إِمَّا مَنْصُوبٌ بِالْكَسْرِ صِفَةً لِّ﴿شَعٍ﴾، أَوْ مَجْرُورٌ بِهَا صِفَةً لِّ﴿ءَايٰتٍ﴾.

قوله : (وَاضْحَاحَاتٍ) أَي : ظَاهِرَاتٍ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ.

قوله : (وَهِيَ الْبِدَ) أَي : الَّتِي كَانَ يَضُمُّهَا إِلَيْهِ وَيُخْرِجُهَا فَتَخْرُجُ بِيَضَاءٍ لَهَا شُعَاعٌ.

قوله : (وَالْعَصَا) أَي : الَّتِي كَانَ يُلْقِيْهَا فَتَصِيرُ حَيَّةً عَظِيمَةً.

قوله : (وَالطُّوفَانُ) أَي : الْمَاءُ حَتَّى مَلَأَ بَيْوتَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ، فَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا أَصْلًا.

قوله : (وَالْجَرَادُ) أَي : فَأَكَلَ زُرُوعَهُمْ وَحُبُوبَهُمْ.

(١) وَيَجُوزُ أَنْ الضَّمِيرُ مَرْفُوعٌ بِ(كَانَ)، وَقَدْ كَثُرَ حَذْفُهَا بَعْدَ (لَوْ)، وَالتَّقْدِيرُ : لَوْ كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ، فَحُذِفَتْ (كَانَ) فَانْفَصَلَ الضَّمِيرُ، وَ(تَمْلِكُونَ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِ(كَانَ)، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الصَّائِلِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٧/٤١٧).

(٢) اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسْمٍ مَحْذُوفٍ.

فَسْتَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ

وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ، وَالْدَّمَ أَوْ الطَّمْسُ، وَالسَّيْنُ وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ، ﴿فَسْتَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عَنْهُ سُؤَالَ تَقْرِيرٍ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى صِدْقِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وَالْقُمَّلَ) تقدّم أنه قيل: السُّوس، وقيل: هو القمل المعروف.

قوله: (والضفادع) أي: فملاً بيوتهم وطعامهم وشرابهم.

قوله: (والدم) أي: فانقلبت مياههم دمّاً حتى كادوا يموتون عطشاً.

قوله: (والطمس) أي: مسح الأموال حجارة.

قوله: (والسنين ونقص الثمرات) هذان شيء واحد؛ لأنّ نقص الثمرات لازم للسنين.

وما ذكره المفسّر في عدّ الآيات التسع هو المشهور؛ لأنّ هذه التسع هي التي ظهرت على يد موسى تهديداً لفرعون وقومه رجاء إيمانهم؛ وقيل: إن التسع هي: اليد، والعصا، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونتقّ الجبل، وفيه بُعد؛ لأنّ انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتقّ الجبل لم تكن مقصودة لفرعون، بل البحر كان لهلاكه، والباقي بعده.

وقيل: إن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال: «ألا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تُسرفوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا مُحَصَّنَةً، ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدّوا في السبت»، فقبّل اليهودي يده ورجله^(١). وعلى هذا: فالمراد بـ(الآيات): الأحكام التي كلّفوا بها، وهي عامّة ثابتة في جميع الشرائع، وقوله: «وعليكم... إلخ»: حكمٌ زائد مَخْصُوصٌ باليهود.

قوله: ﴿فَسْتَلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: ليكون قولهم الموافق لك حُجّة على المشركين، وعلى هذا: فالجملة مُعْتَرِضة بين قصة موسى وفرعون.

قوله: (عنه) أي: عمّا جرى بين موسى وفرعون.

قوله: (سؤال تقرير) أي: سؤالاً يترتّب عليه التقرير من بني إسرائيل، وقوله: (للمشركين) اللام للتعليل؛ أي: لأجل المشركين، والمعنى: أسأل يا محمد بني إسرائيل عمّا جرى بين موسى وفرعون؛ ليكون ذلك داعياً لإيمان المشركين وانقيادهم.

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٣) عن سيدنا صفوان بن عسال ؓ.

إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ

أو فقلنا له: أسأل، - وفي قراءة بلفظ الماضي - ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

﴿١٠٢﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾: عبراً، ولكنك تُعَانِدُ،

حاشية الصاوي

قوله: (أو فقلنا له) معطوف على قوله: (يا محمد)، والمعنى: أن الخطاب لموسى، وحينئذ فيكون القول مقدراً، والمفعول محذوف، والتقدير: أسأل فرعون بني إسرائيل؛ أي: اطلبهم منه؛ لتذهب بهم إلى الشام، يدل عليه قوله في الآية الأخرى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

قوله: (وفي قراءة) المناسب أن يقول: (وقرى) لأنها شاذة، وإنما القراءة السبعية بالأمر، وفيها وجهان: الهمز، وتركه بنقل حركة الهمز إلى الساكن^(١).

قوله: (بلفظ الماضي) أي: بلا همز، بوزن (قال).

قوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ ظرف لـ ﴿ءَاثِنَا﴾ على الاحتمال الأول، وعلى الثاني: فقد تنازعه كل من ﴿ءَاثِنَا﴾، و﴿قُلْنَا﴾.

قوله: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾ معطوف على مقدر، والتقدير: إذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ما وقع من المحاورات فقال... إلخ.

قوله: (مغلوباً على عقلك) أشار بذلك إلى أن ﴿مَسْحُورًا﴾ باقٍ على معناه الأصلي؛ أي: إنك سحرت فغلب على عقلك، ويصح أن يكون بمعنى (فاعل) كمشؤوم؛ أي: أظنك ساحراً؛ لإتيانك بالغرائب والعجائب.

قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ هو يفتح التاء خطاب لفرعون؛ أي: فقال له موسى: يا فرعون؛ والله لقد علمت أن هذه الآيات ما أنزلها إلا ربُّ السماوات والأرض عبراً، وإنما كفرك عناد؛ خوفاً على ضياع مُلكك ورياستك.

(١) قرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها، والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها. انظر «السراج المنير» (٣٤١/٢).

وَأِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِيِّ إِسْرَءِيلَ أَاسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

- وفي قراءة بضم التاء - ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا﴾: هَالِكًا أَوْ مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ.
 ﴿١٠٢﴾ ﴿فَأَرَادَ﴾ فِرْعَوْنُ ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾: يُخْرِجُ مُوسَى وَقَوْمَهُ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.
 ﴿١٠٤﴾ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِيِّ إِسْرَءِيلَ أَاسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أَي: السَّاعَةُ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جَمِيعًا أَنْتُمْ وَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١)، وقوله: (بضم التاء) أي: والضمير لموسى، ويكون المعنى: لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها منزلة من عند الله تعالى.
 قوله: ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي: أتَحَقَّقُكَ، وعبر بالظن مشاكلة؛ فإنَّ ظنَّ فِرْعَوْنَ كَذِبٌ، وظنُّ موسى حقٌّ وصدقٌ؛ لظهور أماراته.
 قوله: (أو مصروفًا عن الخير) أي: ممنوعاً منه.
 قوله: (يخرج موسى وقومه) أي: بقتلهم جميعاً.
 قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: ففعلنا بهم ما أرادوه بموسى وقومه.
 قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إغراقه.
 قوله: ﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض مصر والشام.
 قوله: (أي: الساعة) أي: القيامة، ووعدُها: وقتُها، وهو النفخة الثانية.
 قوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ أي: أحييناكم وأخرجناكم من القبور.
 قوله: (جميعاً) أشار بذلك إلى أن ﴿لَفِيفًا﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: مصدر: لفَّ لفيفاً، والمعنى: جئنا بكم منضماً بعضكم لبعض.

(١) قرأ الكسائي بضم التاء، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٧/٤٢٢).

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

﴿١٠٥﴾ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ المُشْتَمِلُ عَلَيْهِ ﴿نَزَّلْ﴾ كما أنزل لم يعتريه تبديل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ مَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَقُرْآنًا﴾ - مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ يُفْسِّرُهُ: - ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: نَزَّلْنَاهُ مُفْرَقًا فِي عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ ثَلَاثَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، وهذا على أسلوب العرب حيث يتقلون مما كانوا بصدده لشيء آخر ثم يرجعون له.

واختلف المفسرون في (الحق) الأول والثاني؛ فمضى المفسر على أن المراد بهما: الحكم والمواعظ والأمثال التي اشتمل عليها القرآن، وإنما التكرير للتأكيد؛ إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يتبدل إلى يوم القيامة كما تغيرت التوراة والإنجيل.

وقيل: المعنى: وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله لا عبثاً، وما نزل إلا بالحكم والمواعظ واشتماله على الهداية إلى سبيل الرشاد؛ فالحق الأول: كناية عن سبب نزوله، والحق الثاني هو: ما اشتمل عليه من المعاني.

قوله: (المشتمل عليه) أي: المحتوي عليه القرآن.

قوله: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ حال من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾.

قوله: (منصوب بفعل) أي: فهو من باب الاشتغال، وعليه: فجملة ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ لا محل لها من الإعراب، والتنوين للتعظيم؛ أي: قرآنًا عظيمًا.

قوله: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتخفيف في القراءة المشهورة، وقرئ شذوذاً بالتشديد^(١).

قوله: (نزلناه مفرقاً) هذا أحد أقوال في تفسير قوله: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾، وقيل: بيننا خلاله وحرامه، وقيل: فرقنا به بين الحق والباطل.

قوله: (أو وثلاث) (أو): لحكاية الخلاف؛ أي: إنه اختلف في مدة نزول القرآن؛ هل هي عشرون سنة أو ثلاث وعشرون، وهو مبني على الخلاف في تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما.

(١) وبها قرأ علي وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم، والشعبي والحسن - بخلاف - وأبو رجاء وقتادة وحמיד وعمرو بن فائد وعمر بن ذر وأبو عمرو بخلاف. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» (٢٣/٢).

لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾

﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: مهل وتؤدة ليفهموه، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح.

﴿١٠٧﴾ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكّة: ﴿ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِۦٓ﴾: قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِنَقْرَأَهُ﴾ متعلق بـ(فرقنا)، وقوله: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ متعلق بـ(تقرأه)، وكذا قوله: ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾، ولا يلزم عليه تعلق حرفي جرٍّ متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد؛ لأنَّ الأول في محل المفعول به، والثاني في محل الحال؛ أي: مُتَمَهِّلًا، فاختلف المعنى.

قوله: (مهل وتؤدة) أي: سكينه وتأنُّ.

قوله: (ليفهموه) أي: ليسهل حفظه وفهمه.

قوله: (على حسب المصالح) أي: الوقائع التي تقتضي نزوله، فالحاصل: أنه نزل مفرقاً لحكمتين: الأولى: ليسهل حفظه وفهمه، والثانية: اقتضاء الوقائع لذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قوله: (تهديد لهم) أي: فالمعنى: أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالاً، وامتناعكم لا يورثه نقصاً. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ تعليل لقوله: ﴿ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾، والمعنى: إن لم تؤمنوا به.. فقد آمن به مَنْ هو خيرٌ منكم، وفيه تسليّة له ﷺ؛ أي: لا تحزن على إعراضهم وعدم إيمانهم، وتسلاً بإيمان هؤلاء العلماء.

قوله: (وهم مؤمنو أهل الكتاب) أي: كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وأقرانهم. قوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ اللام: بمعنى (على)، أو على بابها متعلقة بـ﴿يَخِرُّونَ﴾، ويكون بمعنى: يدلون، وخصّت الأذقان بالذكر؛ لأنها أوّل جزء من الوجه يقرب من الأرض عند السجود، و﴿سُجَّدًا﴾: حال؛ أي: ساجدين لله على إنجاز وعده الذي وعدهم به في الكتب القديمة أنه يُرسل محمداً ﷺ، وينزل عليه القرآن.

وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ

﴿١٠٨﴾ «وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا» تنزيهاً له عن خُلفِ الوعد، «إِنْ» - مُخَفَّفَةٌ - «كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا» بِنُزُولِهِ وَبَعَثِ النَّبِيَّ ﷺ «لَمَفْعُولًا».

﴿١٠٩﴾ «وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ» - عطف بزيادة صفة - «وَيَزِيدُهُمْ» القرآن «خُشُوعًا»: تَوَاضَعًا لِلَّهِ.

﴿١١٠﴾ «وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ، فَقَالُوا: يَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَهًا آخَرَ مَعَهُ، فَزَلَّ: ﴿قُلِ﴾ لَهُمْ:»

حاشية الصاوي

قوله: «﴿وَيَقُولُونَ﴾» أي: في حالِ سجودهم.

قوله: «(عن خلف الوعد) أي: الذي رأيناه في كتبنا بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ».

قوله: «(مخففة) أي: فاسمها ضمير الشأن، وقوله: «﴿لَمَفْعُولًا﴾» أي: موفى ومنجزاً.

قوله: «(بزيادة صفة) أي: وهي البكاء، ومراده بهذا: دفع التكرار، وهو معنى قوله تعالى في سورة (المائدة): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَوْا أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...﴾ [المائدة: ٨٣] إلخ.

قوله: «﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن» أي: فالضمير يعود على (القرآن)، ويصح عَوْدُهُ على البكاء.

قوله: «(وكان ﷺ) أشار بذلك إلى سبب نزولها، وحاصله: أنه سجد ﷺ ذات ليلة فجعل يقول في سجوده: «يا الله يا رحمن»، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين^(١).

قوله: «(إلهاً آخر) أي: وهو الرحمن ظناً منهم أن المراد به مُسَيِّمَةُ الكذاب؛ لأنَّ قومه كانوا يسمونه رَحْمَنَ اليمامة^(٢)، قال بعضهم في حقِّه: [البسيط]

سميت^(٣) بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الوري لا زلت رحماناً

(١) انظر «تفسير البغوي» (١٣٧/٥)، و«زاد المسير» (٦٠/٣).

(٢) انظر «شرح الزرقاني على المواهب» (١٤٧/٥).

(٣) كذا في الأصول في الموضعين، ورواية البيت في كتب التفسير: (سموت)، وهذا من تعنتهم في كفرهم؛ إذ سَمُوا المخلوق باسم الخالق كما سَمُوا الحجارة آلهة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦٨/١)، و«حاشية الطيبي على الكشاف» (٧١٢/١).

حاشية الصاوى

(٢) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص ٢١١).

فإنَّها كما في الحديث:

حاشية الصاوي

وَجَمْعُ كَثْرَةٍ لِّمَا لَا يَعْقِلُ الْأَفْصَحُ الْإِفْرَادُ فِيهِ يَأْفُلُ
وغيرُهُ فالأَفْصَحُ الْمُطَابَقَةُ نَحْوُ: هِبَاتٍ وَإِفْرَاتٍ لَائِقَةٌ
وَحُسْنُ أَسْمَائِهِ تَعَالَى لِذِلَالَتِهَا عَلَى مَعَانٍ شَرِيفَةٍ هِيَ أَحْسَنُ الْمَعَانِي؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا ذَاتُ اللَّهِ
أَوْ صِفَاتِهِ.

قوله: (كما في الحديث) أي: ونصّه: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا.. دَخَلَ
الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...»^(١) إلى آخر الرواية التي ذكرها المفسّر واختارها وإن كان
الحديث واردًا بأوجه خمسة؛ لِيَكُونَهَا أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ؛ ومنها: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً
غَيْرِ وَاحِدٍ، إِنَّهُ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو بِهَا إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

ومنها: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِنْ أَحْصَاهَا كُلُّهَا.. دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الرَّحْمَنَ
الرَّحِيمَ الْإِلَهَ الرَّبَّ... إلخ»^(٣).

ومنها: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، إِنَّهُ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ، مَنْ حَفَظَهَا..
دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ أَسْأَلَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الصَّمَدَ... إلخ»^(٤).

ومنها: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِثَّةً اسْمٍ غَيْرِ اسْمٍ مَن دَعَا بِهَا.. اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(٥)، وكُلُّهَا فِي «الْجَامِعِ
الصَّغِيرِ» فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ مَعَ النُّونِ عَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٦).

وَالْحِفْظُ وَالْإِحْصَاءُ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ: مَعْرِفَةُ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَعِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ هُوَ: الْإِتِّصَافُ
بِهَا، وَالظُّهُورُ بِحَقَائِقِهَا، وَالْعَثُورُ عَلَى مَدَارِجِ نَتَائِجِهَا.

قوله: (هو) ليس من الأسماء الحسنى، بل هو عند أهل الظاهر ضميرُ شَأْنٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ،
وعند أهل الله: اسْمٌ خَاصٌّ يَتَعَبَّدُونَ بِذِكْرِهِ^(٧)، وَعَلَى كُلِّ فَهْوٍ زَائِدٌ عَلَى التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ.

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٨٠/١٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواها الحاكم في «المستدرک» (١٧/١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواها ابن ماجه (٣٨٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وينحوها عند «البخاري» (٦٤١٠).

(٥) عزاه السيوطي لابن مردويه. انظر «الفتح الكبير» (٣٨٠/١).

(٦) انظر «الفتح الكبير» (٣٧٧/١ - ٣٧٩).

(٧) ولفظ «هو» فيه أسرارٌ عجيبةٌ، وأحوالٌ عاليةٌ، فبعضها يمكن شرحه وتقريره وبيانها، وبعضها لا يمكن، وأنا بتوفيق الله =

«الله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِيمُنُ، الْعَزِيزُ،»

حاشية الصاوي

قوله: (الله) هو أعظم الأسماء المذكورة؛ لكونه جامعاً لجميع الأسماء والصفات، وهو عِلْمٌ على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، و(أل) لازمة له لا لتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتقٍّ على الصحيح^(١).

قوله: (الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو) نعتٌ للاسم الجليل؛ أي: الذي لا مَعْبُودَ غيره.

قوله: (الرحمن) أي: المنعم بجلال النعم كَمَا وكَيْفًا، دُنْيَوِيَّةً وَأُخْرَوِيَّةً، ظَاهِرِيَّةً وَبَاطِنِيَّةً.

قوله: (الرحيم) أي: المنعم بدقائق النعم كَمَا وكَيْفًا، دُنْيَوِيَّةً وَأُخْرَوِيَّةً، ظَاهِرِيَّةً وَبَاطِنِيَّةً. والدقائق: ما تَفَرَّعَتْ عن الجلائل كالزيادة في الإيمان والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر.

قوله: (الملك) أي: المتصرف في خَلْقِهِ بالإيجاد والإعدام وغير ذلك، وتسميتهُ غيره تعالى به مجازاً.

قوله: (القدوس) أي: المنزَّه عن صفات الحوادث، وأتى به عَقَبَ (الملك)؛ لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقصٌ كالملوك.

قوله: (السلام) أي: المؤمن من المخاوف والمهالك، أو الذي يُسَلِّمُ على عباده.

قوله: (المؤمن) أي: المصدِّق لِرُسُلِهِ بالمعجزات، ولأوليائه بالكرامات، ولعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم؛ لأنه لا يَطَّلَعُ على الإخلاص نبيٌّ مرسلٌ، ولا مَلَكٌ مقربٌ، وإنما يُعَلِّمُ من الله.

قوله: (المهيمن) أي: المظَّلَعُ على خَطَرَاتِ القلوب.

قوله: (العزیز) مِنْ: عَزَّ بِمَعْنَى: غَلَبَ وَقَهَرَ، فهو من صفات الجلال، أو مِنْ: عَزَّ بِمَعْنَى:

قَلَّ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ، فهو من صفات السُّلُوبِ.

= كتبت أسراراً لطيفة، إلا أنني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده في القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة «هو» أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيراً، فعند هذا عرفتُ أن لهذه الكلمة تأثيراً عجباً في القلب لا يصل البيان إليه، ولا ينتهي الشرح إليه. «مفاتيح الغيب» للإمام الرازي (١٣٦/١) ذكر فيه أكثر من عشر فوائد، وعقد له فصلاً خاصاً في «لوامع البينات» (ص ٤٧).

(١) كما نقل عن الشافعي والخليل وسيبويه وابن كيسان، والأكثرون على أنه مُشْتَقٌّ، ونُقِلَ عن الخليل وسيبويه أيضاً. انظر «الفتوحات الإلهية» (٢/٦٨٨).

الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ،

حاشية الصاوي

قوله: (الْجَبَّارُ) أي: المنتقم القهار، فيكون من صفات الجلال، أو المصلح للكسر يقال: جَبَر الطيب الكسر: أصلحه، فيكون من صفات الجمال.

قوله: (الْمُتَكَبِّرُ) من الكبرياء، وهي التَّعَالِي فِي الْعِظَمَةِ، وهي مختصة به تعالى؛ لما في الحديث القدسي: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا.. قَصَمْتُهُ»^(١).

قوله: (الْخَالِقُ) أي: الموجد للمخلوقات من العدم.

قوله: (الْبَارِئُ) أي: المبرئ عن الأسقام، أو المظهر لما في الغيب؛ مِنْ: بَرَأَ بِمَعْنَى: أَظْهَرَ مَا كَانَ خَفِيًّا، فيرجع لمعنى الخالق.

قوله: (الْمُصَوِّرُ) أي: المبدع للأشكال على حسب إرادته، فأعطى كلَّ شيء من المخلوقات صورة خاصة وهيبة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها.

قوله: (الْغَفَّارُ) إما مأخوذ من الغفر بمعنى: السَّتْر؛ لأنه يستر على عباده قبائحهم، فيحجبها في الدنيا عن الآدميين، وفي الآخرة عن الملائكة ولو كانت موجودة في الصحف، أو من الغفر بمعنى: المَحْو من الصحف، وهو مُرَادِفٌ لِلْغُفُورِ وَالْغَافِرِ، وقيل: الغافر هو: الذي يَغْفِرُ بعض الذنوب، والغفور: الذي يغفر أكثرها، والغفار: الذي يغفر جميعها، والصحيح: الأول؛ لأنه لا مُبَالِغَةَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ، بل صيغتها صيغة نسبة ك: (تَمَّار) نسبة للتمر.

قوله: (الْقَهَّارُ) أي: ذو البطش الشديد، فهو مِنْ صفات الجلال.

قوله: (الْوَهَّابُ) أي: ذو الهبات العظيمة لغير غرض ولا علة، فالطاعات لا تزيد في ملكه شيئاً، وإنما رُتِّبَ الثواب عليها من فضله وكرمه، وهذا الاسم من صفات الجمال.

قوله: (الرَّزَّاقُ) أي: مُعْطِي الْأَرْزَاقِ لعباده دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [مرد: ٦] وهو بمعنى الرزاق.

والرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحو ذلك، وباطن وهو العلوم والأسرار والمعارف؛ فالأول: رزق الأبدان، والثاني: رزق الأرواح، وكلٌّ من عند ربنا.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١/ ٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوه عند مسلم (٦٧٧٣).

الْفَتْاح، الْعَلِيم، الْقَابِض، الْبَاسِط، الْخَافِض، الرَّافِع، الْمُعِز، الْمُذِل، السَّمِيع،

حاشية الصاوي

قوله: (الفتاح) أي: ذو الفتح لما كان مغلقاً^(١)، حَسْبًا أو معنويًا، فهو المسهل لكل عسير من خير الدنيا والآخرة، فضلاً منه وإحساناً، وهذا وما قبله من صفات الجمال.

قوله: (العليم) أي: ذو العلم، وهو صفة أزليّة قائمة بذاته، تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلّق إحاطة وانكشاف، لا يوصف بنظر ولا ضرورة ولا كسب.

قوله: (القابض) أي: ذو القبض، ضد البسط، فهو جلّ وعزّ قابض للأرزاق والأرواح وغير ذلك، فهو من صفات الجلال.

قوله: (الباسط) أي: ذو البسط، ضد القبض، فهو سبحانه وتعالى باسط الأرزاق في الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْطِطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهذان الاسمان يظهر آثارهما في العبيد، وللعارفين مقامات في القبض والبسط؛ فالمبتدئ يُسْمُون تجلّيه قبضاً وبسطاً، والمتوسط يسْمونه أنساً وهيبة، والكامل يسْمونه جلالاً وجمالاً.

قوله: (الخافض) أي: لمن أراد خفضه، فهو خافض لكلمة الكفر، وللظالمين، ولكل متكبّر وغير ذلك.

قوله: (الرافع) أي: ذو الرفع لأهل الإسلام والعلماء والصديقين والأولياء، والسموات والجنة وغير ذلك من الحسّي والمعنوي، والأول من صفات الجلال، والثاني من صفات الجمال.

قوله: (المعزّ) أي: خالق العزّ لمن شاء مِنْ خَلْقِهِ.

قوله: (المذلّ) أي: خالق الذلّ لمن أراد من عبادته، والأول من صفات الجمال، والثاني من صفات الجلال.

قوله: (السميع) أي: ذو السمع، وهو صفة أزليّة تتعلق بجميع الموجودات تعلّق إحاطة وانكشاف.

(١) غلق الباب يغلقه من حدّ: (ضرب) غَلَقًا، نقلها ابن دريد، وعزاها إلى أبي زيد: لشغّة أو لغية رديئة متروكة في:

أغلقه فهو مُغْلَق، أو نادرة، قال أبو الأسود الدؤلي:

ولا أقولُ لِقَدْرِ الْقَوْمِ: قَدْ عَلِيَتْ ولا أقولُ لِبابِ الدَّارِ: مَغْلُوقٌ

أي: إني فصيح لا ألحن. «تاج العروس»، مادة (غ ل ق).

البَصِير، الحَكَم، العَدَل، اللَّطِيف، الخَيْر، الحَلِيم،
حاشية الصاوي

قوله: (البصير) أي: ذو البصر، وهو صفة أزليّة تتعلق بجميع الموجودات تعلّق إحاطة وانكشاف، فهي مساوية في التعلّق لصفة السمع، ولا يَعْلَم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى، وهما مخالفان لتعلّق العلم؛ لأنّ العلم يتعلّق بالمعدومات والموجودات، وهما إنما يتعلّقان بالموجودات فقط، وكلُّ منها منزّه عن صفات الحوادث، قال بعض العارفين: مَنْ أَرَادَ خِفَاءَ نَفْسِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ بِحَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ.. فليقرأ عند مروره عليهم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] تسع مرات.

قوله: (الحكم) أي: ذو الحكم التام.

قوله: (العدل) أي: ذو العدل، أو العادل؛ فلا يظلم مثقال ذرّة، فأحكام الله لا جور فيها، بل دائرة بين الفضل والعدل؛ لأنّ الجور: التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحد معه. وأردف (الحكم) بـ(العدل)؛ دفعاً لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل، وتارة يكون بالجور.

قوله: (اللطف) أي: العالم بخفّيات الأمور، أو مُعْطِي الإحسان في صورة الامتحان؛ كإعطاء يوسف الصديق الملك في صورة الابتلاء بالرقيّة، وآدم الفوز الأكبر في صورة ابتلائه بأكله من الشجرة وإخراجه من الجنة، ونبيّنا ﷺ الفتح والنصر المبين في صورة ابتلائه بإخراجه من مكة، وهي سنّة الله في عباده الصالحين.

فائدة: من قرأ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ في كل يوم تسع مرات.. لطف الله به في أموره، ويسّر له رزقاً حسناً، وكذلك من أكثر من ذكر (اللطف).
قوله: (الخبر) أي: المطلع على خفّيات الأشياء، فيرجع لمعنى (اللطف) على التفسير الأول، أو القادر على الإخبار بما عجزت عنه المخلوقات.

قال بعضهم: من أراد أن يرى شيئاً في منامه.. فليقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ تسع مرّات عند نومه.

قوله: (الحليم) هو الذي لا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه وكفر به، بل يمهله؛ فإن تاب.. محا عنه خطايا.

الْعَظِيمُ، الْعَفُورُ، الشُّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيزُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ،

حاشية الصاوي

ومن أقبح ما تقول العامة: حِلْمَ ربنا يُفْتَتِ الكبود؛ إذ معناه: اعتراضٌ على سعة حلمه، ولا يدرون أنه لولا حلمه علينا.. لخسف بنا، فسعةٌ حلمه من أجل النعم علينا، قال العارف: الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته.

قوله: (العظيم) أي: الذي يصغر كلُّ شيءٍ عند ذكره، ولا يحيط به إدراكٌ، ولا يعلم كُنْهَ حقيقته سواء؛ ففي الحديث: «سبحان من لا يعلم قدره غيره»، ولا يبلغ الواصفون صفته^(١)، فهو من الصفات الجامعة.

قوله: (الغفور) تقدّم معناه عند تفسير اسمه (الغفار).

قوله: (الشكور) أي: الذي يشكر عباده؛ أي: يُثني عليهم في الدنيا والآخرة، فيُعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، ويرفع ذكرهم في الملأ الأعلى.

قوله: (العلي) أي: المرتفع المنزّه عن كلِّ نقصٍ، المتّصفُ بكلِّ كمالٍ، المستغني عن كلِّ ما سواه، المفتقر إليه كلُّ ما عداه.

قوله: (الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد.

قوله: (الحفيظ) أي: الحافظ للعالم العلوي والسفلي، دُنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧].

قوله: (المقيت) أصله: المقيوت، نُقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، فقلّبت الواو ياءً لمناسبة ما قبلها؛ أي: خالق القوت للأجساد والأرواح، دنيا وأخرى، وقوت الأجساد الطعام والشراب، ونفعها بذلك وتلكذها به، وقوت الأرواح الإيمان والأسرار والمعارف، وانتفاعها بها، والكافر لا قوتَ لروحه.

قوله: (الحسيب) أي: الكافي مَنْ توكل عليه، أو الشريف الذي كلُّ من دخل جِماه تشرّف، أو المحاسب لعباده على التّقير والفتيل والقطمير في قدرٍ نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل.

(١) لم أجده فيما بين يدي من المصادر، وفي «مناقب الشافعي» للإمام البيهقي (١/٤٠١): قال الشافعي: الحمد لله الذي لا يؤدّي شكرُ نعمته من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مُؤدّي ماضي نعمه بأدائها: نعمةٌ حادثةٌ يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كُنْهَ عظمته الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

الْجَلِيل، الْكَرِيم، الرَّقِيب، الْمُجِيب، الْوَاسِع، الْحَكِيم، الْوَدُود، الْمَجِيد، الْبَاعِث،
الشَّهِيد، الْحَقَّ،

حاشية الصاوي

قوله: (الجليل) أي: العظيم في الذات والصفات والأفعال، فيرجع لمعنى العظيم والكبير.

قوله: (الكريم) أي: المعطي من غير سؤال، أو الذي عطاؤه الطائع والعاصي.

قوله: (الرقيب) أي: المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه، وهو أعم من (المهيمن)؛ لأنه المطلع على خطرات القلوب، والرقيب: المطلع على الظاهر والباطن.

قوله: (المجيب) أي: لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿أَدْعُوكَ أَسْتَجِبُ لَكَ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي الحديث: «ما من عبد يقول: يا رب إلا قال الله: لبيك يا عبدي»^(١).

قوله: (الواسع) السعة في حقه تعالى ترجع لنفي الأوليّة والآخريّة والإحاطة، فهو من صفات السُّلُوب، أو يراد منها: أن رحمته وسعته كل شيء، فيكون من صفات الجمال.

قوله: (الحكيم) أي: ذو الحكمة، وهي العلم التام، والصنع المتقن.

قوله: (الودود) أي: المحب لعباده الصالحين المحسنين، الراضي عليهم^(٢)، قال تعالى: ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، أو الودود بمعنى: المحبوب؛ لأنه محب ومحبوب؛ فمحبته لعباده: إنعامه عليهم أو إرادة إنعامه؛ فترجع لمعنى الرضا، ومحبة عباده له: ميلهم إليه وشغلهم به عن سواه.

قوله: (المجيد) أي: الشريف، ومثله: (الماجد).

قوله: (الباعث) أي: الذي يبعث الأموات؛ أي: يُحييهم للحساب، ويبعث الرسل لعباده لإقامة الحجة عليهم والأرزاق الدنيوية والأخروية.

قوله: (الشهيد) أي: المطلع على الظاهر والباطن، فيرجع لمعنى (الرقيب)، وأما قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.. فتسميته غيباً بالنسبة لنا، وإلا.. فالكل شهادة عنده.

قوله: (الحق) أي: الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، فيرجع لمعنى واجب الوجود.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٢٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) عداه (على) على حد قول الشاعر:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

الْوَكِيل، الْقَوِي، الْمَتِين، الْوَلِي، الْحَمِيد، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيد، الْمُحْيِي،
الْمُمِيت،

حاشية الصاوي

قوله: (الوكيل) أي: المتولي أمور خلقه دنيا وأخرى.

قوله: (القوي) أي: ذو القدرة التامة التي يوجد بها كل شيء ويُعده على طبق مراده.

قوله: (المتين) أي: صاحب القوة العظيمة التي لا تُعَارَضُ، ولا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ ولا خَلَلٌ.

قوله: (الولي) أي: الموالي والمتابع للإحسان لعبيده، أو المتولي للخير والشر؛ بمعنى: صدور

الكل منه، فيرجع لمعنى (الوكيل)، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [البقرة: ٢٥٧]

الآية، وللثاني قوله تعالى: ﴿أَمَّا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، وأما الولي من

الخلق... فمعناه: الموالي لطاعة ربه، المداوم عليها، أو مَنْ تَوَلَّى الله أمره فلم يَكِلْهُ لغيره.

قوله: (الحميد) أي: المحمود؛ أي: مُسْتَحَقُّ الْحَمْدِ كُلِّهِ، أو الْحَامِدُ لِعَبِيدِهِ الصَّالِحِينَ،

ولنفسه بنفسه.

قوله: (المحصي) أي: الضابط لعدد مخلوقاته جليلها وحقيقها، قال تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ

عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

قوله: (المبدئ) بالهمز؛ أي: المنشئ من العدم إلى الوجود، وأما بغير همز... فمعناه:

المظهر، وليس مُراداً هنا؛ لِيَكُونَ الرواية بالهمز.

قوله: (المعيد) أي: الذي يُعيد الخلق بعد انعدامهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، واختلف أهل السنة في تلك الإعادة؛ قيل: عن عدم محض،

وقيل: عن تفريق أجزاء، قال صاحب «الجوهرة»^(١): [الرجز]

وَقُلْ: يُعَادُ الْجِسْمُ بِالتَّحْقِيقِ عَنِ عَدَمٍ وَقِيلَ: عَنِ تَفْرِيقِ

قوله: (المحيي) أي: المقوم للأبدان بالأرواح للخلائق من العدم؛ أي: الناقل لهم من حالة

العدم لحالة الحياة.

قوله: (المميت) أي: الخالق للموت، وهو عدم الحياة عمّا من شأنه الحياة، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢].

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص ٣٧٤).

الْحَيِّ، الْقَيُّومُ، الْوَاحِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدَّمُ،
الْمُؤَخَّرُ،

حاشية الصاوي

قوله: (الحي) أي: ذو الحياة، وهي في حقّه تعالى صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى، يستلزمها
اتصافه بالمعاني والمعنوية.

قوله: (القيوم) أي: القائم بذاته تعالى، المستغني عن غيره، أو المقوم لغيره بقدرته وإرادته،
فهو المتصرف في العالم دنيًا وأخرى.

قوله: (الواجد) أي: الغني، من: الوجدان، وهو عدم نفاد الشيء؛ بمعنى: أنه لو أغنى الخلق
جميعاً وأعطاهم سؤلهم... لم ينقص من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

قوله: (الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدّم، وهو الشريف، أو واسع الكرم.

قوله: (الواحد) أي: الذي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو مستلزم لنفي
الكموم الخمسة: المتصل والمنفصل في الذات، والمتّصل والمنفصل في الصفات، والمنفصل
في الأفعال، والمتصل فيها لا يُنفى، بل هو تعلق القدرة والإرادة في سائر الكائنات إيجاداً وإعداماً،
فلا غاية له ولا نهاية، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي: كل لحظة ولمحة في شؤون
يُبدئها ولا يبتدئها، والوحدة في غيره نقص، وفي حقّه كمال؛ كما ورد: «أنه واحد لا من قلة»، بل
وحدة تعزّز وانفراد وتكبر؛ لانعدام الشبيه والنظير والمثيل.

وفي بعض النسخ زيادة: لفظ (الأحد)، وهو بمعنى الواحد، والصواب: إسقاطه؛ لأنه ليس
ثابتاً في رواية الترمذي الذي نسب الحديث إليه.

قوله: (الصمد) أي: الذي يُقصد في الحوائج، فهو كالدليل للوحدانيّة.

قوله: (القادر) أي: ذو القدرة التامة، وهي صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات
إيجاداً وإعداماً على وفق الإرادة.

قوله: (المقتدر) مبالغة في القدرة؛ أي: العَظيم القدرة التي لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير،
فيرجع لمعنى (القوي المتين).

قوله: (المقدّم) بكسر الدال؛ أي: لمن أراد من عباده.

قوله: (المؤخر) أي: لمن أراد تأخير، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

الأَوَّل، الآخِر، الظَّاهِر، الباطِن، الوالي، المُتَعَالِي، البَرّ، التَّوَاب، المُنْتَقِم، العَفْو،
الرَّؤُوف، مَالِك المُلْك،
حاشية الصاوي

قوله: (الأول) أي: الذي لا افتتاح لوجوده.

قوله: (الآخر) أي: الذي لا انتهاء لوجوده.

قوله: (الظاهر) أي: الذي ليس فوقه شيء، ولا يَغلبه شيء، أو الظاهر بآثاره وصنعه،
ومن الحِكم: (هذه آثارنا تدلُّ علينا)، قال تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قوله: (الباطن) أي: الذي ليس أقرب منه شيء، أو الذي تحجب عنا بجلاله وهيبته؛ فلا تراه
الأبصار في الدنيا، ولا تدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى، وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة
في قوله ﷻ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر
فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء؛ اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر»^(١).

قوله: (الوالي) أي: المتولي على عباده بالتصريف والقهر والإيجاد والإعدام، فيرجع لمعنى
(الملك).

قوله: (المتعالى) أي: المنزه عن صفات الحوادث، فيرجع لمعنى (القدوس)، وأتى به عقب
(الوالي)؛ ليدفع توهم طُرُوْ نقص عليه كالولادة.

قوله: (البرّ) أي: المحسن لعباده الطائعين والعاصين.

قوله: (التواب) أي: كثير التوبة لعباده المذنبين؛ أي: يقبل توبتهم إن تابوا، أو الذي يخلق التوبة
في العبد فتظهر فيه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقال
تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

قوله: (المنتقم) أي: المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرين
على ذلك، فهو من صفات الجلال ك: (قهار).

قوله: (العفو) أي: الذي لا يؤاخذ المذنب بالذنوب، بل يمحوها ويبدلها بحسنات.

قوله: (الرؤوف) من الرأفة، وهي: شدة الرحمة، ومعناها في حقّه تعالى: الإنعام وإرادته.

قوله: (مالك الملك) أي: المتصرف فيه على ما يريد ويختار، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ

لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١].

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ،
حاشية الصاوي

قوله: (ذو الجلال) أي: صاحب الهبة والعظمة، وقوله: (والإكرام) أي: الإنعام والإحسان.
قوله: (المقسط) أي: الذي يحكم بالإنصاف بين خلقه، وضده: القاسط؛ بمعنى: الجائر.
قوله: (الجامع) أي: لكلِّ كمال، أو للخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، أو ما هو أعمُّ، وهو أولى.
قوله: (الغني) أي: ذو الغنى المطلق، وهو المستغني عن كلِّ ما سواه، المفتقر إليه كلُّ ما عداه.
قوله: (المغني) أي: المعطي الغنى لمن شاء دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨].

قوله: (المانع) أي: الدافع عن عبده المضارَّ الدنيوية والأخروية، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) ^(١)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].
قوله: (الضَّارُّ) أي: خالق الضر، ضد النفع، وهو: إيصال الشرِّ لمن يشاء من عباده.
قوله: (النافع) أي: خالق النفع، ضد الضر، وهو: إيصال الخير لمن يشاء من عباده دنيا وأخرى.

قوله: (النُّور) أي: الظاهر في نفسه، المظهر لغيره، أو خالق النور.
قوله: (الهادي) أي: خالق الهدى والرشاد، الموصل له مَنْ أَحَبَّ من عباده.
قوله: (البدیع) أي: المبدع والمحكم كلِّ شيء صنعه، أو المخترع الأشياء على غير سابقة مثال، قال تعالى: ﴿يَدْبِغُ السَّمْنَوتَ وَالْأَرْضُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: مُحَكِّمُهُمَا وَمُتَقَنِّمُهُمَا وَمَخْتَرَعُ لِهَمَا على غير مثال سابق.

قوله: (الباقی) أي: الدائم الذي لا يزول ولا يحول.
قوله: (الوارث) أي: الباقي بعد فناء خلقه، أو الذي يرجع إليه كلُّ شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

(١) على قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢١٥).

وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ

الرَّشِيد، الصَّبُور». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾: بِقِرَاءَتِكَ فِيهَا؛ فَيَسْمَعُكَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوكَ وَيَسُبُّوا

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قَوْلُهُ: (الرَّشِيد) صَاحِبُ الرُّشْدِ وَهُوَ: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ، أَوْ خَالِقُ الرُّشْدِ فِي عِبَادِهِ؛ فَيَرْجِعُ لِمَعْنَى (الْهَادِي).

قَوْلُهُ: (الصَّبُور) أَي: الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ؛ فَيَرْجِعُ لِمَعْنَى (الْحَلِيمِ)، وَالْهِمَّةُ بِحَقِيقَةِ مَعَانِي أَسْمَائِهِ وَأَسْرَارِهَا.

قَوْلُهُ: (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ) أَي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(١).

وَأَعْلَمُ: أَنَّ لِلْعَارِفِينَ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ طَرَقًا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمِلُهَا نَشْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمِلُهَا نَظْمًا كَالشَّيْخِ الدِّمِيَّاطِيِّ وَسَيِّدِي مُصْطَفَى الْبَكْرِيِّ وَغَيْرَهُمَا، وَأَجَلُّ مَا تَلَقَّيْنَاهُ مِنْظُومَةُ أَسْتَاذِنَا بَرَكَةِ الْوَقْتِ وَالزَّمَانِ، وَإِمَامِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، الْقُطْبِ الشَّهِيرِ، وَالشَّهَابِ الْمُنِيرِ، أَبُو^(٢) الْبَرَكَاتِ، وَمُهَيْبُ الرِّحْمَاتِ، الَّذِي عَمَّ فَضْلُهُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، شَيْخُنَا الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرْدِيرِي؛ فَإِنَّهَا عَدِيمَةُ النَّظِيرِ؛ لِاحْتَوَائِهَا عَلَى الدَّعَوَاتِ الْجَامِعَةِ، وَالْأَسْرَارِ اللَّامِعَةِ بِمَظَاهِرِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، وَهِيَ آخِرُ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى لِسَانِهِ، وَقَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِنْ فِرَاشِهِ وَكَتَبَهَا، وَكَانَ يَقْرُؤُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَمَنْ أَرَادَ الْفَوْزَ الْأَكْبَرَ وَالظَّفَرَ بِالْمَقْصُودِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. فَعَلَيْهِ بِحِفْظِهَا وَالْمَوَازَنَةِ عَلَيْهَا صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَمَنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ عَلَى بَعْضِ مَعَانِيهَا وَفَوَائِدِهَا.. فَعَلَيْهِ بِشَرْحِنَا عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ فِيهِ النِّفْعَ التَّامَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ سَبَبُ نَزُولِهَا - كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُخْتَفِيًا بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ.. رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ.. سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أَي: بِقِرَاءَتِكَ، ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ؛ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٣)، وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ زَالَ مِنْ يَوْمِ إِسْلَامِ عَمْرِو وَالحُمْزَةُ^(٤)، فَهُوَ مَنْسُوخٌ، فَلِلْمُصَلِّيِ الْجَهْرُ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ وَلَوْ يَزِيدُ عَلَى سَمَاعِ الْمَأْمُومِينَ.

(١) «سنن الترمذي» (٣٥٠٧).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، عَلَى الْقَطْعِ، وَحَقُّ الْإِتْبَاعِ الْخَفْضُ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٢٢)، وَمُسْلِمٌ (٩٣٢).

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى حُذِفَ (أَل)؛ لِأَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَى الْأَعْلَامِ إِلَّا سَمَاعًا.

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ

القرآن ومن أنزلهُ، ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾: تُسَرَّ ﴿بِهَا﴾ لِيَسْتَفِيعَ أَصْحَابُكَ، ﴿وَابْتَغَ﴾: اقْصِدْ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمُخَافَةِ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً وسطاً.

﴿١١١﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ يَنْصُرُهُ ﴿مِنْ﴾ أَجْلِ ﴿الذَّلِيلِ﴾ أي: لَمْ يَذَلَّ فَيَحْتَاجَ إِلَى نَاصِرٍ،

حاشية الصاوي

وقيل: نزلت في الدعاء، ورُوي ذلك عن عائشة وجماعة^(١)، ومثل الدعاء: سائر الأذكار؛ فلا يجهر بها ولا يُخافت بها، بل يكون بين ذلك قواماً، وعلى هذا القول: فالآية غير منسوخة، والعمل بها مُستمر.

قوله: ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ المخافَةِ: عدم رفع الصوت، يقال: خَفَتِ الصوت: إذا سكت.

قوله: ﴿لِيَسْتَفِيعَ أَصْحَابُكَ﴾ عِلَّةٌ لِلنَّهْيِ عَنِ الْمَخَافَةِ.

قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الشَّاءُ بِالْجَمِيلِ وَاجِبٌ لِلَّهِ.

قوله: ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ أي: لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ؛ لاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿الْأَلُوْهِيَّةِ﴾ أي: لَمْ يَكُنْ لَهُ مُشَارِكٌ فِي أَلُوْهِيَّتِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ مُشَارِكٌ فِيهَا.. لَمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبَّيْنَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ أي: لَمْ يَكُنْ لَهُ نَاصِرٌ يَمْنَعُ عَنْهُ الذَّلِيلَ؛ لاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ عَقْلاً، وَاسْتِفِيدَ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّ لَهُ أَوْلِيَاءَ لَا مِنْ أَجْلِ الذَّلِيلِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَيَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُمْ كَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْكُفَّارِ، وَإِنَّمَا اخْتِيَارُهُمْ وَتَسْمِيَتُهُمْ أَوْلِيَاءَ وَأَحِبَّاءَ فَمِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَكَمَا أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْوَلِيُّ بِمَعْنَى: النَّاصِرُ لَهُ مِنَ الذَّلِيلِ.. يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِمَعْنَى: الْمَوْصِلُ الْأَذَى إِلَيْهِ، وَأَمَّا بِمَعْنَى: أَنَّهُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ وَلَيْسَ رَاضِياً بِأَفْعَالِهِ.. فَهُوَ وَاقِعٌ.

قوله: ﴿أَي: لَمْ يَذَلَّ﴾ أي: لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ وَصْفُ الذَّلِيلِ؛ لَا بِالْفِعْلِ، وَلَا بِالْقُوَّةِ.

وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿٣١﴾

﴿وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا﴾: عَظْمُهُ عَظْمَةٌ تَامَّةٌ عَنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ الشَّرِيكِ وَالذُّلِّ وَكُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَتَرْتِيبُ الْحَمْدِ عَلَى ذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ لِكَمَالِ ذَاتِهِ وَتَفَرُّدِهِ فِي صِفَاتِهِ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ مُعَاذِ الْجُهَنِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «آيَةُ الْعِزِّ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.



حاشية الصاوي

قوله: (عَظْمُهُ تَعْظِيمًا) أي: نَزَّهَهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ.

قوله: (وَتَرْتِيبُ الْحَمْدِ... إلخ) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّ الْمَقَامَ لِلتَّنْزِيهِ لَا لِلْحَمْدِ؛ لِأَنَّ الْحَمْدَ يَكُونُ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ. أُجِيبُ: بِأَنَّ اللَّهَ كَمَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ لِأَوْصَافِهِ يَسْتَحِقُّهُ لِدَاوَتِهِ.

قوله: (آيَةُ الْعِزِّ) أي: الَّتِي مَنْ قَرَأَهَا مُؤْمِنًا بِهَا.. حَصَلَ لَهُ الْعِزُّ وَالرَّفْعَةُ، وَوَرَدَ فِي عِدَّةِ اسْتِعْمَالِهَا: أَنَّهَا ثَلَاثُ مِائَةٍ وَوَاحِدٌ وَخَمْسُونَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَقُولُ قَبْلُهَا: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ إِلَى آخِرِهَا.



قال مؤلفه: وهذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رحمته الله، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعوّل، فرحم الله امرأً نظراً.....

حاشية الصاوي

قوله: (جلال الدين المحلي) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم، حتى كان من أخلاقه أنه يقضي حوائج بيته بنفسه مع كونه عنده الخدم والعبيد.
قوله: (وقد أفرغت فيه) الضمير عائد على (ما) في قوله: (آخر ما كملت به)، وكذا بقية الضمائر.

قوله: (جهدي) بفتح الجيم وضمها؛ أي: طاقتي.

قوله: (وبذلت فكري) الفكر: قوة في النفس يحصل بها التأمل.

قوله: (في نفائس) أي: دقائق وزيكات مرضية.

قوله: (أراها) بفتح الهمزة وضمها.

قوله: (تجدي) أي: تنفع.

قوله: (قدر ميعاد الكليم) أي: وهو أربعون يوماً؛ لأنه سيأتي أنه ابتداء فيه أول يوم من رمضان، وختمه لعشرة من شوال، وفي ذلك إشارة إلى أن في هذه المدة حصل لموسى الفتح وإعطاء التوراة وهي كلام الله، فقد خلعت عليّ خلعة من خلعه حيث فتح الله عليّ في تلك المدة بخدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة؛ فإن هذا الزمن عادة لا يسع هذا التأليف إلا بعناية من الله سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ؛ فإنه كان عمره أقل من عشرين سنة بشهور.

قوله: (وهو) أي: ما كملت به.

قوله: (مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ، وإشارة إلى أنه حدّا حدّوه واقتضى أثره؛ فالشيخ المحلي قد سنّ سنة حسنة للشيخ السيوطي، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

قوله: (وعليه) أي: الشيخ، أو الكتاب المكمل، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(الاعتماد) مبتدأ مؤخر، وقوله: (في الآي...) إلخ متعلق ب(الاعتماد)، و(المعوّل) معطوف على (الاعتماد) عطف مرادف.

بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ فِيهِ عَلَى خَطَأٍ فَأُطْلِعَنِي عَلَيْهِ، وَقَدْ قُلْتُ:
 حَمِدْتَ اللَّهَ رَبِّي إِذْ هَدَانِي لِمَا أَبَدَيْتُ مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي
 فَمَنْ لِي بِالْخَطَا فَأَرَدَ عَنْهُ وَمَنْ لِي بِالْقَبُولِ وَلَوْ بِحَرْفٍ؟
 هَذَا وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي خَلْدِي أَنْ أَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ؛ لِعِلْمِي بِالْعَجْزِ عَنِ الْخَوْضِ فِي هَذِهِ
 الْمَسَالِكِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بعين الإنصاف) إما على حذف مضاف؛ أي: بعين صاحب الإنصاف، أو في الكلام
 استعارة بالكناية؛ حيث شبه الإنصاف بإنسان ذي عين، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من
 لوازمه وهو العين، فإثباته تخيل، واحترز بعين الإنصاف من عين الاعتساف؛ فإنها لا ترى محاسن
 أصلاً؛ كما قال العارف^(١): [الطويل]

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

قوله: (ووقف فيه على خطأ) أي: أطلع عليه.

قوله: (فأطلعني) أي: دلّني عليه، وعرفني به.

قوله: (وقد قلت) أي: شاكرًا لله، سالكًا سبيل الاعتذار.

قوله: (إذ هداني) أي: لأجل هدايته لي.

قوله: (لما أبديت) متعلق بـ(هداني).

قوله: (فمن لي بالخطأ) أي: من يتكفل لي بإظهار الخطأ.

قوله: (فأردّ عنه) أي: أجيب عنه وأصلحه.

قوله: (ومن لي بالقبول) أي: من يُبشّرني بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفاً؛ لأنّ القبول
 من رحمة الله، ومن رحمه.. لا يعذّبه.

قوله: (هذا) أي: افهم وتأمل ما ذكرته لك.

قوله: (في خلدي) بفتحيتين، معناه: البال والقلب.

قوله: (لذلك) أي: لتأليف تلك التكملة.

قوله: (المسالك) أي: مسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم؛ لاحتياجه إلى الجمع بين
 المعقول والمنقول.

(١) البيت للإمام الشافعي كما في «ديوانه» (ص ٩١).

وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ نَفْعاً جَمًّا، وَيَفْتَحَ بِهِ قُلُوباً غُلْفًا وَأَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا، وَكَأَنِّي بِمَنْ
اعْتَادَ الْمُطَوَّلَاتِ وَقَدْ أَضْرَبَ عَنْ هَذِهِ التَّكْمِلَةِ وَأَصْلِهَا حَسَمًا، وَعَدَلَ إِلَى صَرِيحِ الْعِنَادِ
وَلَمْ يُوجِّهْ إِلَى دَقَائِقِهَا فَهَمًّا، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾، رَزَقْنَا اللَّهَ بِهِ
هُدَايَةً إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَتَوْفِيقًا، وَأُطْلَاعًا عَلَى دَقَائِقِ كَلِمَاتِهِ وَتَحْقِيقًا، وَجَعَلْنَا بِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (وعسى الله) هذا تَرْجُّ من الشيخ رحمته، وقد حَقَّقَ الله رجاءه.

قوله: (جمًّا) بفتح الجيم؛ أي: كثيرًا.

قوله: (غلفًا) أي: مُغَطَّاة ممنوعة عن فهم علم التفسير؛ لصعوبته.

قوله: (عميًّا) أي: لا تُبْصِر، فإذا نظرت فيه وتأملتته.. فأرجو أن يزول عنها العمى لتُبْصره وتُدركه.

قوله: (وأذانًا صُمًّا) أي: فبِسْمَاعِهِ يزول عنها الصمم، وتُصِيرُ مستمعة لدقائق التفسير.

قوله: (وكأنني بمن اعتاد المطوَّلَاتِ) أي: مُلتَبِسٌ بمن اعتاد، فالباء للملابسة، ويصح أن تكون

بمعنى (من)، والمعنى: وكأنني قريب ممن اعتاد... إلخ.

قوله: (وقد أضرب) أي: أَعْرَضَ.

قوله: (وأصلها) أي: وهي قِطْعَةُ الْجَلال المحلي.

قوله: (حسمًا) الحسم: المنع والقطع، وهو مفعول مُطلق مؤكد لعامله المعنوي

الذي هو (أعرض)، كأنه قال: وقد أَعْرَضَ إِعْرَاضًا.

قوله: (وعدل) أي: مال.

قوله: (إلى صريح العناد) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: العناد الصريح.

قوله: (ومن كان في هذه) أي: التكملة مع أصلها، وفي بمعنى: عن، وقوله: (أعمى)

أي: معرضاً عنها وغير واقف على دقائقها، وقوله: (فهو في الآخرة) المراد بها المطوَّلَاتِ، وقوله:

(أعمى) أي: غير فاهمٍ لها، وهو اقْتِباسٌ من الآية الشريفة، والاقْتِباس: تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه.

قوله: (رزقنا الله به... إلخ) هذا الضمير وما بعده لما كَمَّلَ به.

قوله: (هداية) أي: وصولاً للمقصود.

قوله: (على دقائق كلماته) أي: القرآن.

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾،
وَفُرْغَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ يَوْمَ الْأَحَدِ عَاشِرِ شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَكَانَ الْإِبْتِدَاءُ فِيهِ يَوْمَ
الْأَرْبَعَاءِ مُسْتَهْلٌ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَفُرْغَ مِنْ تَبْيِيْضِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ صَفَرِ
سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾) المراد بالمعينة: أن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان كل في منزله.

قوله: (وَفُرْغَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ) أي: جمعه وتَسْوِيْدِهِ؛ بدليل قوله: (وَفُرْغَ مِنْ تَبْيِيْضِهِ).

قوله: (سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ) أي: وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

قوله: (وَفُرْغَ مِنْ تَبْيِيْضِهِ) أي: تحريره ونقله من المسوِّدة.

قوله: (سَادِسَ صَفَرٍ) أي: فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام.

قوله: (السُّيُوطِي) بضم السين نسبة لسُيُوط قرية بصعيد مصر.

واعلم: أنه قد وُجِدَ بعد ختم هذه التكملة مما هو منقولٌ عن خط السيوطي ما نصه: (قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي... إلخ) فليس من أصل تأليف السيوطي، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء يوم الخميس المبارك، ثالث عشر شعبان المبارك، سنة خمس وعشرين ومئتين وألف من هجرة من له العز والشرف، بمشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وعنّا به، ومَدَّنَا مِنْ إِمْدَادِهِ آمِينَ، وَغَفَرَ اللَّهُ لِكَاتِبِهِ^(١).

(١) جاء في خاتمة هذا الجزء من النسخة (أ) ما نصّه: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله الذي لا يخيب من استخاره، وقف وحبس وسبّل وتصدّق بهذا الجزء وما قبله الحاشية بتمامها الكائنة على تفسير الجلالين لشيخنا وقُدوتنا إلى الله تعالى العارف بالله تعالى، أستاذنا الشيخ أحمد الصاوي الحفناوي المالكي، المحترم المكرم الحاج إبراهيم بن المرحوم إلى الله تعالى الحاج محمد بدر الدين، تابع مؤلفها المذكور، ضاعف الله له الأجور، على مُطلق طالب علم ينتفع بها إن شاء الله تعالى بجميع أوجه الانتفاعات الشرعية من قراءة ومطالعة ومقابلة وكتابة وغير ذلك، وجعل مَقْرَئَهَا تحت يد كاتبها العبد الفقير قاسم الشتي خادم نعال مؤلفها في خزانة الوقف الكائنة برواق الغنيمة المنسوبة للشيخ أحمد الصباغ السكندري، وشرط واقفها النظر في ذلك لمؤلفها المتقدم ذكره أطال الله عمره مع الصحة، وقفاً صحيحاً شرعياً مرضياً، وهو بحال الصحة والسلامة وكامل الأوصاف المعتمدة شرعاً، طالباً بذلك الثواب الجزيل من المولى الجليل، تحريراً في ختام الحجة سنة (١٢٣٠) من هجرته ﷺ، وعلى الله القبول).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ



مَكِّيَّة إِلَّا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ الآية. مائة وعشر آيات، أو خمس عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ﴾ هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد الإعلام بذلك

حاشية الصاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبه ثقتي

الحمد لله الأول الآخر، الباطن الظاهر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاجر، وعلى آله وأصحابه ذوي العلا والمفاخر.

وبعد: فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطي.. فلنشرع الآن في الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد بن أحمد المحلي، نفعنا الله بهما وبعلمومهما في الدنيا والآخرة، ونسأل الله الإعانة على البدء والختام، والموت على كمال الإيمان والإسلام.

قال نفعنا الله به:

سُورَةُ الْكَهْفِ

(سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّة) سُمِّيَتْ بذلك؛ لذكر قصة أصحاب الكهف فيها؛ من باب: تسمية الشيء باسم بعضه، و(سورة): مبتدأ، و(مكية): خبر أول، و(مئة... إلخ): خبر ثان.

قوله: (ثابت) قدره؛ إشارة إلى أنَّ الجارَّ والمجرور في ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف، خبر المبتدأ، أو المراد بالثبوت: الدَّوام والاستمرار أزلاً وأبداً، فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث، فوصف القديم بالكمالات أزليٍّ مستمرٍّ، وكمال الحادث عارضٌ.

قوله: (الإعلام بذلك) أي: الإخبار بأنَّ وصفه الكمالِيَّ أزليٍّ، فتكون الجملة خبريةً لفظاً ومعنى، والمقصود منها: كونها عقيدةً للعباد، وشرطاً في إيمانهم، والمخبر بالحمد حامدٌ.

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

لِلإِيمَانِ بِهِ، أَوْ الثَّنَاءِ بِهِ أَوْ هُمَا؟ اِحْتِمَالَاتٌ أُفِيدُهَا الثَّلَاثُ، ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾: مُحَمَّدٌ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

قوله: (أَوْ الثَّنَاءُ بِهِ) أي: إنشاء الثناء بمضمون تلك الجملة، لا إنشاء المضمون؛ فإنه ثابتٌ أزلاً يستحيل إنشاؤه، فتكون على هذا: خبريةٌ لفظاً، إنشائيةٌ معنىً، كأنه قال: أجدد وأنشئ حمداً لنفسي بنفسي؛ لعجز خلقي عن كُنه حمدي؛ ولذا حكى عن أبي العباس المرسى أنه سأل ابن النحاس النحوي عن (أل) في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هل هي جنسيةٌ أو عهديةٌ؟ فقال: يقولون: إنها جنسيةٌ، فقال: لا، بل هي عهديةٌ؛ لأنَّ الله لما علم عَجَزَ خلقِهِ عن كُنه حمده.. حمد نفسه بنفسه، وأبقاه لهم يَحمدونه^(١).

قوله: (أَوْ هُمَا) أي: الإعلام والثناء، ويكون هذا من باب استعمال الجملة في الخبر والإنشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، فاستعمالها في الخبر حقيقةٌ، واستعمالها في الإنشاء مجازٌ، وحيثُ: فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين: الإعلام به للإيمان والتصديق، وإنشاء الثناء. قوله: (أُفِيدُهَا الثَّلَاثُ) أي: أكثرها فائدة؛ لدلالته على أمرين مقصود كلٌّ منهما بالذات.

إن قلت: إن إنشاء الثناء يستلزم الإعلام، والإعلام يستلزم إنشاء الثناء.. قلنا: نعم ولكن فرق بين الحاصل المقصود، والحاصل الغير المقصود، فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبريةً فقط.. كان الثناء حاصلًا غير مقصود، وإن جعلت إنشائيةً فقط.. كان الإيمان بها حاصلًا غير مقصود، وإن استعملت فيهما.. كان كلٌّ منهما مقصوداً لذاته.

قوله: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قال: الحمد لله لأجل إنزاله... إلخ، وإنما جعل الإنزال سبباً في الحمد؛ لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى؛ إذ به تنال سعادة الدارين؛ إذ فيه صلاح المعاد والمعاش، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ الإضافة لتشريف المضاف؛ ولذا قال القاضي عياض^(٢): [الوافر]

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتَبِيهَا وَكَذْتُ بِأَحْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

(١) واختار الأستاذ القشيري في «لطائفه» (٤٥/١) أنها للجنس فقال: (واللام ههنا للجنس، ومقتضاها: الاستغراق، فجميع المحامد لله سبحانه إمّا وصفاً وإمّا خلقاً، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه).
(٢) نسبهما له ملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٩/١).

الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَيَمَّا يَلِيْزِرَ بِأَسَا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهُ

﴿الْكِتَابَ﴾ : القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ أي : فيه ﴿عِوَجًا﴾ : اختلافاً أو تناقضاً ، - والجُمْلَةُ حال من ﴿الْكِتَابَ﴾ ..

(٢ - ٣) ﴿فَيَمَّا﴾ : مُسْتَقِيْمًا - حال ثانية مُؤَكِّدَة - ﴿يَلِيْزِرَ﴾ : يُخَوِّفُ بِالْكِتَابِ الْكَافِرِيْنَ ﴿بِأَسَا﴾ : عَذَابًا ﴿شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ : مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ،
حاشية الصاوي

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ : يَا عِبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتُ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا
قول : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ الجملة إمّا معطوفة على قوله : ﴿أَنْزَلَ﴾ ، فتكون من جملة المحمود عليه ، أو حال كما قال المفسر .

قوله : (اختلافاً) أي : في اللفظ والمعنى ، والعِوَجُ بالكسر : الفسادُ في المعاني ، وبالفتح : في الأجسام .

قوله : (تناقضاً) نعت لـ (اختلافاً) على حذف مضاف ؛ أي : ذا تناقض .

قوله : ﴿فَيَمَّا﴾ (إن أريد به الاستقامة في المعنى .. كان حالاً مُؤَكِّدَة كما قال المفسر ، وإن أريد به الاستقامة مطلقاً .. كان حالاً مؤسّسة .

قوله : (مستقيماً) أي : معتدلاً قائماً بمصالح العباد دنيا وأخرى ، فهو مُصْلِحٌ لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يُؤَنِّسُهُ في قبره ، ويتلقى عنه السؤال ، ويكون نوراً على الصراط ، ويُوضَع في الميزان ، ويرقى به درجات الجنة ، وهذا للعامل به ، وقائمٌ على غير العامل به بمعنى : أنه يكون حجة عليه ، أو المعنى : قِيَمًا حسن الألفاظ والمعاني ؛ لِكَوْنِهِ في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة .

فإن قلت : ما فائدة التأكيد؟ قلنا : دفع توهم أن نفي العِوَج عن غالبه ؛ لأن الحكم للغالب .

قوله : ﴿يَلِيْزِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ وهو يَنْصَبُ مفعولين ، قدّر المفسر الأول بقوله : (الكافرين) ، والثاني هو قوله : ﴿بِأَسَا﴾ ، وقوله : ﴿يَلِيْزِرَ﴾ : معطوف على قوله : ﴿يَلِيْزِرَ﴾ الأول ، وحذف مفعوله الثاني ؛ لدلالة ما هنا عليه ، وذكر مفعوله الأول ؛ ففي الكلام احتباك ؛ حيث حذف من كلّ نظير ما أثبت في الآخر .

قوله : (الكتاب) هو فاعل (ينذر) ، وفي بعض النسخ : (بالكتاب) ، وحينئذ : فيكون فاعل الإنذار إما ضميرٌ عائد على الله ، أو على محمد .

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾
وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ هو الجنة.
﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَيُنذِرُ﴾ من جملة الكافرين ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ
بِهِ: ﴿بِهَذَا الْقَوْلِ﴾ ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمُ الْقَائِلِينَ لَهُ، ﴿كَبُرَتْ﴾: عَظُمَتْ
﴿كَلِمَةً﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ نعت لـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأن لهم،
وإنما ذكر المفعولين معاً؛ لعدم النظر لهم، بخلاف أهل الإنذار فأنواعهم مختلفة.

قوله: ﴿مَكَثِينَ﴾ أي: مُقِيمِينَ.

قوله: (هو الجنة) أي: الأجر الحسن.

قوله: (من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله: (وينذر) معطوف على (ينذر) الأول عطف
خاص على عام، والنكتة: التشنيع والتقبيح عليهم؛ حيث نسبوا له الولد وهو مستحيل عليه، قال
تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَيَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا [مريم: ٩٠-٩٢].

قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: مولوداً ذكراً أو أنثى، فيشمل النصارى واليهود
ومشركي العرب.

قوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: لاستحالة عليه عقلاً.

قوله: (بهذا القول) هذا أحد أوجه في مرجع الضمير، والثاني: أنه راجع للولد؛ أي: إنهم
نسبوا له الولد مع عدم علمهم به؛ لاستحالة وعدم وجوده. الثالث: أنه راجع لله؛ أي: ليس لهم
علم بالله؛ إذ لو علموه.. لما نسبوا له الولد.

قوله: (مَنْ قَبْلَهُمْ) بفتح الميم: بدل من (آبائهم) أي: فالمراد بـ(آبائهم): مَنْ تَقَدَّمَ لَهُمْ عموماً،
وليس المراد بهم خصوص مَنْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ ولادة.

قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ (كُبر): فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء: علامة التانيث، والفاعل
مستتر تقديره: هي، و﴿كَلِمَةً﴾: تمييز له، والمخصوص بالذم محذوف، قدره المفسر بقوله:

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخَيْغِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴿٥﴾ - ﴿كَلِمَةً﴾ تَمَيِّزُ مُفَسِّرٍ لِلضَّمِيرِ الْمُبْهَمِ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوفٌ -
 أَي: مَقَالَتُهُمُ الْمَذْكُورَةُ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿يَقُولُونَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا﴾ مَقُولًا ﴿كَذِبًا﴾.
 ﴿٦﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِغٌ﴾: مُهْلِكٌ ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾: بَعْدَهُمْ أَي: بَعْدَ تَوَلِّيهِمْ عَنْكَ
 ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿أَسَفًا﴾: غَيْظًا وَحُزْنًا مِنْكَ لِجَرِّصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ،
 - وَنَصَبُهُ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ - .

حاشية الصاوي

(مقالتهم)، وهذه الجملة مستأنفة لإنشاء ذمهم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (أي: من غير تأمل وتدبر فيها، بل جرت على ألسنتهم من غير سند).

قوله: (في ذلك) أي: في هذا المقام، وهو نسبة الولد لله.

قوله: ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ صفة لموصوف محذوف، قدّره المفسر بقوله: (مقولاً).

قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِغٌ﴾... إلخ (لعل): تأتي للترجي، وللإشفاق، وكلّ ليس مقصوداً هنا، بل المراد هنا: النهي، والمعنى: لا تبخغ نفسك؛ أي: لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم.

قوله: (بعدهم) تفسير لـ ﴿آثَرِهِمْ﴾ أي: فالآثار جمع أثر، والمراد منه: البعدية.

قوله: ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: فلا تهلك نفسك، والمقصود منه: تسليّة النبي ﷺ، والمعنى: لا تحزن على عدم إيمانهم حزناً يؤدي لإهلاك نفسك، وأما أصل الحزن والغم... فهو شرط في الإيمان لا ينهي عنه؛ لأنّ الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر.

قوله: (لحرصك) علة للعلة.

قوله: (ونصبه على المفعول له) أي: والعامل فيه ﴿بَخِغٌ﴾.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾

(٧ - ٨) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾: لِنَخْتَبِرَ النَّاسَ نَاطِرِينَ إِلَى ذَلِكَ ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فِيهِ أَي: أَزْهَدُ لَهُ، ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾: فُتَاتًا ﴿جُرًّا﴾: يَاسِسًا لَا يُنْبِتُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ كالتعليل لما قبله، فهو من جملة تسليته ﷺ، و(جعل): إن كانت بمعنى: صَيَّرَ.. فـ﴿زِينَةً﴾ مفعول ثان، وإن كانت بمعنى: خلق.. فـ﴿زِينَةً﴾ حال، أو مفعول لأجله، وعلى كل: فقوله: ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ مفعول.

قوله: (وغير ذلك) أي: من باقي النعم التي خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن. قوله: ﴿زِينَةً لَهَا﴾ أي: يتزَيَّن بها ويتنعم، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ...﴾ [آل عمران: ١٤] الآية. قوله: (لنختبر الناس) أي: نعاملهم معاملة المختبر.

قوله: (ناظرين إلى ذلك) حال من (الناس) أي: لِنَخْتَبِرَ النَّاسَ فِي حَالِ نَظَرِهِمْ إِلَى الزينة. قوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿أَحْسَنُ﴾: خبر، و﴿عَمَلًا﴾: تمييز، والجملة في محل نصب سدّت مسدّد مفعولي (نبلو).

قوله: (أي: أزهد له) تفسير لقوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، والمعنى: نَمِيزُ بَيْنَ حَسَنِ الْعَمَلِ وَسَيِّئِهِ بِتِلْكَ الزينة؛ فَمَنْ زَهَّدَهَا.. كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَسَنِ، وَمَنْ رَغِبَ فِيهَا.. كَانَ بَصْدًا ذَلِكَ، فَتَدَبَّرْ.

قوله: ﴿لَجَاعِلُونَ﴾ أي: مُصَيِّرُونَ، و﴿صَعِيدًا﴾: مفعول ثان. قوله: ﴿فُتَاتًا﴾ بضم الفاء: مصدر كالحُطَامِ والرفات؛ أي: تَرَابًا. قوله: ﴿جُرًّا﴾ نعت لـ﴿صَعِيدًا﴾، والمعنى: إِنَّا لَنَعِيدُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الزينة تَرَابًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ كَصَعِيدِ أَمْلَسَ لَا نَبَاتَ بِهِ.

إن قلت: إن قوله: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ صريح في أن الأرض تستمر، فيكون مُنافياً لقوله في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟

أجيب: بأنه خصّ ما على الأرض من الزينة؛ لأنه الذي به الغرور والفتنة.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۖ

﴿٩﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَي: أَظَنَنْتَ ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: الغارِ في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سُئِلَ ﷺ عَنْ قِصَّتِهِمْ، ﴿كَانُوا﴾ فِي قِصَّتِهِمْ ﴿مِنْ﴾ جُمْلَةٍ ﴿ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ - خَبَر (كان)، وما قبله حال - أَي: كَانُوا عَجَبًا دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ أَوْ أَعْجَبَهَا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ (أَمْ): منقطعة، وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور: تُفَسَّرُ بِ(بَل) والهمزة، وعند طائفة: تُفَسَّرُ بِالْهَمْزَةِ وَحْدَهَا وَعَلَيْهِ دَرَجُ الْمَفْسَرِ، وَعِنْدَ طَائِفَةٍ أُخْرَى: تُفَسَّرُ بِ(بَل) وَحْدَهَا.

قوله: (أَي: أَظَنَنْتَ) الاستفهام إنكاري؛ أَي: لَا تُظَنَّ أَنَّ قِصَّةَ أَهْلِ الْكَهْفِ عَجِيبَةٌ دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْجَبُ مِنْهَا.

قوله: ﴿الْكَهْفِ﴾ (مفرد، وجمعه: كُهُوف، وَأَكْهُف).

قوله: (الغار في الجبل) أَي: وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَتَّسِعًا وَهُوَ قَوْلٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الْكَهْفَ الْغَارَ الْمَتَّسِعَ، فَإِنْ لَمْ يَتَّسِعْ.. سَمِيَ غَارًا فَقَطْ.

قوله: ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ (هو بمعنى: مَرْقُوم).

قوله: (اللوحي) أَي: وَكَانَ مِنْ رِصَاصٍ، وَقِيلَ: مِنْ حِجَارَةٍ، وَهُوَ مَدْفُونٌ عِنْدَ بَابِ الْغَارِ تَحْتَ الْبِنَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الرِّقِيمَ اسْمُ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ أَصْحَابُ الْكَهْفِ، وَقِيلَ: اسْمُ الْقَرْيَةِ، وَقِيلَ: اسْمُ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: اسْمُ كِتَابٍ مَرْقُومٍ عِنْدَهُمْ فِيهِ الشَّرْعُ الَّذِي تَمَسَّكُوا بِهِ مِنْ دِينِ عِيسَى، وَقِيلَ: دِرَاهِمُهُمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ، وَقِيلَ: كَلْبُهُمْ.

قوله: (فيه أسماؤهم) أَي: فِيهِ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ مِنْ مَدِينَةِ كَذَا، خَرَجَ فِي وَقْتِ كَذَا، مِنْ سَنَةِ كَذَا.

قوله: (في قصتهم) أَي: وَكَانَتْ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: (ليس الأمر كذلك) أَي: لَيْسَتْ أَعْجَبَهَا، وَلَا هِيَ عَجَبٌ دُونَ غَيْرِهَا، بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ الْعَجِيبَةِ.

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ

﴿١٠﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: نزلوه وسكنوه، وحاصل قصتهم - كما قال محمد بن إسحاق - : لما طغى أهل الإنجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها، وبقي فيهم مَنْ هو على دين المسيح مُستمسكين بعبادة الله وتوحيده، وكان بالروم ملك يقال له: دقيانوس؛ عَبَدَ الأصنام، وذبح للطواغيت، وكان يَحْمِلُ الناس على ذلك، ويقتل من خالفه، فمرَّ بمدينة أصحاب الكهف، وهي مدينة من الروم يقال لها: أفسوس، واسمها عند العرب طرسوس، فاستخفى منه أهل الإيمان، فصار يُرسل أعوانه، فيُفتشون عليهم ويُحضرونهم له، فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل مَنْ يخالفه.

فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك.. حزنوا حزناً شديداً، وكانوا من أشرف الرُّوم وهم ثمانية، وكانوا على دين عيسى، فأخبر الملك بهم وعبادتهم، فبعث إليهم، فأحضروا بين يديه يَبْكُونَ، فقال: ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة، فاخترُّوا إمَّا أن تكونوا على ديننا، وإمَّا أن نقتلكم، فقال له أكبرهم: إِنَّ لَنَا إِلَهًا عَظَمَتَهُ مِثْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا أَبَدًا، اصْنَعْ بِنَا مَا بَدَا لَكَ، وقال أصحابه مثل ذلك، فأمر الملك بَنَزْعِ لباسهم والحلِية التي كانت عليهم، وكانوا مُسَوَّرِينَ وَمَطْوَّقِينَ، وكانوا غُلَمَانًا مُرَدًّا حَسَنًا جَدًّا، وقال: سأَتَفَرَّغُ لَكُمْ وَأَعَاقِبُكُمْ، وما يَمْنَعُنِي مِنْ فَعَلِ ذَلِكَ بِكُمْ الْآنَ إِلَّا أَنِّي أُرَاكُمْ شَبَابًا، فَلَا أَحِبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ، وَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ أَجَلًا تَدْبُرُونَ فِيهِ أَمْرَكُمْ وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَقُولِكُمْ.

ثم إنه سافر لغرض من أغراضه، فخافوا أنه إذا رجع مِنْ سفره يعاقبهم أو يقتلهم، فاشتَرَوْا فيما بينهم، واتفقوا على أن يأخذ كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ؛ يَتَصَدَّقَ بِبَعْضِهَا، وَيَتَزَوَّدَ بِالْبَاقِي، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له: بيجلوس فيه كهف، ومروا في طريقهم بكلب، فتبعهم فطرَدُوهُ، فعاد، ففعلوا ذلك مِرَارًا، فقال لهم الكلب: أَنَا أَحِبُّ أَحِبَّابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَنَامُوا وَأَنَا أَحْرُسُكُمْ، فتبعهم، فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عَمَلٌ إِلَّا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، وجعلوا نَفَقَتَهُمْ تَحْتَ يَدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اسْمُهُ: تَمْلِيخَا، كَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ يَشْتَرِي لَهُمُ الطَّعَامَ سِرًّا وَيَتَجَسَّسُ لَهُمُ الْخَبَرَ، فَلَبِثُوا بِذَلِكَ الْغَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ.

حاشية الصاوي

ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة، وكان تملixa يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاماً، فجاء وأخبرهم برُجوع الملك، وأنه يُفتش عليهم، ففرعوا وشرعوا يذكرون الله عزَّ وجلَّ ويضرعون إليه في دفع شرِّه عنهم، وذلك عند غروب الشمس، فقال لهم تملixa: أيا إخوانه؛ كلُّوا وتوكلُّوا على ربِّكم، فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون، فبينما هم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف، وألقاه أيضاً على كلِّهم وهو باسطٌ على باب الكهف، ففتش عليهم الملك، فذُلَّ عليهم، فتحيَّر فيما يصنع بهم، فألقى الله في قلبه أن يسدَّ عليهم باب الغار، وأراد الله عزَّ وجلَّ أن يُكرِّمهم بذلك، ويجعلهم آيةً للناس، وأن يبيِّن لهم أنَّ الساعة آتيةٌ، وأنه قادرٌ على بعث العباد من بعد الموت، فأمر الملك بسدِّه وقال: دعوهم في كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظنُّ أنهم أيقاظٌ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفَّى الله أرواحهم وفاةً نوم.

ثم إنَّ رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما شرعاً يكتبان قصة هؤلاء الفتية، فكتبتا وقتَ فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وممن فرَّوا في لَوحين من رصاص، وجعلاهما في تابوت من نحاس، وجعلتا التابوت في البُنيان، وقالوا: لعلَّ الله أن يُظهرَ على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم.

ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه، ومرَّ بعده سنون وقرون، وتغايرت الملوك، ثم ملَّكَ تلك المدينة رجلٌ صالحٌ يقال له: بيدروس، واختلف الناس عليه؛ فمنهم المؤمن بالساعة، ومنهم الكافر بها، فشقَّ ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون: لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تُبعث الأرواح دون الأجساد، فجعل يتضرَّع ويقول: ربِّ؛ أنت تعلم اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبيِّن لهم أمر الساعة والبعث، فأراد الله أن يُظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبيِّن للناس شأنهم، ويجعلهم آيةً وحجةً عليهم؛ ليَعلموا أنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يهدمَ ذلك البناء الذي على باب الكهف، ويبني بحجارته حظيرةً لِنِعمه، فهدمه وبنى به حظيرةً لِنِعمه، فلما انفتح باب الكهف... بعث الله هؤلاء الفتية، فجلسوا فَرَحين مُسفرةً وجوههم، طيبةً نفوسهم، وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهياتهم، فلم يتغير منها شيءٌ، فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا، ثم أرسلوا تملixa إلى المدينة؛ ليشتري لهم الطعام، فذهب فرأى المدينة قد تغيَّر حالها وأهلها وملِكها، وقد أخذه أهل المدينة

فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ

- جَمَعَ (فَتَى) وَهُوَ الشَّابُّ الْكَامِلُ - خَائِفِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ قَبْلِكَ

حاشية الصاوي

وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن، فأخبره تملّخاً بقصّته وقصة أصحابه، فقال بعض الحاضرين: يا قوم؛ لعلّ هذه آيةٌ من آيات الله جعلها الله لكم على يدِ هذا الفتى، فانطلقوا بنا حتى يُرِينَا أصحابه، فانطلق أربوس وأسطيوس من عُظَمَاءِ المملكة، ومعهما جميع أهل المدينة كُبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف؛ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ، فأوّل من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران، فوجدوا في أثر البناء تابوتاً من نحاس، ففَتَحَاهُ فوجدوا فيه لَوْحِينَ مِنْ رِصَاصٍ مَكْتُوبَةً فِيهِمَا قِصَّتُهُمْ، فلما قرؤوها.. عَجِبُوا وَحَمَدُوا الله الذي أَرَاهُمْ آيَةً تَدُلُّهُمْ عَلَى الْبَعْثِ.

ثم أَرْسَلُوا قَاصِداً إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ بِيَدْرُوسَ أَنْ عَجَّلَ بِالْحَضُورِ إِلَيْنَا لَعَلَّكَ تَرَى هَذِهِ الْآيَةَ الْعَجِيبَةَ؛ فَإِنَّ فِتْيَةَ بَعْثَهُمُ اللهُ وَأَحْيَاهُمْ، وَقَدْ كَانَ تَوَفَاهُمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ وَأَكْثَرَ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ.. ذَهَبَ هُمُ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، تَفَضَّلْتَ عَلَيَّ وَرَحِمْتَنِي وَلَمْ تُطْفِئِ النُّورَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِأَبَائِي، فَرَكِبَ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَهْفِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَفَرَحَ بِهِمْ وَاعْتَنَقَهُمْ، وَوَقَفَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى الْأَرْضِ يَسْبِّحُونَ اللهَ وَيَحْمَدُونَهُ، فَقَالُوا لَهُ: نَسْتَدْعُكَ اللهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، حَفِظَكَ اللهُ وَحَفِظَ مُلْكَكَ، وَنُعِيدُكَ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَبَيْنَمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ إِذْ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَنَامُوا، وَتَوَفَّى اللهُ أَنْفُسَهُمْ، فَقَامَ الْمَلِكُ إِلَيْهِمْ وَجَعَلَ ثِيَابَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ.

فلما مشى ونام.. أَتَوْهُ فِي مَنَامِهِ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ، فَاتْرَكْنَا كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللهُ مِنْهُ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ، فَجُعِلُوا فِيهِ، وَأَمَرَ أَنْ يُبْنَى عَلَى بَابِ الْكَهْفِ مَسْجِداً فِيهِ، وَيَسَدَّ بِهِ بَابَ الْغَارِ، فَلَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، وَجَعَلَ لَهُمْ عِيداً عَظِيماً، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى كُلَّ سَنَةٍ. اهـ مَلْخَصاً مِنْ «الْخَازِن»^(١).

قوله: (جمع فتى) أي: كصبي وصبيّة.

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُغَ أَئْيُ الْحَرِيِّنَ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾

﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾: أصْلَحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هِدَايَةً.

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: أَنْمَنَاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: مَعْدُودَةٌ، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنَبْلُغَ﴾: عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿أَيُّ الْحَرِيِّنَ﴾: الْفَرِيقَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ فِي مُدَّةِ لُبُثِهِمْ ﴿أَحْصَى﴾: فَعَلَ بِمَعْنَى (ضَبَطَ) - ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾: لِلْبُثِّهِمْ، - مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ - ﴿أَمَدًا﴾: غَايَةً.

حاشية الصاوي

قوله: (أصلح) أي: أو يسر.

قوله: (هداية) أي: ثببتنا على الإيمان، وتوفيقاً للأعمال الصالحة.

قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ مفعوله محذوف، تقديره: حجاباً مانعاً لهم من السماع، وهذا هو المعنى الحقيقي وليس مراداً، بل المراد: أَنْمَنَاهُمْ؛ ففي الكلام تجوُّزٌ؛ حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الضرب (ضربنا) بمعنى: أَنْمَنَّا استعارة تصريحية تبعية.

قوله: (معدودة) أشار بذلك إلى أن ﴿عَدَدًا﴾ مصدر بمعنى: معدودة، نعت لـ ﴿سِنِينَ﴾، وسيأتي عدّها في الآية.

قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عما يقال: كيف قال تعالى: ﴿لِنَبْلُغَ﴾ مع أنه تعالى عالم بكل شيء أزلاً؟!

فأجاب بقوله: (علم مشاهدة)، والمعنى: ليظهر ويُشاهد ويحصل لهم ما تعلّق به علمنا أزلاً من ضَبَطَ مُدَّتَهُمْ.

قوله: (الفريقين المختلفين) قيل: المراد بالفريقين: أصحاب الكهف؛ لافتراقهم فرقتين: فرقة تقول: يوم، وفرقة تقول: بعض يوم، وقيل: هم أهل المدينة؛ افترقوا فرقتين في قدر مُدَّتَهُمْ بالتَّخْمِينِ وَالظَّنِّ.

قوله: (فعل) أي: ماضٍ، وليس اسم تفضيل؛ لأنه لا يبنى من غير الثلاثي.

قوله: (للبشهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله: (متعلق بما بعده) أي: حال منه، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول ﴿أَحْصَى﴾.

تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾

(١٣ - ١٤) ﴿تَحْنُ نَفْسُ﴾: نَقْرًا ﴿عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: قَوَّيْنَاهَا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بَيْنَ يَدَي مَلِكِهِمْ وَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿ءِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أَي: قَوْلًا ذَا شَطَطٍ أَي: إِفْرَاطٍ فِي الْكُفْرِ إِنْ دَعَوْنَا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَرَضًا.

حاشية الصاوي

- قوله: ﴿تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ﴾) أي: نفصل لكم خبرهم يا محمد.
- قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾) الباء: للملابسة، والجار والمجرور حال من: (نبا).
- قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾) أي: شباب، كانوا من عظماء أهل تلك المدينة، وأحدهم كان وزيراً للملك.
- قوله: ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾) أي: صدّقوا به وانقادوا لأحكامه.
- قوله: ﴿قَوَّيْنَاهَا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ﴾) أي: حيث خالفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف.
- قوله: ﴿إِذْ قَامُوا﴾) ظرف لـ(ربطنا) أي: ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم.
- قوله: ﴿بَيْنَ يَدَي مَلِكِهِمْ﴾) أي: واسمه دقيانوس.
- قوله: ﴿فَقَالُوا﴾) أي: خطاباً للملك، ثلاث جمل، وآخرها قوله: ﴿شَطَطًا﴾.
- قوله: ﴿لَنْ نَدْعُوَ﴾) أي: نعبد.
- قوله: ﴿أَي: قَوْلًا ذَا شَطَطٍ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿شَطَطًا﴾ منصوب على المصدرية، صفة لمحذوف على حذف مضاف.
- قوله: ﴿أَي: إِفْرَاطٍ فِي الْكُفْرِ﴾) أي: مجاوزة الحد فيه.

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ
 لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾

﴿١٥﴾ هَؤُلَاءِ - مُبْتَدَأ - ﴿قَوْمُنَا﴾ - عطف بيان - ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا﴾ :
 هَلَّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ : على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ : بحجة ظاهرة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾
 أي : لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى .

﴿١٦﴾ قَالَ بَعْضُ الْفَتِيَةِ لِبَعْضٍ : ﴿وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ
 يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ - بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس - :
 حاشية الصاوي

قوله : ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك ،
 وآخرها قوله : ﴿كَذِبًا﴾ .

قوله : ﴿عطف بيان﴾ أي : أو بدل .

قوله : ﴿اتَّخَذُوا﴾ خبر المبتدأ .

قوله : ﴿هَلَّا﴾ أشار بذلك إلى أن (الولا) للتحضيض ، والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم :
 تذاكر التوحيد ، وتقوية أنفسهم عليه .

قوله : ﴿على عبادتهم﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

قوله : ﴿أي : لا أحد﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي .

قوله : ﴿قال بعض الفتية﴾ قدره المفسر ؛ إشارة إلى أن (إذ) ظرف منصوب بمحذوف ؛
 أي : قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم .

قوله : ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (ما) : موصولة ، أو مصدرية ، والمعنى : وإذا اعتزلتموهم
 والذي يعبدونه غير الله ، أو ومعبوداتهم غير الله .

قوله : ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ﴾ أي : ييسر ويوسع .

قوله : ﴿وبالعكس﴾ أي : فهما قراءتان سبعيتان^(١) .

(١) قرأ بكسر الميم وفتح الفاء الجمهور ، ونافع وابن عامر بالعكس . انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٥٥) .

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ

ما تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ غَدَاءٍ وَعِشَاءٍ .

﴿١٧﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ ﴿١﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -: تَمِيلُ ﴿٢﴾ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴿٣﴾ : نَاحِيَّتَهُ، ﴿٤﴾ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴿٥﴾ : تَتْرُكُهُمْ وَتَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ فَلَا تُصِيبُهُمُ الْبَتَّةَ، ﴿٦﴾ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴿٧﴾ : مُتَّسِعٌ مِنَ الْكَهْفِ يَنَالُهُمْ بَرْدُ الرِّيحِ وَنَسِيمُهَا، ﴿٨﴾ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ ﴿٩﴾ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ : دَلَائِلُ قُدْرَتِهِ، ﴿١١﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ

حاشية الصاوي

قوله: (من غداء أو عشاء) أي: أو غير ذلك.

قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ الخطاب للنبي، أو لكلِّ أحدٍ، والمعنى: لو كنت هناك عندهم وأطلعت على كهفهم.. لرأيت الشمس إذا طلعت... إلخ.

قوله: (بالتشديد) أي: فأصله: تتزاور، قلبت التاء زايًا وأدغمت في الزاي.

قوله: (والتخفيف) أي: بحذف إحدى التائين، وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (ناحيته) أشار بذلك إلى أن ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ظرفًا مكان بمعنى: جهة اليمين، وجهة الشمال، والمراد: يمين الداخل للكهف وشماله، وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش، فتميل عنهم الشمس طالعةً وغاربةً؛ لثلاث تؤذيهم بحرَّها، ولا يُنافي هذا ما تقدّم في القصة: أنه سدَّ باب الكهف وبُني عليه مسجدٌ؛ لأنَّ الكهف له محلٌّ منفتح من أعلاه جهة بنات نعش^(٢).

قوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: وسطه، والجملة حالية.

قوله: (المذكور) أي: من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم.

قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ جملة معترضة في أثناء القصة؛ لتسليته ﷺ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشديد الزاي وتخفيف الراء مضمومة، والباقون وهم عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الزاي والواو، ولا خلاف في ضم الراء. انظر «السراج المنير» (٣٥٦/٢).

(٢) بنات نعش: علم لكواكب معروفة في السماء، ويُقال: بنات نعش الكبرى، وبنات نعش الصغرى، وأصحاب النجوم يُسمون الكبرى: الدب الأكبر، والصغرى: الدب الأصغر. انظر «حاشية الشهاب» (٨٢/٦).

وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ

وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

﴿١٨﴾ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي: مُتَبَهِّينَ لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مُنْفَتِحَةٌ، - جمع (يَقِظ) بِكسر القاف - ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيامٌ جمع (راقِد)، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئَلَّا تَأْكُلَ الْأَرْضُ لُحُومَهُمْ، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يَدَيْهِ ﴿بِالْوَصِيدِ﴾: بِفِنَاءِ الْكَهْفِ، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة، ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا﴾ أي: معينا.

قوله: ﴿مُرْشِدًا﴾ أي: هاديا.

قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ خطاب للنبي، أو لكل أحد.

قوله: (بكسر القاف) أي: ك: فخذ وأفخاذ، وتضم أيضا ك: عضد وأعضاء.

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾... إلخ قيل: يُقَلَّبُونَ في كل سنة مرة في يوم عاشوراء، وقيل: يُقَلَّبُونَ مرتين، وقيل: كل تسع سنين، والمقلب لهم قيل: الله، وقيل: ملك بأمره تعالى.

قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ وكان أصفر اللون، وقيل: أسمر، وقيل: كلون السماء، واسمه: قطمير، وقيل: ريان، وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة، وبهذا تعلم أَنَّ حَبَّ الصالحين والتعلق بهم يُورث الخير العظيم، والفوز بجَنّات النعيم.

قوله: ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾ منصوب بـ ﴿بَاسِطٌ﴾، وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع، بل المستمر، وقولهم: اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضي؛ أي: المنقطع^(١).

قوله: (بفناء الكهف) أي: رَحْبَتِهِ، وقيل: المراد بالوصيد: العتبة، وقيل: الباب، وقيل: التراب.

قوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي، أو لكل أحد.

(١) وقيل: المراد هنا: حكاية الحال؛ ألا ترى أن المضارع يَصِحُّ وقوعه هنا فيقال: يسط ذراعيه، وقيل: اسم الفاعل يعمل ولو كان بمعنى الماضي، وهو مذهب الكسائي وهشام وابن مضاء. انظر «شرح الرضي على الكافية» (٤١٨/٣).

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِيسَاءِ لُؤْلُؤًا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ - بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا -، مَنَعَهُمُ اللَّهُ بِالرُّغْبِ مِنْ دُخُولِ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ.

﴿١٩﴾ وَكَذَلِكَ ﴿كَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ مَا ذَكَّرْنَا﴾ ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنِيسَاءِ لُؤْلُؤًا بَيْنَهُمْ﴾ عَنْ حَالِهِمْ وَمُدَّةِ لُبِّهِمْ، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِرَارًا﴾ منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله، أو على الحال؛ أي: فارًا.

قوله: ﴿رُغْبًا﴾ أي: فرعاً^(١)، رُوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غَرَوْنَا مع معاوية نحو الروم، فَمَرَرْنَا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع من ذلك من هو خير منك: ﴿لَوْ أَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث معاوية أناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف.. بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم^(٢).

قوله: (بسكون العين وضمها) ظاهره: أنَّ القراءات أربع، وليس كذلك، بل ثلاث فقط سبعيات؛ لأن اللام إن حُفِّفَتْ جاز في العين السكون والضم، وإن شُدِّدَتْ تعيَّن في العين السكون فقط^(٣).

قوله: (كما فعلنا بهم ما ذكر) أي: من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة، فيكون إيقاظهم آيةً أخرى يُعتبر بها هم وغيرهم.

قوله: ﴿لِنِيسَاءِ لُؤْلُؤًا﴾ اللام: لِّلْسَبِيَّةِ، أو للعاقبة والصيرورة.

قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ أي: واحد منهم، وهو كبيرهم ورئيسهم مكسملينا.

(١) واختلف في سبب ذلك الرعب؛ فقال الكلبي: لأنَّ أعينهم مفتحة كالمتيقظ، وقيل: إنَّ الله تعالى منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد. انظر «الفتوحات الإلهية» (١٤/٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (١٥٩/٥).

(٣) قرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم، والباقون بتخفيفها، والسوسي بإبدال الهمزة ياء على أصله وفقاً ووصلاً، وحمزة في الوقف فقط، وقرأ ابن عامر والكسائي: (رغباً) بضم العين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٣٥٧/٢).

كَمْ لَيْتَكُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ لَأَنَّهُمْ دَخَلُوا الْكَهْفَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَبُعِثُوا
عِنْدَ غُرُوبِهَا، فَظَنُّوا أَنَّهُ غُرُوبُ يَوْمِ الدُّخُولِ، ثُمَّ ﴿قَالُوا﴾ مُتَوَقِّفِينَ فِي ذَلِكَ: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَا لَيْتُمْ فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرَقِكُمْ﴾ - بِسُكُونِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا -: بِفِضَّتِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ يُقَالُ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمْ لَيْتُمْ﴾ (﴿كَمْ﴾): منصوبة على الظرف، ومميزها محذوف تقديره: كم يوماً؟

قوله: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (﴿أَوْ﴾): للشك منهم؛ لترددهم في غروب الشمس وعدمه.

قوله: (لأنهم دخلوا الكهف... إلخ) ظاهره: أنهم ناموا في يوم دخولهم، وتقدم أنهم مكثوا
مدة في الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون، فكان المناسب أن يقول: (لأنهم ناموا طلوع
الشمس... إلخ).

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (أي: بعضهم لبعض).

قوله: (متوقفين في ذلك) أي: في قدر مدة لبثهم.

قوله: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ﴾ (هذا تفويض منهم الأمر لله؛ احتياطاً وحسن أدب).

قوله: ﴿فَأَبَعَثُوا﴾ (أي: أرسلوا).

قوله: ﴿أَحَدَكُمْ﴾ (أي: وهو تملخوا).

قوله: ﴿بِوَرَقِكُمْ﴾ (قيل: الورق: الفضة المضروبة، وقيل: الفضة مطلقاً، وتحذف فاء الكلمة
فيقال: رقة).

قوله: (بسكون الراء وكسرهما) سبعتان^(١).

قوله: ﴿هَذِهِ﴾ (أي: الدراهم التي كانت معهم من بئوت آبائهم؛ فإنهم أنفقوا بعضها قبل
نومهم، وبقي بعضها معهم، فوضعوه عند رؤوسهم حين ناموا، وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس،
وكان الواحد منها قدر خُف ولد الناقة الصغير).

(١) قرأ أبو عمرو وحمة وأبو بكر بفتح الواو وسكون الراء، وباقي السبعة بكسر الراء. انظر «الدر المصون» (٧/٤٦٢).

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٠﴾

إِنَّهَا الْمُسَمَّاءُ الْآنَ طَرَسُوسُ بِفَتْحِ الرَّاءِ، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أيُّ أطعمة المدينة أَحَلُّ، ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يَقْتُلُوكُمْ بِالرَّجْمِ، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾ أي: إِنْ عُدْتُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴿أَبَدَا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (الآن) أي: في الإسلام، وأمّا في الجاهلية فكانت تُسمى: أفسوس، وقيل: إن أفسوس من أعمال طرسوس^(١).

قوله: (أحلُّ) أي: أحلُّ ذبيحة؛ لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت، وكان فيهم قومٌ يخفون إيمانهم، فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين.

قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: يترفق في ذهابه ورجوعه؛ لئلا يُعرف.

قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا يفعلنَّ ما يؤدّي إلى شعور أحدٍ بكم.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل المدينة.

قوله: ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يغلبوك ويظلموك عليكم.

قوله: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: يُصَيِّرُوكُمْ إِلَيْهَا.

قوله: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ أي: لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرهاً.

إن قلت: كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم مع الإكراه المستفاد من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ مع أن المكرّة غيرُ مؤاخَذ بما أكره عليه؟

أجيب: بأن هذا مخصوصٌ بشريعتنا، وأمّا مَنْ قبلنا فكانوا يؤاخذون بالإكراه؛ بدليل قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ، وَالنِّسْيَانُ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢).

(١) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مُهملتين، بينهما واو ساكنة، كلمة عجمية رومية، ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر، وهي مدينة بـشغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر «معجم البلدان» (٢٨/٤)، وأما أفسوس... فهي بليدة صغيرة تُعرف باسم (باربوز) كما ذكره الغزي في «نهر الذهب في تاريخ حلب» (١/٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٠٤٣) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه، وفيه: (إن الله قد تجاوز عن أمتي) بدل (رفع عن أمتي).

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ
 مِنِّيهِمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ
 لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾

﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ: كما بَعَثْنَاهُمْ ﴿أَعْتَرْنَا﴾: أَطْلَعْنَا ﴿عَلَيْهِمْ﴾: قَوْمَهُمَ وَالْمُؤْمِنِينَ؛
 ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: أَي: قَوْمُهُمْ ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بِالْبَعْثِ ﴿حَقٌّ﴾: بِطَرِيقِ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِنَامَتِهِم
 الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ وَإِبْقَائِهِمْ عَلَى حَالِهِمْ بِلا غِذَاءٍ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا
 رَيْبَ﴾: لَا شَكَّ ﴿فِيهَا إِذْ﴾: مَعْمُولٌ لـ ﴿أَعْتَرْنَا﴾ - ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾: أَي: الْمُؤْمِنُونَ وَالْكُفَّارُ
 ﴿يَنبَغِيهِمْ أَمْرُهُمْ﴾: أَمْرُ الْفِتْيَةِ فِي الْبِنَاءِ حَوْلَهُمْ، ﴿فَقَالُوا﴾: أَي: الْكُفَّارُ: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾
 أَي: حَوْلَهُمْ ﴿بُنْيَانًا﴾: يَسْتَرْهُمْ، ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ: أَمْرُ الْفِتْيَةِ
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ﴾: حَوْلَهُمْ ﴿مَسْجِدًا﴾: يُصَلِّي فِيهِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى بَابِ
 الْكَهْفِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ (أَي: كما أنماهم وبعثناهم).

قوله: (قومهم والمؤمنين) قدر ذلك؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿أَعْتَرْنَا﴾ محذوف.

قوله: (أَي: قومهم) أَي: ذرية قومهم؛ لأن قومهم قد انقرضوا.

قوله: (بلا غذاء) أَي: قوت.

قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ (أَي: القيامة).

قوله: (معمول لـ ﴿أَعْتَرْنَا﴾) المناسب جعله ظرفاً لمحذوف، تقديره: اذكر، أو لقوله: ﴿قَالَ
 الَّذِينَ غَلَبُوا﴾.

قوله: (أَي: المؤمنون والكفار) أَي: فقال المؤمنون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛
 لأنهم على ديننا، وقال الكفار: نبني عليهم بيعة؛ لأنهم من أهل ملتنا.

قوله: ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلام المتنازعين).

قوله: (وهم المؤمنون) أَي: الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح.

قوله: (وفعل ذلك على باب الكهف) أَي: وبقي ظهر الكهف مفتوحاً كما تقدّم.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ

﴿٢٢﴾ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفِثية في زمن النبي ﷺ، أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظناً في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له أي: لظنهم ذلك، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ - الجملة من المبتدأ وخبره صفة ﴿سَبْعَةٌ﴾ بزيادة الواو، وقيل: تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالמושوف -، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مريضٌ وصحيح،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: المتنازعون) أي: وهم النصارى والمؤمنون.

قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (هم).

قوله: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة لـ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾.

قوله: (نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز.

قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظناً من غير دليل ولا برهان.

قوله: (أي: المؤمنون) أي: قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام.

قوله: (بزيادة الواو) أي: من غير ملاحظة معنى التوكيد^(١).

قوله: (وقيل: تأكيد) أي: زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالמושوف^(٢)، وحكمة زيادتها: الإشارة إلى تصحيح هذا القول دون ما قبله.

قوله: (ودلالة على لصق الصفة... إلخ) العطف للتفسير على ما قبله، فهما قولان فقط.

(١) على رأي الأخفش والكوفيين؛ لأن وجودها في الكلام كالعدم في عدم إفادة أصل معناها. «فتوحات» (١٧/٣).

(٢) بمعنى: أن اتصافه بها أمرٌ ثابت مستقر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكَآئِن قَرِيْبٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾، وإذا كان اتصافه بها ثابتاً.. كان الموصوف ثابتاً لا محالة، وهذا ما جَنَحَ إليه الزمخشري، واختاره ابن هشام. اهـ «فتوحات» (١٧/٣)، وانظر بقية الأقوال في «الدر المصون» (٤٦٧/٧).

قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل، وذكرهم سبعة، ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تُجَادِلُ ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ بما أنزل عليك، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾: تَطْلُبُ الْفَتْيًا ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أي: من غيره.

قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: وهو النبي ومن سمع منه.

قوله: (وذكرهم سبعة) أي: وهم: مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، ونيونوس، وسارينوس، وذونوانس، وفليستطيونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير، وقيل: حمران، وقيل: ريان.

قال بعضهم: علّموا أولادكم أسماء أهل الكهف؛ فإنها لو كتبت على باب دار.. لم يُحرق، وعلى متاع.. لم يُسرق، وعلى مركب.. لم تغرق.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء: للطلب، والهرب، ولطفء الحريق؛ تكتب على خِرقة وترمى في وسط النار تطفأ بإذن الله، ولبكاء الأطفال، والحمى المثلثة، وللصداع تُشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الآثمين. انتهى.

قوله: ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي: غير متعمّق فيه، بل نقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم.

قوله: (بما أنزل إليك) أي: وهو القرآن.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحداً عن قصتهم؛ فإنّ فيما أوحى إليك الكفاية.

قوله: (اليهود) المناسب: عدم التقييد بذلك، بل يُقيد بالنصاري؛ لما روي: أنه ﷺ سأل نصارى نجران عنهم، فنهي عن ذلك ^(١).

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٣٨٤/١٠).

وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ...

(٢٣ - ٢٤) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غداً» ولم يقل: إن شاء الله، فنزل: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يُستقبل من الزمان، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا مُلتبساً بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ تَقُولَ: إن شاء الله، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مَشِيئَتَهُ مُعَلِّقاً بِهَا ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليل بها، ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس، حاشية الصاوي

قوله: (وسأله أهل مكة) أي: بتعليم اليهود لهم حيث؛ قالوا لهم: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فسألوه عنها، فقال: «أبقوني غداً أخبركم» ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً - أو أربعين - حتى شقَّ عليه، وتمارت قريش في ذلك^(١).

قوله: (فنزل) أي: بعد انقضاء تلك المدة تعليمياً لأمته الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى؛ فإن الإنسان لا يدري ما يفعل به، فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيّد الخلق فما بالك بغيره؟!

قوله: (أي: لأجل شيء) أي: تهتمُّ به وتريد القدوم عليه.
قوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ المراد بالفعل: ما يشمل القول.
قوله: (أي: فيما يستقبل من الزمان) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالغد: ما يستقبل؛ كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير، لا خصوص اليوم الذي بعد يومك.
قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: لا تقولَنَّ لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلُّسك بالتعليل على مشيئة الله.
قوله: (ويكون ذكرها بعد النسيان... إلخ) أي: لما روي أنه ﷺ لما نزلت الآية.. قال: «إن شاء الله»^(٢).

قوله: (قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس) أي: ولو انفصل عن الكلام السابق.

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٥٨) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ، وفيه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أن تقول: «إن شاء الله».

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلِيُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ مِنْ خَبَرِ أَهْلِ الْكَهْفِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوتِي ﴿رَشَدًا﴾: هِدَايَةً، وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلِيُثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ - بِالتَّنْوِينِ - ﴿سِنِينَ﴾

حاشية الصاوي

وقال ابن عباس: يجوز انفصاله إلى شهر، وقيل: إلى سنة، وقيل: أبداً، وقيل: إلى أربعة أشهر، وقيل: إلى ستين، وقيل: ما لم يأخذ في كلام آخر، وقيل: يجوز بشرط أن ينوي في الكلام، وقيل: يجوز انفصاله في كلام الله تعالى؛ لأنه عالم بمُراده لا في كلام غيره.

وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله؛ فإنَّ شرط حلِّ الأيمان بالمشيئة: أن تتصل، وأن يقصد بها حلُّ اليمين، ولا يضرُّ الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس، ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة أو الحديث الصحيح والآية؛ فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربما أداه ذلك إلى الكفر؛ لأنَّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

قوله: ﴿وَقُلْ﴾ أي: لأهل مكة.

قوله: ﴿أَنْ يَهْدِيَنَّ﴾ أي: يدلني.

قوله: (في الدلالة) متعلق بـ(أَقْرَبَ).

قوله: ﴿رَشَدًا﴾ إما مفعول مطلق لـ(يهديني)؛ لموافقة له في المعنى، وإليه يشير المفسر بقوله:

(هداية)، ويصح أن يكون تمييزاً لـ(أَقْرَبَ) أي: لأقرب هداية من هذا.

قوله: (وقد فعل الله تعالى ذلك) أي: هداه لما هو أعجب، وأطلعه على ما هو أغرب؛ حيث

شاهد ما شاهد في ليلة الإسراء، وأعطاه علوم الأولين والآخرين، وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه، وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق.

قوله: ﴿وَلِيُثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ هذا ردٌّ على أهل الكتاب حيث؛ اختلفوا في مدة لبثهم.

وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا

- عَطْفُ بَيَانٍ لـ ﴿تِلْكَ مِائَةٌ﴾ -، وَهَذِهِ السُّنُونَ الثَّلَاثُمِائَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ شَمْسِيَّةٌ، وَتَزِيدُ الْقَمَرِيَّةَ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعَرَبِ تِسْعَ سِنِينَ، وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ أَي: تِسْعَ سِنِينَ، فَالْثَلَاثُمِائَةُ الشَّمْسِيَّةُ ثَلَاثُمِائَةُ وَتِسْعُ قَمَرِيَّةٌ.

﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا ﴿مِمَّنْ اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ،﴾

حاشية الصاوي

قوله: (عطف بيان) أي: لا تمييزاً؛ لأنَّ تمييز المئة في الكثير مفرد مجرور، وفي قراءة بالإضافة، وعليها: فتكون من القليل^(١)، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وَمِئَةٌ وَالْأَلْفُ لِلْفَرْدِ أَضِيفَ وَمِئَةٌ بِالْجَمْعِ نَزْرًا قَدْ رُدِفَ

قوله: (تسع سنين) أي: لأنَّ كُلَّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثُ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٌ تَزِيدُ سَنَةً قَمَرِيَّةً.

قوله: (أي: تسع سنين) أشار بذلك إلى أنه حذف المميِّز من الثاني؛ للدلالة الأول عليه.

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ إِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ؟

أَجِيبْ بِأَوْجِهِ:

أحدها: أَنَّ المعنى: قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَنَّ الثَّلَاثَ مِئَةَ سَنَةٍ وَالتَّسْعَ قَمَرِيَّةٌ لَا شَمْسِيَّةٌ، خِلَافاً لَزَعَمَ بَعْضُ الْكَافِرِ أَنَّهَا شَمْسِيَّةٌ.

ثانيها: أَنَّ المعنى: اللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ لُبِّهِمْ وَكَيْفِيَّتِهِ.

ثالثها: أَنَّ المعنى: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُدَّةِ لُبِّهِمْ قَبْلَ الْبَعْثِ وَبَعْدَهُ.

واعلم: أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي أَصْحَابِ الْكَهْفِ؛ هَلْ مَاتُوا وَدَفِنُوا أَوْ هُمْ نِيَامٌ وَأَجْسَامُهُمْ مُحْفُوظَةٌ؟

والصحيح: أَنَّهُمْ نِيَامٌ وَيَسْتَيْقِظُونَ عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى، وَيَحْجُونَ مَعَهُ، وَيَمُوتُونَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ

تَأْتِي الرِّيحُ اللَّيْنَةُ كَمَا قَالَ ﷺ: «لَيَحْجُنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَحْجُوا

بَعْدَ» ذَكَرَهُ ابْنُ عِيْنَةَ^(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ: أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) قرأ حمزة والكسائي بغير تنوين في الوصل، والباقون بالتنوين. انظر «السراج المنير» (٢/٣٦٦).

(٢) كما في «الخلاصة»، باب: العدد.

(٣) أورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/٥١١).

لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ، وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

﴿لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه، ﴿أَبْصَرَ بِهِ﴾ أي: بإلهه، هي صيغة تَعَجُّب، ﴿وَأَسْمِعَ﴾ به كذلك، بِمَعْنَى: ما أَبْصَرَهُ وما أَسْمَعَهُ! وهما على جِهَةِ الْمَجَازِ، والمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ وَسَمْعِهِ شَيْءٌ، ﴿مَا لَهُمْ﴾: لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيِّ﴾: نَاصِرٍ، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الشَّرِيكَ. (٢٧ - ٢٨) ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ، وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: مُلْجَأً،

حاشية الصاوي

ورسوله، وأنه يمرُّ بالروحاء حاجًا ومعتمرًا ويجمع الله له ذلك، فيجعل الله حوارته أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجًا؛ فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا. انتهى^(١).

قوله: (أي: علمهما) أي: علم السماوات والأرض وما غاب فيهما.

قوله: (على جهة المجاز) أي: لأنَّ التعجب: استعظام أمر خفي سببه، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى، فإحاطته بالموجودات سمعاً وبصراً وعِلْماً أمرٌ ثابت بالبرهان، وصار كالضروري، وإنما المقصود ذكر العظمة لا حقيقة التعجب.

قوله: ﴿مِنْ وَلِيِّ﴾ إما مبتدأ مؤخر، أو فاعل بالظرف.

قوله: ﴿فِي حُكْمِهِ﴾ أي: قضاؤه.

قوله: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي: ولا تعتبر بهم.

قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يغيّر شيئاً من القرآن؛ فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله، بل هو محفوظ من ذلك، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة. قوله: (ملجأ) أي تلتجئ إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى.

(١) رواه القرطبي في «التذكرة» (ص ٧٧٣).

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ : أَحْبِسْهَا ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ
﴿وَجْهَهُ﴾ تَعَالَى لَا شَيْئاً مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ : تَنْصَرِفُ ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عَبَّرَ بِهِمَا عَنْ صَاحِبَيْهِمَا

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ في هذه الآية أمرٌ للنبي ﷺ بمراعاة فقر المسلمين والجلوس معهم، وهي أبلغ من آية (الأنعام) ^(١) ؛ لأنَّ تلك إنما نُهيَّ فيها عن طردهم، وهذه أُمِرَ بحبس نفسه على الجلوس معهم، كأنَّ الله يقول له : احْبِسْ نفسك على ما يكرهه غيرك من رثاء ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظاهر مع فساد الباطن غيرُ نافع، قال الشاعر : [الوافر]

جمالُ الوجهِ مَعَ قُبْحِ النُّفُوسِ كَقُنْدِيلٍ عَلَى قَبْرِ الْمُجُوسِ
قوله : ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي : يَعْبُدُونَهُ.

قوله : ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ المراد بالغداة : أوائل النَّهَارِ وأواخر الليل، وبالعشي : أوائل الليل وأواخر النهار، وحينئذٍ : فقد استغرقوا أوقاتهم في العبادة.

قوله : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي : يَقْصِدُونَ بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم ^(٢).

قوله : (لا شَيْئاً مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا) أي : ولا شَيْئاً مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وهذا مقام الكَمَلِ، والصَّحَابَةُ به أخرى.

قوله : (تَنْصَرِفُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) هو كنايةٌ عن الإعراض عنهم؛ أي : لا تُعْرِضْ عَنْهُمْ، بل أَقْبِلْ عَلَيْهِمْ، وهو جوابٌ عمَّا يُقال : كان مقتضى الظاهر : ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ بِالنَّصْبِ؛ لأنه فعلٌ متَعَدٌّ مع أنَّ التلاوة بالرفع لا غير، فأجاب المفسر : بأنها وإن كانت بالرفع إلا أنها تَرْجِعُ لِمَعْنَى النَّصْبِ؛

(١) وهي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَقْرَأَهُمْ فَنَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(٢) عداه ب (على) كقول الشاعر :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرَ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

والمراد : رَضِيَتْ عَنِّي . انظر «خزانة الأدب» (١٠/١٣٨).

تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن، هو عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَأَصْحَابُهُ، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي الشُّرْكَ ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: إسرافاً.

حاشية الصاوي

لأنَّ الفعل مُسَنَّدٌ لِلْعَيْنِينَ، وهو في الحقيقة مُسَنَّدٌ لِمُصَاحِبِهِمَا؛ ولذلك عَبَّرَ بِـ(تَنَصَّرَفَ) لِتَصْحِيحِ رَفْعِ (الْعَيْنِينَ) دُونَ تَصَرُّفٍ.

قوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الجملة حال من الكاف في ﴿عَيْنَاكَ﴾، والشرط موجود وهو كون المضاف جزءاً من المضاف إليه، والمعنى: لا تَنَصَّرَفْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ حَالُ كَوْنِكَ طَالِباً زِينَةَ الدُّنْيَا بِمَجَالَسَةِ الْأَغْنِيَاءِ وَصَحْبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالخَطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُرَادُ هُوَ وَغَيْرُهُ، وَإِنَّمَا خَوَّطَبَ النَّبِيُّ وَإِنْ كَانَ مَعْصُوماً مِنْ ذَلِكَ؛ تَسْلِيَةً لِلْفُقَرَاءِ وَتَطْمِيناً لِقُلُوبِهِمْ^(١).

قوله: (وهو عيينة بن حصن) أي: الفزاري، أتى النبي ﷺ قبل أن يُسَلِّمَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ سَلْمَانُ، وَعَلَيْهِ شَمْلَةٌ صُوفٌ قَدْ عَرِقَ فِيهَا، وَبِيَدِهِ خَوْصٌ يَشْقُهُ وَيَنْسُجُهُ، فَقَالَ عَيْنَةُ لِلنَّبِيِّ: أَمَا يُؤْذِيكَ رِيحُ هَؤُلَاءِ؟! وَنَحْنُ سَادَاتُ مَضَرٍ وَأَشْرَافُهَا إِنْ أَسْلَمْنَا.. تَسَلَّمَ النَّاسُ، وَمَا يَمْنَعُنَا مِنْ اتِّبَاعِكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَنَحْنُ عَنْكَ حَتَّى نَتَّبِعَكَ، أَوْ اجْعَلْ لَنَا مَجْلِساً وَلَهُمْ مَجْلِساً، وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ فِي حَنِينٍ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ لِقُلُوبِهِمْ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا مِئَةَ بَعِيرٍ، وَكَذَلِكَ أَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ بْنَ مُرْدَاسٍ أَرْبَعِينَ بَعِيراً.

وقيل: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبع مئة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يَخْرُجُونَ إِلَى تِجَارَةٍ وَلَا زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ، يُصَلُّونَ صَلَاةً وَيَنْتَظِرُونَ أُخْرَى، فَلَمَّا نَزَلَتْ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ»^(٢).

قوله: ﴿فُرُطًا﴾ مصدر (أفرط) سماعي؛ أي: متجاوزاً فيه الحد.

(١) ولم يرد النبي ﷺ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ اللَّهُ نَهَاهُ عَنْ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَيْسَ هَذَا بِأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَلَ عَنْكَ﴾ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ أَعَادَهُ مِنَ الشُّرْكِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى فَرْضِ الْمَحَالِ. «فتوحات» (٢١/٣) نقلاً عن «حاشية العلامة الكرخي على الجلالين».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٦٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وانظر سبب النزول في «تفسير الخازن» (١٦٣/٣).

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُلِ﴾ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ: هَذَا الْقُرْآنُ ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿تَهْدِيدٌ لَهُمْ﴾، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْكَافِرِينَ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: مَا أَحَاطَ بِهَا، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كَعَكْرِ الزَّيْتِ، ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ مِنْ حَرِّهِ إِذَا قُرِبَ إِلَيْهَا، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هُوَ ﴿وَسَاءَتْ﴾ أَي: النَّارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: - تَمَيِّزُ مَنْقُولٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقُلِ﴾ له) أي: لُعَيْنَةَ بن حصن.

قوله: ﴿الْحَقُّ﴾) خبر لمبتدأ محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (هذا القرآن).

قوله: (تهديدٌ لهم) أي: تخويفٌ وردعٌ، لا تخيير وإباحة؛ لذكره الوعد الحسن على الإيمان، والوعيد بالنار على الكفر؛ فالعاقِل لا يَرْضَى بفوات النعيم، واختيار العذاب.

قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾) راجع لقوله: ﴿وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ راجع لقوله: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾، فهو لَفٌّ ونَشْرٌ مشوِّش.

قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾) صفة لـ ﴿نَارًا﴾، والسرادق: كناية عن السُّور، وهو نار أيضاً؛ لما ورد: «أَنَّ أَرْضَهَا مِنْ رِصَاصٍ، وَحِيطَانُهَا مِنْ نَحَاسٍ، وَسَقْفُهَا مِنْ كَبْرِيتٍ، وَوَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ؛ فَإِذَا أُوقِدَتْ فِيهَا النَّارُ.. صار الكل ناراً»^(١)، أجازنا الله منها بمنه وكرمه.

قوله: ﴿يُغَاثُوا﴾) فيه مُشَاكَلَةٌ لقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾، وتهكُّمٌ بهم؛ إذ لا إغاثة فيه؛ لأنه لا ينقذ من الهلاك^(٢).

قوله: (كعكر الزيت) بفتحَتَيْنِ هو: اسمٌ لما يبقى في إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه، وهو تشبيهٌ في الصورة، وإلا.. فهو نارٌ كما وصفه بقوله: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

قوله: (أي: قَبَّحَ مرتفعها) أي: فحوَّلَ الإسنادَ إلى النار ونصب ﴿مُرْتَفَقًا﴾ على التمييز؛ لأنَّ ذكر الشيء مبهماً ثم مفسراً أوقع في النفس.

(١) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٢) في (ط٢): (المهالك).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

عن الفاعل - أي: قُبِحَ مُرْتَفَقُهَا، وهو مُقَابِلُ لِقَوْلِهِ الْآتِي فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾،
وَالَا فَأَيُّ ارْتِفَاقٍ فِي النَّارِ؟

﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا - الْجُمْلَةُ خَبَرٌ
﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمَر - والمعنى: أَجْرَهُمْ، أي: نُثِيبُهُمْ بِمَا تَضَمَّنَهُ.
﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ - قيل:
﴿مِنْ﴾ زائدة، وقيل: لِلتَّبَعِيضِ -، وهي جَمْعُ أُسُورَةٍ (أَحْمِرَةٍ) جَمْعُ سِوَارٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (وهو مُقَابِل) أي: ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتي في الجنة.

قوله: (وَالَا) أي: وَإِلَّا نقل: إنه مُشَاكَلَةٌ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ.

قوله: (وفيها إقامة الظاهر مقام المضمَر) أي: وهو الرابطة؛ لأنه بمعنى الموصول الذي هو اسم
(إن) على حَدِّ: ^(١) [الطويل]

سُعَادُ الَّذِي أَضْنَاكَ حُبُّ سُعَادَا

قوله: (أي: نُثِيبُهُمْ) تفسير لقوله: ﴿لَا نُضِيعُ﴾.

قوله: (بما تَضَمَّنَهُ) أي: بثوابِ تَضَمَّنَهُ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وقد اشتملت هذه
الآية على خمسة أنواع من الثواب: الأول: جَنَّاتُ عَدْنٍ، الثاني: تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ،
الثالث: يُحَلَّوْنَ فِيهَا، الرابع: يَلْبَسُونَ ثِيَابًا، الخامس: مُتَكِنِينَ... إلخ.

قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ أي: تحت مساكنهم.

قوله: (قيل: «من» زائدة) أي: بدليل آية (هل أتى): ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ﴾ [الإنسان: ٢١].

قوله: (وهي جَمْعُ أُسُورَةٍ) أي: ف(أَسَاوِرَ) جمع الجمع.

(١) تمامه كما في «شرح التسهيل» (١/٢١٢):

وإِعْرَاضُهَا عَنْكَ اسْتِمْرَازًا

وفيه: (التي) بدل (الذي)، والمراد: أَضْنَاكَ حُبُّهَا، فوضع الظاهر موضع الضمير.

مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ

﴿مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ﴾: مَا رَقٍّ مِنَ الدِّيْبَاجِ، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: مَا غُلِظَ مِنْهُ، وَفِي آيَةِ الرَّحْمَنِ: ﴿بَطَانَتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جَمَعَ أَرِيكَهُ وَهِيَ السَّرِيرُ فِي الْحَجَلَةِ، وَهِيَ بَيْتٌ يُزَيَّنُ بِالثِّيَابِ وَالسُّتُورِ لِلْعُرُوسِ، ﴿نِعَمَ الثَّوَابِ﴾: الْجَزَاءُ الْجَنَّةُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ (جاء في آية أخرى: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾، وفي أخرى: ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا﴾؛ فيلبس كلُّ واحدٍ الأساورَ الثلاثة؛ لما ورد أنه: «يُسَوَّرُ المؤمن في الجنة بثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ»^(١)، وفي «الصحيح»: «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الضوء»^(٢).

قوله: ﴿مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (جمع سندسة وإستبرقة، وقيل: ليسا جمعين)^(٣).

قوله: (من الديباج) أي: الحرير.

قوله: (بطانتها) أي: الفرش.

قوله: ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا﴾ (حالٌ عاملها محذوف؛ أي: يجلسون متكئين).

قوله: (جمع أريكة) أي: كسفينة، ولا يقال له: أريكة إلا إذا كان في داخل الحَجَلَةِ، وبدونها: سرير، وتقدم: «أنَّ السرير عليه سبعون فراشاً؛ كلُّ فراش عليه زوجة من الحور العين»^(٤).

قوله: (في الحجلة) بفتحيتين في محلِّ نصبٍ على الحال.

قوله: (للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة، لكن الجمع مختلف؛ فيقال: رجال عُرُسٌ، ونساء عرائسٌ.

قوله: (الجنة) قدره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف.

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٣٠/٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٩٣/١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وهل (إستبرق) عربيُّ الأصل، مشتق من البريق، أو مُعَرَّبٌ، أصله: استبره؟ خلافٌ بين اللغويين. انظر «الدر المصون» (٤٨٤/٧).

(٤) كما رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَحَسُنَتْ مُرْتَقَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَقَقًا﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَضْرَبَ﴾: اجْعَلْ ﴿لَهُمْ﴾: لِلْكَافَرِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(مُرْتَقَقًا)﴾ أي: مُتَنَفِّعًا وَمَسْكَنًا.

قوله: ﴿(وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا)﴾ قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم، وهما: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان مؤمنًا، وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرًا، فشبههما الله برجلين من بني إسرائيل أخوين: أحدهما مؤمن واسمه يهوذا - وقيل: تملیخا - والآخر كافر واسمه قيطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة (الصفات) بقوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ...﴾ [الصفات: ٥١] الآيات.

وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فاقتهما، فاشتري أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم؛ إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، وإنني اشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إن فلاناً بنى داراً، وإنني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إنني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إنني اشتري منك خدماً ومتاعاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها.

ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيت صاحبي لعلّه ينالني منه معروف، فجلس على طريق حتى مرّ به في خدمه وحشمه، فقام إليه، فنظره صاحبه فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتنني حاجة بعدك، فأتيتك؛ لتعينني بخير، قال: فما فعل بمالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره؟! فقصر عليه قصته، فقال: وإنك لمن المتصدقين بهذا، اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده، فقصي عليهما فتوفياً، فنزل فيهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ...﴾ [الخ: ١١].

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٩٠/٧) لعبد الرزاق وابن المنذر، وروي: أنه لما أتاه.. أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله، فنزل فيهما ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا زَكِّيَّينَ﴾، وهي من الأخبار الإسرائيلية.

مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾

﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ - بَدَل - وهو وما بعده تَفْسِيرٌ لِلْمَثَلِ ، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ : الْكَافِرُ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ : بُسْتَانَيْنِ ﴿مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يُقْتَاتُ بِهِ .
 ﴿٣٢﴾ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ - ﴿كِلْتَا﴾ : مُفْرَدٌ يَدُلُّ عَلَى التَّثْنِيَةِ : مُبْتَدَأ - ﴿ءَاتَتْ﴾ - خَبَرُهُ - ﴿أُكْلَهَا﴾ : ثَمَرَهَا ﴿وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ : تَنْقُصُ ﴿مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ أَي : شَقَقْنَا ﴿خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ يَجْرِي بَيْنَهُمَا .

حاشية الصاوي

وليس هذا مخصوصاً بأبي سلمة وأخيه، بل هو مثلٌ لكلِّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَتَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَتَرَكَ الْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ .
 قوله: (بدل) أي: ويصح أن يكون مفعولاً ثانياً؛ لأن (ضرب) مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنتين .

قوله: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلنا النخل حولهما ومُحِيطاً بِكُلِّ مِنْهُمَا .
 قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ أي: ليكونَ جَامِعاً لِلْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ .
 قوله: (مفرد) أي: باعتبار لفظه، وقوله: (بدل على التثنية) أي: باعتبار معناه، فاعتبر اللفظ تارةً فأفرد، والمعنى أخرى فثنى .

قوله: (مبتدأ) أي: وهو مرفوع بضمة مُقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر، و﴿كِلْتَا﴾: مضاف، و﴿الْجَنَّتَيْنِ﴾: مضاف إليه، وهذا إعرابه إن أضيف لظاهره؛ فإن أضيف لضمير كان ملحقاً بالمشئى؛ فيُعرب بالحروف .

قوله: ﴿ءَاتَتْ أُكْلَهَا﴾ هذا كناية عن نموها وزيادتها، فليست كالأشجار؛ يتمُّ ثمرها في بعض السنين، وينقص في بعض .

قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شَقَقْنَا^(١) .

قوله: (يجري بينهما) أي: ليسقي أرضه ومواسيه بسهولة .

(١) كذا في الأصول، ولعل نسخة «الجلال» التي عند المصنّف رحمه الله ليس فيها تفسير (وفجّرنا) .

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ

﴿٣٤﴾ وَكَانَ لَهُ ﴿مع الجنتين﴾ ثَمَرٌ ﴿ثَمَرٌ﴾ - يَفْتَحِ الثَّاءُ وَالْمِيمُ وَيَضُمُّهُمَا، وَيَضُمُّ الْأَوَّلَ وَسُكُونُ الثَّانِي، وَهُوَ جَمْعُ ثَمَرَةٍ كـ (شَجَرَةٍ وَشَجَرٍ، وَخَشْبَةٍ وَخُشْبٍ، وَبَدَنَةٍ وَبُذُنٍ) -، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ الْمُؤْمِنِ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يُفَاخِرُهُ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عَشِيرَةٌ.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ بِصَاحِبِهِ يَطُوفُ بِهِ فِيهَا وَيُريهِ أَثْمَارَهَا، وَلَمْ يَقُلْ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ أي: لأحدهما.

قوله: ﴿ثَمَرٌ﴾ المراد به: أمواله التي هي من غير الجنتين كالنقد والمواشي، وسميت ثمرًا؛ لأنه يشمر أي: يزيد.

قوله: (بفتح الثاء والميم... إلخ) القراءات الثلاثة سبعة^(١).

قوله: (وهي جمع «ثمرة» أي: بفتحتين، وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة؛ فالمفرد لا يختلف، وإنما الاختلاف في الجمع، فقوله: (كشجرة... إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ.

قوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث، وكلُّها شنيعة: الأولى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ...﴾ إلخ، الثانية: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ...﴾ إلخ، الثالثة: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً...﴾ إلخ.

قوله: (يفاخره) أي: يراجعه بالكلام الذي فيه الافتخار.

قوله: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا...﴾ إلخ ﴿أَنَا﴾: مبتدأ، و﴿أَكْثَرُ﴾: خبره، و﴿مِنْكَ﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿مَالًا﴾، و﴿مَالًا﴾: تمييز محوّل عن المبتدأ، والأصل: مالي أكثر منك، فحذف المبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه، فأنفصل وجعل المبتدأ في الأصل تمييزًا، ويقال في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ما قيل هنا.

قوله: (ويريه آثارها) أي: بهجتها وحُسنها، وفي نسخة: (أثمارها) وهي ظاهرة.

(١) قرأ أبو جعفر وعاصم وروح بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم فيهما، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/٣١٠).

وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَيَّ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا

جَنَّتِيهِ إِرَادَةً لِلرَّوَضَةِ، وَقِيلَ: اكْتِفَاءً بِالوَاحِدِ، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بِالْكَفْرِ، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تَنْعَدِمُ ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَيَّ رَبِّي﴾ فِي الْآخِرَةِ عَلَى زَعْمِكَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾: مَرْجِعًا.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يُجَاوِرُهُ: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ لِأَنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْهُ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّكَ﴾: عَدَّلَكَ وَصَيَّرَكَ ﴿رَجُلًا﴾؟

﴿٣٨﴾ ﴿لَكِنَّا﴾ أَصْلُهُ: لَكِن أَنَا، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ إِلَى التَّوْنِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ الجملة حالية من فاعل (دخل)، و﴿لِنَفْسِهِ﴾: مفعوله، واللام:

زائدة.

قوله: ﴿قَائِمَةً﴾ أي: كائنة وحاصلة.

قوله: (على زعمك) دفع بهذا ما يقال: إنه يُنكر البعث فكيف يقول ذلك؟! فأجاب: بأنه مجازاة له في زعمه.

قوله: (مرجعاً) أشار بذلك إلى أن ﴿مُنْقَلَبًا﴾ تمييز، وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى: الرجوع، والمراد: عاقبة المال.

قوله: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ أي: وهو المؤمن، وقد ردّ المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوَّش.

قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى: لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذي خلقتك... إلخ، هذا ردّ للمقالة الأخيرة.

قوله: ﴿رَجُلًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿سَوَّكَ﴾ لأنه بمعنى: صَيَّرَكَ كما قال المفسر.

قوله: ﴿لَكِنَّا﴾ استدراك على قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ كأنه قال: أنت كافر بالله، لكن أنا مؤمن،

هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

أو حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ ثُمَّ أُدْغِمَتِ التُّونُ فِي مِثْلِهَا، ﴿هُوَ﴾ ضميرُ الشَّانِ تُفسِّرُهُ الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ، والمعنى: أنا أقول: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

(٣٩ - ٤٠) ﴿وَلَوْلَا﴾: هَلَا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عِنْدَ إِعْجَابِكَ بِهَا هَذَا: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ يَرِ فِيهِ مَكْرُوهًا».....

حاشية الصاوي

واختلف القراء في وصل (لكنّا) فبعضهم يثبت ألفاً بعد النون، وبعضهم يحذفها، وفي الوقف تثبت قولاً واحداً؛ لثبوتها في الرسم^(١).

قوله: (أو حذفت الهمزة) أي: من غير نقل، فقوله: (ثم أدغمت النون) أي: بعد تسكينها بالنسبة للنقل، وعلى الثاني فهي ساكنة فتدغم حالاً.

قوله: (ضمير الشأن) أي: ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، والجملة بعده خبره، ولا تحتاج لرباط؛ لأنها عينه في المعنى، وهو معها خبر عن (أنا)، والرباط الياء من ﴿رَبِّي﴾.

قوله: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ مراده: لا أكفر به؛ لأنّ إنكار البعث كفر.

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ هذا ردٌ للمقالة الثانية، و(لولا): تحضيضية داخلية على ﴿قُلْتَ﴾، و﴿إِذْ﴾: ظرف لـ ﴿قُلْتَ﴾ مقدّم عليه، وجملة ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: خبر لمحذوف، قدّره المفسّر بقوله: (هذا)^(٢).

قوله: (لم ير فيه مكروهاً) أي: لم يُصَبِّ فيه بمصيبة^(٣).

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر وزُويّس (لكنّا) بإثبات الألف بعد النون وصلّاً، وقرأ الباقر بن بغير ألف. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/٣١١).

(٢) والجملة من المبتدأ والخبر مقول القول؛ أي: هَلَا قُلْتَ: هذا - أي: ما عليه الجنة من الحسن والنضارة - ما شاء الله؛ أي: الذي شاء الله؛ أي: كان ينبغي لك أن تقول: هذا الأمر هو الذي شاء الله، فتزّده لخالفه، ولا تفتخر به؛ لأنه ليس من صنعك. «فتوحات» (٣/٢٧).

(٣) روى ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١) عن سيدنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبده نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت».

إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيجَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَنِهِ عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ - ضميرُ فصل بينَ المفعولين - ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٣٩﴾ فعسى ربِّي أن يؤتيني خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ - جوابُ الشرط -، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾: جمعُ حُسْبَانَةٍ أي: صواعقٍ مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيجَ صَعِيدًا زَلَقًا: أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم.

﴿٤١﴾ ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾ بِمَعْنَى غَائِرًا، عَطَفَ عَلَى (يُرْسِلَ) دُونَ (تُصْبِحَ)؛ لِأَنَّ غَوْرَ الماء لا يَتَسَبَّبُ عن الصَّوَاعِقِ، ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: حيلة تُدْرِكُهَا بها.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ - بِأَوَجِهِ الضَّبِطِ السَّابِقَةِ - مع جَنَّتِهِ بِالْهَلَاكِ فَهَلَكْتَ، ﴿فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَنِهِ﴾ نَدْمًا وَتَحَسُّرًا ﴿عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا﴾ فِي عِمَارَةِ جَنَّتِهِ ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقِطَةٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ هذا ردٌّ للمقالة الأولى.

قوله: (ضمير فصل) أي: و﴿أَقَلَّ﴾: مفعول ثان، وقرئ بالرفع فيكون خبراً عن ﴿أَنَا﴾^(١)، و﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾: تمييزان، وقوله: ﴿فَعَسَىٰ...﴾ إلخ: جواب الشرط.

قوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِي﴾ يحتمل أن يكون في الدنيا أو الآخرة.

قوله: (جمع حِسَابَةٍ) أي: فهو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء.

قوله: (بمعنى: غائراً) أي: ذاهباً في الأرض.

قوله: (لأنَّ غور الماء... إلخ) أي: أو يقال: إنه يفسَّر (الحسبان) بالقضاء الإلهي، وهو عامٌ يتسبب عنه؛ إمَّا إصباح الجنة صعيداً زلقاً، أو مأوها غوراً، وعلى هذا: فيكون معطوفاً على ﴿يُصْبِحَ﴾.

قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ أي: أمواله؛ بدليل قول المفسِّر: (مع جَنَّتِهِ).

قوله: (بأوجه الضبط) أي: الثلاثة.

قوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ الجملة حالية.

(١) وهي قراءة عيسى بن عُمر كما ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٢٣/٦).

عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلِّتَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ

﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: دعائمها للكرّم، بِأَن سَقَطَتْ ثُمَّ سَقَطَ الْكَرْمُ، ﴿وَيَقُولُ يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿يَلِّتَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿لَهُ فِتْنَةٌ﴾: جَمَاعَةٌ ﴿يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عِنْدَ هَلَاكِهَا، ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ عِنْدَ هَلَاكِهَا بِنَفْسِهِ.

﴿٤٣﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ - يَفْتَحِ الْوَاوُ: الثُّصْرَةُ وَيَكْسِرُهَا: الْمَلِكُ - ﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ - بِالرَّفْعِ صِفَةُ ﴿الْوَلِيَّةُ﴾، وَبِالْجَرِّ صِفَةُ الْجَلَالَةِ -،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾﴾ جمع عَرْش، وهو: بيت جريد أو خشب يُجعل فوقه الثمار.

قوله: ﴿﴿دعائمها﴾﴾ جمع دعامة، وهي: الخشب ونحوه الذي يُنصب لِيَمْدَ الْكَرْمِ عليه.

قوله: ﴿﴿وَيَقُولُ يَلِّتَنِي﴾﴾ أي: تحسراً وندماً على تَلَفِ ماله، لا توبة؛ بدليل قوله: ﴿﴿لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾﴾.

قوله: ﴿﴿بالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾﴾ أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿﴿يَصُرُونَهُ﴾﴾ أي: يدفعون عنها الهلاك.

قوله: ﴿﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾﴾ أي: قادراً على ذلك.

قوله: ﴿﴿هُنَالِكَ﴾﴾ يصح أن يكون خبراً مقدّماً، و﴿﴿الْوَلِيَّةُ﴾﴾: مبتدأ مؤخراً، وتكون هذه الجملة مستقلة، أو معمولاً لـ ﴿﴿مُنْصِرًا﴾﴾، وقوله: ﴿﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾﴾: مبتدأ وخبر^(٢).

قوله: ﴿﴿الملك﴾﴾ أي: القهرُ والسُّلْطَنَةُ.

قوله: ﴿﴿بالرفع﴾﴾ راجع لفتح الواو وكسرهما، وكذا قوله: ﴿﴿وبالجر﴾﴾؛ فالقراءات أربع سبعيات^(٣).

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (يكن) بالياء. انظر «الدر المصون» (٤٩٧/٧).

(٢) وعلى الأول: الوقف على ﴿﴿مُنْصِرًا﴾﴾، وعلى الثاني: الوقف على ﴿﴿هُنَالِكَ﴾﴾.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها، وقوله تعالى: ﴿﴿الْحَقُّ﴾﴾ قرأه أبو عمرو والكسائي برفع القاف،

وقرأه الباقر بن خضعة. انظر «السراج المنير» (٣٧٩/٢).

هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ مِنْ ثَوَابٍ غَيْرِهِ لَوْ كَانَ يُثِيبُ، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ - بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِهَا -: عَاقِبَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَصْبُهُمَا عَلَى التَّمْيِيزِ.

﴿٤٥﴾ ﴿وَأَضْرَبَ﴾: صَيَّرَ ﴿لَهُمْ﴾: لِقَوْمِكَ ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ - مَفْعُولٌ أَوَّلٌ - ﴿كَمَاءٍ﴾ - مَفْعُولٌ ثَانٍ - ﴿أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ﴾: تَكَاثَفَ بِسَبَبِ نُزُولِ الْمَاءِ ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ - أَوْ امْتَزَجَ الْمَاءُ بِالنَّبَاتِ فَرَوِيَ وَحُسِّنَ، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: صَارَ النَّبَاتُ ﴿هَشِيمًا﴾: يَابِسًا مُتَفَرِّقًا حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: إثابة.

قوله: (لو كان يثيب) أي: فاسمُ التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب.

قوله: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: أن عاقبة طاعة المؤمن خيرٌ من عاقبة طاعة غيره.

قوله: (بضم القاف وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (صير) أي: شبه.

قوله: ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: صفتها وحالها وهيئتها.

قوله: ﴿كَمَاءٍ﴾ أي: كصفة وحال وهيئة ماء... إلخ، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ

غَيْثٍ أَحْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْنَهُ مُمْسِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

قوله: (تكاثف) أي: غلظ والتفّ بعضه على بعض.

قوله: (أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثانٍ لـ (أخطلط)، ومن المعلوم:

أنّ الامتزاج من الجانبين، فصحّ نسبته إلى النبات وإن كان في عُرف اللغة والاستعمال أنّ الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ، وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة في كثرة الماء حتى كأنه الأصلي.

قوله: (فروى) بفتح الراء وكسر الواو؛ أي: ارتوى.

قوله: ﴿هَشِيمًا﴾ أي: مهشوماً مكسراً.

(١) قرأ عاصم وحزمة بسكون القاف، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٧٩).

نَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

أجزاءه، ﴿نَذْرُوهُ﴾: تَنْثُرُهُ وتُفَرِّقُهُ ﴿الرِّيحُ﴾ فتذهب به، المعنى: شَبَّهَ الدُّنْيَا بِنبَاتٍ حَسَنٍ فَيَسَّرَ فَتَكْسَرُ فَفَرَّقَتْهُ الرِّيحُ، وفي قراءة: ﴿الرِّيحُ﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾: قَادِرًا.
 ﴿٤٦﴾ ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يُتَجَمَّلُ بِهِمَا فِيهَا، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» زاد بعضهم «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ» حاشية الصاوي

قوله: (وتفرقه) عطفٌ تفسيري.

قوله: (المعنى) أي: معنى المثل.

قوله: (شبهه) فعل أمر، وفاعله: مستتر عائد على النبي ﷺ، والدنيا: مفعوله.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي: ولم يزل.

قوله: (قادرًا) المناسب أن يقول: (كامل القدرة) كما يؤخذ من الصيغة.

قوله: ﴿أَلْمَالُ﴾ أي: وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

قوله: ﴿زِينَةُ﴾ هو مصدر بمعنى اسم المفعول؛ بدليل قوله: (يتجمل بهما فيها)؛ ولذا صحَّ الإخبار به عن الاثنين.

قوله: (هي سبحان الله... إلخ) أي: وتسمَّى غراس الجنة؛ أي: إنَّ بكلِّ واحدةٍ من هذه الكلمات تُغرس له شجرةٌ في الجنة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين.

وقيل: إن المراد به (الباقيات الصالحات): الصلوات الخمس، وقيل: أركان الإسلام، وقيل: كلُّ ما يثاب عليه العبدُ في الدار الآخرة، وهو الأتم، وإنما خصَّ المفسر (سبحان الله... إلخ) بالباقيات الصالحات؛ لمزيد فضلها وثوابها؛ ولذا وصَّى رسول الله ﷺ عمَّه العباس بصلاة التساييح ولو في العمر مرة^(٢)، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يُكثروا من غراس الجنة كما في حديث الإسراء^(٣).

(١) قرأ حمزة والكسائي بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر «السراج المنير» (٢/٣٢٠).

(٢) رواه أبو داود (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

(٣) رواه ابن حبان (٨٢١)، وأحمد في «مسنده» (٥٣٣/٣٨) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري ؓ، وفيهما: (وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله).

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ

إِلَّا بِاللَّهِ ﴿٤٧﴾ ﴿وَوَ﴾ اذْكُرْ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: يُذْهَبُ بِهَا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَصِيرُ هَبَاءً مُنْبَثًا، - وفي قِرَاءَةِ الْتُونِ وَكُسِرِ الْيَاءِ وَنَصَبِ ﴿الْجِبَالَ﴾ - ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظَاهِرَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جَبَلٍ وَلَا غَيْرِهِ، ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾: الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾: نَتْرُكٌ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ التفضيل ليس على بابه؛ لأنَّ زينة الدنيا ليس فيها خيرٌ، ولا يرد علينا: أنَّ السعي على العيال من الخير؛ لأنه من حَيِّزِ الباقيات الصالحات، لا من حَيِّزِ الزينة، أو يقال: إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل.

قوله: (ويرجوه) عطفٌ تفسيري.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ هذا كالدليل لكون الدنيا فانيةً ذاهبةً.

قوله: (هباء) أي: غباراً، وقوله: (منبثاً) أي: مفرقاً كما في سورة (الواقعة).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ﴾ أي: تُبصرها.

قوله: (ولا غيره) أي: من بناء وشجر وبحار وغير ذلك.

قوله: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾ أتى به ماضياً؛ إشارةً إلى أنَّ الحشر مُقَدَّمٌ على تسيير الجبال والبروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك، وعلى هذا: فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك، ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط، وقيل: على أجنحة الملائكة؛ كما تقدَّم^(٢).

قوله: ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ عطف على قوله: (حشرناهم)، والمغادرة من جانبه؛ ولذا فسرها بقوله: (نترك).

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم التاء وفتح الياء مبنياً للمفعول، و(الجبال) بالرفع لقيامه مقام الفاعل، وحذف الفاعل للعلم به وهو الله، أو مَنْ يَأْمُرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وهذه القراءة موافقة لما اتفق عليه في قوله: ﴿وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ﴾، والباقيون «نسير» بنون العظمة، والياء مكسورة. انظر «الدر المصون» (٧/٥٠٣).

(٢) في تفسير قوله تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾، انظر (٣/٤٩١).

مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ

﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ - حال - أي: مُصْطَفَيْنَ كُلُّ أُمَّةٍ صَفٌّ، ويُقال لَهُمْ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فُرَادَى حُفَاةً غُرَاةً غُرْلًا، ويُقال لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُنَّ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ لِلْبَعْثِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كِتَابُ كُلِّ امْرِئٍ

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الواو في (عرضوا)، و﴿صَفًّا﴾: مفرد وقع موقع الجمع، فالمعنى: جميعاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَتْهُ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤] أي: جميعاً، أو المراد: صفوفاً؛ لما ورد: «أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون»^(١)، وورد: أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يُنادي بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي؛ أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادي؛ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجَّتكم، ويسرّوا جوابكم؛ فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي؛ أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب»^(٢).

قوله: (ويقال لهم) أي: توبيخاً وتقريعاً.

قوله: (أي: فُرَادَى) أي: مُفْرَدَيْنِ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ.

قوله: (غُرْلًا) جمع أغرل؛ أي: غير مختونين.

قوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ أي: قُلْتُمْ قولاً كذباً.

قوله: (أي: أَنَّهُ) أي: الحال والشأن.

قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ أي: مكاناً تُبْعَثُونَ فِيهِ.

قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ هو بالبناء للمفعول في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، وهو الله، أو الملك^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩) عن سيدنا بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٤١٧/١٠)، وعزاه لابن منده في «التوحيد».

(٣) وبها قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٥٠٦/٧).

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلِّتُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

في يَمِينِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وفي شِمَالِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾: عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿وَيَلْتَنَّا﴾: هَلَكْنَا، وهو مصدر لا فعل له من لَفْظِهِ، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: مِنْ ذُنُوبِنَا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: عَدَّهَا وَأَثْبَتَهَا؟! تَعَجَّبُوا مِنْهُ فِي ذَلِكَ، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: مُثَبَّتًا فِي كِتَابِهِمْ، ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: لَا يُعَاقِبُهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ مُؤْمِنٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (في يَمِينِهِ) أي: فحين يقرؤه يَبَيِّضُ وجهه ويقول: ﴿هَاقُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَّةً...﴾ [الحاقة: ١٩] إلى آخرها في سورة (الحاقة).

قوله: (وفي شِمَالِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ) أي: فحين يقرؤه يسودُّ وجهه ويقول: ﴿يَلْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةً...﴾ [الحاقة: ٢٥] إلخ.

قوله: (هَلَكْنَا) أي: هَلَاكْنَا، والمقصود: التَحَسُّرُ والتَنَدُّمُ، وقيل: الياء: حرف نداء، و﴿وَيَلْتَنَّا﴾: منادى تنزيلاً لها منزلة العاقل، فكأنه يقول: يا هلاكي احضر، فهذا أوأئك.

قوله: (وهو مصدر) أي: الَوَيْلُ، وقوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل مِنْ معناه، وهو (هلك).

قوله: (﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾) ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ، و﴿لهذا الكتاب﴾: خبره؛ أي: أيُّ شيء

لهذا الكتاب؟

قوله: (﴿لَا يُغَادِرُ﴾) الجملة حالية من ﴿الْكِتَابِ﴾.

قوله: (تَعَجَّبُوا) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام للتعجب.

قوله: (منه) أي: الكتاب.

قوله: (في ذلك) أي: الإحصاء المذكور.

قوله: (﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾) أي: لا يُعَامِلُهُ معاملَةُ الظَّالِمِ بحيث يعذِّبُهُ من غير ذنب أو ينقص

من أجره.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ

﴿٥٠﴾ - ﴿وَإِذْ﴾ - مَنْصُوبٌ بِـ (اذْكُرْ) - ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجُودَ انْحِنَاءٍ لَا وَضْعَ جَبْهَةٍ تَحِيَّةَ لَهُ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قِيلَ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَا سِتْنَاءَ مُتَّصِلَ، وَقِيلَ: هُوَ مُنْقَطِعٌ وَإِبْلِيسُ هُوَ أَبُو الْجِنِّ، فَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ذُكِرَتْ مَعَهُ بَعْدَ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا ذُرِّيَّةَ لَهُمْ، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أَي: خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ بِتَرْكِ السُّجُودِ، ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ - الْخِطَابُ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَالْهَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِإِبْلِيسَ -

حاشية الصاوي

قوله: (منصوب بـ «اذكر») أي: ف(إذ): ظرف لذلك المقدَّر، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة... إلخ، والمراد: اذكر لهم تلك القصة، وقد كرَّرت في القرآن مراراً؛ لأنَّ معصية إبليس أول معصية ظهرت في الخلق.

قوله: (سجود انحناء) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ السجود لغير الله كفرٌ، وتقدَّم الجواب: أنَّ السجود لله وآدم كالقبلة؛ أو أنَّ محلَّ كونِ السجود لغير الله كفرًا إن لم يكن هو الأمر به، وإلا... فالكفر في المخالفة.

قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ (أي: جميعاً).

قوله: (قيل: هم نوع من الملائكة) أي: وعلى هذا القول: فهم ليسوا معصومين كالملائكة، بل يتوالدون ويعصون.

قوله: (وإبليس أبو الجن) هذا توجيةٌ لكونه منقطعاً، وهو الحقُّ، وعليه: فالجنُّ نوعٌ آخرٌ غيرُ الملائكة، فالجنُّ من نار، والملائكة من نور.

قوله: (فله ذرية) تفريع على كونه أباً؛ إذ الأب يستلزم ابناً.

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (أي: تكبراً وحسداً).

قوله: ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والاستفهام توبيخي، والمعنى: أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه؟

قوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ عطف على الضمير في «تتخذونه»، قال مجاهد: من ذرية إبليس: لا قيسٌ وولهاُن وهما صاحبَا الطهارة والصلاة اللذان يُوسوسان فيهما، ومن ذريته مرَّةٌ وبه يكنى، وزَلَّ بُورُ

أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تُطِيعُونَهُمْ ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء؟ - حال - ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

﴿٥١﴾ ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

حاشية الصاوي

وهو صاحب الأسواق يُزَيِّن اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع، وبترُّ وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشقَّ الجيوب، والأعورُّ وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعَجِيزَةُ المرأة، ومطروسٌ وهو صاحب الأخبار الكاذبة يُلقِيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً، وداسمٌ وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يُسَمِّ ولم يذكر الله دخل معه^(١).

قال القرطبي: (واختُلِفَ هل لإبليس ذرية من صلبه؛ فقال الشعبي: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلتُ: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ فعلمتُ أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلتُ: نعم.

وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه، فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته، وقيل: إن الله خلق له في فخذ اليمين ذكراً، وفي فخذ اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يُفْرَخ ويَطِير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فِتْنَةٌ. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وإنما المراد بذريته: أعوانه من الشياطين^(٢).

قوله: (تُطِيعُونَهُمْ) أي: بدل طاعتي.

قوله: (حال) أي: من مفعول (تَتَّخِذُونَ).

قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ متعلق بـ ﴿بَدَلًا﴾ الواقع تمييزاً للفاعل المستتر، وقوله: (إبليس وذريته) بيان للمخصوص بالذم المحذوف، والأصل: بئس البديل إبليس وذريته.

قوله: (أي: إبليس وذريته) تفسير للضمير في ﴿أَشْهَدُكُمْ﴾، والمعنى: لم أحضرهم حين خلقت السماوات والأرض، ولا حين خلقت أنفسهم؛ فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم؟!

(١) انظر «تفسير البغوي» (١٩٧/٥)، و«تفسير الخازن» (١٦٧/٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (٤٢٠/١٠).

وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا

وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴿٥١﴾ أَي: لَمْ أَحْضِرْ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾: الشَّيَاطِينُ ﴿عَصَدًا﴾: أَعْوَانًا فِي الْخَلْقِ، فَكَيْفَ تُطِيعُونَهُمْ؟

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَوْمَ﴾ - مَنْصُوبٌ بِـ (اذْكُرْ) - ﴿يَقُولُ﴾ - بِالْيَاءِ وَالنُّونِ - ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾: الْأَوْثَانُ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لِيَسْفَعُوا لَكُمْ بِزَعِمِكُمْ، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: لَمْ يُجِيبُوهُمْ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بَيْنَ الْأَوْثَانِ وَعَابِدِيهَا ﴿مَوْبِقًا﴾: وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ يَهْلِكُونَ فِيهِ جَمِيعًا، وَهُوَ مِنْ (وَبَقَ) بِالْفَتْحِ: هَلَكَ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أَي: أَيْقَنُوا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمَر^(١).

قوله: ﴿عَصَدًا﴾ هو في الأصل: العضو الذي هو من المرفق إلى الكتف، ثم أطلق على المعين والناصر، والمراد هنا: مقدماً لهم في مناصب خير، بل هم مطرودون؛ فكيف يُطاعون؟! قوله: (بالياء والنون) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زَعَمْتُمُوهُمْ شركاء، فالمفعولان محذوفان.

قوله: (لِيَسْفَعُوا لَكُمْ) متعلق بـ (نادوا).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: مشتركاً.

قوله: (واديًا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك: (هو وادٍ في جهنم من قيح ودم)^(٣).

قوله: (من «وبق») بالفتح؛ أي: ك: (وعد).

قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ أي: عاينوها من مسيرة أربعين عاماً.

(١) إذ المراد بالضلّالين: من انتفى عنهم إلهاد خلق السماوات والأرض، فمقتضى الظاهر: متخذهم. اهـ «فتوحات» (٣٣/٣).

(٢) قرأ حمزة «نقول» بنون العظمة مراعاة للتكلم في قوله: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ﴾ إلى آخره، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٥٩/٧).

(٣) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٤٧٢).

أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾

﴿أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا﴾ أي: واقِعُونَ فِيهَا، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرِفًا﴾: مَعْدَلًا.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صِفَةً لِمَحْذُوفٍ أَي: مَثَلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مَثَلٍ لِيَتَّعِظُوا، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أَي: الْكَافِرُ ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خُصُومَةً فِي الْبَاطِلِ، وَهُوَ تَمْيِيزُ مَنْقُولٍ مِنْ اسْمِ (كَانَ)، الْمَعْنَى: وَكَانَ جَدَلُ الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ شَيْءٍ فِيهِ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أَي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ - مَفْعُولُ ثَانٍ - ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: الْقُرْآنُ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ - فَاعِلٌ - أَي: سُنَّتُنَا فِيهِمْ وَهِيَ الْإِهْلَاكُ الْمُقَدَّرُ عَلَيْهِمْ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾: مُقَابِلَةً وَعِيَانًا، وَهُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿مَصْرِفًا﴾ (أي: مكاناً يحلُّون فيه غيرها).

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (أي: معنى غريب بديع، يُشَبِّه المثل في غرابته).

قوله: ﴿خُصُومَةٌ فِي الْبَاطِلِ﴾ هذا هو معنى الجدل هنا، وفيه إشارة إلى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ كَثِيرُ الْجَدَلِ فِي الْبَاطِلِ، بَلْ هُوَ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ فِي الْحَقِّ.

قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ (عطف على ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾).

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ (الكلام على حذف مضاف؛ أَي: إِلَّا ائْتِنَاظَرَهُمْ وَطَلَبَهُمْ إِيَّانَ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الْآيَةُ.

قوله: (وهي الإهلاك) أَي: الَّذِي يَسْتَأْصِلُهُمْ.

قوله: (المقدَّر) أَي: فِي الْأَزَلِ، وَقَوْلُهُ: (عَلَيْهِمْ) أَي: الْأَوَّلِينَ.

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ﴾ (أي: النَّاسَ).

قوله: (مُقَابِلَةٌ وَعِيَانًا) تَفْسِيرُ (قُبُلًا) بِكَسْرِ فَتْحِ.

وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ
وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا
قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ.....

بدر، وفي قراءة بِضَمَّتَيْنِ جَمْع (قَبِيل) أي: أنواعاً.

﴿٥٦﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مُحَوِّفِينَ لِلْكَافِرِينَ،
﴿وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بِقَوْلِهِمْ: أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟ وَنَحْوِهِ؛ ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾:
لِيُبْطِلُوا بِجِدَالِهِمْ ﴿الْحَقَّ﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ بِهِ مِنَ النَّارِ
﴿هُزُوًا﴾: سُخْرِيَّةً.

﴿٥٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ: مَا عَمِلَ مِنَ الْكُفْرِ
وَالْمَعَاصِي، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أَغْطِيَةً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: مِنْ أَنْ يَفْهَمُوا

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنواعاً) تفسير لـ ﴿قُبُلًا﴾ بِضَمَّتَيْنِ، فكلُّ من القراءتين له معنى يَخْصُهُ^(١).

قوله: (القرآن) المناسب أن يقول: أي: جميع ما جاءت به الرسل.

قوله: ﴿وَآيَاتِي﴾ المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل، لا خصوص القرآن؛ لأنه في كلِّ كافرٍ
من هذه الأمة وغيرها.

قوله: ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ (ما): موصولة، والعائد محذوف؛ أي: الذي أُنذِرُوا به، أو مصدرية؛
أي: إنذارهم.

قوله: ﴿هُزُوًا﴾ يقرأ بالهمز والواو، سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لم يتدبَّرها وقتَ تذكيره بها.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ بمنزلة التعليل لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ﴾.

(١) قرأ أبو جعفر والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء. انظر
«النشر في القراءات العشر» (٣١١/٢).

(٢) قرأ حفص بالواو وقفًا ووصلًا، وحمزة بالواو ووقفًا لا وصلًا، وسكن الزاي حمزة، ورفعها الباقون، ولحمزة
في الوقف أيضاً النقل. انظر «السراج المنير» (٣٨٧/٢).

وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ

القرآن أي: فلا يفهمونه، ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً فلا يسمعون، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ﴾ فيها، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾: ملجأ.

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي: أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كفروا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: لإهلاكهم،
حاشية الصاوي

قوله: (فلا يسمعون) أي: سماع تفهم وانتفاع.

قوله: (﴿لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ﴾) أي: المستأصل لهم.

قوله: (وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد: الزمان المعد لهم، ويصح أن يراد به المكان.

قوله: (﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾) أي: العذاب.

قوله: (﴿مَوْيلًا﴾) الموئل: المرجع من: وَأَلْ يَبْتَئِلُ؛ أي: رجع، ويُقال للملجأ أيضاً؛ يقال: وَأَلْ فلانٌ إلى فلان: إذا لجأ إليه، والمعنى: لن يجدوا غير العذاب ملجأً يلتجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه.

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾) أي: في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا...﴾ إلخ.

قوله: (﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾) أي: لهلاكهم المذكور وقتاً معيناً، نزل بهم فيه، فذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه، وهو معنى قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾.

مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ

وفي قراءة بفتح الميم أي: لِهَلَاكِهِمْ ﴿مَوْعِدًا﴾.

﴿٦٠﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ هو ابنُ عمران ﴿لِفَتْنِهِ﴾ يُوْشَعَ بنِ نُونٍ، كان يَتَّبِعُهُ

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، وتحتها قراءتان: فتح اللام وكسرها، فمجموع القراءات السبعة ثلاثة: ضم الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها^(١).

قوله: (واذكر) قدره؛ إشارة إلى أن (إذ) ظرفٌ لمحذوف، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه... إلخ، والمراد: اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام.

قوله: (هو ابن عمران) أي: رسول بني إسرائيل، من سبط لاوي بن يعقوب، وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة، ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر؛ لأنَّ الكامل يقبل الكمال، سواء قلنا: إنَّ الخضر نبيٌّ أو وليٌّ، فاستفادته منه لا يقدح في كونه أفضل منه؛ لأنَّ تلك مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية، يدلُّ على ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ مع كونه أعلم الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، خلافاً لمن زعم أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب^(٢)، وادَّعى أنه نبي قبل موسى بن عمران محتجاً: بأنَّ الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلَّمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد أن يستفيد من مطلق نبيٍّ أو وليٍّ، وهذا القول خلاف الصحيح.

قوله: (يوشع بن نون) هو ابن أفرائيم بن يوسف، أرسله الله بعد موسى، فقاتل الجبارين، ورُدَّتْ له الشمس، وتقدَّمت قصته في (المائدة).

قوله: (كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى، وكان ابن أخته، وقيل: كان عبداً له، وهو بعيد؛ لأنَّ شرط النبيِّ الحرية.

(١) قرأ أبو بكر بفتح الميم واللام التي بعد الهاء فيهما، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام في الموضعين، وقرأ الباقر بضم الميم وفتح اللام. انظر «النشر في القراءات العشر» (٣١١/٢).

(٢) وهو قول أهل الكتاب، وتبعهم بعض المحدثين والمؤرخين. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١١٤/٦)، وردَّ سيدنا ابن عباس على نوف البكالي الذي كان يزعم أن موسى عليه السلام صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام بحديث سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر «صحيح البخاري» (٣٤٠١)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٠).

لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

وَيَخْدُمُهُ وَيَأْخُذُ مِنْهُ الْعِلْمُ: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لَا أَزَالُ أَسِيرُ ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: مُلْتَقَى بَحْرِ الرُّومِ وَبَحْرِ فَارِسٍ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ، أَي: الْمَكَانَ الْجَامِعَ لِذَلِكَ، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾: دَهْرًا طَوِيلًا فِي بُلُوغِهِ إِنْ بَعُدَ.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نَسِيَ يُوْشَعُ حَمْلَهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ هي من أخوات (كان)، اسمها مستتر وجوباً، وخبرها محذوف، قدره المفسر بقوله: (أسير) أي: لا أبرح سائراً.

قوله: (ملتقى بحر الروم... إلخ) وملتقاهما عند البحر المحيط.

قوله: (مما يلي المشرق) أي: وذلك بإفريقية.

قوله: (دهراً طويلاً) وقيل: الحُقْب: ثمانون سنة، وقيل: سنة واحدة بلغة قريش، وقيل: سبعون، ويجمع على: أحقاب ك: عُقَيَّ وأعناق.

قوله: (إِنْ بَعُدَ) أي: إِنْ لَمْ أُدْرِكْهُ، والمعنى: لَا بَدَّ مِنْ سِيرِي إِلَى أَنْ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، أَوْ أَسِيرَ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى آيَسَ مِنَ الْوَصُولِ.

قوله: (بين البحرين) أشار بذلك إلى أن (بين) ظرف، وهو الموضع الذي وَعَدَ مُوسَى أَنْ يَجْتَمِعَ فِيهِ بِالْخَضِرِ.

قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قيل: كان مشوياً، وقيل: كان مملحاً وقد أكلا منه زماناً طويلاً قبل أن يدركا الصخرة.

قوله: (نسي يوشع حملة) هذا يقتضي أنه كان موجوداً على البر حين نسيه يوشع، ولكن الموجود في القصة: أَنَّ مُوسَى وَيُوشَعَ لَمَّا وَصَلَا لِلصَّخْرَةِ الَّتِي عِنْدَهَا عَيْنُ الْحَيَاةِ.. نَامَا، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يُوشَعُ فَتَوَضَّأَ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ، فَانْتَضَحَ الْمَاءَ عَلَيْهِ فَعَاشَ وَوُثِبَ فِي الْمَاءِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ نَسِيَ إِخْبَارَ مُوسَى بِمَا رَأَى، فَالْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقُولَ: نَسِيَ يُوشَعَ أَنْ يُخْبِرَ مُوسَى بِمَا شَاهَدَهُ مِنَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ شَأْنَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ عَدُمُ نِسْيَانِهِ.

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَايِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾

عِنْدَ الرَّجِيلِ وَنَسِيَ مُوسَى تَذَكُّيرَهُ، ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الْحَوْتُ ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أَي: جَعَلَهُ يَجْعَلُ اللَّهُ ﴿سَرَبًا﴾ أَي: مِثْلَ السَّرَبِ وَهُوَ الشَّقُّ الطَّوِيلُ لَا نَفَادَ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْسَكَ عَنِ الْحَوْتِ جَرِيَّ الْمَاءِ فَاَنْجَابَ عَنْهُ، فَبَقِيَ كَالْكُوَّةِ لَمْ يَلْتَمِمْ، وَجَمَدَ مَا تَحْتَهُ مِنْهُ.

﴿٦٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذَلِكَ الْمَكَانَ بِالسَّيْرِ إِلَى وَقْتِ الْغَدَاءِ مِنْ ثَانِي يَوْمٍ، ﴿قَالَ﴾ مُوسَى ﴿لِفَتْنِهِ ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾ هُوَ مَا يُؤْكَلُ أَوَّلَ النَّهَارِ، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تَعَبًا، وَخُصُولَهُ بَعْدَ الْمُجَاوِزَةِ.

حاشية الصاوي

أجيب: بأنه أذهش من عظيم ما رأى من قُدرة الله وعظمته للحكمة التي تربّت على ذلك.
قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ هذا الاتخاذ قبل النسيان، فيكون في الآية تقديم وتأخير، والأصل: فأدرّكه الحياة، فخرج من المكثّل وسقط في البحر، فاتّخذ سبيله.
قوله: ﴿سَرَبًا﴾ مفعول ثانٍ لـ (اتّخذ).
قوله: (وذلك) أي: سبب ذلك.
قوله: (فانجاب) أي: انقطع الماء وانكشف.
قوله: (فبقي) أي: صار.
قوله: (كالكوة) هي بالفتح: نَقْبُ الْبَيْتِ، وهو يجمع على (كُؤَى) بكسر القاف ممدوداً ومقصوراً.

قوله: (لم يلتئم) أي: يلتصق حتى يرجع إليه موسى، فرأى مسالكه.
قوله: (وجمد ما تحته) أي: فجعل الحوت لا يمسّ شيئاً في البحر إلّا ييس.
قوله: (ذلك المكان) أي: مجمع البحرين.
قوله: ﴿مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾ أي: الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد.
قوله: ﴿نَصَبًا﴾ مفعول بـ ﴿لَقِينَا﴾.
قوله: (وخصوله بعد المجاوزة) إنما كان حصول النَّصَبِ بعد المجاوزة؛ لحصول السفر مع الانتظار والتشوّق، وأمّا سفرهما قبل وصول مجمع البحرين فكان مقصوداً دفعة؛ فلا مشقة فيه.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا

﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَي: تَنَبَّه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بِذَلِكَ الْمَكَانِ، ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ يُبَدِّلُ مِنَ الْهَاءِ: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بِدَلِّ اشْتِمَالِ أَي: أَنْسَانِي ذِكْرَهُ، ﴿وَاتَّخَذَ الْحُوتَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ - مَفْعُول ثَانٍ - أَي: يَتَعَجَّب مِنْهُ مُوسَى وَفَتَاهُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي بَيَانِهِ.

﴿٦٤﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: فَقَدْنَا الْحُوتَ ﴿مَا﴾ أَي: الَّذِي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾: نَطْلُبُهُ؛ فَإِنَّهُ عَلَامَةٌ لَنَا عَلَى وُجُود مَنْ نَطْلُبُهُ، ﴿فَأَرْتَدَّا﴾: رَجَعَا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ يَقْصَصَانِهَا ﴿قَصَصًا﴾ فَاتِّبَا الصَّخْرَةَ.

﴿٦٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: تَنَبَّه) أَي: تَذَكَّرُ وَاسْتَمَعَ لِمَا أَلْقِيَهُ لَكَ مِنْ شَأْنِ الْحُوتِ.

قوله: (﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾) أَي: نَسِيتُ إِخْبَارَكَ بِمَا شَاهَدْتَهُ مِنْهُ؛ كَمَا تَقَدَّمَ.

قوله: (﴿وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾) إِن قُلْتَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا تَسَلَّطَ لَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ.

أَجِيب: بِأَنَّهُ أَضَافَ النِّسْيَانَ إِلَيْهِ؛ هَضْمًا لِنَفْسِهِ.

قوله: (أَي: يَتَعَجَّب مِنْهُ مُوسَى وَفَتَاهُ) أَي: حَيْثُ أَكَلَا مِنَ الْحُوتِ شَقَّهُ الْأَيْسَرُ ثُمَّ حَبِي بَعْدَ ذَلِكَ.

قوله: (لِمَا تَقَدَّمَ فِي بَيَانِهِ) أَي: وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَمْسَكَ عَنِ الْحُوتِ جَرِي

الماء... إلخ).

قوله: (مَنْ نَطْلُبُهُ) أَي: وَهُوَ الْخَضِرُ.

قوله: (﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾) قِيلَ: دَخَلَا السَّرْبَ مَكَانَ الْحُوتِ، فَوَجَدَاهُ جَالِسًا عَلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، وَقِيلَ: وَجَدَاهُ عِنْدَ الصَّخْرَةِ مَغْطًى بِثَوْبٍ أبيض، طَرَفُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، وَالْآخِرُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنِّي نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: الَّذِي أَدْرَاكَ بِي وَذَلِكَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ كَانَ لَكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شُغْلٌ، قَالَ مُوسَى: إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ؛ لِأَتَّبِعَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ^(١).

(١) أوردته الثعلبي في «تفسيره» (١٣٨/٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وفي «البخاري» (١٢٢)، و«مسلم» =

مِنْ عِبَادِنَا ؕ ءَايَتُهُ رَحْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

مِنْ عِبَادِنَا ﴿﴾ هو الْخَضِرُ ﴿ءَايَتُهُ رَحْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا﴾: نُبُوءَةٌ فِي قَوْلٍ، وَوَلَايَةٌ فِي آخَرٍ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾: مِنْ قِبَلِنَا ﴿عِلْمًا﴾ - مَفْعُولٌ ثَانٍ - أَي: مَعْلُومًا مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ حَدِيثًا: «أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الإضافة لتشريف المضاف؛ أي: من عبيد الخصوصية).

قوله: (هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها، وبكسر الخاء مع سكون الضاد؛ فيه ثلاث لغات، وهذا لقبه، واسمه: بلياً بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة، ومعناه بالعربية: أحمد بن ملكان، وكُنْيَتُهُ: أبو العباس. قال بعض العارفين: مَنْ عَرَفَ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَكُنْيَتَهُ وَلَقَبَهُ.. مات على الإسلام، وَلُقِّبَ بِالْخَضِرِ؛ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ فَاخْضَرَّتْ تَحْتَهُ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى.. اخْضَرَ مَا حَوْلَهُ، وَهُوَ مِنْ نَسْلِ نُوْحٍ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنَ الْمُلُوكِ.

قوله: (نُبُوءَةٌ فِي قَوْلٍ) أي: وَقَدْ صَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِشُرْبِهِ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ، يَجْتَمِعُ بِهِ خَوَاصُّ الْأَوْلِيَاءِ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ، قَالَ السَّيِّدُ الْبَكْرِيُّ صَاحِبُ وَرْدِ السَّحَرِ فِي تَوْسَلَاتِهِ: [الكامل]

بِنَقِيصِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرِ الْخَضِرِ أَبِي الْ- عَبَّاسٍ مِّنْ أَحْيَاءِ بِمَاءٍ وَصَالِهِ^(١)
حَيٍّ وَحَقِّكَ لَمْ يَقُلْ بِوَفَاتِهِ إِلَّا الَّذِي لَمْ يَلْقَ نُورَ جَمَالِهِ
فَعَلَيْهِ مِنِّي كُلُّ مَا هَبَّ الصَّبَا أَرْكَى سَلَامٍ طَابَ فِي إِزْسَالِهِ

وقد اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه؛ فهو صحابي.

قوله: ﴿مِنْ لَّدُنَّا﴾ (أي: مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَا وَلَا يُعْلَمُ بِوَاسِطَةِ مُعَلِّمٍ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ).

قوله: (خطيباً) أي: وَاعْظًا يَذْكُرُ النَّاسَ حَتَّى فَاضَتْ الْعَيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْخُطْبَةُ بَعْدَ هَلَاكِ الْقِبْطِ وَرَجُوعِ مُوسَى إِلَى مِصْرَ.

= (٦٢٣٩): (فسلم عليه موسى، فقال: أتى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم،

قال: يا موسى إنك على علمٍ من عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ فِيهِ، وَالْقَصِيدَةُ ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ النَّبْهَانِيُّ فِي «شَوَاهِدِ الْحَقِّ» (ص ٣٠٨) عَنْ الشَّيْخِ

البكري، والبيت فيها:

بِنَقِيصِهِمْ خَضِرٌ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْ- عَبَّاسٍ مِّنْ أَحْيَاءِ بِمَاءٍ وَصَالِهِ

أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقال: أنا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمٌّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَوَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَا مِنَ الْغَدَاةِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿إِنِّي أَنَا غَدَاءَنَا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (إذ لم يرد العلم إليه) فكان عليه أن يقول مثلاً: الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأحاب؛ تأديباً لموسى، وإلاً... فالواقع أن موسى أعلم من الخضر.
قوله: (هو أعلم منك) أي: في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة، وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل؛ فلذلك رغب موسى في جيازته لعلمه.
قوله: (فكيف لي به؟) فلما سمع موسى هذا... تشوّقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم.

قوله: (قال: تأخذ معك حوتاً) لعل الحكمة في تخصيصه: ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر.

قوله: (فتجعله في مکتل) هو الزنبيل؛ بكسر الزاي من حُوص النخل، ويقال له: القفّة، تسع خمسة عشر صاعاً.

قوله: (فهو ثمّ) أي: هناك.

قوله: (جربة الماء) بكسر الجيم.

قوله: (مثل الطاق) هو: البناء المقوّس كالقنطرة.

قوله: (أن يخبره بالحوث) أي: بما يحصل من أمره.

قوله: (قال موسى) أي: بعد أن صلياً الظهر من اليوم الثاني.

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾

قال: وكان لِلْحَوْتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا... إلخ.

﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ أي: صَوَابًا أَرشُدُ بِهِ، - وفي قِرَاءَةِ بَضْمِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ - وَسَأَلَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْعِلْمِ مَطْلُوبَةٌ. (٦٧ - ٦٨) ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾

حاشية الصاوي

قوله: (قال) أي: النبي ﷺ في شأنِ تفسِيرِ الآية (١).

قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ أي: بعد أن تَلَاقِيَا وَحَصَلَ الْوَصُولُ.

قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ استِفْهَامٌ تَعَطُّفٌ؛ رِعَايَةٌ لِلْأَدَبِ فِي حَقِّ الْمَعْلَمِ، وَبِذَلِكَ الْأَدَبِ يَحْصُلُ النِّفْعُ وَالسُّودْدُ.

قوله: ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني﴾ أي: لَيْسَ لِي قَصْدٌ فِي اتِّبَاعِكَ إِلَّا تَعْلِيمَكَ إِنِّي، لَا شَيْئًا مِنَ الْأَغْرَاضِ غَيْرِ التَّعْلِيمِ.

قوله: ﴿رُشْدًا﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ(تَعْلَمَني) أي: لِتَعْلَمَني صَوَابًا مِنَ الَّذِي عَلَّمَكَ اللهُ.

قوله: (وفي قِرَاءَةِ) أي: وَعَلَيْهَا فَيَكُونُ مِنْ بَابِ (قَتَلَ)، وَقِيَاسُ مَصْدَرِهِ بِفَتْحِ الرَّاءِ، فَيَكُونُ بَضْمُهَا اسْمَ مَصْدَرٍ، وَعَلَى الْأَوَّلَى فَيَكُونُ مِنْ بَابِ (طَرَبَ) (٢).

قوله: (وسأله ذلك) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ مُوسَى مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ، وَنَبِيٌّ وَرَسُولٌ جَزْمًا، وَأَسْمَعَهُ اللهُ كَلَامَهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَضِرِ؛ فَكَيْفَ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ؟! فَأَجَابَ: بِأَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْعِلْمِ مَطْلُوبَةٌ، عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْخَضِرِ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُوسَى فِي شَرْعِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَزِيَّةٌ خُصَّ بِهَا الْخَضِرُ، وَأَمَرَ اللهُ مُوسَى أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَضِرِ وَيَكْتُمَهَا؛ لِتَكْمُلَ لَهُ جَمِيعُ الْمَزَايَا، وَلَا يَقْتَضِي أَنَّ الْخَضِرَ أَعْلَمَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ مُوسَى كَامِلٌ فِي عِلْمِهِ لَا تَحْتَاجُ شَرْعِيَّتُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَضِرِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهُ مَزِيَّةٌ خَصَّهُ اللهُ بِهَا لَا يَقْتَدِي بِهَا.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي: لَمَّا تَرَى مِنْ مَخَالَفَةِ شَرْعِكَ ظَاهِرًا؛ لِأَنَّ الْمُتَعَلَّمَ

(١) رَوَى الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ الْبُخَارِيُّ (١٢٢)، وَمُسْلِمٌ (٦٢٣٩) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ؓ.

(٢) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالشَّيْنِ، وَالْبَاقُونَ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٣٩٢/٢).

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾، فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ عَقِبَ هَذِهِ الْآيَةِ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَمِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿خُبْرًا﴾ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: ﴿لَمْ تُحِطْ﴾ أَي: لَمْ تَخْبُرْ حَقِيقَتَهُ.

﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي ﴿٦٩﴾ أَي: وَغَيْرَ عَاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تَأْمُرُنِي بِهِ، وَقَيَّدَ بِالْمَشِيئَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ نَفْسِهِ فِيمَا التَّزَمَ، وَهَذِهِ عَادَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَنْ لَا يَتَّقُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

حاشية الصاوي

قسمان: متعلِّمٌ ليس عنده شيءٌ من العلوم ولم يمارس الاستدلال، وهذا تعليمه سهلٌ، ويقبل كلَّ ما أُلقي إليه، ومتعلِّمٌ مارس الاستدلالَ وحَصَّلَ العلومَ غير أنه يُريد أن يزداد علماً على علمه، وهذا تعليمه شاقٌّ شديدٌ؛ لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً.. عَرَضَهُ عَلَى مَا عِنْدَهُ؛ فَإِنْ وَافَقَهُ، وَإِلَّا.. نَاقَشَ فِيهِ.

قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ الاستفهام تعجُّبي.

قوله: ﴿إِنِّي عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: وهو علم الكشف.

قوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: وهو علم ظاهر الشريعة.

قوله: (مصدر... إلخ) مفعولٌ مطلق مؤكَّد لعامله في المعنى؛ لأن ﴿لَمْ تُحِطْ﴾ بِمَعْنَى (لَمْ تُخْبِرْ)، وَالْخُبْرُ بِالضَّمِّ مَعْنَاهُ: الْعِلْمُ، وَالْأَوْضَحُ: أَنَّهُ تَمْيِيزُ نِسْبَةٍ؛ أَي: لَمْ تُحِطْ بِهِ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ.

قوله: (أي: وغير عاصٍ) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا أَعْصِي﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿صَابِرًا﴾، وَ(وَلَا) بِمَعْنَى (غَيْرَ).

قوله: (لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أي: فَكَأَنَّهُ قَالَ: سَتَجِدُنِي صَابِرًا إِنْ وَافَقَ شَرْعِي أَوْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ فِي شَأْنِهِ؛ فَأَنَا لَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ وَلَمْ يَقُلْ الْخَضِرُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَهُ عَلَى أَنَّ مُوسَى لَا يَصْبِرُ عَلَى أَمْرٍ يَخَالِفُ شَرْعَهُ، فَحَيْثُذ: جَزَمَ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ صَبْرًا. قوله: (أَنْ لَا يَتَّقُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) ضَمَّنَهُ مَعْنَى (يَمِيلُوا) أَوْ (يَرْكَنُوا) فَعَدَّاهُ بِ(إِلَى).

قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا

﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي - وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون - ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تَنْكِرُهُ مِنِّي فِي عِلْمِكَ وَاصْبِرِ ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أَي: أَذْكَرُهُ لَكَ بِعِلَّتِيهِ، فَقَبِلَ مُوسَى شَرْطَهُ رِعَايَةً لِأَدَبِ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ الْعَالِمِ.

﴿٧١﴾ فَأَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ الَّتِي مَرَّتْ بِهِمَا ﴿خَرَقَهَا﴾ الْخَضِرُ، بِأَنْ اقْتَلَعَ لَوْحًا أَوْ لَوْحَيْنِ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي﴾ أي: لَا تُبَادِرْنِي بِالسُّؤَالِ عَنْ حِكْمَتِهِ، بَلْ اصْبِرْ حَتَّى يَظْهَرَ لَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْبَاطِنِ.

قوله: (بفتح اللام) أي: مَعَ الْهَمْزِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَيَدُونُ الْهَمْزُ مَعَ تَشْدِيدِ النُّونِ لَغَيْرِ السَّبْعَةِ^(١).

قوله: (فِي عِلْمِكَ) أي: بِحَسَبِ ظَاهِرِ عِلْمِكَ.

قوله: (وَاصْبِرْ) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ الْمَغْيَا بِ(حَتَّى).

قوله: (بِعِلَّتِهِ) أي: حِكْمَتِهِ وَسَبَبِهِ.

قوله: ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ أي: وَمَعَهُمَا يَوْشَعَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكَرْ فِي الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ تَابِعٌ، وَالْمَقْصُودُ ذِكْرُ مُوسَى وَالْخَضِرِ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا، بَلْ رَدَّهَ مُوسَى حِينَ التَّقَى مَعَ الْخَضِرِ.

قوله: (يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ) أي: يَطْلُبَانِ سَفِينَةً، فَوَجَدَا سَفِينَةً فَرَكِبَاهَا، فَقَالَ أَهْلُهَا: هَؤُلَاءِ لَصُوصٌ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُمْ نَزَلُوا بِغَيْرِ زَادٍ وَلَا مَتَاعٍ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ: مَا هُمْ بَلْصُوصٌ وَلَكِنِّي أَرَى وَجْهَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوا أَهْلَهَا أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ بِعَلَامَةٍ، فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ»^(٢) أَي: عِوَضَ.

(١) قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون مكسورة من غير ياء، وقرأ الباقر بإسكان اللام وتخفيف النون، وقرأ

أبو جعفر بفتح السين واللام وتشديد النون من غير همز. انظر «الدر المصون» (٥٢٧/٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٦٢٣٩).

قَالَ أَخْرَقْنَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا

بِفَاسٍ لَمَّا بَلَغْتَ اللَّجَجَ، ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿أَخْرَقْنَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؟ - وفي قراءةٍ يَفْتَحِ التَّحْتَانِيَّةَ وَالرَّاءِ وَرَفَعَ (أهلها) -، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عَظِيمًا مُنْكَرًا. رُوِيَ أَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَدْخُلْهَا.

(﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غَفَلْتُ عَنْ التَّسْلِيمِ لَكَ وَتَرَكْتُ الْإِنْكَارَ عَلَيْكَ، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: تُكَلِّفْنِي ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: مَشَقَّةً فِي صُحْبَتِي إِيَّاكَ، أي: عَامِلْنِي فِيهَا بِالْعَفْوِ وَالْيُسْرِ. ﴿٧٤﴾ ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بَعْدَ خُرُوجِهِمَا مِنَ السَّفِينَةِ يَمْشِيَانِ، ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بفأس) بالهمز، وجمعه: فؤوس؛ أي: القُدُوم.

قوله: (لما بلغت اللجج) بالضم جمع لُجَّة، وهي الماء الغزير^(١).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيتان^(٢).

قوله: (روي: أن الماء لم يدخلها) وقيل: إنَّ موسى لما رأى ذلك.. أخذ ثوبه فجعله في الخرق.

قوله: ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: بالأمر الذي غفلت عنه؛ لقيام حمية الشرع بي، وقيل: المراد بالنسيان: الترك.

قوله: ﴿عُسْرًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿تُرْهِقْنِي﴾.

قوله: ﴿غُلَامًا﴾ قيل: كان اسمه شمعون.

(١) في (ط ٢): (لما بلغت اللجج)، وبهما جُجِعَ، قال العلامة الزبيدي في «تاج العروس» (٦/ ١٨٠): (والجمع: لُجٌّ ولُجَجٌ).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من (أهلها)، والباقون بالتاء الفوقية مضمومة وكسر الراء ونصب لام (أهلها). انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٣).

فَقُلْهُ. قَالَ أَفَنَلَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

لَمْ يَبْلُغِ الْحَنْثَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ أَحْسَنُهُمْ وَجْهًا ﴿فَقُلْهُ﴾ الْخَضِرُ بِأَنْ ذَبَحَهُ بِالسُّكَيْنِ مُضْطَجِعًا، أَوْ اقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، أَوْ ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالْجِدَارِ، أَقْوَالٌ، وَأَتَى هُنَا بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ لِأَنَّ الْقَتْلَ عَقِبَ اللَّقْيِ، وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾: ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿أَفَنَلَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أَي: طَاهِرَةً لَمْ تَبْلُغْ حَدَّ التَّكْلِيفِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿زَكِيَّةً﴾ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ بِلا أَلِفٍ، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أَي: لَمْ تَقْتُلْ نَفْسًا، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ - بِسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّهَا - أَي: مُنْكَرًا.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿لَكَ﴾ عَلَى مَا قَبْلَهُ

حاشية الصاوي

قوله: (لم يبلغ الحنث) يُطلق الحنث على المعصية، وعلى مخالفة اليمين، والمراد: لم يبلغ حدَّ التكليف؛ من باب: إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

قوله: (مع الصبيان) أي: وكانوا عشرة.

قوله: (اقتلع رأسه بيده) أي: بعد أن لوى عنقه.

قوله: (لأن القتل عقب اللقي) أي: بخلاف السفينة؛ فإنَّ الخرق لم يكن عقب ركوبها؛ فلذا لم يأتِ بالفاء.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيتان^(١).

قوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من غير استحقاقها للقتل، والجائر والمجرور متعلق بـ(قتلت).

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾ أي: فعلت.

قوله: ﴿نُكْرًا﴾ هو أعظم من الإمر؛ لأنَّ فيه القتل بالفعل، بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه، وقيل بالعكس؛ لأنَّ الإمر فيه قتل أنفس متعددة بسبب الخرق، فهو أعظم من قتل الغلام وحده.

قوله: (بسكون الكاف وضَمُّها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الزاي وتخفيف الياء التحتية، والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد التحتية. انظر «السراج المنير» (٣٩٥/٢).

(٢) قرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان بضميتين، والباقون بضمّة وسكون. انظر «الدر المصون» (٥٣٠/٧).

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ

لِعَدَمِ الْعُذْرِ هُنَا.

﴿٧٦﴾ وَلِهَذَا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أَي: بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ﴿فَلَا تُصَحِّحْنِي﴾ لَا تَتَرَكَّنِي أَتَّبِعُكَ، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -: مِنْ قِبَلِي ﴿عُذْرًا﴾ فِي مُفَارَقَتِكَ لِي.

﴿٧٧﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴿هِيَ أَنْطَاكِيَّةُ﴾ أَسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا: طَلَبَا مِنْهُمْ الطَّعَامَ بِضِيَاغَةٍ، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارْتِفَاعُهُ مِائَةُ ذِرَاعٍ ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أَي: يَقْرُبُ أَنْ يَسْقُطَ لِمِيلَانِهِ، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الْخَضِرُ بِيَدِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (لعدم العذر هنا) أي: لأنه لم يُبَدِّ هُنَا عُذْرًا.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والنون للوقاية أتى بها؛ لتقي الفعل من الكسر كما أتى بها في (من) و(عن) محافظةً على تسكين النون.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة.

قوله: (هي أنطاكية) بتخفيف الياء.

قوله: (طلبوا منهم الطعام) روي: أنهما طافا في القرية فاستطعماهم، فلم يُطعموهما، واستضافاهم، فلم يضيّفوهما، فأطعمتهما امرأة من أهل بربرة، فدعا لنسائهم ولعن رجالهم، وعن قتادة: شرّ القرى التي لا تضيّف الضيف^(٢).

قوله: (مئة ذراع) أي: وعرضه خمسون، وامتداده على وجه الأرض خمس مئة ذراع.

قوله: (فأقامه الخضر بيده) قيل: مسّه بها فاستقام، وقيل: أقامه بعمود، وقيل: نقضه وبناه.

(١) قرأ نافع بضم الدال وتخفيف النون، وقرأ شعبة كذلك إلا أنه يُشَمِّ الدال فتصير ساكنة قريبة من الضم، والباقون بضم

الدال وتشديد النون. انظر «السراج المنير» (٢/٣٩٥).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/١٧٣).

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ

﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ - وفي قراءة: ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ - ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: جُعلاً، حيث لم يُضَيِّقُونَا مع حاجتنا إلى الطعام.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراقٍ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ - فيه إضافة (بين) إلى غير مُتَعَدِّد، سَوَّغَهَا تَكَرُّرُهُ بِالْعَطْفِ بِالْوَاوِ -، ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقِي لَكَ ﴿بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: كان ينبغي لك أخذ جُعلٍ منهم على فعلك؛ لتقصيرهم فينا مع حاجتنا؛ فقد فعلت المعروف مع غير أهله.

قوله: (وفي قراءة) أي: بإظهار الذال وإدغامها في التاء على كل، فتكون القراءات أربعاً سبعيات^(١).

قوله: ﴿بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر، وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة: ما ورد: (أنه لما أنكر خرق السفينة.. نُودِي: يا موسى؛ أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟! فلما أنكر أمر الغلام.. قيل له: أين إنكارك هذا من وكرك القبطي وقضائك عليه؟! فلما أنكر إقامة الجدار.. نُودِي: أين هذا من رفحك حجر البئر لبنتي شعيب دون أجر؟!)^(٢).

قوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ شروع في وفاء ما وعد الخضر به موسى على سبيل اللّف والتّشريح المرتّب، والسّفينة: تجمع على (سَفِينٍ) و(سَفَائِنٍ)، ويجمع السّفين على (سُفُنٍ) بضمّتين؛ مأخوذة من: السّفن كأنها تُسَفِنُ الماء؛ أي: تُقْشِرُهُ، وصاحبها: سَفَّان.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء، وأظهر ابن كثير الذال عند التاء على أصلها، وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء، وأظهر حفص الذال على أصله وأدغمها الباقيون. انظر «السراج المنير» (٣٩٧/٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٣٣/١١).

لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا
الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا

لِمَسْكِينٍ ﴿عَشْرَةَ﴾ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴿بِهَا مُوَاجِرَةٌ لَهَا طَلَبًا لِلْكَسْبِ﴾، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ
وَرَاءَهُمْ﴾ إِذَا رَجَعُوا أَوْ أَمَامَهُمْ الْآنَ ﴿مَلِكٌ﴾ كَافِرٌ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صَالِحَةٌ ﴿غَصْبًا﴾ - نَصْبُهُ
عَلَى الْمَصْدَرِ الْمُتَيْنِ لِنَوْعِ الْأَخْذِ ..

﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِمَسْكِينٍ﴾ عشرة ﴿أي﴾: وكانوا إخوة ورثوها من أبيهم، خمسة زمني، وخمسة يعملون
في البحر، وقيل: بكل واحد زمانة ليست بالآخر، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم، والثاني
أعور، والثالث أعرج، والرابع أدر، والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم،
والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى، وأصم، وأخرس، ومقعّد، ومجنون، وكان البحر الذين
يعملون فيه ما بين فارس والروم.

قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: فإذا رآها الملك معيبة.. تركها، فإذا جاوزوه.. أصلحوها
وانتفعوا بها.

قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ الجملة حالية على إضمار (قد).

قوله: ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال
توجّهِهم أمامهم؛ فقد اتّحد هذا القول مع ما بعده، وقد يجاب: بأن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾
أي: في حال توجّهِهم لكنهم في حال رجوعهم يمرّون عليه، وحينئذٍ: فلا يكون أمامهم الآن،
وقوله: ﴿أَوْ أَمَامَهُمْ الْآنَ﴾ أي: ووراء بمعنى: أمام؛ قال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦].

قوله: ﴿مَلِكٌ﴾ كافرٌ أي: وكان ملك غسان، واسمه جيسور^(١).

قوله: (صالحه) أي: صحيحة.

قوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ أي: إن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله.

(١) كذا في الأصول و«الفتوحات» (٤٢/٣) نقلاً عن الإمام القرطبي، والذي في «البخاري» (٤٧٢٦): أن الملك اسمه
هذد بن بُدَد، والغلام المقتول اسمه جيسور؛ فيما نقل عن غير سعيد بن جبير، وانظر «تفسير القرطبي» (٣٦/١١).

أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَإِنَّهُ كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ: «طَبَعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَهُمَا ذَلِكَ لِمَحَبَّتِهِمَا لَهُ؛ يَتَّبِعَانِهِ فِي ذَلِكَ».

﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا ﴿٨٠﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - «رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً» أَي: صَلَاحًا وَتَقَى، «وَأَقْرَبَ» مِنْهُ «رُحْمًا» بِسُكُونِ الْحَاءِ وَضَمِّهَا: أَي: رَحْمَةً، وَهِيَ الْبِرُّ بِوَالِدَيْهِ، فَأَبْدَلَهُمَا تَعَالَى جَارِيَةً تَزَوَّجَتْ نَبِيًّا، فَوَلَدَتْ نَبِيًّا فَهَدَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أُمَّةً.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ (أَي: يَكْلِفُهُمَا وَيُوقِعُهُمَا فِي الْكُفْرِ).

قوله: (طَبَعَ كَافِرًا) أَي: خَلَقَ مَجْبُولًا عَلَى الْكُفْرِ، وَحِينَئِذٍ: فَيَكُونُ مُسْتَثْنَى مِنْ حَدِيثِ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ»^(١).

قوله: (أَي: لِمَحَبَّتِهِمَا لَهُ) عِلَّةٌ لِإِقْبَاعِهِ لِهَُمَا فِي الْكُفْرِ.

قوله: (بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ اسمُ التَّفْضِيلِ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْغِلَامِ خَيْرٌ، أَوْ عَلَى بَابِهِ بِاعْتِبَارِ زَعَمَهُمَا.

قوله: ﴿زَكَاةً﴾ تَمْيِيزٌ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿رُحْمًا﴾.

قوله: (جَارِيَةً) أَي: بَتًّا.

قوله: (فَوَلَدَتْ نَبِيًّا) وَقِيلَ: اثْنِي عَشَرَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: وَلَدَتْ سَبْعِينَ نَبِيًّا^(٣).

وَمَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ مِنْ قَتْلِ الْغِلَامِ إِنَّمَا هُوَ جَارٍ عَلَى شَرْعِهِ لَا عَلَى شَرْعِنَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ الصَّبِيَّانِ الْكَافَرَيْنِ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا بِالسَّلَاحِ فِي الْحَرْبِ، وَلَوْ أَطَّلَعَ شَخْصٌ عَلَى مَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ الْخَضِرُ..

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٥٩)، وَمُسْلِمٌ (٦٨٤٩) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَفِيهِمَا: (عَلَى الْفِطْرَةِ) بِدَلِّ (فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ).

(٢) قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِّ، وَابْنُ قُتَيْبٍ بِسُكُونِ الْمَوْحِدَةِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِّ. انْظُرِ «السَّرَاجَ الْمُنِيرَ» (٣٩٨/٢).

(٣) وَقِيلَ: أَبْدَلَهُمَا بِغِلَامٍ مُسْلِمٍ، وَقِيلَ: إِنْ الْغِلَامُ الَّذِي قَتَلَ فَرَحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وَلَدَ، وَحَزَنَّا عَلَيْهِ حِينَ قَتَلَ، وَلَوْ بَقِيَ.. لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا، فَلْيَرْضَ الْعَبْدُ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنْ قَضَاءُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَضَائِهِ فِيمَا يُحِبُّ. انْظُرِ «تَفْسِيرَ الْخَازَنِ» (١٧٤/٣).

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا

﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ : مَالٌ مَدْفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ﴿لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فَحُفِظَا بِصَلَاحِهِ فِي أَنْفُسِهِمَا وَمَالِهِمَا،

حاشية الصاوي

فلا يجوز له قتل الغلمان، وقد أرسل بعضُ الخوارج لابن عباس يسأله: كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبي ﷺ عن قتل أولاد الكفار فضلاً عن أولاد المؤمنين؟! فكتب إليه على سبيل المجازاة والتسليم لدعواه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى.. فلك أن تقتلهم^(١).

وروي: أن موسى لما قال للخضر: ﴿أَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً...﴾ الآية.. غضب الخضر، واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا فيه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً^(٢).

قوله: ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ اسم أحدهما أصرم، والآخر صريم.

قوله: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ هي المعبر عنها أولاً بالقرية تحقيراً لها؛ لكون أهلها لم يُضَيَّفُوها، وعبر عنها بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما.

قوله: (مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز، وقيل: كان علماً في صحف مدفونة، وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟! عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب؟! عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟! عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟! عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقتُ الخير والشر، فطوبى لمن خلقتُ للخير وأجريتُ على يديه، والويل لمن خلقتُ للشر وأجريتُ على يديه^(٣).

قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل: إنه أبوهما مباشرة، وقيل: هو الأب السابع، وقيل: العاشر وكان يسمى كاشحاً، واسم أمهما دنيا، وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع.

(١) رواه مسلم (٤٧١٢) فيما أجاب به سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما نجلدة الحروري.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢١/١١) نقلاً عن كتاب «العرائس».

(٣) روى الطبراني في «الدعاء» (١٦٢٩) ما كتب على جانبه الأول موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر «تفسير الخازن» (١٧٤/٣).

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَرْهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَتَسْأَلُونَكَ.....

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إيناس رُشدِهِمَا، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَرْهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ - مَفْعُولٌ لَهُ عَامِلُهُ (أَرَادَ) -، ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ﴾ أي: مَا ذَكَرَ مِنْ خَرَقِ السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الْغُلَامِ وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اخْتِيَارِي، بَلْ بِأَمْرِ إِلَهَامٍ مِنَ اللَّهِ، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يُقَالُ: (اسْطَاعَ) وَ(اسْتَطَاعَ) بِمَعْنَى: أَطَاعَ، فِي هَذَا وَمَا قَبْلَهُ جَمْعٌ بَيْنَ اللَّعْتَيْنِ، وَنُوعَتِ الْعِبَارَةُ فِي ﴿فَأَرَدْتُ﴾ ﴿فَأَرَدْنَا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

﴿٨٣﴾ وَتَسْأَلُونَكَ ﴿٨٣﴾ أي: الْيَهُودُ.....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إيناس رُشدِهِمَا) أي: حتى يبلغا أن يُعْلَمَ إيناس رُشدِهِمَا؛ أي: قَوَّتَهُمَا وكَمَالَهُمَا.

قوله: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَرْهُمَا﴾ أي: من تحت الجدار، ولولا فعلي ذلك.. لضاع.

قوله: (بل بأمر إلهام من الله) لم يقل: (بوحى)؛ لعدم الجزم بنبوته.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من الأجوبة الثلاثة.

قوله: (ونُوعَتِ العبارة) أي: أَنَّ هَذَا التَغَايِرَ تَنْوِيعٌ فِي الْعِبَارَةِ، وَبَعْضُهُمْ أَبَدَى حِكْمَةً فِي اخْتِلَافِ التَّعْبِيرِ، وَهِيَ أَنَّ الْأُولَى لَمَّا كَانَ ظَاهِرُهَا إِفْسَادًا مُحْضًا.. أَضَافَهُ لِنَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ أَدْبَاً مَعَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ مِنْهُ، وَالثَّانِي^(١) لَمَّا كَانَ فِيهِ نَوْعٌ إِصْلَاحٍ وَنَوْعٌ إِفْسَادٍ.. عَبَّرَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَرَدْنَا﴾، وَالثَّالِثُ لَمَّا كَانَ إِصْلَاحًا مُحْضًا.. أَضَافَهُ لِلَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

قيل: إِنَّ الْخَضِرَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَفَارِقَ مُوسَى.. قَالَ لَهُ مُوسَى: أَوْصِنِي، قَالَ: كُنْ بَسَامًا وَلَا تَكُنْ ضَحَّاكًا، وَدَعْ اللَّجَاجَةَ، وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تَعِيبْ عَلَى الْخَطَّائِينَ خَطَايَاهُمْ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ يَا ابْنَ عِمْرَانَ^(٢).

قوله: ﴿وَتَسْأَلُونَكَ﴾ أي: الْمَشْرُكُونَ بِأَمْرِ الْيَهُودِ؛ فَالْيَهُودُ سَبَبٌ فِي السُّؤَالِ وَإِنْ لَمْ تَقْعْ مِنْهُمْ الْمُبَاشَرَةُ لَهُ، فَصَحَّ قَوْلُ الْمُفَسِّرِ: (اليهود).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالسَّبَاقُ يَقْتَضِي (وَالثَّانِيَةَ)، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ: وَقَوْلُهُ الثَّانِي، وَكَذَا قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدُ: وَالثَّالِثُ.

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٤٥/١١).

عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ

﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسْمُهُ الْإِسْكَندَرُ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، ﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾: سَأَقْصُرُ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾: مِنْ حَالِهِ ﴿ذِكْرًا﴾: خَبْرًا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ لَقَّبَ بِذَلِكَ؛ لِمَا قِيلَ: إِنَّ لَهُ قَرْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ فِي رَأْسِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَلِكُ فَارَسَ وَالرُّومِ.

قوله: (اسمه الإسكندر) أي: وهو الذي بنى الإسكندرية وسماها باسمه.

قوله: (ولم يكن نبياً) أي: على الصحيح، وإنما كان ولياً فقط، وما يأتي مما يؤهم نبوته.. فمؤوَّلٌ ومحمولٌ على الإلهام والإلقاء في القلب، وذلك غير مخصوص بالأنبياء.

وإسكندر من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسود اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل؛ فإنه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا، وكان يطوف معه، وكان الخضر وزيره وابن خالته، وكان يسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر؛ فإنه من ولد العيص بن إسحاق وكان كافراً، عاش ألفاً وست مئة، وكان قبل المسيح بثلاث مئة سنة.

وفي «القرطبي»: (قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولدٌ غيره، وكان اسمه إسكندر، فلما بلغ.. كان عبداً صالحاً، قال الله تعالى - أي: على لسان نبيٍّ كان موجوداً، أو بإلهام -: يا ذا القرنين؛ إني باعثك - أي: سلطاناً - إلى أُمَمِ الأرض، وهم أُمَمٌ مختلفةٌ ألسنتهم، وهم جميع الأرض، وهم أصناف: أُمَّتان بينهما طول الأرض كلها، وأُمَّتان بينهما عرض الأرض كلها، وأُمَمٌ في وسط الأرض منهم الجن والإنس، ويأجوج وماجوج، فأما اللتان بينهما عرض الأرض.. فأمةٌ في قُطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها: هاويل، وأمةٌ في قُطر الأرض الأيسر ويقال لها: تاويل، وأما اللتان بينهما طول الأرض.. فأمةٌ عند مطلع الشمس يقال لها: منسك، وأمةٌ عند مغرب الشمس يقال لها: ناسك، فقال ذو القرنين: إلهي؛ لقد ندبتي لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأُمَمِ بأيِّ قوةٍ أكاثرهم؟ وبأيِّ صبرٍ أقاسيهم؟ وبأيِّ لسانٍ أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة؟ فقال الله تعالى: سأظفرك بما حملتك، أشرح لك صدراً فتسمع كلَّ شيءٍ، وأثبت لك فهماً فتفقه كلَّ شيءٍ، وألبسك الهيبة فلا يرُوعك شيءٌ، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جنداً من جنودك، يهديك النور

حاشية الصاوي

من أمامك، وتحفظك الظلمة من ورائك، فلما قيل له ذلك.. سار بمن تبعه، فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس؛ لأنها كانت أقرب الأمم وهي ناسك، فوجد جنوداً لا يُحصيها إلا الله، وقوة وبأساً لا يُطيقه إلا الله تعالى، والسنّة مختلفة، وأهواء مشتتة، فكأثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدّ عنه، فأدخل على الذين تولّوا الظلمة فغشيتهم من كلّ مكان، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم، وغشيتهم من كل مكان، فتحيروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا، فعجّوا إلى الله بصوت واحد: إنا آمنّا، فكشفها عنهم، وأخذهم عنوة، ودخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمماً عظيمة، فجعلهم جنداً، ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه، والنور أمامه يقوده ويدلّه وهو يسير في ناحية الأرض الأيمن وهي هاويل، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره؛ فلا يخطئ إذا عمل عملاً، فإذا أتوا مخاضة أو بحرّاً.. بنى سقفاً من ألواح صغار أمثال النعال، فيضمها ساعة، ثم يحمل عليها جميع من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار.. فتّقها ودفع إلى كل رجل لوحاً؛ فلا يكثرث بحمله، فانتهى إلى هاويل، ففعل بهم كفعله بناسك، فأمنوا، فأخذ جيوشاً منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها، وجند منها جنوداً كفعله في الأول، ثم كرّ مقبلاً حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تاويل وهي الأرض التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض، ففعل بها كفعله فيما قبلها، ثم عطف إلى التي في وسط الأرض من الإنس والجن وأجوج وأجوج، فلمّا كان ببعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق.. قالت أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين؛ إنّ بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين، ليس فيهم مشابهة للإنس وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدوابّ والوحش كما تفرسها السباع، ويأكلون دوابّ الأرض كلّها من الحيات والعقارب والوزغ وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق تنمي نماءهم في العام الواحد، فإذا طالت المدة.. فسيملّون الأرض ويُخرجون أهلها منها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً... إلى آخر ما يأتي في الآية.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاثَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيًّا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

﴿٨٤﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ بِتَسْهِيلِ السَّيْرِ فِيهَا، ﴿وَأَثَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿سَبِيًّا﴾: طَرِيقًا يُوصِلُهُ إِلَى مُرَادِهِ.

﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾ ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾: سَلَكَ طَرِيقًا نَحْوَ الْغَرْبِ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: مَوْضِعُ غُرُوبِهَا، ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذَاتِ حِمَاةٍ وَهِيَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ، حاشية الصاوي

وبالجملة: فقد ملكه الله ومكَّنه، ودأبت له الملوك؛ فقد روي: «أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: نمرود، وبخت نصر»^(١)، وسيملكها من هذه الأمة خامسٌ وهو المهدي.

قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بالتصريف فيها حيث يشاء.

قوله: (طريقاً) أي: كآلات السير، وكثرة الجند.

قوله: (إلى مُرادِهِ) أي: وهو جميع الأرض.

قوله: ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾ بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (موضع غروبها) أي: فالمراد: أنه بلغ آخرَ العمارة من الأرض، ووصل إلى ساحل البحر المحيط، فلمَّا لم يبقَ قُدَّامُهُ شَطٌّ، بل مياه لا آخرَ لها.. رأى الشمس كأنها تغربُ فيه، وسمَّاه الله عيناً؛ لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين وإن كان عظيماً في نفسه.

قوله: ﴿حَمِئَةٍ﴾ بالهمز بدون ألف، وبألف بعدها ياء، قراءتان سبعيتان^(٣)؛ فأما الأولى فهي من الحمأة، وهي: الطين الأسود، وأما الثاني فهي اسم فاعل من: حَمِيَ يَحْمَى، والمعنى: في عين حارَّة، ولا تنافي بين القراءتين؛ لأنَّ العين جامعة بين الوصفين: الحرارة، وكون أرضها من طين.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٦/٦) عن مجاهد، وبخت نصر: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصلاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصر: اسم صنم وجد مطروحاً عنده، فنسب إليه.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «فاتَّبِعَ» و«ثم اتَّبَعَ» في المواضع الثلاثة بهمزة وصل وتشديد التاء، والباقون بهمزة القطع وسكون التاء. انظر «الدر المصون» (٥٤٠/٧).

(٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر والأخوان بالألف وياء بعد الميم، والباقون دون ألف وهمزة بعد الميم. انظر «الدر المصون» (٥٤١/٧).

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْذَا الْقَرْيَتَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ

وَعُرُوبُهَا فِي الْعَيْنِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَإِلَّا فَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الدُّنْيَا، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أَيِ: الْعَيْنِ ﴿قَوْمًا﴾ كَافِرِينَ، ﴿قُلْنَا يَبْذَا الْقَرْيَتَيْنِ﴾ بِالْهَامِ ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ الْقَوْمَ بِالْقَتْلِ، ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بِالْأَسْرِ.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بِالشَّرْكِ ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾: نَقِشْهُ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ - بِسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّهَا -: أَيِ: شَدِيدًا فِي النَّارِ.

﴿٨٨﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ أَيِ: الْجَنَّةِ، - وَالْإِضَافَةُ لِلْبَيَانِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِنَصْبِ ﴿جَزَاءُ﴾ وَتَوْنِيهِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَنَصَبُهُ عَلَى التَّفْسِيرِ أَيِ: لِجِهَةِ النُّسْبَةِ - ...

حاشية الصاوي

قوله: (وَعُرُوبُهَا فِي الْعَيْنِ... إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إن الشمس في السماء الرابعة، وهي قدر كرة الأرض مئة وستين مرة؛ فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها؟! فأجاب: بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى، لا حقيقة؛ كما يرى راكب البحر الشمس طالعةً فغاربةً فيه.

قوله: (كافرين) أي: وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب، كانت على ساحل البحر المحيط، وقوتهم ما يلفظ البحر من السمك، وكان لباسهم جلود الوحوش.

قوله: ﴿قُلْنَا﴾ أي: بِالْهَامِ.

قوله: (بالأسر) أي: وسُمِّيَ إحساناً بالنسبة للقتل.

قوله: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: استمرَّ على ظلمه.

قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ﴾ أي: فِي الْآخِرَةِ.

قوله: (بسكون الكاف وضمها) أي: فهما سبعيتان^(١).

قوله: (أي: لجهة النسبة) أي: نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو ﴿الْحُسْنَىٰ﴾، والتقدير: فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء^(٢).

(١) قرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان بضمين، والباقون بضمه وسكون. انظر «الدر المصون» (٧/٥٣٠).

(٢) وقيل: منصوب على الحال أي: فله المثوبة الحسنى مجزئاً بها، وقرأ حفص وحزمة والكسائي بفتح الهمزة بعد =

وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نأمره بما يسهل عليه.

(٨٩ - ٩٠) ﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا﴾ نحو المشرق، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: موضع طلوعها، ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِتْرًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناءً، ولهم سُروب يَغيبُونَ فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

﴿٩١﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ﴾ أي: لمن آمن.

قوله: (موضع طلوعها) أي: الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً؛ قيل: بلغه في اثنتي عشرة سنة، وقيل: أقل؛ لأنه سخر له السحاب، وطويت له الأسباب.

قوله: (هم الزنج) بفتح الزاي وكسرها.

قوله: ﴿سِتْرًا﴾ هو بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وهو في الآية بالكسر.

قوله: (ولا سقف) أي: ولا أشجار؛ لأن أرضهم رخوة لا تحمل بناءً؛ لعدم الجبال فيها، فتמיד بأهلها ولا تستقر.

قوله: (ويظهرون عند ارتفاعها) أي: مغيبها، يسعون في تحصيل مهمات معاشهم، فحالهم بالضد من أحوال الخلق؛ فما دامت الشمس طالعة.. فهم في السرايب، وإذا غربت.. خرجوا لتكسباتهم.

قوله: (أي: الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾... إلخ الجملة مستأنفة من كلام الله، وفائدة الإخبار بذلك: الاعتناء بشأن ذي القرنين، وأن الله معه بالنصر والعون أينما حلَّ.

= الزاي منونة وتكسر في الوصل لالتقاء الساكنين، والباقون بضم الهمزة من غير تنوين فالإضافة للبيان. انظر السراج المنير (٤٠٣/٢).

خَبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أُنْبِئَ سَيِّئًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٩٣﴾

من الآلات والجُندِ وغيرهما ﴿خَبْرًا﴾: علماً.

(٩٢ - ٩٣) ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَيِّئًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴿٩٢﴾ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا هُنَا
وَبَعْدُ - هُمَا جَبَلَانِ بِمُنْقَطَعِ بِلَادِ التُّرْكِ، سَدُّ الْإِسْكَندَرُ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِي، ﴿وَجَدَ مِنْ
دُونِهِمَا﴾ أَي: أَمَامَهُمَا ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أَي: لَا يَفْهَمُونَهُ إِلَّا بَعْدَ بُطْءٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ﴾ تقدّم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف.

قوله: ﴿سَيِّئًا﴾ أَي: طريقاً آخر تُوصِلُهُ لجهة الشمال؛ لأنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَإِنْ كَانُوا فِي وَسْطِ
الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُمْ لجهة الشمال؛ لأنَّ أَرْضَهُمْ وَاسِعَةٌ جَدًّا تَنْتَهِي إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
مَسَافَةُ الْأَرْضِ بَتَمَامِهَا خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ؛ ثَلَاثُ مِائَةِ بَحَارٍ، وَمِائَةُ وَتِسْعُونَ مَسْكَنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، تَبْقَى
عَشْرَةٌ؛ لِلْحَبْشَةِ مِنْهَا سَبْعَةٌ، وَثَلَاثَةٌ لَجُمْلَةِ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ.

قوله: (هنا وبعده) أَي: فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقَوْلُهُ الْآتِي: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَبْأً﴾، وَفِي (يَس):
﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبْأً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَبْأً﴾ [يَس: ٩]؛ فَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ تُقْرَأُ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (جبلان) أَي: عَالِيَانِ جَدًّا مَلِيسَانِ.

قوله: (بمنقطع) بفتح الطاء؛ أَي: آخِرُ بِلَادِ التُّرْكِ.

قوله: (سَدُّ الْإِسْكَندَرِ مَا بَيْنَهُمَا) أَي: الْفَتْحَةُ الَّتِي بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَقَدَرُهَا مِائَةُ فَرَسَخٍ، وَمَسِيرَةُ
الْفَرَسَخِ سَاعَةٌ وَنِصْفٌ، فَتَكُونُ مَسِيرَتُهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَاعَةً، مَسِيرَةُ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَنِصْفًا، فَتَبْلُغُ
مَسَافَتَهُ نَحْوَ الْعُقْبَةِ مِنْ مِصْرَ.

قوله: (أَي: أَمَامَهُمَا) أَي: بِقُرْبِهِمَا.

قوله: ﴿قَوْمًا﴾ أَي: وَهُمْ التُّرْكُ وَالرُّومُ.

قوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أَي: لِغَرَابَةِ لُغَتِهِمْ وَبُطْءِ فَهْمِهِمْ.

(١) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ سَيْنِ «السَّيْنِ» وَ«سَدًّا» فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَحَفْصٌ فَتَحَ الْجَمِيعَ؛ أَعْنِي: مَوْضِعِي هَذِهِ
السُّورَةِ، وَمَوْضِعِي سُورَةِ (يَس)، وَقَرَأَ الْأَخْوَانُ بِالْفَتْحِ فِي «سَدًّا» فِي سُورَتِهِ، وَبِالضَّمِّ فِي «السَّيْنِ»، وَبِالْقَوْنِ بِالضَّمِّ
فِي الْجَمِيعِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٥٤٤/٧) ..

قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

- وفي قراءة بِضَمِّ الياء وكسر القاف -.

﴿٩٤﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ، هُمَا اسْمَانِ اعْجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَيْنِ، فَلَمْ يَنْصَرِفَا -

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيتان^(١)، والمعنى: لا يُفْهَمُونَ غَيْرَهُمْ؛ لشدّة عُجْمَتِهِمْ، فكلامهم مُغْلَقٌ.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: قال مترجمهم؛ لأنهم من أولاد يافث بن نوح، وذو القرنين من أولاد سام؛ فلا يفهم لغتهم، وإنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين، وقيل: خاطبوه بأنفسهم، وفهم لغتهم كرامة له؛ لما تقدّم: أَنَّ الله جعل له فهماً يفقه به كلّ شيء، وهو الأقرب.

قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث؛ فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والحبش، ويافث أبو الترك والبربر وصقلية ويأجوج ومأجوج، قال ابن عباس: هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلّهم جزء^(٢).

قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ روي: «أنّ كلّاً من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة، لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه، كلّهم قد حمل السلاح، وهم أصناف: صنفت منهم طوله عشرون ومئة ذراع في السماء، وصنفت منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومئة ذراع، وصنفت منهم يفتersh أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه»^(٣)، والجميع كفاراً، دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء، فلم يُجيبوا.

قوله: (بالهمز وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: (اعجميان) أي: لا اشتقاق لهما، ومُنْعَا من الصرف للعلميّة والعجمة.

(١) قرأ الأخوان بضم الياء وكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٥٤٥/٧).

(٢) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (١١٠/٢)، وفي «سنن الترمذي» (٣٢٣١) من حديث سيدنا سُمرة عن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٥/٤) عن سيدنا حذيفة بن اليمان ؓ.

(٤) قرأ عاصم بالهمزة الساكنة، والباقون بألف صريحة. انظر «الدر المصون» (٥٤٥/٧).

مُتْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾

﴿مُتْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالنَّهْبِ وَالْبَغْيِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ إِلَيْنَا، ﴿فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعْلًا مِنَ الْمَالِ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: (خَرَجًا) - ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حَاجِزًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْنَا؟ ﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ بَنُونِينَ مِنْ غَيْرِ إِدْغَامٍ - ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ خَرَجِكُمْ الَّذِي تَجْعَلُونَهُ لِي، فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَيْهِ، وَأَجْعَلْ لَكُمْ السَّدَّ تَبَرُّعًا، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لِمَا أَطْلَبُهُ مِنْكُمْ ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حَاجِزًا حَصِينًا.

حاشية الصاوي

قوله: (بالنهب والبغي) أي: فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم.

قوله: (عند خروجهم) أي: من هذه الفتحة.

قوله: (وفي قراءة: «خراجاً») أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (وفي قراءة بنونين) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: (وغيره) أي: كالملك.

قوله: (وأجعل لكم السد تبرعاً) روي: أنه قال لهم: أعدوا لي الصخرة والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم، فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب وأضراس كالسباع، ولهم شعر يُوراري أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان، يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى، يُصَيِّفُ في واحدة ويشتي في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم، فلمَّا عاين ذو القرنين ذلك.. اهتمَّ بالسَّدِّ فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلمَّا وصل إلى ظاهر الأرض.. بنى بقطع الحديد، وأفرغ عليه النحاس المذاب. ولا يشكل هذا على ما تقدَّم من أنهم أصناف؛ لأنه رأى صنفًا من الأصناف.

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وألف بعدها، والباقون بسكون الراء ولا ألف بعدها. انظر «السراج المنير» (٤٠٥/٢).

(٢) قرأ ابن كثير «مكتني» بإظهار النون، والباقون بإدغامها في نون الوقاية للتخفيف. انظر «الدر المصون» (٥٤٧/٧).

ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

﴿٩٦﴾ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: قَطَعَهُ عَلَى قَدْرِ الْحِجَارَةِ الَّتِي يُبْنَىٰ بِهَا، فَبَنَىٰ بِهَا وَجَعَلَ بَيْنَهَا الْحَطَبَ وَالْفَحْمَ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ - بِضَمِّ الْحَرْفَيْنِ، وَفَتْحِهِمَا، وَضَمُّ الْأَوَّلِ وَسُكُونُ الثَّانِي - أَي: جَانِبَيِ الْجَبَلَيْنِ بِالْبِنَاءِ وَوَضَعَ الْمَنَافِخَ وَالنَّارَ حَوْلَ ذَلِكَ، ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ فَنَفَخُوا، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أَي: الْحَدِيدَ ﴿نَارًا﴾ أَي: كَالنَّارِ ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هُوَ النَّحَاسُ الْمَذَابُ، - تَنَازَعَ فِيهِ الْفِعْلَانِ وَحُذِفَ مِنَ الْأَوَّلِ لِإِعْمَالِ الثَّانِي - فَأَفْرَغَ النَّحَاسَ الْمَذَابَ عَلَى الْحَدِيدِ الْمُحْمَى، فَدَخَلَ بَيْنَ زُبْرِهِ فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ءَاتُونِي﴾ بفتح الهمزة وكسرها مع المدَّ فيهما، قراءتان سبعيتان^(١)، ف﴿زُبَرَ﴾ على الفتح منصوب على المفعوليَّة، وعلى الكسر منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ جمع زُبْرَةٍ ك: غُرْفَ وَغُرْفَةٍ.

قوله: (بضم الحرفين... إلخ) أي: فالقراءات السبعيَّة ثلاث^(٢).

قوله: (بالبناء) متعلق بـ﴿سَاوَى﴾.

قوله: (ووضع المنافخ) جمع مَنَفَخٍ ك: مَنَبَرٍ، ويقال: مَنَافِخُ ك: مفاتيح، ويجمع على (منافخ).

قوله: (فَنَفَخُوا) أي: وهذه كرامةٌ لذي القرنين؛ حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويُفرغون النحاس مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك.

قوله: (وحذف من الأول) أي: هو وَضَمِيرُهُ؛ لأنه فضلة، والأصل: آتُونِي قِطْرًا أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا.

قوله: (بين زُبْرِهِ) أي: مكان الحطب والفحم الذي كان بينهما، فلمَّا أَكَلَتْهُ النَّارُ. . بقي ما بينهما خاليًا، فأفْرِغَ فِيهِ النَّحَاسَ الْمَذَابَ، فامتزج بالحديد.

(١) قرأ أبو بكر بهمزة وصل، والباقون بهمزة القطع فيهما. انظر «الدر المصون» (٥٤٧/٧).

(٢) قرأ أبو بكر بضم الصاد وسكون الدال، وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضمهما، والباقون بفتحهما. انظر «الدر المصون» (٥٤٩/٧).

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ

﴿٩٧﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا: أي: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يَعْلُوا ظَهْرَهُ لِرِثْقَاعِهِ وَمَلَأَتْهُ، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: خَرَقًا لِصَلَابَتِهِ وَسُمِكِهِ.

﴿٩٨﴾ قَالَ: ذُو الْقَرْنَيْنِ: ﴿هَذَا﴾ أي: السِّدُّ أي: الإِقْدَارُ عَلَيْهِ ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ نِعْمَةٌ لِأَنَّهُ مَانِعٌ مِنْ خُرُوجِهِمْ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بِخُرُوجِهِم الْقَرِيبِ مِنَ الْبَعْثِ ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: مَدْكُوكًا مَبْسُوطًا، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بِخُرُوجِهِمْ وَغَيْرِهِ ﴿حَقًّا﴾ كَانَتْ.

﴿٩٩﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يَخْتَلِطُ بِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (لارتفاعه) أي: فكان ارتفاعه مئتي ذراع.

قوله: (وملاسته) أي: فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره.

قوله: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي: خرقاً بالنبل؛ كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أنهم يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه.. قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، قال: فيعبده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يعينهم إلى الناس.. قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، قال: فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس، فيستقون المياه وتنفّر الناس منهم»^(١).

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: وقت وعده.

قوله: ﴿بِخُرُوجِهِمْ﴾ أي: فيخرجون على الناس، فينفرون منهم، فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبةً بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض ومن في السماء، فيزدادون قوة وقسوة.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذي القرنين تم عند قوله: ﴿حَقًّا﴾، وهذا من كلام الله.

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: لشدة الازدحام عند خروجهم، وذلك عقب موت

(١) رواه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وفيه: (فينسفون) بدل (فيستقون)، وفي (ط٢): (فيستقون)، وما ذكره المصنف من كون الحديث من رواية الشيخين... تبع فيه العلامة الجمل في «فتوحاته» (٥١/٣)، وانظر «الدر المثور» (٤٦٢/٥).

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾

لِكَثْرَتِهِمْ، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: الْقَرْنِ لِلْبَعْثِ، ﴿فَجَمَعْنَهُمْ﴾ أي: الْخَلَائِقُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿جَمْعًا﴾.

(﴿١٠٠﴾ - ﴿١٠١﴾) ﴿وَعَرَضْنَا﴾: قَرَّبْنَا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ - بَدَلٍ مِنَ (الْكَافِرِينَ) - ﴿فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي﴾ أي: الْقُرْآنِ فَهُمْ عُمِّي لَا يَهْتَدُونَ بِهِ، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنَ النَّبِيِّ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ بُغْضًا لَهُ فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

حاشية الصاوي

الذجال، فَيَنحَازُ عِيسَى بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ فَرَارًا مِنْهُمْ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فِي أَنْوْفِهِمْ، فَيَمُوتُونَ بِهِ، فَتَنْتَبِهُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، فَتَأْتِي طُيُورٌ تَرْمِيهِمْ فِي الْبَحْرِ بِدَعَاءِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَدْخُلُونَ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ وَلَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَى مَنْ تَحَصَّنَ بِوَرْدٍ أَوْ ذِكْرِ.

قوله: (لِكَثْرَتِهِمْ) أي: وَضِيقِ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ أَرْضَنَا بِالنِّسْبَةِ لِأَرْضِهِمْ ضَيِّقَةٌ جَدًّا.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ بِدَلِيلِ التَّعْقِيبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَجَمَعْنَهُمْ﴾، وَأَمَّا النَّفْخَةُ الْأُولَى.. فَعِنْدَهَا تَخْرُجُ رُوحُ كُلِّ ذِي رُوحٍ، وَاخْتَلَفَ فِي الْقَدْرِ الَّذِي بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ أَرْبَعُونَ عَامًا.

قوله: (أي: الْقَرْنِ) وَهُوَ بَيْدُ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: (قَرَّبْنَا) أي: أَظْهَرْنَا؛ بِحَيْثُ يَكُونُونَ مُشَاهِدِينَ لَهَا.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ: يَوْمُ الْمَوْقِفِ.. فَالْعَرَضُ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ بِمَعْنَى: التَّقْرِيبِ وَالْإِظْهَارِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ: بَعْدَ انْقِضَائِهِ.. فَالْمُرَادُ بِالْعَرَضِ: امْتِزَاجُهَا بِهِمْ، فَيَكُونُ كُنَايَةً عَنْ دُخُولِهِمْ فِيهَا وَتَعْذِيبِهِمْ بِهَا، وَفَائِدَةُ التَّأْكِيدِ عَلَى الْأَوَّلِ: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا حِجَابٌ.

قوله: ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ أي: بَصَائِرُهُمْ.

قوله: (لَا يَهْتَدُونَ) أي: لَا يَتَّعْظُونَ وَلَا يُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِهِمْ.

قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: سَمَاعَ قَبُولٍ وَفَهْمٍ؛ لِوُجُودِ الْحِجَابِ الْمَانِعِ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِ.....

﴿١٠٢﴾ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزيراً ﴿مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِ﴾: أرباباً؟ - مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُوا﴾، والمفعول الثاني لـ (حَسِبَ) محذوف، المعنى: أظنوا أنَّ الاتِّخاذَ المذكورَ لا يُغْضِبُنِي ولا أَعاقِبُهُمْ عَلَيْهِ؟ كَلَّا،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أكفروا فحسبوا... إلخ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع.

قوله: (أي: ملائكتي وعيسى وعزيراً) أشار بذلك إلى تنوعهم في الكفر؛ فالمشركون يعبدون الملائكة، والنصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون العزير.

قوله: (وعزيراً) هذا لقبه، واسمه قطفير أو أطفير^(١).

قوله: ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غيري، وهو صادق بكونهم يُشركونهم معه في العبادة، أو خصوهم بالعبادة دونه.

قوله: (مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُوا﴾) أي: والأول قوله: ﴿عِبَادِي﴾ فمفعولا (اتخذ) مذكوران.

قوله: (والمفعول الثاني لـ «حَسِبَ» محذوف) أي: والأول قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا...﴾ إلخ والتقدير: أظنُّ الكافرون اتَّخَذَهُمْ عِبَادِي مِنْ دُونِي أرباباً لا يُغْضِبُنِي؟! بل هو مغضبٌ لي وأعاقبهم عليه.

وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة مَنْ يزعم أنَّ محبة الأولياء وزيارتهم إشراك، واستدلوا بمثل هذه الآية؛ فيقال: إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرُّون الخلق وينفعونهم بذواتهم... فمُسلَّم أنه إشراك، وأمَّا إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربِّهم وعبادته فاخترهم وأحبَّهم... فهذا الاعتقاد مُنْجٍ من المهلاك، ومُورثٌ للفوز بصُحبَتهم ومرافقتهم في دار السلام؛ لما ورد: «المرءُ مع أحبِّه»^(٢).

قوله: (كَلَّا) هي كلمة رَدَع وزجر.

(١) كذا في الأصول و«الفتوحات» (٥٢/٣)، وعزَّاه إلى السيوطي في «التحبير في علم التفسير»، والذي فيه: أن هذا اسم عزيز مصر. انظر «التحبير» (ص ١٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٦٨١١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ...

﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾: هؤلاء وغيرهم ﴿نُزْلًا﴾ أي: هي مُعَدَّةٌ لَهُمْ كَالْمَنْزِلِ الْمُعَدِّ لِلضَّيْفِ.

(﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٤﴾) ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ - تمييز طابَقُ الْمُمَيِّزِ -، وَبَيَّنَّهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بَطَلَ عَمَلُهُمْ ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: يَظُنُّونَ ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: عَمَلًا يُجَازُونَ عَلَيْهِ.

﴿١٠٥﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بِدَلَائِلِ تَوْحِيدِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بَطَلَتْ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ﴾ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

قوله: ﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا﴾ أي: هَيَّأْنَا وَأَحْضَرْنَا.

قوله: (هؤلاء) أي: الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيراً، وقوله: (وغيرهم) أي: من بقية الكفار.

قوله: (كالمَنْزِلِ الْمُعَدِّ لِلضَّيْفِ) أي: فهو استهزاءً وسخريةً بهم؛ حيث سَمَّى محلَّ عذابهم نُزْلًا، والنُّزْلُ: اسمٌ لمكان الضيف أو لما يُهَيَّأ له.

قوله: ﴿(بِالْأَخْسَرِينَ)﴾ جمع أخسر؛ إما بمعنى: أشدَّ الناس خسراناً، أو بمعنى: خاسر.

قوله: (طابَقُ الْمُمَيِّزِ) جوابٌ عما يقال: كيف جمع التمييز مع أنَّ أصله الإفراد؟ ولمَّ جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع؟ فأجاب: بأنه جمع لمشاكلة مميَّزه.

قوله: ﴿(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ)﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين... إلخ.

قوله: (بطل عملهم) أي: لأنَّ شرط الثواب الإسلام، والكفر لا تنفع معه طاعة.

قوله: ﴿(وَهُمْ يَحْسَبُونَ)﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿ضَلَّ﴾.

قوله: (أي: وبالبعث) فالمراد بِلِقَاءِ اللَّهِ: لقاء بَعْثِهِ وحسابه... إلخ.

قوله: ﴿(فَحَبِطَتْ)﴾ أي: بسبب ذلك.

الْقَيْمَةِ وَزَنَا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ

الْقَيْمَةِ وَزَنَا ﴿١٠٥﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا.

﴿١٠٦﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حُبوب أعمالهم وغيره، وابتدأ: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً بهما.

﴿١٠٧﴾ - ﴿١٠٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا نجعل لهم قدرًا) أي: منزلة، وإنما قال ذلك؛ لأن الكفار على التحقيق تُوزن أعمالهم، وبعضهم أجاب: بأن الآية فيها حذف النعت، والتقدير: وزناً نافعاً.

قوله: (أي: الأمر ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ خبر لمحذوف.

قوله: (الذي ذكرت) تفسيرٌ لاسم الإشارة.

قوله: (وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مستأنفة، وهو صادق بأن يكون ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿جَهَنَّمُ﴾: خبراً، وبالعكس، ويصح أن يكون ﴿ذَلِكَ﴾: مبتدأ أول، و﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول.

قوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ الباء: سببية، و(ما): مصدرية؛ أي: بسبب كفرهم واتخاذهم.

قوله: (في علم الله) أي: قبل أن يُخلقوا، وهو جوابٌ عما يقال: إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبّر بالماضي؟ فأجاب: بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ...﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآية.

قوله: (هو وسط الجنة) إمّا يسكون السين بمعنى: أنها مُتوسطة بين الجنان، أو بفتحها بمعنى: خيارها، قال كعب: (ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس؛ فيها الآمرون بالمعروف، والنّاهون عن المنكر)^(١).

والفردوس: الجنة من الكرم خاصة، أو ما غالبها كرم، واختلف فيه؛ ف قيل: عربي، وقيل: أعجمي، وقيل: هو رومي، وقيل: فارسي، وقيل: سرياني.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣١/١٥).

نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ

﴿نُزُلًا﴾: منزلاً، ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ﴾: يطلبون ﴿عَنْهَا حَوْلًا﴾: تحوُّلاً إلى غيرها.
 ﴿١٠٩﴾ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكْتَبُ بِهِ ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدَّالَّةُ
 على حِكْمِهِ وَعَجَائِيهِ بِأَنْ تُكْتَبَ بِهِ، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ في كِتَابَتِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (منزلاً) أي: وقيل: هو ما يُهَيَّأ للضيف.

قوله: (﴿خَلِيدِينَ﴾) حال مقدرة.

قوله: (﴿لَا يَبْعُونَ﴾) حال أخرى.

قوله: (تحوُّلاً) أي: انتقلاً عنها إلى غيرها؛ لأنَّ فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين.

قوله: (﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾) سبب نزولها: أن اليهود قالت: يا محمد؛ إننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير، فكيف تقول: وما أوتيت من العلم إلا قليلاً؟!^(١)، وقصدهم بذلك: الإنكار عليه، وإثبات الفضل لهم.

قوله: (أي: ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾) أي: النَّفْسِيَّةُ القائمة بذاته، ويصحُّ أن يراد بها: الكلمات القرآنية الحادثة، ويكون المراد بعدم تنهايتها: باعتبار مدلولاتها.

قوله: (﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾) أي: فرغ.

قوله: (﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ﴾) إن قلت: إن الآية تدل على نفاذ الكلمات وفراغها؛ لأنَّ مقتضى قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ أنها تفرغ بعد فراغ المداد، وأجيب: بأنَّ (قبل) بمعنى (غير)^(٢).

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما سبعيتان^(٣).

قوله: (لنفد) قدره؛ إشارة إلى أنَّ ﴿لَوْ﴾ شرطيةٌ جوابها محذوف، ويوضح هذه الآية قوله تعالى

(١) رواه الترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣١٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٢) أي: لنفد البحر ولم تنفد كلمات ربي، وذكر في «الكشاف»: أن (قبل) هنا بمعنى (غير) أو بمعنى (دون). «فتوحات» (٥٣/٣).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية على التذكير، والباقون بالفوقية على التأنيث. انظر «السراج المنير» (٤١١/٢).

قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ لَعَدَا ﴿١١٠﴾

﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ﴾ - بِالنَّاءِ والياء -: تَفَرُّغٌ ﴿كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: الْبَحْرِ ﴿مَدَدًا﴾ زِيَادَةٌ فِيهِ لَنَفَذَ وَلَمْ تَفَرُّغْ هِيَ، وَنَصَبُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ.

﴿١٠٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾: أَدْمِي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (أَنَّ) الْمَكْفُوفَةَ بِ(مَا) بَاقِيَةٌ عَلَى مَصْدَرِيَّتِهَا، وَالْمَعْنَى: يُوحَىٰ إِلَيَّ وَحْدَانِيَّةُ الْإِلَهِ، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾: يَأْمُلُ ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فِيهَا بِأَنْ يُرَائِيَ ﴿لَعَدَا﴾.



حاشية الصاوي

في سورة (لقمان): ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قوله: (ونصبه على التمييز) أي: (لمِثْلِ).

قوله: (باقية على مصدريتها) أي: (فما) وإن كَفَّتْهَا عَنِ الْعَمَلِ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْمَصْدَرِيَّةِ.

قوله: (والمعنى) أي: المأخوذ من التركيب.

قوله: ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: بِشُرُوطِهِ وَأَرْكَانِهِ.

قوله: (بأن يُرَائِيَ) أي: هذا قدرٌ زائدٌ على التوحيد والعمل، وحينئذ: فيكون بياناً للإيمان الكامل الذي يَرُقَى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص، وإلا... فالمراتب ثلاثة: مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الْحِظَّ الْفَانِي... فهو في أدنى المراتب، ومن أَرَادَ بِهِ الْخَوْفَ مِنَ الْعِقَابِ وَالْفَوْزَ بِجَزِيلِ الثَوَابِ... فهو أعلى منه، ومن أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ... فهو في أعلى المراتب.



﴿كَهَيْعَصَ﴾



مَكِّيَّةٌ، أَوْ إِلَّا سَجَدَتْهَا فَمَدَنِيَّةٌ، أَوْ إِلَّا ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾ الْآيَتَيْنِ فَمَدَنِيَّتَانِ، وَهِيَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ وَتَسْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ مَرْيَمَ

(مَكِّيَّة) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ قِصَّتِهَا فِيهَا عَلَى عَادَتِهِ تَعَالَى مِنْ تَسْمِيَةِ السُّورَةِ بِاسْمِ بَعْضِهَا، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، وَلَا ضَرَرَ فِيهَا وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ ذِكْرَ اسْمِ السُّورَةِ لَا الْعَلَمَ الْمَشْهُورَ، وَلَمْ تُذَكَّرْ امْرَأَةٌ بِاسْمِهَا صَرِيحاً فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَرْيَمُ؛ فَذُكِرَتْ فِيهِ فِي ثَلَاثِينَ مَوْضِعاً، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ: التَّبَكُّيتُ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّهَا زَوْجَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْعَظِيمَ يَأْتَفُ مِنْ ذِكْرِ زَوْجَتِهِ بِاسْمِهَا، فَكَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُمْ: لَوْ كَانَ مَا تَزْعُمُونَ حَقًّا... مَا صَرَّحْتُ بِاسْمِهَا.

قَوْلُهُ: (أَوْ: إِلَّا) ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾ (إِلَخ) تَحْصُلُ أَنَّ الْأَقْوَالَ ثَلَاثَةٌ: قِيلَ: مَكِّيَّةٌ بِتَمَامِهَا، وَقِيلَ: الْمَدَنِيَّةُ مِنْهَا آيَةُ السَّجْدَةِ فِيهَا، وَقِيلَ: الْمَدَنِيَّةُ مِنْهَا آيَتَانِ: قَوْلُهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿شَيْئًا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ أَعْلَمُ: أَنَّ الْكَافَ وَالصَادَ يَمْدَّانِ لَازِمًا بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ، وَهُوَ قَدْرُ ثَلَاثِ أَلْفَاتٍ، وَالْهَاءُ وَالْيَاءُ يَمْدَّانِ مَدًّا طَبِيعِيًّا بِاتِّفَاقِهِمَا، وَهُوَ قَدْرُ أَلْفٍ، وَيَجُوزُ فِي الْعَيْنِ الْمَدُّ اللَّازِمُ الْمَذْكُورُ، وَالْقَصْرُ بِقَدْرِ أَلْفَيْنِ، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَيَتَعَيَّنُ فِي النُّونِ مِنْ (عَيْنٍ) إِخْفَاؤُهَا فِي الصَّادِ وَغُثَّتُهَا وَفَتْحُ الْعَيْنِ، وَيَجُوزُ فِي الدَّالِ الْإِظْهَارُ وَالْإِدْغَامُ فِي ذَالٍ ﴿ذَكُرُ﴾، وَالْقِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قَوْلُهُ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ) هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلِلْسَلَفِ أَقْوَالٌ أُخَرُ؛ مِنْهَا: مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

(١) إِدْغَامُ دَالِ الصَّادِ فِي الذَّالِ لِلْبَصْرِيِّ وَالشَّامِيِّ وَالْأَخْوَيْنِ وَخَلْفَ. انظر «البدور الزاهرة» (ص ١٩٨).

ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرَبًا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(٢ - ٣) هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ - مفعول ﴿رَحِمَتْ﴾ - ﴿زَكِرَبًا﴾ - بيان له -، ﴿إِذْ﴾ - متعلق بـ ﴿رَحِمَتْ﴾ - ﴿نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً﴾ - مُشْتَمِلًا على دُعاء ﴿خَفِيًّا﴾: سرًّا جَوْفَ اللَّيْلِ لِأَنَّهُ أَسْرَعُ لِلْإِجَابَةِ.

حاشية الصاوي

إنه اسم من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم الله الأعظم؛ ولذا يذكره العارفون في آخر أحزابهم؛ كالسيد الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي، وقيل: هو اسم السورة، وقيل: قَسَمَ أقسم الله به، وعن الكلبي: هو ثناء أثنى به على نفسه، وقيل: معناه كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريئته، صادق في وعده؛ فكلُّ حرفٍ يُشير لمعنى من هذه المعاني، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: (هذا) قدره؛ إشارة إلى أن ﴿ذَكَرَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ﴾ هو مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: ذكر الله رحمته عبده زكريا.

قوله: (مفعول ﴿رَحِمَتْ﴾) أي: و(رحمة) من إضافة المصدر لفاعله، وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر؛ لأنها من بنية الكلمة لا للوحدة، ومعنى ذكر الرحمة: بُلُوغُهَا وإصابتها لعبده زكريا؛ بمعنى: عامله بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة، وليس المراد بالذكر حقيقةً وهو ضد النسيان؛ لأنه مستحيل.

قوله: (متعلق بـ ﴿رَحِمَتْ﴾) أي: على أنه ظرف له؛ أي: رحمة الله إِيَّاهُ وقتَ أن ناداه.

قوله: (مُشْتَمِلًا على دعاء) أي: وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، فجملة النداء ثمانٍ جُمَلٍ، والدعاء منه هو قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾.

قوله: (جوف الليل) أي: في جوفه.

قوله: (لأنه أسرع للإجابة) أي: ما ذكر من كونه خفيًّا حاصلًا في جوف الليل، فتحصل أن إخفاء الدعاء والدُّلَّ والتواضع والانكسار فيه من أسباب الإجابة سيِّما إذا كان في جوف الليل.

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في «الدر المشور» (٥/٤٧٨).

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ

﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ: ضَعُفَ ﴿الْعَظْمُ﴾ جَمِيعُهُ ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ مِنِّي ﴿شَيْبًا﴾ تَمَيِّزُ مُحَوَّلٍ عَنِ الْفَاعِلِ، أَي: انْتَشَرَ الشَّيْبُ فِي شَعْرِهِ كَمَا يَنْتَشِرُ شُعَاعُ النَّارِ فِي الْحَطَبِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوكَ، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أَي: بِدُعَائِي إِيَّاكَ ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أَي: خَائِبًا فِيمَا مَضَى، فَلَا تُخَيِّبْنِي فِيمَا يَأْتِي.

﴿٥﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أَي: الَّذِينَ يُلُونِي فِي النَّسَبِ كَبَنِي الْعَمِّ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أَي: مَالِكِي وَمُرَبِّي.

قوله: ﴿وَهَنَ﴾ من باب (وعد) بفتح الهاء للسبعة، وقرئ بضمها وكسرهما^(١).

قوله: (جميعه) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿الْعَظْمُ﴾ للاستغراق.

قوله: (أي: انتشر) أشار بذلك إلى أن في (اشتعل) استعارةً تبعيةً؛ حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب، واستعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى: انتشر، والجامع: أَنَّ كلاً يضعف ما نزل به، وأعاد الضمير على (الرأس) مذكراً^(٢)؛ لأنها تذكّر لا غير.

قوله: (واني أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ...﴾ إلخ.

قوله: (أي: بدعائي إياك) أشار بذلك إلى أن (دعاء) مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف.

قوله: (فيما مضى) أي: أنت قد أجبتني في الزمان الماضي حال شُبوبيتي وعودتني منك بالإحسان والإجابة؛ فلا تُخَيِّبْنِي فيما يأتي في حال شيخوختي.

قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ جمع مولى، وهو العاصب.

قوله: (كَبَنِي الْعَمِّ) أي: لأنهم كانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن يُبدّلوا دينهم.

(١) قرأ الأعمش بكسرهما. وقرئ بضمها. انظر «الدر المصون» (٧/٥٦٤).

(٢) أي: في قوله: (انتشر الشيب في شعره).

مِنْ وَرَأَى ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا قَافِرًا فَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٦)

﴿مِنْ وَرَأَى﴾ أي: بَعْدَ مَوْتِي عَلَى الدِّينِ أَنْ يُضَيِّعُوهُ كَمَا شَاهَدْتُهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ تَبْدِيلِ الدِّينِ، ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا قَافِرًا﴾: لَا تَلِدُ، ﴿فَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: مِنْ عِنْدِكَ ﴿وَلِيًّا﴾: ابْنًا.

﴿٦﴾ ﴿يَرْثِي﴾ - بِالْجَزْمِ جَوَابُ الْأَمْرِ، وَبِالرَّفْعِ صِفَةُ ﴿وَلِيًّا﴾ - ﴿وَيَرِثُ﴾ - بِالْوَجْهَيْنِ - ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ جَدِّي الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مَرْضِيًّا عِنْدَكَ.

﴿٧﴾ قَالَ تَعَالَى فِي إِجَابَةِ طَلْبِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ وَرَأَى﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: جَوَرَ المَوَالِي مِنْ وَرَائِي^(١).

قوله: (على الدين) متعلق بـ﴿خَفْتُ﴾.

قوله: (من تبديل الدين) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا قَافِرًا﴾ أي: وَهِيَ أَشَاعُ أُخْتُ حَنَّةَ، كِلْتَاهُمَا بِنْتُ فَاقُودَ؛ فَوُلِدَ لِأَشَاعَ يَحْيَى، وَلِحَنَّةَ مَرْيَمَ.

قوله: (لا تلد) أي: لَمْ تَلِدْ أَصْلًا فِي صَغَرِهَا وَلَا كِبَرِهَا.

قوله: (وبالرفع) صِفَةُ ﴿وَلِيًّا﴾ هِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا، وَهِيَ أَظْهَرُ مَعْنَى؛ لِأَنَّهَا تَفِيدُ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ مِنْ جُمْلَةِ مَطْلُوبَةٍ^(٢).

قوله: (العلم والنبوة) أي: لَا الْمَالُ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُورَثُونَ دَرَاهِمًا وَلَا دِينَارًا.

قوله: (قال تعالى) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَا يَنَافِيهِ مَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) مِنْ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ، أَوِ الْمَعْنَى: عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ.

(١) أي: الكائن من بعدي، وعَلَّقَهُ الْعِلَامَةُ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ فِي «الدَّر الْمَصُون» (٥٦٦/٧) بِمَا تَضَمَّنَتْهُ (الموالي) مِنْ مَعْنَى الْفَعْلِ؛ أَي: الَّذِينَ يَلُونُ الْأَمْرَ بَعْدِي، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِ﴿خَفْتُ﴾؛ لِفَسَادِ الْمَعْنَى.

(٢) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ بِجَزْمِ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ فِيهِمَا عَلَى أَنَّهُمَا جَوَابُ الْأَمْرِ؛ إِذْ تَقْدِيرُهُمَا: إِنْ تَهَبَ يَرِثُ، وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ فِيهِمَا عَلَى أَنَّهُمَا صِفَةٌ. انْظُرْ «السَّراج المنير» (٤١٤/٢).

بَنَزَكِرِيًّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾

الابن الحاصل به رحمته: ﴿بَنَزَكِرِيًّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ يَرِثُ كَمَا سَأَلَتْ، ﴿اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسَمًّى يَحْيَى.

﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى: كَيْفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مِنْ (عَتَا): يَبْسُ، أي: نِهَآيَةُ السَّنِّ مِائَةٌ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَدْ بَلَغَتْ امْرَأَتُهُ ثَمَانِيَةً وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَأَصْلُ (عُتِيًّا): عُتُوٌّ، كُسِرَتِ التَّاءُ تَخْفِيفًا، وَقُلِبَتِ الْوَاوُ الْأُولَى يَاءَ لِمُنَاسَبَةِ الْكُسْرَةِ، وَالثَّانِيَةُ يَاءٌ لِتُدْغَمَ فِيهَا الْيَاءُ.

حاشية الصاوي

قوله: (الحاصل به) نعتٌ لـ (الابن).

قوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ بين هذه البشارة ووجود الولد في الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة. قوله: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾ إنما سَمَّاهُ بذلك؛ لأنَّ رَحِمَ أُمِّهِ حَيٍّ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالْعَقْمِ، أَوْ لِحَيَاةِ الْقُلُوبِ بِهِ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعَجْمَةِ، وَتَقُولُ فِي ثَنِيَّتِهِ: يَحْيِيَانُ رَفْعًا، وَيَحْيِيَيْنُ نَصْبًا وَجَرًّا، وَتَقُولُ فِي جَمْعِهِ لِلسَّلَامَةِ: يَحْيُونَ رَفْعًا، وَيَحْيِيْنَ نَصْبًا وَجَرًّا.

قوله: (أي: مَسْمًى يَحْيَى) أي: لَمْ يَسْمَ يَحْيَى قَبْلَهُ.

قوله: (كيف) اسم استفهام، سؤال عن جهة حُصُولِ الْوَلَدِ؛ لِاسْتِبْعَادِ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْعَادَةِ، لَا بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، أَوْ اسْتِفْهَامُ تَعْجُبٍ وَسُرُورٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَجِيبِ.

قوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أي: وَلَمْ تَزَلْ.

قوله: (يبس) بالياء المثناة بعدها بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مِنَ الْيُبْسِ؛ يُقَالُ: عَتَا الْعُودُ بِمَعْنَى: يَبَسَ وَجَفَّ، وَمَعْنَاهُ هُنَا: يَبَسَ الْعَظْمُ وَالْعَصَبُ وَالْجِلْدُ.

قوله: (عُتُوٌّ) هُوَ بَضْمَتَيْنِ وَوَاوَيْنِ.

قوله: (كُسِرَتِ التَّاءُ... إلخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات في الكلمة: كسر التَّاءِ، وَقَلْبُ الْوَاوِ الْأُولَى يَاءَ، وَقَلْبُ الثَّانِيَةِ كَذَلِكَ؛ لِاجْتِمَاعِهَا مَعَ الْوَاوِ وَسَبْقُ إِحْدَاهُمَا بِالسَّكُونِ، وَإِدْغَامُ الْيَاءِ فِي الْيَاءِ، وَهَذَا عَلَى غَيْرِ قِرَاءَةِ حَفْصٍ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَتِهِ مِنْ كَسْرِ الْعَيْنِ إِتْبَاعًا لِلتَّاءِ... ففِيهِ خَمْسُ إِعْمَالَاتٍ.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

﴿٩﴾ قَالَ: الأمرُ ﴿كَذَلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكُمْ، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي: بِأَنْ أَرَدْتُ عَلَيْكَ قُوَّةَ الْجَمَاعِ وَأَفْتَقَ رَحِمَ امْرَأَتِكَ لِلْعُلُوقِ، ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ قَبْلَ خَلْقِكَ، وَإِلْظَاهِرِ اللَّهِ هَذِهِ الْقُدْرَةُ الْعَظِيمَةُ الْهَمَّةُ السُّؤَالُ لِيُجَابَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا.

﴿١٠﴾ وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: عَلَامَةً عَلَى حَمْلِ امْرَأَتِي، ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ عَلَيْهِ ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تَمْتَنِعَ مِنْ كَلَامِهِمْ بِخِلَافِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ أي: بِأَيَّامِهَا كَمَا فِي (آلِ عِمْرَانَ): ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [٤١] ﴿سَوِيًّا﴾ - حَالٍ مِنْ فَاعِلٍ ﴿تُكَلِّمَ﴾ - أي: بِلَا عِلَّةٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (الأمر) قدره؛ إشارةً إلى أَنَّ ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: عَلَى لِسَانِ مَلِكٍ، أَوْ إلقاءٍ فِي الْقَلْبِ، وَأَمَّا الْخُطَابُ جَهْرًا مَشَاهِفَةً.. فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: (وَأَفْتَقَ) من باب (نصر) أي: أَشَقَّ.

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي﴾ الجملة حالية.

قوله: (ولما تأقت نفسه) أي: تطلعت وتشوّفت، وأشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ مرتّبٌ على محذوف.

قوله: (إلى سرعة المبشّر به) أي: بِعَلَامَةٍ تَدُلُّ عَلَى حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ، وَلَيْسَ عِنْدَ زَكْرِيَّا شَكٌّ فِي إِجَابَةِ اللَّهِ دَعَاءَهُ، بَلْ قَصَدَ تَعْجِيلَ الْمَسْرَةِ؛ لِيَزِدَادَ فَرَحًا وَشُكْرًا.

قوله: (أي: تَمْتَنِعَ) أي: قَهْرًا بِلا آفة.

قوله: (بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية (آلِ عِمْرَانَ)، وَحِكْمَةُ ذِكْرِ اللَّيَالِي هُنَا: أَنَّ اللَّيْلَ سَابِقَ عَلَى النَّهَارِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، وَالْمَكِّيُّ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمَدْنِيِّ، وَ(آلِ عِمْرَانَ) مَدْنِيَّةٌ، فَأَعْطِيَ السَّابِقَ لِلْسَّابِقِ، وَالْمَتَأَخَّرَ لِلْمَتَأَخَّرِ.

قوله: (حال من فاعل ﴿تُكَلِّمَ﴾) أي: يَنْعَدِمُ مِنْكَ الْكَلَامُ حَالِ كَوْنِكَ سَلِيمًا لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْكَ آفَةٌ وَلَا عِلَّةٌ تَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لـ ﴿ثَلَاثَ﴾ أي: ثَلَاثًا كَامَلَاتٍ لَا نَقْصَ فِيهِنَّ.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَبِيعُ خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ

﴿١١﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا يَنْتَظِرُونَ فَتَحَهُ لِيُصَلُّوا فِيهِ بِأَمْرِهِ عَلَى الْعَادَةِ، ﴿فَأَوْحَى﴾: أَسَارَ ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾: صَلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أَوَائِلَ النَّهَارِ وَأَوَاخِرَهُ عَلَى الْعَادَةِ، فَعَلِمَ بِمَنْعِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ حَمَلَهَا يَبِيعُ.

﴿١٢﴾ وَبَعْدَ وِلَادَتِهِ بِسَنَتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿يَبِيعُ خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: التَّوْرَةَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدِّ، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾: النُّبُوَّةَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي: متغيّر اللون عاجزاً عن الكلام، فأنكروا ذلك عليه وقالوا له: ما لك؟ فأشار إليهم أن صَلُّوا بكرة وعشيّا.

قوله: ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ يُطْلَقُ عَلَى الْغُرْفَةِ، وَصَدْرِ الْبَيْتِ، وَأَكْرَمِ مَوَاضِعِهِ، وَمَقَامِ الْإِمَامِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَالْمَوْضِعِ يَنْفَرِدُ بِهِ الْمَلِكُ، وَعَلَى الْمَسْجِدِ جَمِيعِهِ؛ فَالْمِحْرَابِ الْمَعْرُوفُ الْآنَ يُوَافِقُ اللَّغَةَ قَدِيمًا.

قوله: (أي: المسجد) أي: موضع الصلاة.

قوله: (وكانوا ينتظرون فتحه) أي: فكان هو مُقِيمًا بِهِ وَلَا يَفْتَحُهُ إِلَّا وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَلَا يَدْخُلُونَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

قوله: (أشار إليهم) أي: بأصبعه، وقيل: كتب لهم.

قوله: (أوائل النهار وأواخره) أي: فالمراد بالصلاة في هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ: صَلَاةُ الصُّبْحِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ، وَالْمَعْنَى: صَلُّوا صَلَاتَكُمْ عَلَى عَادَتِكُمْ، وَلَا تَنْتَظِرُونِي أَكَلَمَكُمْ، بَلْ دَعُونِي وَحَالِي.

قوله: (فعلم) أي: زكريا.

قوله: (وبعد ولادته... إلخ) قَدَّرَ ذَلِكَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَبِيعُ...﴾ إلخ مرّتب على محذوف.

قوله: (قال تعالى له) أي: على لسان الملك.

قوله: ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: اعمل بأحكامه، وليس المراد: اشْتَغَلْ بِحِفْظِهِ فِي الْمَكْتَبِ مِثْلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَلْقَاهُ عَلَى قَلْبِهِ بِمَجْرَدِ قَوْلِهِ: ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾.

قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: جدّ واجتهاد، وإنما أمر بذلك؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَظِيمٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ، فَيَحْتَاجُ

صَيِّبًا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴿١٣﴾ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ

﴿صَيِّبًا﴾ ابن ثلاث سنين.

(١٣ - ١٤) ﴿وَحَنَانًا﴾: رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: مِّن عِنْدِنَا، ﴿وَزَكَاةً﴾: صَدَقَةٌ عَلَيْهِمْ، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً وَلَمْ يَهْمُ بِهَا، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أَي: مُحْسِنًا حاشية الصاوي

للاهتمام به والاجتهاد فيه، وَمِنْ هُنَا يَنْبَغِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ الْجَدُّ وَالْاجْتِهَادُ فِيهِ، وَلَا يَتْرَاحِي فِي طَلَبِهِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْعِلْمَ كُلَّهُ.. أَعْطَاكَ بَعْضَهُ، وَإِنْ أُعْطِيتَهُ بَعْضَكَ.. لَمْ يُعْطَكَ شَيْئًا مِنْهُ؛ وَلِذَا قَالَ الإمام الشافعي رحمته الله (١): [الطويل]

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأْنِيكَ عَنْهَا مُخْبِرًا بِبَيَانٍ
ذِكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ نَصِيحَةٌ أَسَازٍ وَطَوَّلُ زَمَانٍ
ولم يأمر الله سيدنا محمداً بتلقي ما أوحى إليه بقوة؛ لَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ عِزْمًا وَقُوَّةً عَظِيمَةً، فَلَمْ يَحْتَجْ لِلأَمْرِ بِذَلِكَ، بَلْ قِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

قوله: (ابن ثلاث سنين) أي: فأحكم الله عقله وقوى فهمه، وقولهم: (النبوة على رأس الأربعين).. محلّه في غير يحيى وعيسى على ما يأتي، وقيل: المراد بالحكم: فهم التوراة وقراءتها، وأما النبوة.. فتأخّرت للأربعين كغيره.

قوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ أي: رَحْمَةٌ وَرَقَّةٌ فِي قَلْبِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى النَّاسِ.
قوله: (صَدَقَةٌ عَلَيْهِمْ) أي: تَوْفِيقًا لِلتَّصَدُّقِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ: طَهَارَتُهُ مِنَ الْأَوْسَاحِ، أَوْ طَهَارَةُ مَنْ اتَّبَعَهُ، أَوْ الْمَرَادُ: أَنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَى وَالِدَيْهِ.
قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي: مَجْبُولًا عَلَى التَّقْوَى، وَمِنْ جَمَلَةِ تَقْوَاهُ: أَنَّهُ كَانَ يَتَّقَوْتُ الْعَشْبَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبَكَاءِ، فَكَانَ لِدَمْعِهِ مَجَارٍ عَلَى خَدِّهِ (٢).

قوله: (ولم يهّم بها) أي: لم تخطر بباله، ولا خصوصيّة له بذلك، بل جميع الأنبياء كذلك.

(١) كما في «ديوانه» (ص ١١٦)، وفيه: (سَأْنِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا) بدل (سَأْنِيكَ عَنْهَا مُخْبِرًا)، (وَصَحْبَةُ أَسَازٍ) بدل (نَصِيحَةُ أَسَازٍ)، ونسبها الإمام ابن السبكي في «الطبقات» (٢٠٨/٥) لإمام الحرمين الجويني.

(٢) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠١/٦٤) عن مجاهد قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وإن كان ليكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه.. لحرقه، ولقد كانت الدموع اتخذت في وجهه مجرى.

وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَادَّكَّرَ فِي
الْكِتَابِ

إِلَيْهِمَا، ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: مُتَكَبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾: عَاصِيًا لِرَبِّهِ.

﴿١٥﴾ ﴿وَسَلَّمٌ﴾: مِّنَّا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
الْمَخُوفَةِ الَّتِي يَرَى فِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ قَبْلَهَا، فَهُوَ آمِنٌ فِيهَا.

﴿١٦﴾ ﴿وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (عاصياً لرَبِّه) أشار بذلك إلى أَنَّ المبالغة ليست مرادة، بل المنفِي أصلُ العصيان،
لا المبالغة فيه.

قوله: ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ﴾ أي: أمانٌ له من المخاوف، ونُكِّرْ هُنَا وَعَرَّفْ فِي قِصَّةِ عِيسَى؛ لِأَنَّ مَا هُنَا
حَاصِلٌ مِنْ اللَّهِ، وَالْقَلِيلُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَا ذَكَرَ فِي قِصَّةِ عِيسَى (أَل) فِيهِ لِلْعَهْدِ؛ أَي: السَّلَامُ الْمَعْهُودُ،
وَهُوَ الْكَائِنُ مِنْ اللَّهِ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ وُلِدَ﴾ أي: مِنْ أَنْ يَنَالَهُ الشَّيْطَانُ بِمَكْرِهِ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أي: مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَلَا يَنَافِي هَذَا مَا وَرَدَ: «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَجْثُونَ عَلَى الرِّكَبِ وَيَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(١)؛ لِأَنَّ جَلَالَ اللَّهِ مُحِيطٌ بِهِمْ، فَهُمْ خَائِفُونَ
مِنْ هَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ، لَا مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ؛ لَصَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ فِي تَأْمِينِهِمْ؛ فَلَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ.

بَقِيَ شَيْءٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّهُ وَرَدَ: أَنْ يَحْيَى قَتْلَ فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ^(٢)؛ فَكَيْفَ ذَلِكَ مَعَ طَلْبِهِ وَلَدًا يَرِثُهُ
وَإِجَابَةُ اللَّهِ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾.

أَجِيب: بِأَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ ضَعِيفَةٌ، وَالْحَقُّ: أَنَّهُ عَاشَ بَعْدَ أَبِيهِ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ، وَحِينَئِذٍ: فَقَدْ سَقَطَ
السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ.

قوله: ﴿وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ أي: قِصَّةَ وَلادَتِهَا لِعِيسَى وَحَمَلَهَا بِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ الْآيَاتِ
الْكُبْرَى، وَتَقَدَّمَ أَنْ مَعْنَى مَرْيَمَ: الْعَابِدَةُ خَادِمَةُ الرَّبِّ.

(١) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٣٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه ذكر الجثو على الركب.

(٢) كما رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠٧/٦٤) عن ابن المسيب.

مَرِّمَ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا

القرآن ﴿مَرِّمَ﴾ أي: خبرها، ﴿إِذْ﴾: حين ﴿أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار.

﴿١٧﴾ ﴿فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أرسلت سترًا تستتر به لتُفْلِي رَأْسَهَا أو ثِيَابَهَا، أو تَغْتَسِلَ مِنْ حَيْضِهَا، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ..

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿أَلَكِتَابِ﴾ للعهد.

قوله: ﴿إِذْ أَنْبَدَتْ﴾ ظرف لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (أي: خبرها)، وهو بدل اشتمال، وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباز، بل هو وما بعده إلى آخر القصة.

قوله: (أي: اعتزلت في مكان) أشار بذلك إلى أن ﴿مَكَانًا﴾ منصوب على الظرفية، ويصح أن يكون مفعولاً به على أن معنى ﴿أَنْبَدَتْ﴾: أتت مكاناً.

قوله: (من الدار) أي: دار زوج خالتها وهو: زكريا القيم عليها، وفي بعض النسخ: (أو شرق بيت المقدس) أي: فقوله في الآية: ﴿شَرْقِيًّا﴾ يحتمل أن يكون شرقاً من دارها، أو من بيت المقدس.

قوله: (أو تغتسل من حيضها) أي: لأنها كانت تتحوّل من المسجد في بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت، وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين.

قوله: ﴿رُوحَنَا﴾ سمي بذلك؛ لأن الله أحيا به القلوب والأديان؛ كما أن الروح به حياة الأجساد، أو كناية عن محبة الله له كما يقول الإنسان لمن يحبه: أنت روحي.

قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ اختلف في كيفية تمثّل الملك في غير صورته الأصلية؛ هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة، أو تنفصل مع كونها باقية، أو لا تنفصل وإنما تخفى عن الرائي؟ وهو الذي ندين الله به؛ لأنّ لهم قدرة على التشكّلات بالصُور الجميلة ولا تحكم عليهم.

قوله: (بعد لبسها ثيابها) جوابٌ عمّا يقال: إنّ الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلاً عن كونها مكشوفة البدن؛ فكيف أتى مريم وهي تغتسل؟! فأجاب المفسر: بأنه إنما تمثّل لها بعد أن لبست ثيابها.

بَشْرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَِّّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ.....

﴿بَشْرًا سَوِيًّا﴾ : تَامَ الْخَلْقِ .

(﴿١٨﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿قَالَتْ إِنَِّّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ فَتَنْتَهِي عَنِّي بِتَعَوُّذِي، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله : ﴿﴿بَشْرًا سَوِيًّا﴾﴾ أي : بصورة شاب أمرَد معتدل الخلقة ؛ لتأنس بكلامه ، ولعلّه يُهيج شهوتها فتتحدّر نطفتها إلى رحمها^(١) ، ولا يقال : إنّ النظر المهيج للشهوة حرام ؛ لأنّ ذلك إذا كان مع اختيار ، وأمّا الميل الطبيعي .. فلا يؤاخذ به الإنسان .

قوله : ﴿﴿بِالرَّحْمَنِ﴾﴾ خصّته بالذكر ؛ ليُرحم ضعفها وعجزها عن دفعه ؛ لعدم المغيث لها من الخلق .

قوله : ﴿﴿إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾﴾ أي : عاملاً بمقتضى تقواك وإيمانك .

قوله : ﴿﴿فَتَنْتَهِي عَنِّي﴾﴾ هو جواب الشرط ، وقدره فعلاً مضارعاً مقروناً بالفاء ، فهو على تقدير المبتدأ ؛ ليكون الجواب جملةً اسميّةً حتى يسوغ اقترانه بالفاء ؛ أي : فأنت تنتهي عني .

قوله : ﴿﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾﴾ أي : جبريل ، وقولهم : إنّ الوحي لم ينزل على امرأة قط ؛ أي : برسالة ، فأما غيرها .. فلا مانع منه^(٢) .

قوله : ﴿﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾﴾ بالياء والهمزة ، قراءتان سبعيتان^(٣) ؛ فعلى الأولى الإسناد لله ، وعلى الثانية الإسناد لجبريل ؛ لكونه سبباً فيه .

قوله : ﴿﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾﴾ فيه مجازُ الأوّل^(٤) ؛ لأنه حيثنذ لم يكن غلاماً .

(١) كذا في «تفسير البيضاوي» (٧/٤) ، ومثل هذا الكلام ليس لائقاً بالسيدة العذراء عليها السلام .

(٢) كما نقله العلامة الكرخي في «حاشيته على الجلالين» عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والوحي هنا ببشارة الولد لا بالرسالة . انظر «الفتوحات» (٥٩/٣) .

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو «ليهب» بالياء ، والباقون بالهمز ، انظر «الدر المصون» (٥٧٧/٧) .

(٤) أي : الصيرورة ؛ كما مرّ في غير موضع من هذا الكتاب . انظر (٨٤/١) .

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا
وَكَاثَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

يَتَزَوَّجُ، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: زانية؟

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ أَبِي، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أَي: بِأَنْ يَنْفُخَ بِأَمْرِي جِبْرِيلُ فِيكَ فَتَحْمِلِي بِهِ، وَلَكُونِ مَا ذُكِرَ فِي مَعْنَى الْعِلَّةِ عَطْفٌ عَلَيْهِ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ عَلَى قُدْرَتِنَا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، ﴿وَكَاثَ﴾ خَلْقُهُ ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ بِهِ فِي عِلْمِي. فَتَفْخَحْ جِبْرِيلُ

حاشية الصاوي

قوله: (يتزوج) دفع به ما يقال: إِنَّ قولها: ﴿وَلَمْ يَمَسَّنِي بَشَرٌ﴾ يدخل تحته ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، فأجاب بأنَّ المسَّ عبارة عن النكاح في الحلال، والزنا ليس كذلك، بل يقال: فَجَرَ بها، وما أشبهه. قوله: ﴿بَغِيًّا﴾ لم يقل: بَغِيَّةٌ؛ لأنَّ (بغياً) غالب في النساء، فأجرّوه إجراء (حائض) و(طامث) و(عافر)، أو يقال: إن أصله: (بَغُويًّا) بوزن (فعلول)، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكُسرت الغين لتصح الياء، وحيث كان بزنة (فعلول) فلا تُلحقه التاء؛ كما قال ابن مالك^(١): [الرجز]

ولا تَلِي فَارِقَسَةً فَعُولًا أصلاً، ولا المِفعَالَ والمِفعِيلًا

وهذا ليس استبعاداً منها لقدرة الله، وإنما هو تعجُّبٌ من مخالفة العادة.

قوله: (الأمر) قُدْرُهُ؛ إشارةً إلى أن ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ بمنزلة العِلَّة، كأنه قيل: الأمر كذلك؛ لأنه علينا هَيْنٌ ولنَجْعَلَهُ... إلخ.

قوله: (على قُدْرَتِنَا) أي: كمال قُدْرَتِنَا على أنواع الخلق؛ فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بَقِيَّةَ الخلق من ذكر وأنثى.

قوله: ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: لا يتغيَّر ولا يَتَبَدَّل.

قوله: (فنفخ جبريل) أي: نفخة وصلت إلى فرجها، ودخلت منه جوفها، وليس المراد: أنه نفخ في فرجها مباشرة.

(١) «الخلاصة»، باب التأنيت، (ص ٦٣).

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

في جِيبِ دِرْعِهَا، فَأَحْسَتْ بِالْحَمْلِ فِي بَطْنِهَا مُصَوَّرًا.

(٢٢ - ٢٣) ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾: تَنَحَّتْ ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا. ﴿فَأَجَاءَهَا﴾: جَاءَ بِهَا ﴿الْمَخَاضُ﴾: وَجَعُ الْوِلَادَةِ ﴿إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ﴾ لِتَعْتَمِدَ عَلَيْهِ، فَوَلَدَتْ، وَالْحَمْلُ وَالتَّصَوُّيرُ وَالْوِلَادَةُ فِي سَاعَةٍ، ﴿قَالَتْ يَا - لِلتَّيْبِ - لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الْأَمْرُ ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾: شَيْئًا مَتْرُوكًا لَا يُعْرَفُ وَلَا يُذَكَّرُ.

حاشية الصاوي

قوله: (دِرْعها) أي: قميصها.

قوله: (﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾) أي: بعيداً من أهلها، وهو بيت لحم؛ فراراً من تعيير قومها بولادتها من غير زوج.

قوله: (﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾) أي: ألجأها.

قوله: (لِتَعْتَمِدَ عَلَيْهِ) أي: فاعتمدت عليه، وقيل: حضنته وكان يابساً فاخضر وأثمر لوقته.

قوله: (فولدت) أي: ببيت لحم، فخافت عليه فجاءت به إلى بيت المقدس، فوضعت على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد، وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن، فغمسته به، وهو اليوم الذي يتخذه النصارى عيداً ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدست؛ فلذلك يغطسون في كل ماء.

قوله: (في ساعة) هو الصحيح، وقيل: حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووُصف في ساعة، وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وسنّها إذ ذاك عشر سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: ست عشرة سنة.

قوله: (﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾) إنما تمنّت الموت؛ لثلاث تقع المصيبة بمن تكلم في شأنها بسوء، وإلا.. فهي راضية بما بُشِّرَتْ به.

قوله: (﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾) بكسر النون وفتحها، قراءتان سبعيتان^(١)، وقوله: (﴿مَنْسِيًّا﴾) تأكيد لـ ﴿نَسِيًّا﴾.

(١) الجمهور على كسر النون وسكون السين وبصريح الباء بعدها. وقرأ حمزة وحفص وجماعة بفتح النون. انظر الدر المصون (٥٨٢/٧).

فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا.....

﴿٢٤﴾ ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: جبريلُ - وكان أسفلَ منها - ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَنَادَتْهَا﴾ أي: لما شقَّ عليها الأمر وعلمت أنها تُتهم ولا بدَّ؛ لعدم وجود بيِّنة ظاهرة تشهد لها.

قيل: أول من علم بها يوسف النجار، وكان رفيقاً لها يخدمان المسجد، ولا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدَّ عبادةً واجتهاداً منهما، فبقي متحيراً في أمرها، ثم قال لها: قد وقع في نفسي من أمرِك شيءٌ، وقد حرصت على كتمانهِ، فغلبنى ذلك، فرأيت أن أتكلَّم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم؛ هل يُنبُت زرع بغير بذر؟ فقالت: نعم ألم تعلم أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير بذر ولا غيث، أو تقول: إن الله تعالى لا يقدر أن يُنبِت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها؟! قال يوسف: لا أقول هذا، ولكني أقول: إنَّ الله يقدر على ما يشاء يقول له: كن، فيكون.

قالت مريم: ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى، فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة، وكان يُتوب عنها في خدمة المسجد مُدَّةً يفاسها^(١).

قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بفتح الميم وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(٢)؛ فعلى الأولى الفاعل هو الموصول، و﴿تَحْتِهَا﴾: صلته، وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر، والجار والمجرور متعلق بـ(نادى).

قوله: (أي: جبريل) تفسير لـ﴿مِنْ﴾ على الفتح، وللضمير المستتر في (نادى) على الكسر، وقيل: المنادي لها عيسى، ومعنى كونه تحتها: أسفل ثيابها، وحينئذ: فيكون قوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أول كلام عيسى.

قوله: (وكان أسفلَ منها) أي: كان جبريل في مكانٍ أسفل من مريم.

قوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ) (أَنْ) مفسرة وقد وجد شرطها وهو: تقدُّم ما هو بمعنى القول، و(لا): ناهية، وحذفت النون للجازم، أو ناصبة، و(لا): نافية، وحذفت النون للناصب.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/١٨٥).

(٢) قرأ الأخوان ونافع وحفص بكسر ميم (من)، وجر (تحتها) على الجار والمجرور، والباقون بفتحها ونصب (تحتها).

انظر «الدر المصون» (٧/٥٨٣).

وَهَزَيَ إِلَيْكَ الْجَنَّةَ تَنْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَفَرَى عَيْنًا

نَهَرَ ماءً كَانَ انْقَطَعَ.

﴿٢٥﴾ وَهَزَيَ إِلَيْكَ الْجَنَّةَ: كَانَتْ يَابِسَةً، - والباءُ زائدةٌ - ﴿تَنْقِطُ﴾: - أصله بِنَاءٌ بَيْنَ قُلْبَتِ الثَّانِيَةِ سِينًا وَأَدْغِمَتْ فِي السَّيْنِ، وَفِي قِرَاءَةِ تَرْكُهَا - ﴿عَلَيْكَ رُطْبًا﴾: - تَمَيِّزٌ - ﴿جَنِيًّا﴾: صِفَتُهُ.

﴿٢٦﴾ ﴿فَكُلْ﴾: مِنَ الرُّطْبِ ﴿وَاشْرَبْ﴾: مِنَ السَّرِيِّ ﴿وَفَرَى عَيْنًا﴾: بِالْوَلَدِ - تَمَيِّزٌ مُحوَّلٌ مِنَ الْفَاعِلِ - أَي: لِنَقَرِّ عَيْنِكَ بِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (نَهَرَ ماءً) وجمعه: سُريَان؛ ك: (رغيف) و(رُغْفَان)، ويطلق السَّرِيُّ على الشريف الرئيس، وأصله: سَرِيوٌ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء كسيد، ويكون المراد به: عيسى، وما مشى عليه المفسر أظهر؛ لمناسبة قوله: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ﴾.

قوله: (كَانَ انْقَطَعَ) أي: ثُمَّ جَرَى وَامْتَلَأَ مَاءً بِبِرْكََةِ عَيْسَى وَأُمِّهِ.

قوله: (والباء: زائدة) أي: وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ أَصْلِيَّةً، والمفعول محذوف، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿رُطْبًا﴾، والتقدير: هُزِّيَ إِلَيْكَ رُطْبًا كَانَتْ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ.

قوله: (وفي قراءة بتركها) أي: التاء مع تخفيف السين وفتح القاف، وبقي قراءة سبعة أيضاً، وهي ضم التاء مع كسر القاف بمعنى: تُسْقَطُ، فـ ﴿رُطْبًا﴾ مفعول به^(١).

قوله: (تميز) أي: على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر، لا على الثالثة.

قوله: ﴿جَنِيًّا﴾ أي: تَامًا نَضْجُهُ، صالحاً للاجتماع.

قوله: ﴿وَفَرَى عَيْنًا﴾ العامة على فتح القاف من: قَرَّ يَقَرُّ بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع من باب (تَعَبَ)، وقُرئ شذوذاً بكسر القاف، وهي لغة نجد بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع من باب (ضَرَبَ).

(١) قرأ حمزة (تَسَاقَطَ) بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف، والباقون غير حفص كذلك إلا أنهم شددوا السين، وحفص بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف. انظر «الدر المصون» (٥٨٧/٧).

فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا

أي: تَسْكُنُ فلا تَطْمَحُ إلى غيره، ﴿فَإِمَّا﴾ - فِيهِ إدغامٌ نُون (إن) الشرطيّة في (ما) الزائدة - ﴿تَرِينَ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ لَامُ الْفِعْلِ وَعَيْنُهُ، وَأُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى الرَّاءِ، وَكُسِرَتْ يَاءُ الضَّمِيرِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ - ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فَيَسْأَلُكَ عَنْ وَلَدِكَ، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عَنِ الْكَلَامِ فِي شَأْنِهِ وَغَيْرِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تسكن) أي: فهو من القَرَار بمعنى: عدم الحركة، ويصح أن يكون من القَرُّ وهو: البَرْد؛ لأنَّ العين إذا فرح صاحبها.. كان دمعها بارداً، وإذا حزن.. كان دمعها حاراً، كأنه قال: اتركي الحزن، وافرحي بما أعطاك ربك.

قوله: (حذف منه لام الفعل) أي: وأصله: تَرَأَيْنَ بهمزة هي عين الكلمة، وياء مكسورة هي لامها، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون علامة الرفع، نقلت حركة الهمزة إلى الراء، فسقطت الهمزة، فتحرّكت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما، ثم أُكِّدَ بالنون وحركت بالكسر؛ ففيه ست إعمالات: نقل الحركة، وسقوط الهمزة، وقلب الياء ألفاً، وحذفها، وتأكيده بالنون، وتحريكه بالكسر، وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم.. كانت سبعاً، أفاد المفسر منها خمساً ولم يرتبها كما يُعلّم بالتأمل.

قوله: (فيسألك عن ولدك) جوابٌ عمّا يقال: إن قولها: ﴿فَلَنَ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ كلامٌ، فقد حصل التناقض، فأجاب: بأن المراد: إذا رأيت أحداً من البشر وسألك عن أمرِك.. فقولي... إلخ، ويكون إنشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة^(١).

قوله: ﴿صَوْمًا﴾ قيل: كان في بني إسرائيل مَنْ أراد أن يجتهد.. صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام^(٢)؛ فلا يتكلم حتى يُمسي، وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم؛ فإنه أغيظُ لهم.

(١) وقيل: المراد بقوله: ﴿فَقُولِي...﴾ إلى آخره: أنه بالإشارة، وليس بشيء، بل المعنى: فلن أكلم اليوم إنسياً بعد هذا الكلام. انظر «الدر المصون» (٥٩٢/٧).

(٢) وقيل: صياماً حقيقةً، وكان صيامهم فيه الصمت، فكان التزامه التزامه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت، فصار ذلك منسوخاً فينا. انظر «تفسير النسفي» (٣٣٣/٢).

فَلَن أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

مع الأناسي، بدليل: ﴿فَلَن أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ - حال - فرأوه، ﴿قَالُوا يَمْرُؤُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: عَظِيمًا حَيْثُ أَتَيْتْ بِوَلَدٍ مِنْ غَيْرِ أَبِي، ﴿يَتَأَخَتَ هَرُونَ﴾ هو رَجُلٌ صَالِحٌ،
أي: يا شَبِيهَتَهُ فِي الْعِفَّةِ، ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا﴾ أي: زَانِيًا، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾
أي: زَانِيَةً، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْوَلَدُ؟

حاشية الصاوي

قوله: (مع الأناسي) أي: لا مع الله كالذكر، ولا مع الملائكة؛ لما ورد: أنها كانت تكلم
الملائكة، ولا تُكَلِّمُ الْإِنْسَ^(١).

والأناسي: بفتح الهمزة جمع إنسي، أو إنسان، وأصله على هذا: أناسيين، قلبت النون ياء
وأدغمت في الياء.

قوله: (أي: بعد ذلك) أي: بعد قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾.

قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ أي: في يوم وضعه، وقيل: بعد أربعين يوماً لما طهرت من نفاسها.

قوله: (فرأوه) أي: أبصروه.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: أهلها، وكانوا أهل بيت صالحين؛ بمصدوق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى
مَادَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾ أي: فعلت وأتيت.

قوله: ﴿فَرِيًّا﴾ من: فَرِيْتُ الْجِلْدَ: قطعته؛ أي: شيئاً قاطعاً وخارقاً للعادة، ومقطوعاً للعرض.

قوله: (هو رجل صالح) أي: في بني إسرائيل، شَبَّهَتْ بِهِ فِي عِفَّتِهَا وَصَلَاحِهَا، قيل: إنه تبع
جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس^(٢).

قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ﴾ أي: عمران، وقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ﴾ أي: حنة.

(١) انظر «تفسير الثعلبي» (٢١٢/٦)، وفيه: (يقال: كانت تكلم الملائكة ولا تُكَلِّمُ الْإِنْسَ).

(٢) وقيل: كان هارون أخا مريم لأبيها، وقيل: إنما عَنَّا هَارُونَ أَخَا مُوسَى؛ لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي:
يا أخا تميم، وقيل: كان هارون في بني إسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشبَّهوها به. انظر «تفسير الخازن» (١٨٦/٣).

فَاسَّارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ

﴿٢٩﴾ ﴿فَاسَّارَتْ﴾ لَهُمْ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَنْ: كَلِّمُوهُ، ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أَي: وَجِدَ ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ أَي: الْإِنْجِيلَ، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أَي: نَفَاعًا لِلنَّاسِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاسَّارَتْ إِلَيْهِ﴾ أَي: وَحِينَئِذٍ غَضِبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: أَسْخَرِينَ بِنَا؟ ثُمَّ قَالُوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

قوله: ﴿وَجِدَ﴾ أَشَارَ الْمَفْسِّرُ إِلَى أَنَّ ﴿كَانَ﴾ تَامَةً، وَحِينَئِذٍ: فَ﴿صَبِيًّا﴾: حَالٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ نَاقِصَةً، وَ﴿صَبِيًّا﴾: خَبَرَهَا^(١).

قوله: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ: حَجْرُهَا، وَقِيلَ: هُوَ الْمَهْدُ بَعِينُهُ، وَرَدَّ: أَنَّهُ لَمَّا أَشَارَتْ إِلَيْهِ.. تَرَكَ الرِّضَاعَ، وَاتَّكَأَ عَلَى يَسَارِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَمِينِهِ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ...﴾ إلخ^(٢).

قوله: ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ وَصَفَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ؛ لِثَلَاثِئِتِّحَدِّ إِلَهًا، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَقْتَضِي بَرَاءَةَ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أَوْصَافَ الْكَامِلِينَ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الْأَرْجَاسِ.

قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أَي: فِي الْحَالِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: سَيَجْعَلُنِي بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

قوله: (أَي: نَفَاعًا لِلنَّاسِ) أَي: لِأَنَّهُ كَانَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَهْدِي مَنْ ضَلَّ.

(١) وهي على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾؛ ولذلك يعبر عنها بأنها تُرَادَفُ «لَمْ تَزَلْ»، وَقِيلَ: «كَانَ» زَائِدَةٌ، وَلَوْ كَانَتْ نَاقِصَةً.. لَمْ يَبْقَ خَارِقًا لِلْعَادَةِ وَمَحَلًّا لِلتَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَكَلِّمُهُ النَّاسُ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَبْلَ زَمَانِ تَكْلِيمِهِ، فَتَجْعَلُ زَائِدَةً لِمَجْرَدِ التَّأَكُّيدِ مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ عَلَى زَمَانٍ، وَالْمَعْنَى: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ هُوَ فِي الْمَهْدِ الْآنَ حَالَهُ كَوْنُهُ صَبِيًّا؟ فَ﴿صَبِيًّا﴾: حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ. انظر «الدر المصون» (٥٩٢/٧)، و«حاشية الشهاب على البياضوي» (١٥٤/٦).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢٢٩/٥).

وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرَّآءِ بَوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
الْحَقِّ

إخبار بما كُتِبَ له، ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.
﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿وَبِرَّآءِ بَوَالِدِيَّ﴾ - منصوبٌ به (جعلني) مُقَدَّرًا - ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾:
مُتَعَاظِمًا ﴿شَقِيًّا﴾: عاصياً لِرَبِّهِ. ﴿وَالسَّلَامُ﴾ مِنْ اللَّهِ ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا﴾ يُقَالُ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ فِي السَّيِّدِ يَحْيَى.
﴿٣٤﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ - بِالرَّفْعِ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُقَدَّرٌ،
حاشية الصاوي

قوله: (إخبار بما كُتِبَ له) أي: فالماضي بمعنى المستقبل، وقيل: على حقيقته.
قوله: (أمرني بهما) أي: بفعلهما.
قوله: ﴿وَبِرَّآءِ﴾ العامة على فتح الباء، وقرئ بكسرها؛ إما على حذف مضاف؛ أي: ذا برٍّ،
أو مبالغة^(١).
قوله: (متعاضماً) أي: بل جعلني متواضعاً، ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر، ويجلس
على التراب، ولم يتخذ له مسكناً.
قوله: ﴿وَالسَّلَامُ﴾ «أل» فيه: للعهد^(٢)؛ أي: السلام الحاصل ليحيى حاصلٌ لي؛ فلا يقال:
إن يحيى سَلَّمَ عليه ربُّه، وعيسى سَلَّمَ على نفسه، بل هو حالُّ السلام عن الله.
قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ هذا آخر كلامه، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة
التي يتكلم فيها الأبطال.
قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلام الله تعالى، وأمَّا كلام عيسى.. فقد انتهى
إلى قوله: ﴿حَيًّا﴾.
قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكورُ بتلك الأوصاف، واسم الإشارة: مبتدأ، و﴿عِيسَى﴾: خبره،

(١) وهي قراءة أبي نهيك وأبي مجلز. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» (٢/٤٢).

(٢) وقد تكون للجنس؛ فالمعنى: وكنس السلام عليّ، وفيه تعريضٌ باللعنة على أعداء مريم وابنها؛ لأنه إذا قال:
وجنسُ السلام عليّ.. فقد عرَّضَ بأن ضده عليكم؛ إذ المقامُ مقامُ مُتَاكَرَّةٍ وعنادٍ، فكان مؤنَّةً لمثل هذا التعريض.
انظر «الكشاف» (٣/١٦).

الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا

أي: قول ابن مريم، وبالنصب بتقدير (قلت)، والمعنى: القول الحق - ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ﴾ من المِرية، أي: يَشْكُونَهُمْ وَهُمْ النَّصَارَى، قالوا: إِنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ، كَذَّبُوا.

﴿٣٥﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ﴿٣٥﴾ تَنْزِيهَا لَهُ عَنْ ذَلِكَ، ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أي: أراد

حاشية الصاوي

و﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾: صفته، و﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: قول ابن مريم قول الحق، وهو من إضافة الموصوف للصفة؛ أي: القول الحق، والمعنى: أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى بن مريم، وقوله: (القول الحق) أي: الصدق المطابق للواقع.

قوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (بتقدير «قلت») أي: فهو مصدر مؤكّد لعامله.

قوله: (والمعنى) أي: على كل من القرائن؛ فعلى الرفع يكون المعنى: قول عيسى القول الحق، وعلى النصب يكون المعنى: قلت حاكياً عن عيسى القول الحق، والقائل ذلك هو الله تعالى. قوله: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ﴾ خبر لمحذوف؛ أي: هو عيسى الذي فيه يترددون ويتحIRON.

قوله: (قالوا: إن عيسى ابن الله) أي: وقالوا غير هذه المقالة؛ كما يأتي في قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم: ٣٧]، وإنما اقتصر على هذه هنا؛ لأنها التي يتضح إبطالها بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ... إلخ.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ أي: لا يمكن ولا يتأتى؛ لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة.

قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر اسم «كان»، والمعنى: ما كان اتخاذ الولد من صفته، بل هو محال، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُبْنِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

قوله: (عن ذلك) أي: اتخاذ الولد.

قوله: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ هذا كالدليل لما قبله، كأنه قال: إِنَّ اتَّخَاذَ الْوَلَدِ وَالسَّعْيَ فِي أَسْبَابِهِ شَأْنُ الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ الْمَحْتَاجِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء: كُنْ،

(١) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر (قول الحق) بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٩٨).

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ
الْأَخْرَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ

أن يُحْدِثُهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - بِالرَّفْعِ بِتَقْدِيرِ (هو)، وبِالنَّصْبِ بِتَقْدِيرِ (أَنْ) -،
ومِنَ ذَلِكَ خَلَقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي.

﴿٣٦﴾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ - بَفَتْحِ (أَنْ) بِتَقْدِيرِ (اذْكُرْ)، وَبِكَسْرِهَا بِتَقْدِيرِ (قُلْ) -،
بِدَلِيلِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿هَذَا﴾
الْمَذْكُورُ ﴿صِرَاطٌ﴾: طَرِيقُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: مُؤَدِّ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿٣٧﴾ ﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النَّصَارَى فِي عِيسَى أَهْوَابُنُ اللَّهِ أَوْ إِلَهٌ مَعَهُ
أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟

حاشية الصاوي

فيكون.. فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى، وحيث أوجده بقول: كن.. لا يسمّى ابناً
له، بل هو عبده ومخلوقه، فهو تبيكيت وإلزام لهم بالحُجَجِ الباهرة.
قوله: (بتقدير «أَنْ») أي: بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر^(١).

قوله: ﴿وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ هذا من كلام عيسى، سواء قرئ بكسر (إن) أو فتحها^(٢)،
فهو من تعلقات قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ إلخ.

قوله: (بتقدير «اذكر») أي: اذكر يا عيسى أن الله... إلخ.

قوله: (بتقدير «قل») أي: و(إنَّ) تُكْسَرُ بعد القول.

قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ من كلام عيسى أيضاً.

قوله: (المذكور) يعني: القول بالتوحيد ونفي الولد.

قوله: ﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ﴾ أي: إِنَّ النَّصَارَى تَحْزَبُوا وَتَفَرَّقُوا فِي شَأْنِ عِيسَى بَعْدَ رَفْعِهِ
إِلَى السَّمَاءِ أَرْبَعِ فِرَقٍ: اليَعْقُوبِيَّةِ، والنَّسْطُورِيَّةِ، والمَلِكَايَا، والإِسْلَامِيَّةُ؛ لما روي: أَنَّهُ اجْتَمَعَ

(١) قرأ ابن عامر بنصب (فيكون)، والباقون برفعها. انظر «الدر المصون» (٨٨/٢).

(٢) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر «إن» على الاستئناف، ويؤيدها قراءة أبيي: (إن الله) بالكسر دون واو، وقرأ الباقيون
بفتحها. انظر «الدر المصون» (٥٩٨/٧).

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

﴿فَوَيْلٌ﴾: فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذُكِرَ وَغَيْرِهِ، ﴿مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حُضُورِ يوم القيامة وأهواله.

﴿٣٨﴾ ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ بِهِمْ، صَيغَتَا تَعَجُّبٍ بِمَعْنَى: ما أَسْمَعُهُمْ وما أَبْصَرَهُمْ! ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة

حاشية الصاوي

بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، من كل قوم عالمهم، فامتروا في شأن عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيا مَنْ أحياء، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت، ثم قال اثنان منهم للثالث: قُلْ فيه، قال: ابن الله، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قُلْ فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الملكانية، فقال الرابع: كذبت، بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون، وكان لكل رجلٍ منهم أتباعٌ على ما قال: فاقتتلوا وظهروا على المسلمين^(١).

وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لِنَبِيِّنَا ﷺ من حين البعث، وأما الذين اتبعوه منهم.. فهم الذين يُعْطَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ كَالنَّجَاشِيِّ وَأَتْبَاعِهِ، وسلمان وأتباعه، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [المائدة: ٨٢] الآيات.

قوله: (فشدّة عذاب) وقيل: المراد بالويل: وادٍ في جهنم يأكل الحجارة والحديد، قُوَّتُهُمْ فِيهِ الجيف.

قوله: ﴿مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يُطْلَقُ الْمَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَعَلَى الْحُضُورِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِشَهَادَةِ الْأَعْضَاءِ عَلَيْهِمْ بِمَا كَسَبُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

قوله: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ هو فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر، ومعناه التعجب، وإعرابه: ﴿أَسْمِعْ﴾ فعل ماضٍ للتعجب، والباء: زائدة، والضمير: فاعله، ﴿وَأَبْصِرْ﴾: مثله، وحذف (بهم) من الثاني؛ لدلالة الأول عليه.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٠٨/٧) عن قتادة.

لَكِنَّ الْظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ

﴿لَكِنَّ الْظَّالِمُونَ﴾ - من إقامة الظاهر مقام المضمَر - ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: بين به صُثموا عن سماع الحق وعمُوا عن إِبصاره، أي: اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صُثمًا غُميًا. ﴿٣٩﴾ وَأَنْذَرَهُمْ: خَوْفٌ يَا مُحَمَّدُ كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يومُ القيامة، يَتَحَسَّرُ فِيهِ الْمَسِيءُ عَلَى تَرْكِ الْإِحْسَانِ فِي الدُّنْيَا، ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لَهُمْ فِيهِ بِالْعَذَابِ،

حاشية الصاوي

وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله تعالى؛ لاستِحالته عليه، بل المراد: التعجب وهو: حملُ المخاطب على التعجب؛ أي: اعجبوا يا عبادي من شدة سمعهم وبصرهم لذلك اليوم. قوله: (من إقامة الظاهر مقام المضمَر) أي: إشارة إلى أنَّ من اتصف بصفاتهم يسمَّى ظالمًا. قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي: خطأ وعدم اهتداء للحق. قوله: (به صُثموا) أي بسبب الضلال في الدنيا حصل لهم الصَّم، فالعجب منهم في الحالتين شدة الإسماع والإبصار في الآخرة، وضدهما في الدنيا. قوله: (هو يوم القيامة) أي: وله أسماء كثيرة؛ منها: يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، والحاqqة، والقارعة، واليوم الموعود... وغير ذلك. قوله: (يتحسَّر في المساء...) إلخ) أي: والمحسِن على ترك الزيادة في الإحسان؛ كما في الحديث^(١).

قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: حُكِمَ وأمضي، وذلك أنه ورد: «إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار... يُؤتى بالموت في صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، ويُنادي المنادي: يا أهل الجنة؛ خلُود بلا موت، ويا أهل النار خلُود بلا موت»^(٢) فعند ذلك يزداد أهل النار حسرةً على حسرتهم، وأهل الجنة فرحاً على فرحهم.

(١) فيما رواه الترمذي (٢٤٠٣) عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنًا... ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مُسيئًا ندم ألا يكون نزع».

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٧٢٨٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ.....

﴿وَمَنْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَمَنْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به .

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ - تأكيد - ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء .

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَادْكُرْ﴾ لَهُمْ ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَي: خَبَرَهُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا﴾: مُبَالِغًا فِي الصَّدَقِ، ﴿نَبِيًّا﴾ وَيُبَدِّلُ مِنْ (خَبَرَهُ): ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أَرَزَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾ الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وَمَنْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا الإنذار لكل مكلف، وإنما خصّه المفسّر بأهل مكة؛ لأنهم سبب نزولها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قوله: (بإهلاكهم) أي: فلا يبقى حيّ سوى الله تعالى؛ لما ورد: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي بَعْدَ انْقِرَاضِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا: لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَيُجِيبُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»^(١) .

قوله: ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: يُرَدُّونَ؛ فيجازى كلُّ أحدٍ بما قدّمه من خيرٍ وشرٍّ .

قوله: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ﴾، والمعنى: واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا، ويحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ عطف قصة على قصة، وهو الأقرب .

قوله: (مبالغة في الصدق) أي: في أقواله وأفعاله وأحواله .

قوله: ﴿نَبِيًّا﴾ وصف خاص؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ صديق ولا عكس، وبين الولاية والصديقية عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ أيضاً؛ فكلُّ صديق وليٌّ ولا عكس؛ لأنَّ الصديقية مرتبةٌ تحتَ مرتبةِ النبوة .

قوله: (ويبدل من «خبره») أي: بدل اشتغال، وحيثُذ فقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْبَدَلِ وَالْمَبْدَلِ مِنْهُ .

قوله: ﴿لِأَبِيهِ﴾ قيل: حقيقة، وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة (الأنعام)^(٢) تبعاً للمفسّر

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر (٣٩٤/٢) .

يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾

﴿يَتَّابِتْ﴾ - التَّاءُ عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا -، وَكَانَ يُعْبَدُ الْأَصْنَامَ ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾: لَا يَكْفِيكَ ﴿شَيْئًا﴾ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ. ﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿يَتَّابِتْ إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا﴾: طَرِيقًا ﴿سَوِيًّا﴾: مُسْتَقِيمًا،

حاشية الصاوي

هنا، وَلَا يَضُرُّ كَفْرُ أَصُولِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَلَا يُنَافِيهِ قَوْلُهُ ﷻ: «مَا زِلْتُ أُنْقَلُ مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الْفَاحِشَةِ»^(١)؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: الطَّاهِرَةُ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا، أَوْ يُقَالُ: إِنْ آزَرَ لَمْ يَتَحَقَّقْ كُفْرُهُ إِلَّا بَعْدَ بَعْثَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَحِينَئِذٍ: فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْهُ النُّورُ الْمُحَمَّدِيُّ إِلَى وَلَدِهِ وَهُوَ فِي حَالَةِ الْفِتْرَةِ.

وقيل: هُوَ عَمُّهُ، وَاسْمُ أَبِيهِ تَارِخٌ، وَسُمِّيَ أَبًا عَلَى عَادَةِ الْأَكَابِرِ مِنْ تَسْمِيَةِ الْعَمِّ أَبًا، وَعَلَيْهِ: فَلَا يَرُدُّ الْحَدِيثَ الْمُتَقَدِّمَ، وَهُمَا قَوْلَانِ لِلْمُفْسِّرِينَ.

قوله: (التَّاءُ عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ) أَي: فَاصِلُهُ: أَبِي، فَيُقَالُ فِي إِعْرَابِهِ: (يَا): حَرْفُ نِدَاءٍ، وَ(أَب): مَنَادٍ مَنْصُوبٌ بِفَتْحَةٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى مَا قَبْلَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ مَنَعٌ مِنْ ظَهْوَرِهَا اشْتِغَالُ الْمَحَلِّ بِحَرَكَةِ الْمُنَاسَبَةِ، وَالتَّاءُ: عِوَضٌ عَنِ الْيَاءِ.

قوله: (وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا) أَي: فَلَا يُقَالُ: يَا أَبَتِي؛ لِأَنَّ فِيهِ الْجَمْعَ بَيْنَ الْعِوَضِ وَالْمَعْوِضِ، وَيُقَالُ: يَا أَبَتَا؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ عِوَضٌ عَنِ الْيَاءِ أَيْضًا؛ فَفِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ عِوِضَيْنِ.

قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ أَي: لِأَيِّ سَبَبٍ تَعْبُدُ مَا لَا سَمْعَ فِيهِ وَلَا بَصَرَ؟

قوله: (أَوْ ضَرٍّ) أَي: أَوْ دَفْعَ ضَرٍّ.

قوله: ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ أَي: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالشَّرْعِ.

قوله: ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾ أَي: امْتَثِلْ أَمْرِي فِيمَا أَمُرُّكَ بِهِ.

قوله: (مُسْتَقِيمًا) أَي: لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

(١) رواه الآجري في «الشریعة» (٩٦٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنْ أَخَافَ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِرُهُمْ لَئِنْ لَمْ
تَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ

﴿يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بِطَاعَتِكَ إِيَّاهُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾:
كثِيرَ الْعِصْيَانِ، ﴿يَتَّابِتْ إِنْ أَخَافَ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إِنْ لَمْ تَتُبْ، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
وَلِيًّا﴾: نَاصِرًا وَقَرِينًا فِي النَّارِ.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِرُهُمْ﴾ فَتَعْيِبُهَا، ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ﴾ عَنْ التَّعَرُّضِ لَهَا
﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بِالْحِجَارَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بطاعتك إيَّاه﴾ أي: فالمراد بعبادته: امتثال أمره في عبادة الأصنام؛ حيث حَسَّنَهَا لَهُ
بِوَسْوَستِهِ.

قوله: ﴿عَصِيًّا﴾ أي: وطاعة العاصي عَصِيَان.

قوله: ﴿إِنْ أَخَافَ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ أي: في المستقبل إِنْ لَمْ تَرْجِعْ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْخَوْفِ؛ لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ قَاطِعًا بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، بَلْ كَانَ مُتَرَجِّيًا لِإِيْمَانِهِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخَوْفِ: الْعِلْمُ، وَالْأَقْرَبُ:
الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ عَلِمَ عَدَمَ هِدَايَتِهِ... مَا خَاطَبَهُ بِهَذَا الْخُطَابِ اللَّطِيفِ.

قوله: ﴿ناصرياً وقريناً﴾ المناسب: الاقتصار على تفسيره بالقرين؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الدُّخُولِ فِي الْعَذَابِ
لَا يَتَأَتَّى مُعَاوَنَتُهُ وَلَا مُنَاصَرَتُهُ.

قوله: ﴿أَرَأَيْتُ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿أَنْتَ﴾: فَاعِلٌ سَدَّ مَسَدَ الْخَبَرِ، وَسَوَّغَهُ اعْتِمَادُهُ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ،
وَهُوَ أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ خَبَرًا مُقَدِّمًا، وَ﴿أَنْتَ﴾: مَبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ؛ لِأَنَّهُ يُلْزَمُ عَلَيْهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْعَامِلِ
وَهُوَ ﴿أَرَأَيْتُ﴾ وَالْمَعْمُولِ وَهُوَ ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾ بِأَجْنَبِي وَهُوَ ﴿أَنْتَ﴾؛ لِأَنَّ الْمَبْتَدَأَ غَيْرُ مَعْمُولٍ لِلْخَبَرِ^(١).

قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ...﴾ إلخ قَابَلَ التَّعْطُفَ وَاللَّطَافَةَ فِي الْخُطَابِ بِالْقَظَاظَةِ وَالْغَلْظَةِ، فَنَادَاهُ
بِاسْمِهِ، وَصَدَّرَ كَلَامَهُ بِالْإِنْكَارِ، وَهَدَّاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ.

قوله: ﴿بالحجارة﴾ أي: حتى تموت أو تخلي سبيلي.

وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا

أو بالكلام القبيح فاحذرني، ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: دهرأ طويلاً.
 ﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مِنِّي، أي: لا أُصِيبُكَ بِمَكْرُوهِ، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ من (حَفِيٍّ) أي: بارًّا فيُجِيبُ دُعَائِي، وقد وَفَى بِوَعْدِهِ بقوله المذكور في (الشُّعْرَاء): ﴿وَأَعْفِرْ لِآتِي﴾ [٨٦]، وهذا قبل أن يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كما ذَكَرَهُ في (براءة).
 ﴿٤٨﴾ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾: أَعْبُدُ

حاشية الصاوي

قوله: (أو بالكلام القبيح) أي: الشتم والذم.
 قوله: (فاحذرني) قَدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ معطوف على مَحذُوفٍ؛ لِيَحْصَلَ التَّنَاسُبُ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ جُمِلَ (اهْجُرْنِي) إنشائية، وجُمِلَ (لَنْ لَمْ تَنْتَه... إلخ) خبرية، ولا يَصِحُّ عَطْفُ الْإِنْشَاءِ عَلَى الْخَبَرِ^(١).
 قوله: ﴿مَلِيًّا﴾ إما منصوب على الظرفية، وإليه يشير المفسر بقوله: (دهراً طويلاً)، أو على الحال من فاعل (اهْجُرْنِي) أي: اعتزلني سالماً لا يُصِيبُكَ مِنِّي مَضَرَّةٌ.
 قوله: (أي: لا أُصِيبُكَ بِمَكْرُوهِ) أي: فهو سلام مُتَارِكَةٌ وَمُقَاطَعَةٌ.
 قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ أي: أطلبُ غُفْرَانَهُ لَكَ المَرتَّبَ على هدايتك وإسلامك.
 قوله: ﴿حَفِيًّا﴾ أي: مبالغاً في إكرامي واللفظ بي والاعتناء بشأني، ويُطْلَقُ الحَفِيُّ عَلَى الْمُسْتَقْصِي فِي السُّؤَالِ، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].
 قوله: (وهذا قبل أن يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) هذا جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ يَجُوزُ الْإِسْتِغْفَارُ لِلْكَفَّارِ؟ فَأُجَابُ: بِأَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لَهُ قَبْلَ عِلْمِهِ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ.. تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ يَجُوزُ الدُّعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ لِلْكَافِرِ إِنْ قُصِدَ بِهَا هِدَايَتُهُ وَإِسْلَامُهُ؛ فَإِنْ قُطِعَ بِكَفَرِهِ.. فلا يجوز.
 قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أي: أرتحل من أرضكم وبلادكم، وقد فَعَلَ ذَلِكَ.

(١) وهذا التنااسب ليس بلام عند سيبويه؛ لأنه يُجِيزُ عَطْفَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ. «فتوحات» (٣/ ٧٣) نقلاً عن «حاشية الكرخي على الجلالين»، وانظر تفصيل المسألة في «مُغْنِي اللَّيْب» (ص ٦٢٧).

رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا آعَزَظَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا
.....

﴿رَبِّي عَسَىٰ أَن﴾ : ﴿لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ : بِعِبَادَتِهِ ﴿شَقِيًّا﴾ : كَمَا شَقِيتُمْ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .
﴿٤٩﴾ ﴿فَلَمَّا آعَزَظَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ : بِأَن ذَهَبَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، ﴿وَوَهَبْنَا
لَهُ﴾ : ابْنَيْنِ يَأْنَسُ بِهِمَا : ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ مِنْهُمَا ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ .
﴿٥٠﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ : لِلثَّلَاثَةِ ﴿مِن رَّحْمِنَا﴾ الْمَالُ وَالْوَلَدُ ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ
عَلِيًّا﴾ : رَفِيعاً هُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ .
﴿٥١﴾ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾
.....

حاشية الصاوي

قوله : (بأن ذهب) أي : من بابل بالعراق إلى الأرض المقدسة .
قوله : (يأنس بهما) استفيد منه : أنه رأى يعقوب ، وهو كذلك ؛ لما تقدّم أنه مُبَشِّرُ إِسْحَاقَ
ومن وراء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ، وقد عاش إبراهيم مئة وخمساً وسبعين سنة ، وبينه وبين آدم ألفاً سنة ،
وبينه وبين نوح ألف سنة .
قوله : ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ خَصَّهُمَا ؛ لِأَنَّهُ سَيَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ بِمَزَايَا تَخَصُّهُ .
قوله : (لِلثَلَاثَةِ) أي : إبراهيم وولديه .
قوله : (المال والولد) أي : فبسط لهم الدنيا ، ووسّع لهم الأرزاق ، وأكثر لهم الأولاد ؛ فَجَمِيعُ
الأنبياء الذين جاؤوا بعده من ذريته .
قوله : (في جميع أهل الأديان) أي : فكل أهل دين يترضّون عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ،
ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة .
قوله : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾ معطوف على قوله : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ عطف قصة
على قصة ، والحاصل : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَسْمَاءَ عَشْرَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ : زَكَرِيَّا ، وَيَحْيَى ،
وعيسى ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، وموسى ، وهارون ، وإدريس ، وذكر لكل
أوصافاً ومناقبَ يجب الإيمان بها ؛ تنبيهاً على عظيم شأنهم ، وتعليماً للأمة المحمّدية ؛ لِيَقْتَدُوا بِهِمْ ،
وكذا يُقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن .

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْنَتْهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَتْهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾

- بِكسر اللام وفتحها، مِنْ أَخْلَصَ فِي عِبَادَتِهِ، وَأَخْلَصَهُ اللَّهُ مِنَ الدَّنَسِ ..، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ .
 ﴿٥٢﴾ ﴿وَنَذَيْنَتْهُ﴾ يَقُولُ: ﴿يَمْشُوهُ إِفْتِ أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جَبَلٍ ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أَي: الَّذِي يَلِي يَمِينِ مُوسَى حِينَ أَقْبَلَ مِنْ مَدِينٍ، ﴿وَقَرَّبَتْهُ نَجِيًّا﴾: مُنَاجِيًّا بِأَنْ أَسْمَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَلَامَهُ .

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر اللام وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١) .
 قوله: (من أخلص في عبادته) أي: لم يلتفت لغير مولاه، وهذا راجع لقراءة الكسر .
 قوله: (وخلصه الله) أي: صفّاه ونقّاه، وهو راجع لقراءة الفتح، فيكون لفًا ونشرًا مرتبًا؛ فموسى عليه السلام صفّاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته، فتسبّب عن ذلك إخلاصه في عبادته .
 قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾) أي: ثبت واستقرّ أزلًا في علمنا نبوته ورسالته، وإلا . . . فرسالته في الخارج حين المنادة .
 قوله: (يقول: يا موسى) أي: في سورة (القصص) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾ [القصص: ٢٩] الآيات .
 قوله: (اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر .
 قوله: (الذي يلي يمين موسى) هذا صريح في أن المراد به: الطور الذي عند بيت المقدس، لا الطور الذي عند السويس؛ لأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مُشاهد .
 ﴿وَالْأَيْمَنِ﴾: صفة للجانب بدليل تبعيته له في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاهُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾، والمعنى: أنه سمع النداء في ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة .
 قوله: ﴿وَقَرَّبَتْهُ﴾) أي: تقرب شرف ومكانة، لا مكان .
 قوله: (من كل جهة) أي: بكل جارحة^(٢) .

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح اللام، والباقون بكسرها . انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٣١) .

(٢) كذا في الأصول، ولعلها زيادة من نسخة المصنف رحمه الله تعالى .

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾

﴿٥٣﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: نِعَمَتِنَا ﴿أَخَاهُ هَارُونَ﴾ - بَدَلْ أَوْ عَطْفُ بَيَانٍ - ﴿نَبِيًّا﴾ حال هي المَقْصُودَةُ بِالْهَبَةِ إجابة لِسُؤَالِهِ أَنْ يُرْسِلَ أَخَاهُ مَعَهُ، وَكَانَ أَسَنَ مِنْهُ.

﴿٥٤﴾ ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴿لَمْ يَعِدْ شَيْئًا إِلَّا وَفَّى بِهِ﴾، وَانْتَظَرَ مَنْ وَعَدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ حَوْلًا حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ فِي مَكَانِهِ، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إِلَى جُرْهُمِ ﴿نَبِيًّا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بدل أو عطف بيان) أي: ﴿وَأَخَاهُ﴾: مفعول به، وقوله: ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: من أجل رحمتنا.

قوله: (هي المقصودة بالهبة) جوابٌ عمّا يقال: ما معنى هبته له مع كونه أكبر منه؟ والموهوب يكون متأخرًا عن الموهوب له؟ فأجاب: بأن المراد: جعله نبياً يُعِينُهُ وَيَشُدُّ عَضُدَهُ.

قوله: (إجابة لسؤاله) تعليل لقوله: (وهبنا) حيث قال: ﴿وَلَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَعْلَى﴾.

قوله: (وكان أسن منه) أي: بأربع سنين.

قوله: ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ أي: ابن إبراهيم، وكان من هاجر جارية سارية التي وهبها له، فلما ولدت إسماعيل.. نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت، فتربى إسماعيل بين جُرْهُمِ عَرَبٍ مِنَ الْيَمَنِ، فَزَوَّجُوهُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا كَبِرَ.. أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، ثُمَّ تَنَاسَلَتْ مِنْهُ الْعَرَبُ الَّذِينَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَاهُ بِهَذَا فَخْرًا، وَلَمَّا كَانَ أَكْبَرُ مِنْ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ.. أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ وَالشَّاءِ.

قوله: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ خصَّ بهذا الوصف وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء؛ لأنه المشهور بين خصاله.

قوله: (وانتظر من وعده) أي: شخصاً وعده إسماعيل، وكان عليه إبراز الضمير؛ لأنَّ الصلة جَرَتْ عَلَى غَيْرِ مَنْ هِيَ لَهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ إِسْمَاعِيلَ وَعَدَ شَخْصًا أَنْ يَنْتَظِرَهُ فِي مَكَانٍ لِيَذْهَبَ الرَّجُلُ وَيَأْتِيَهُ لَهُ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ حَوْلًا^(١).

قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ أي: بشريعة أبيه.

(١) وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح قَوْفَى، وقيل: لم يعد ربه موعداً إلا أنجزه. انظر «تفسير النسفي» (٢/ ٣٤١).

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

﴿٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ: أي: قَوْمَهُ ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله: مَرْضُوءٌ، قُلِبَتِ الْوَاوَانِ يَاءَيْنِ وَالضَّمَّةُ كَسْرَةً.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جَدُّ أَبِي نُوحٍ، ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حَيٍّ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ أَوِ السَّادِسَةِ أَوِ السَّابِعَةِ، أَوْ فِي الْجَنَّةِ، أُدْخِلَهَا بَعْدَ أَنْ أُذِيقَ الْمَوْتَ وَأُحْيِيَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلِبَتِ الْوَاوَانِ... إلخ﴾ أي: فوقعت الواو الثانية متطرفة، قُلِبَتِ يَاءٌ، فَاجْتَمَعَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسَّكُونِ قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً، وَأَدْغَمَتْ فِي الْيَاءِ، وَهَذَا الْوَصْفُ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ؛ لِأَنَّ مِنْ كَانَتْ أَفْعَالُهُ مَرْضِيَّةً لِرَبِّهِ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا كُلُّ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

قوله: ﴿إِدْرِيسَ﴾ هذا لِقَبُّهُ، واسمه: أَخْثُوخُ بْنُ شِيثَ بْنِ آدَمَ، وَلَقَّبَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ الْكِتَابَ^(١)؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً؛ قِيلَ: هِيَ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى أَبِيهِ، وَقِيلَ: غَيْرَهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَخَاطَ الثِّيَابَ، وَاتَّخَذَ السَّلَاحَ، وَقَاتَلَ الْكُفَّارَ، وَنَظَرَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَالْحِسَابِ.

قوله: (هو جدُّ أبي نوح) أي: لِأَنَّ نُوحًا ابْنَ لَمَكٍ - بَفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمِيمِ - بَنَ مَتَوْشَلَخَ بْنَ إِدْرِيسَ.

قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمَكَانِ الْعَلِيِّ؛ فَقِيلَ: الْمَرَادُ بِهِ: الْمَكَانُ الْمَعْنَوِيُّ، وَهُوَ الرِّفْعَةُ وَعِلْوُ الْمَنْزِلَةِ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِهِ: الْمَكَانُ الْحَسِّيُّ، وَعَلَيْهِ: فَقِيلَ: هُوَ السَّمَاءُ الرَّابِعَةُ، وَقِيلَ: الْجَنَّةُ.

وَإِخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ رَفْعِهِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ لِإِدْرِيسَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ مِثْلُ مَا يُرْفَعُ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، فَعَجِبَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَاشْتَقَّ إِلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي زيارته، فَأُذِنَ

(١) وَقَوْلُهُمْ: سُمِّيَ بِهِ لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَا يَصُحُّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ (إِفْعِيلًا) مِنَ الدَّرْسِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سَبَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْعَلَمِيَّةُ، وَكَانَ مُتَصَرِّفًا، فَامْتَنَاعُهُ مِنَ الصَّرْفِ دَلِيلُ الْعَجْمَةِ. انظر «الكشاف» (٢٨/٤).

حاشية الصاوي

له، وأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره.. دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، ففعل ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك، فقال: لي إليك حاجة، قال: ما هي؟ فقال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبضها وردّها إليه في ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق الموت وغمته فأكون أشدّ استعداداً، ثم قال له إدريس: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء؛ لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله له، فرفعه، فلما قرب من النار.. قال: لي إليك حاجة، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها، ففعل، فقال له: كما أريتنني النار.. فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففتح أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرّك، فتعلّق بشجرة وقال: ما أخرج منها، فبعث ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذُفّته، وقال: ﴿وَلَنْ مَسْكُورٌ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ولست أخرج، وأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة، وبأمري لا يخرج منها فهو حيّ هناك^(١).

وقيل: سببه: أنه نام ذات يوم، فاشتدّ عليه حرّ الشمس، فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه؛ فإنه يمارس ناراً حامية، فأصبح ملك الشمس وقد نُصِبَ له كرسيّ من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومثلها عن شماله يخدمونه ويتولّون عمله من تحت حكمه، فقال ملك الشمس: يا رب؛ من أين لي هذا؟ قال: دعاً لك رجل من بني آدم يقال له: إدريس، فقال: يا رب؛ اجعل بيني وبينه حُلّة، فأذن له في ذلك، فصار يتردّد على إدريس، فقال له: إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت؛ فاشفع لي عنده؛ ليؤخر أجلي فأزاد عباداً وشكراً، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، فرفعه في مكانه، ثم أتى ملك الموت فقال له: لي صديق من بني آدم يتشفع بي إليك؛ لتؤخر أجله، فقال: ليس ذلك لي، ولكن إن أحببت.. أعلمته متى يموت فيُقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلّمتني في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتك وتركته

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢٣٩/٥) عن وهب بن منبه، وانظر الأقوال في سبب رفعه عليه السلام في «زاد المسير» (١٣٦/٣).

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ

﴿٥٨﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ - صِفَةٌ لَهُ - ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ - بَيَانٌ لَهُ، وهو في مَعْنَى الصَّفَةِ، وما بعده إلى جُمْلَةِ الشَّرْطِ صِفَةٌ لِلنَّبِيِّينَ -، فَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السَّفِينَةِ أي: إبراهيم ابن ابنه سام، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِسْرَءِيلَ﴾ وهو يعقوب، أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى

حاشية الصاوي

هناك، فانطلق، فوجده قد مات، ثم أحياه الله، فهو يرفع في الجنة تارة، ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارة أخرى^(١).

قال العلماء: أربعة من الأنبياء أحياء: اثنان في الأرض، وهما: الخضر، وإلياس، واثنان في السماء، وهما: عيسى، وإدريس^(٢).

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة، وهم عشرة؛ أولهم زكريا، وآخرهم إدريس كما تقدم.

قوله: (صفة له) أي: لاسم الإشارة؛ أي: أولئك الموصوفون بإنعام الله عليهم، وذلك أن الله لما وصف كلاً من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً.. ذكر ثانياً لهم صفة تعمهم.

قوله: (بيان لهم) أي: لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ.

قوله: (أي: إدريس) تفسير للذرية؛ أي: إن إدريس من ذرية آدم؛ لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم.

قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ أي: ومن ذرية من حملنا.

قوله: (أي: إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح؛ لأن من حمل معه أولاده الثلاثة، وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام، لكن بوسائط؛ فإن بين إبراهيم ونوح عشرة قرون.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١١/١١٨-١١٩).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/١٩١).

وَمَنْ هَدَيْنَا وَلَجَّبَيْنَا إِذَا نُنَالِي عَلَيْهِمَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

وعيسى، ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا وَلَجَّبَيْنَا﴾ أي: مِنْ جُمْلَتِهِمْ، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِذَا نُنَالِي عَلَيْهِمَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: جمع ساجد وباك، أي: فكونوا مثلهم. وأصل (بُكِيٍّ): بُكُوِيٌّ، قَلَبْتُ الْوَاوُ يَاءً وَالضَّمَّةُ كسرةً.

﴿٥٩ - ٦٠﴾ ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ بِتَرْكِهَا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَعَاصِي، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ هو وادٍ في جهنم أي: يَقْعُونَ فِيهِ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنْقَضُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (وعيسى) أي: فأولاد البنات من الذرية، والحاصل: أَنَّ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ لصلبه إدريس، ومن ذُرِّيَةِ نُوحٍ بوسائط إبراهيم، ومن ذُرِّيَةِ إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذُرِّيَةِ يعقوب موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله: ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا﴾ عطف على ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ زيادةً في تمجيدهم.

قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ أي: إن الأنبياء إذا سمعوا آيات الله التي خصَّهم بها من الكتب المنزلة عليهم.. سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً.

قوله: (وباك) أي: على غير قياس، وقياسه: (بُكَاء) ك: (قاضي) و(قضاة).

قوله: (فكونوا مثلهم) أي: في السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن؛ لما في الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا؛ فإن لم تبكوا.. فتباكوا»^(١).

قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: وُجِدَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ.

قوله: ﴿خَلَفٌ﴾ هو بالسكون في الشرِّ، وبالفتح في الخير؛ يقال: خَلَفُ سَوْءٍ، وخَلَفُ صَدَقٍ.

قوله: (هو وادٍ في جهنم) أي: تستعيز من حرِّه أوديتها.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ قدَّر المفسر (لكن)؛ إشارةً إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ المستثنى المؤمنون، والمستثنى منه الكفار.

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُهُمْ مُؤْتًى ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾

﴿شَيْئًا﴾ مِنْ ثَوَابِهِمْ.

﴿٦١﴾ ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: إقامة - بَدَلٌ مِنَ ﴿الْجَنَّةِ﴾ - ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ - حال - أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُهُمْ﴾ أي: موعودُهُ ﴿مُؤْتًى﴾ بِمَعْنَى آتِيًا، وَأَصْلُهُ: مَا تُؤْتِي، أَوْ مَوْعُودُهُ هُنَا الْجَنَّةُ يَأْتِيهِ أَهْلُهُ.

﴿٦٢﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ مِنَ الْكَلَامِ ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ يَسْمَعُونَ ﴿سَلَامًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: عَلَى قَدَرِهِمَا فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ، بَلْ ضَوْءٌ وَنُورٌ أَبَدًا.

حاشية الصاوي

قوله: (بَدَلٌ مِنَ ﴿الْجَنَّةِ﴾) قال بعضهم: إنه بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ بَعْضُ الْجَنَّاتِ، وَرَدَّ: بَأَنَّ (أَل) فِي (الْجَنَّةِ) جِنْسِيَّةٌ، فَهُوَ بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ كُلٍّ.

قوله: (أي: غائبين عنها) أي: غير مُشَاهِدِينَ لَهَا؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ حَاصِلٌ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ فِيهَا لَا يَشَاهِدُ الْجَنَّةَ.

قوله: (أي: موعودُهُ) أي: الَّذِي وَعَدَ بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَغَيْرِهَا.

قوله: (بِمَعْنَى: آتِيًا) أي: فَاسْمُ الْمَفْعُولِ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ.

قوله: (أَوْ مَوْعُودُهُ...) (إِلخ) إشارةٌ لِتَفْسِيرِ آخَرٍ، وَعَلَيْهِ: فَاسْمُ الْمَفْعُولِ بَاقٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَحَيْثُ: فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمَوْعُودِ: خُصُوصَ الْجَنَّةِ.

قوله: (﴿لَغْوًا﴾) هُوَ الْكَلَامُ الزَّائِدُ الْمُسْتَعْنَى عَنْهُ.

قوله: (لَكِنْ يَسْمَعُونَ ﴿سَلَامًا﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ اللَّغْوِ.

قوله: (وليس في الجنة نهار ولا ليل) أي: وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَ اللَّيْلَ بِإِرْخَاءِ الْحُجُبِ وَغَلْقِ الْأَبْوَابِ، وَالتَّهَارَ بِفَتْحِهَا وَرَفْعِ الْحُجُبِ كَمَا رُوِيَ^(١)، وَلَيْسَ مَعْرِفَةُ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ فِيهِ وَالنَّوْمِ؛ إِذْ لَا نَوْمَ

(١) أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٢١/١٨) عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ زُهَيْرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: =

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ: نُعْطِي وَنُنْزِلُ ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ بِطَاعَتِهِ.

﴿٦٤﴾ وَنَزَلَ لَمَّا تَأَخَّرَ الْوَحْيُ أَيَّامًا وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ:

حاشية الصاوي

ولا تعب فيها، بل ذلك على عادة الملوك في الدنيا من تهيئة تُحْفٍ في الصباح والمساء؛ لِيَتَمَّ نظامهم.

قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ اسم الإشارة عائد على (الجنة) في: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، وأتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارة لِعَلَّوْ رتبها ورفع منزلتها.

قوله: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ عبّر بالميراث؛ إشارة إلى أنهم يُعْطَوْنَهَا عطاءً لا يُرَدُّ ولا يبطل كالميراث.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ أي: سعيداً، وهو مَنْ مات على كلمة الإخلاص ولو مصرراً على الكبائر، فمآله للجنة وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جُرمه؛ لأنَّ الجنة جعلت مسكناً للموحدين، والنار جعلت مسكناً للمشركين، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إلى أن قال: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣]، وقوله ﷺ: «من مات لا يُشْرِكُ بالله شيئاً.. دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر»^(١)، ولكن الجنة مراتب ودرجات على حَسَبِ التفاوت في الأعمال الصالحة.

قوله: ﴿بِطَاعَتِهِ﴾ أي: ولو بمجرّد الإسلام.

قوله: (ونزل لما تأخر الوحي) أي: حين سأله اليهود عن الرُّوح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يَقُلْ: إن شاء الله، فتأخر جبريل حتى شقَّ على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أربعين يوماً - وقيل: خمسة عشر - فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساءني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: إني كنت أشوق ولكني عبدٌ مأمورٌ؛ إذا بُعِثْتُ.. نزلت، وإذا حُبِسْتُ.. احتَبِسْتُ^(٢).

= ﴿وَلَمْ يَزِدْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب. وانظر «الدر المنثور» (٥/٥٢٨ - ٥٢٩).

(١) رواه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (١٨٥) عن سيدنا أبي فراس، وليس فيهما ذكر شرب الخمر.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/٢٢٣).

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

«ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: أمامنا من أمور الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمور الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسياً، أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك.

حاشية الصاوي

قوله: (أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل، كأنه قال له: إن شوقي إليك في ازدياد، فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر^(١).

قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ هذا على لسان جبريل، أمره الله تعالى بذلك؛ اعتذاراً لرسول الله، وجواباً لسؤاله المذكور. والنزول شيئاً فشيئاً.

قوله: (من أمور الآخرة) بيان لـ(ما)، ويصح أن يحمل قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ على ما يأتي، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ على ما يسبق، وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ على الحالة الراهنة.

قوله: (له علم ذلك جميعه) أي: تفصيلاً، وأما علم بعضه إجمالاً.. فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بإلهام من الله تعالى، ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه.

إذا علمت ذلك.. فالتشديق بالتَّحْرِي على المغيبيات من الضلال المبين؛ لأنه لو استند لقواعد.. فهي كاذبة ولو صادفت الحق؛ بمصداق قوله ﷺ: «كذب المنجمون وإن صدقوا»، وإن استند لكشف.. فصاحبها لا يطلع إلا على بعض جزئيات، ومع ذلك هو مأمور بكتمها؛ لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] فكيف بغيره من آحاد الخلق؟!

قوله: (أي: تاركاً لك) أي: إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله، لا تركاً لك وهجراناً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].

(١) والخبر رواه البخاري في «صحيحه» (٤٧٣١) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ
إِذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

﴿٦٥﴾ هو ﴿رَبُّ﴾: مَالِكُ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: أي: مُسَمًّى بِذَلِكَ؟ لا.

﴿٦٦﴾ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكرُ لِلْبَعثِ هو أَبِي بن خَلَفٍ أو الوليدُ بن المُغيرة النَّازِلُ فِيهِ الآيةُ: ﴿إِذَا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى - ﴿مَا مِثْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مِنَ الْقَبْرِ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟ - فالاستفهام بِمَعْنَى النَّفْيِ - أي: لا أحيأ بعد الموت، - و(ما) زائدة لِلتَّأَكِيدِ، وكذا اللام - ورُدَّ عليه بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: (هو) قَدَرَهُ؛ إشارةً إلى أن ﴿رَبُّ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ (أي: دُمَّ على عبادته، ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة.

قوله: (أي: مَسْمًى بِذَلِكَ) أي: بلفظ الجلالة، أو بِرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وقيل: معنى ﴿سَمِيًّا﴾: مَثَلًا يستحق أن يَسْمًى إِلَهًا وأحدًا يَسْمًى بالله؛ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَإِنْ سَمَّوْا الصَّنَمَ إِلَهًا لَمْ يُسَمُّوهُ (الله) قَطُّ؛ لظهور أحديته وأنه رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقد وَرَدَ: أن امرأة سَمَّتْ وَلدها الله، فنزلت عليه نار فأحرقتَه.

قوله: (المنكر لِلْبَعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان: خُصُوصُ الْكَافِرِ الْمُنْكَرِ لِلْبَعثِ.

قوله: (أو الوليد) (أو): لتنويع الخلاف في المراد بالإنسان الذي قال تلك المقالة، وفي الحقيقة: كُلٌّ مِنَ الشَّخْصِينَ قَدْ قَالَهَا.

قوله: ﴿إِذَا﴾ (منصوبة بقوله: ﴿أُخْرَجُ حَيًّا﴾، ولا يقال: إِنَّ مَا بَعْدَ اللام لا يعمل فيما قبلها؛ لأنَّ ذاك في لام الابتداء، وأمَّا هذه فهي زائدة كما قال المفسر.

قوله: (وإدخال ألف بينها) أي: الثانية، وقوله: (وبين الأخرى) أي: الأولى، وكان المناسب أن يقول: (وتركه)، فتكون القراءات أربعاً، وهي سبعيات^(١).

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ

﴿٦٧﴾ «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ» - أصله: يَتَذَكَّرُ، أَبَدِلَتِ النَّاءُ ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة تركها وسكون الذال وضُم الكاف - «أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا» فَيَسْتَدِلُّ بِالابْتِدَاءِ عَلَى الْإِعَادَةِ؟

﴿٦٨﴾ «فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ» أي: الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ «وَالشَّيَاطِينَ» أي: نَجْمَعُ كُلًّا مِنْهُمْ وَشَيْطَانَهُ فِي سِلْسِلَةٍ، «ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ» مِنْ خَارِجِهَا «جِثِيًا» عَلَى الرُّكْبِ جَمْعُ جَاثٍ، وَأَصْلُهُ: (جُثُوٌّ) أَوْ (جُثْوِيٌّ) مِنْ (جَثَا يَجْثُو) وَ(يَجْثِي) لُغَتَانِ.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ»: فِرْقَةٍ مِنْهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: «أَوَلَا يَذْكُرُ» الاستفهام للتوبيخ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: «مِن قَبْلُ» أي: من قبل بعثه.

قوله: (فيستدل بالابتداء على الإعادة) أي: لأنها أهون، قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» [الروم: ٢٧].

قوله: «فَوَرَبِّكَ» أضاف اسمه تعالى إلى اسمه ﷺ تشريفاً وتعظيماً.

قوله: «لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا» أي: وهو الموقف.

قوله: (وأصله: جُثُوٌّ) أي: بواوين، قلبت الثانية ياءً لتطرفها، فاجتمعت مع الواو الساكنة، قلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء.

قوله: «أَوْ جُثْوِيٌّ» أي: بياء بعد واو، قلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، وعلى كل كسرت الناء؛ لتصح الياء.

قوله: «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ» أي: من كل أمة.

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وجماعة: «يَذْكُرُ» مخففاً، والباقون بالتشديد، وقد قرأ بهذا الأصل وهو: يتذكر أبي.

انظر «الدر المصون» (٦١٩/٧).

أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾: جَرَاءَةٌ، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا﴾: أَحَقُّ بِجَهَنَّمَ الْأَشَدُّ وَغَيْرِهِ مِنْهُمْ ﴿صِلِيًّا﴾: دُخُولًا وَاحْتِرَاقًا، فَتَبْدَأُ بِهِمْ، - وَأَصْلُهُ: (صُلُوِيٌّ) مِنْ (صَلَّى) بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا -.

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾) ﴿وَإِنْ﴾ أَي: مَا ﴿مِنْكُمْ﴾ أَحَدٌ ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أَي: دَاخِلُ جَهَنَّمَ، ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَيُّهُمْ﴾﴾ موصولة بمعنى (الذي)، فُبَيِّنَتْ عَلَى الضَّمِّ؛ لِإِضَافَتِهَا وَحَذْفِ صَدْرِ صَلَتِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿﴿أَشَدُّ﴾﴾: خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ، وَالْجُمْلَةُ صَلَتُهَا، وَهِيَ وَصَلَتُهَا فِي مَحَلِّ نَصَبٍ مَفْعُولٍ ﴿لَنَزَعْنَهَا﴾، وَ﴿عُنِيًّا﴾: تَمْيِيزٌ مَحْوَلٌ عَنِ الْمَبْتَدَأِ الْمَحْذُوفِ؛ أَي: عُنُوُّهُ أَشَدُّ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَمِيزُ طَوَائِفَ الْكُفَّارِ؛ فَيَطْرَحُ الْأَعْنَى فَالْأَعْنَى عَلَى التَّرْتِيبِ؛ لِأَنَّ عَذَابَ الضَّالِّ الْمُضِلَّ يَكُونُ فَوْقَ عَذَابِ مَنْ يَضِلُّ تَبَعًا لْغَيْرِهِ، وَلَيْسَ عَذَابُ مَنْ يَتَمَرَّدُ وَيَتَجَبَّرُ كَعَذَابِ الْمُقْلَدِّ.

قوله: ﴿﴿صِلِيًّا﴾﴾ بضم الصاد وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(١)، جمع صال ك: (جثيًا) جمع (جاث).

قوله: (فَتَبْدَأُ بِهِمْ) أَي: بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا.

قوله: (مَنْ: صَلَّى بِكسر اللام) أَي: ك: رَضِي، وقوله: (وفتحها) أَي: ك: رَمَى.

قوله: ﴿﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾﴾ أَي: مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْمُفْسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ؛ قِيلَ: الدُّخُولُ، وَقِيلَ: الْحُضُورُ مَعَهَا فِي الْمَوْقِفِ، وَالَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الْأَشْيَاخُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الْمُرُورُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَهُوَ عَلَى ظَهَرِهَا أَحَدٌ مِنَ السِّيفِ، وَأَرْقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَيَتَسَّعُ لِلْمُؤْمِنِ بِقَدْرِ عَمَلِهِ، وَمِنْ هُنَا تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ: «جُزْ يَا مُؤْمِنٌ؛ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لِهَبِي»^(٢)، وَهُمْ فِي الْمُرُورِ مُخْتَلِفُونَ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَأُولَئِهِمْ كَلِمَةُ الْبَصَرِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَعَذْوِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ الْمَجْدُ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ فِي مَشْيِهِ»^(٣).

(١) قَرَأَ حَفْصٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ (عُنِيًّا) وَ(صِلِيًّا) وَ(جَثِيًّا) بِكسر عين الأول، وصاد الثاني، وجيم الثالث، وضمَّ الباقون. انظر «السراج المنير» (٤١٥/٢).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٣٦٩) عن سيدنا يعلى بن منية رضي الله عنه.

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِإِنتِبَاحٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا.....

﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ : حَتْمُهُ وَقَضَى بِهِ لَا يَتْرُكُهُ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ - مُشَدِّدًا وَمُخَفِّفًا -
﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ وَالْكُفْرَ مِنْهَا، ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بِالشُّرِكِ وَالْكُفْرِ ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾
على الرُّكْبِ.

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ﴾ أَي : الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ﴿ءَايَتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿بِإِنتِبَاحٍ﴾ :
وَاضِحَاتٍ - حَال - ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.....

حاشية الصاوي

قوله : (أي : داخل جهنم) أي : تكون على المؤمنين ولو ماثوا عصاة غير من تحقق فيهم
الوعيد.. برداً وسلاماً؛ لِدخولهم فيها وهي خامدة؛ فلا يشعرون بها.

قوله : ﴿كَانَ﴾ أي : الورد.

قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي : نُخرجهم منها من غير أن يمسه عذابها، وهم من لم ينفذ
فيهم الوعيد، أو بعد العذاب وهو من نفذ فيهم الوعيد^(١).

قوله : ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أي : نتركهم فيها على سبيل الخلود، وقوله : ﴿جِثِيًّا﴾ حال
من ﴿الظَّالِمِينَ﴾.

قوله : ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ﴾... إلخ) أي : حين نزلت على النبي ﷺ آيات القرآن، وتلاها
على المؤمنين والكافرين، وعجزوا عن مُعارضتها.. أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء
المؤمنين بما لهم من حُظوظ الدنيا حيث قالوا لهم : انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم،
وإلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم، نَجلس في صدر المجلس وتجلسون في طرفه الحقير،
فإذا كان ذلك لنا في الدنيا.. فنحن عند الله خير منكم، ولو كنتم على خير.. لأكرمكم كما أكرمنا،
وقصدُهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا، قال تعالى : ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٣٥].

قوله : ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي : أغنياؤهم.

(١) كذا في الأصول، ولعلها : (وهم من نفذ فيهم الوعيد).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَرَّ أَهْلَكَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَى الْفَرِيقَيْنِ ﴿٧٣﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ مَنْزِلًا وَمَسْكَنًا، بِالْفَتْحِ مِنْ قَامَ وَبِالضَّمِّ مِنْ أَقَامَ، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ بِمَعْنَى النَّادِي، وَهُوَ مُجْتَمَعُ الْقَوْمِ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، يَعْنُونَ نَحْنُ فَنَكُونُ خَيْرًا مِنْكُمْ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٧٤﴾ أَي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أَي: أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا﴾: مَالًا وَمَتَاعًا ﴿وَرِءْيَا﴾: مَنَظَرًا، مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَكَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ لِكُفْرِهِمْ نُهْلِكُ هَؤُلَاءِ.

﴿٧٥﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ - شَرِّطَ جَوَابَهُ -: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بِمَعْنَى الْخَبَرِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَي: الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ.

قوله: (نَحْنُ وَأَنْتُمْ) بَيَانٌ لِّ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾.

قوله: (بِالْفَتْحِ وَبِالضَّمِّ) أَي: فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١)؛ فَالْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ (قَامَ) ثَلَاثِيًّا، وَالضَّمُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ (أَقَامَ) رِبَاعِيًّا، وَكُلُّهُمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ مَكَانٍ، أَوْ اسْمَ مَصْدَرٍ.

قوله: (قَالَ تَعَالَى) أَي: رَدًّا عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ لِّ﴿قَرْنٍ﴾، وَ﴿أَتْنَا وَرِءْيَا﴾: تَمْيِيزَانِ.

قوله: ﴿وَرِءْيَا﴾ أَي: مَرْتَبًا كَالذَّبْحِ بِمَعْنَى (الْمَذْبُوحِ)، وَقَوْلُهُ: (مَنْظَرًا) أَي: هَيْئَةً وَصُورَةً.

قوله: ﴿قُلْ﴾ أَي: لِلْكَافِرِ الْمَفْتَخِرِينَ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿فِي الضَّلَالَةِ﴾ أَي: الْكُفْرَ وَالْغَفْلَةَ عَنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.

قوله: (بِمَعْنَى الْخَبَرِ) أَي: وَأَتَى بِهِ عَلَى صُورَةِ الْأَمْرِ؛ إِعْلَامًا بِأَنَّهُ يَحْصُلُ وَلَا يَبْدُ بِمَقْتَضَى حِكْمَتِهِ، كَأَنَّهُ أُلْزِمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ.

(١) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَالباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/٤٤١).

لَهُ الرَّحْمَنُ مَتًّا حَقٌّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا
وَأَضَعُفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا

أي: يَمْدُ ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَتًّا﴾ في الدنيا يَسْتَدْرِجُهُ، ﴿حَقٌّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ كالْقَتْلِ
وَالْأَسْرِ ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَدْخُلُونَهَا، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا
وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾: أَعْوَانًا أَهْمُ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ؟ وَجُنْدُهُمُ الشَّيَاطِينُ وَجُنْدُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ.

﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا بِالْإِيمَانِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يَمْدُ ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ﴾) إنما ذكر (الرحمن)؛ إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه.

قوله: (يَسْتَدْرِجُهُ) أي: بأن يُطِيلَ عمره ويكثر ماله ويُمكنه من التصرف فيه.

قوله: ﴿حَقٌّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾.

قوله: ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ (إِمَّا): حرف تفصيل، وهي مانعة خُلُوْ تَجَوُّزِ الجمع، و﴿الْعَذَابَ﴾
و﴿السَّاعَةَ﴾: بدلان من ﴿مَتًّا﴾، والمعنى: يَسْتَمِرُّونَ فِي الطَّغْيَانِ إِلَى أَنْ يَعْلَمُوا إِذَا رَأَوْا الْعَذَابَ
أَوِ السَّاعَةَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا.

قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، وقوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ راجع لقوله: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾،
وقوله: ﴿وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ راجع لقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَيْكًا﴾ على طريق اللَّفِّ والتَّشْرِيبِ المَرْتَّبِ.

قوله: ﴿أَهُمْ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ؟﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ (مَنْ) استفهامية، ويصح كونها موصولة مفعول
(يَعْلَمُونَ).

قوله: (عليهم) متعلق بـ(جند)؛ لتضمُّنِهِ معنى المعاوين، وذلك كما وقع لهم في بدر؛ فالكفار
كان جندهم إبليس وأعوانه جاؤوا لهم ليُعِينُوهُمْ ثُمَّ انْخَلَوْا عَنْهُمْ، والمؤمنون كان جندهم الملائكة
كما تقدَّم في (الأنفال) و(آل عمران).

قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ﴾ هذه الجملة مُسْتَأْنَفَةٌ، أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول، كأنه
قال: قل لهم: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ... إلخ وَقُلْ لَهُمْ: وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا... إلخ.

هُدًى وَالْبَيِّنَاتُ الْصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا
وَقَالَ

﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات، ﴿وَالْبَيِّنَاتُ الْصَّلَاحُ﴾ هي الطاعة تبقى لصاحبها
﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي: ما يُرَدُّ إليه ويُرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية
هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾.

﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ ﴿وَقَالَ﴾ لِحَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ الْقَائِلِ

حاشية الصاوي

قوله: (بما ينزل عليهم من الآيات) أي: فكلما نزلت عليهم آية من القرآن.. ازدادوا بها هدى
وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِّتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

قوله: (هي الطاعة) تقدّم أنّ هذا أحد تفاسير في (الباقيات الصالحات)، وهو الأحسن^(١).

قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: من زينة الدنيا التي يتنعم بها الكفار.

قوله: (بخلاف أعمال الكفار) أي: فإنها شرٌّ مردًّا؛ لكونهم يردُّون إلى جهنم، فتحصل:
أنّ الأعمال كلّها باقية لأصحابها؛ فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فيتنعمون بها في الجنة،
والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيُعذبون بها في النار؛ فالعاقل يختار لنفسه أيّ العملين يبقى له.

قوله: (والخيرية... إلخ) أي: ف(أفعل) التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق،
فاندفع ما يُقال: إنّ أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً؛ فكيف تصح المفاضلة؟!

قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ الاستفهام تعجُّبي؛ أي: تعجّب يا محمد من مقالة هذا
الكافر الشنيعة.

قوله: (العاصي بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهور.

قوله: (لحباب بن الارت) هو بدريٌّ من فقراء الصحابة، وذلك أنّ حباباً كان صائغاً، فصاغ
للعاصي حلياً ثمّ طالبه بأجرته، فقال له: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقال حباب: لن أكفر به حتى
تموت ثمّ تبعث، قال: وإني لمبعوثٌ من بعد الموت! فسوف أعطيك إذا رجعتُ إلى مال وولد^(٢).

(١) انظر (٤/١٥٣).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٥)، ومسلم (٧١٦٤).

لَأَوْتِيَنَّكَ مَا لَا وُلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ

لَهُ: تُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْمُطَالِبُ لَهُ بِمَالٍ: ﴿لَأَوْتِيَنَّكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ الْبَعْثِ ﴿مَا لَا وُلَدًا﴾ فَأَقْضِيكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٧٨﴾ ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أَي: أَعْلِمَهُ وَأَنْ يُؤْتَى مَا قَالَهُ، - وَاسْتُغْنِيَ بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ فَحُذِفَتْ - ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بِأَنْ يُؤْتَى مَا قَالَهُ؟
 ﴿٧٩﴾ - ﴿٨٠﴾ ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَا يُؤْتَى ذَلِكَ، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأْمُرُ بِكُتْبِ ﴿مَا يَقُولُ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (وَاسْتُغْنِيَ بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ... إلخ) أَي: فَأَصْلُهُ: أُرِطِعَ، حَذَفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ تَخْفِيفًا.
 قوله: ﴿كَلَّا﴾ ذكر النحويون في هذه اللفظة سِتَّةَ مَذَاهِبٍ؛ أَحْسَنُهَا: أَنَّهَا حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجَرٍ، الثَّانِي: أَنَّهَا حَرْفُ تَصْدِيقٍ بِمَعْنَى (نَعَمْ)، الثَّالِثُ: أَنَّهَا بِمَعْنَى (حَقًّا)، الرَّابِعُ: أَنَّهَا رَدٌّ لَمَّا قَبْلُهَا، الْخَامِسُ: أَنَّهَا صِلَةٌ فِي الْكَلَامِ بِمَعْنَى (أَي)، السَّادِسُ: أَنَّهَا حَرْفُ اسْتِفْتَاخٍ^(١).
 وَذَكَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا، وَكُلُّهَا فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْهُ، فِي خَمْسِ عَشْرَةِ سُورَةٍ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ، تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:
 قِسْمٌ يَجُوزُ الْوَقْفَ عَلَيْهَا وَعَلَى مَا قَبْلُهَا؛ فَيَبْتَدَأُ بِهَا، وَذَلِكَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعٍ: اللَّتَانِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَالثَّانِي فِي (الشُّعْرَاءِ)، وَوَاحِدَةٌ فِي (سَبَأٍ).
 وَقِسْمٌ اخْتَلَفَ فِيهِ هَلْ يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَيْهَا أَوْ يَتَعَيَّنُ عَلَى مَا قَبْلُهَا؟ وَذَلِكَ فِي تِسْعَةِ مَوَاضِعٍ: وَاحِدَةٌ فِي (الْمُؤْمِنُونَ)، وَاثْنَتَانِ فِي (سَأَلَ سَائِلٌ)، وَالْأُولَى وَالثَّالِثَةُ فِي (الْمَدْثَرُ)، وَالْأُولَى فِي سُورَةِ (الْقِيَامَةِ)، وَالثَّانِيَةِ فِي سُورَةِ (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)، وَالْأُولَى فِي سُورَةِ (الْفَجْرِ) وَالثَّانِيَةِ فِي سُورَةِ (وَيْلٌ لِكُلِّ).
 وَقِسْمٌ لَا يَجُوزُ الْوَقْفَ عَلَيْهَا بِاتِّفَاقٍ، وَهُوَ التَّسْعُ عَشْرَةَ الْبَاقِيَّةُ.
 قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أَي: نُنْظِرُهُ لَهُ وَنَعْلَمُهُ أَنَّا كُتِبْنَا، فَاذْفَعْ مَا يَقَالُ: إِنَّ الْكِتَابَةَ لَا تَأْخُرُ مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]^(٢).

(١) ذكر الأقوال معزوة لأصحابها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٦٣٧/٧).

(٢) فإن قلت: كيف قيل: (سَنَكْتُبُ) بسين التسويف مع أنه قد كتب من غير تأخير؛ لأن نفس الكتابة لا تأخر عن القول؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: سَنُظْهِرُ لَهُ وَنَعْلَمُهُ أَنَّا كُتِبْنَا، والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يُخْلَلُ بِالْإِنْتِصَارِ وَإِنْ تَطَاوَلَ بِهِ الزَّمَانُ وَاسْتَأْخَرَ. «فتوحات» (٨٦/٣) نقلًا عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَزِدُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا: نَزِيدُهُ بِذَلِكَ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِ كُفْرِهِ، ﴿وَنَزِدُّهُ مَا يَقُولُ﴾ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَرْدًا﴾ لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ.

﴿٨١﴾ وَاتَّخَذُوا أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الْأَوْثَانُ ﴿الْإِلَهَةَ﴾ يَعْبُدُونَهُمْ، ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾: شَفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَنْ لَا يُعَذَّبُوا.

﴿٨٢﴾ كَلَّا أَي: لَا مَانِعَ مِنْ عَذَابِهِمْ، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أَي: الْإِلَهَةُ ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أَي: يَنْفُوتُهَا كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَتَّبِعُونَ﴾ [القصر: ٦٣]، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أَعْوَانًا وَأَعْدَاءَ.

حاشية الصاوي

قوله: (نَزِيدُهُ بِذَلِكَ عَذَابًا... إلخ) أَي: لَمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَشَدَّ كُفْرًا... كَانَ أَعْظَمَ عَذَابًا.

قوله: ﴿وَنَزِدُّهُ مَا يَقُولُ﴾ أَي: نَسْلُبُهُ وَنَأْخُذُهُ مِنْهُ بِأَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا خَالِيًا مِنْ ذَلِكَ.

قوله: ﴿فَرْدًا﴾ أَي: مَنْقُطَعًا عَنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ بِالْكَلِيَّةِ؛ فَلَا يَلْقَى مَالًا وَلَا وَلَدًا أَصْلًا؛ لَا فِي الْبَعْثِ، وَلَا فِي النَّارِ؛ لِانْقِطَاعِ الْأَسْبَابِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمْ، بَلْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤]، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانُوا يُبْعَثُونَ فَرَادَى إِلَّا أَنَّهُمْ يَلَاقُونَ أَحِبَابَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَهُ.

قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ حِكَايَةً عَمَّا وَقَعَ مِنَ الْكُفَّارِ عَمُومًا.

قوله: (الْأَوْثَان) هُوَ مَفْعُولُ أَوَّلِ، وَ﴿الْإِلَهَةُ﴾ مَفْعُولُ ثَانٍ.

قوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾... إلخ فِي مَعْنَى التَّعْلِيلِ.

قوله: ﴿ضِدًّا﴾ أَي: أَضْدَادًا، وَإِنَّمَا أَفْرَدَهُ إِمَّا لِكَوْنِهِ مُصْدَرًّا فِي الْأَصْلِ، أَوْ لِأَنَّهُ مُفْرَدٌ فِي مَعْنَى

الْجَمْعِ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُمُهُمْ أُزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾

﴿٨٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ: سَلْطَنَاهُمْ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُمُهُمْ﴾: تُهَيِّجُهُمْ إِلَى المعاصي ﴿أُزًّا﴾؟

﴿٨٤﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: يَطْلُبُ الْعَذَابَ، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: الْإِيَّامَ وَاللَّيَالِي أَوْ الْأَنْفَاسَ ﴿عَذَابًا﴾ إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ.

﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾) اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بِإِيمَانِهِمْ ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾: جَمْعُ (وَافِد) بِمَعْنَى رَاكِبٍ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ.. فليس للشياطين عليهم سَبِيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

قوله: ﴿تُهَيِّجُهُمْ إِلَى المعاصي﴾ أي: تُغْرِيهِمْ بِتَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ لَهُمْ.

قوله: ﴿أُزًّا﴾ مفعول مطلق لـ ﴿تَؤْزُمُهُمْ﴾، وَالْأُزُّ: يُطْلَقُ عَلَى الْغُلْيَانِ، وَعَلَى الْحَرَكَةِ الشَّدِيدَةِ، وَعَلَى التَّهْيِيجِ وَالْإِزْعَاجِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

قوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لِيَسْتَرِيحْ أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَتَطْهَرِ الْأَرْضُ مِنْ فِسَادِهِمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَيَّامًا مُحْصُورَةً، وَأَنْفَاسًا مَعْدُودَةً يَعِيشُونَهَا، ثُمَّ يُرْدُّونَ إِلَى الْعَذَابِ.

قوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أي: نَضْبِطُ مَا يَقَعُ مِنْهُمْ وَلَا نَهْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا؛ لِيُؤَاخِذُوا بِهِ.

قوله: (أَوْ الْأَنْفَاسَ) تَفْسِيرٌ ثَانٍ.

قوله: (إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ) أي: وَهُوَ مَوْتُهُمْ؛ لِأَنَّ بِمَوْتِهِمْ تَصِيرُ قُبُورُهُمْ حَفْرَةً مِنْ حَفْرِ النَّارِ، فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَيُقَذَّفُونَ فِي النَّارِ.

قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾ ظرف معمول لمحذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (اذْكُرْ) أي: اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ هَذَا الْيَوْمَ الْعَظِيمَ؛ فَإِنَّهُ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

قوله: (بِمَعْنَى رَاكِبٍ) هَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ مَأْخُودًا مِنْ مَعْنَى الْوَفْدِ؛ لِأَنَّ الْوَفْدَ فِي اللُّغَةِ: الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ عَلَى الْمُلُوكِ لِلْعَطَايَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدِ بَرَكُوبٍ، بَلْ هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَرِينَةِ مَدْحِ الْمُتَّقِينَ؛

وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾

﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بِكُفْرِهِمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾: جَمَعَ (وَارِد) بِمَعْنَى مَاشٍ عَطْشَانٌ.

حاشية الصاوي

لما وَرَدَ: «أنهم يُحْشَرُونَ رُكْبَانًا عَلَى نَجَائِبِ سَرَجِهَا مِنْ يَاقُوتٍ، وَعَلَى نُوقِ رِحَالِهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَزْمَتُهَا مِنْ زَبْرِجَدٍ»^(١).

واختلف في وقت ركوبهم؛ فقليل: من أول خُروجهم من القبور، وقيل: من مُنصرفهم من الموقف، وعلى كُلِّ فيستَمرون راكبين حتى يَقْرَعُوا بَابَ الْجَنَّةِ، وَجُمِعَ بِأَنَّهُمْ يَرْكَبُونَ مِنْ أَوَّلِ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ حَتَّى يَأْتُوا الْمَوْقِفَ، ثُمَّ بَعْدَ انْفِضَاضِ الْمَوْقِفِ يَرْكَبُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وعن ابن عباس: (من كان يحب ركوب الخيل . . . وفد إلى الله تعالى على خيل لا تُرَوِّث ولا تبول، لحمها من الياقوت الأحمر، ومن الزبرجد الأخضر، ومن الدرّ الأبيض، وسُرُوجها السندس والإستبرق، ومن كان يحب ركوب الإبل . . . فعلى نُجَبٍ لا تبعر ولا تبول، أزمتها من الياقوت والزبرجد، ومن كان يحب ركوب الشُفْنِ . . . فعلى سفن من زبرجد وياقوت، قد أَمِنُوا الْغَرَقَ، وَأَمِنُوا الْأَهْوَالَ)^(٢).

وورد أيضاً: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير»^(٣).

قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين: الكفار.

قوله: ﴿وَرْدًا﴾ أي: مُشاةً عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورها؛ لما ورد: «أن المؤمن إذا أُخْرِجَ مِنْ قَبْرِهِ . . . استقبله عمله في أحسن صورة، وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عمك الصالح، طالما ركبتك وأتعبتك في الدنيا، اركبني اليوم، وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عمك السيئ، طالما ركبتني وأتعبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]»^(٤).

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٠٨/٧).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٥١/١١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٧٣٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وتماه: «ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبئيت معهم حيث باتوا، وتصيح معهم حيث أصبحوا، وتُسمي معهم حيث أمسوا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٢٧/١١).

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ

﴿٨٧﴾ لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: النَّاسُ ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، قال تعالى لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: مُنْكَرًا عَظِيمًا.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩٢﴾ ﴿تَكَادُ﴾ - بالتاء والياء - ﴿السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ﴾ - بِالنُّونِ، وفي قراءة

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق عموماً، مؤمنهم وكافرهم، وقوله: ﴿الشَّفْعَةَ﴾ أي: كونه يشفع لغيره، أو يشفع غيره فيه.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ﴾ مُسْتَنَى من العموم المتقدم، وهو متصل.

قوله: ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ كرّر لفظ (الرحمن) في هذه السورة ست عشرة مرة؛ إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه.

قوله: (أي: شهادة أن لا إله إلا الله) أي: مع عديلتها، وهي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بالله) في رواية: «والتَّيْبَرِي من الحَوْل والقوة لله، وعدم رجاء غيره»^(١).

قوله: (ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أي: وهم مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين.

قوله: (قال تعالى) أي: تقريعاً وتوبيخاً.

قوله: (منكرًا عظيمًا) أي: فظيعاً شديداً.

قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾... إلخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرًا عظيمًا.

قوله: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ أي: يَتَفَتَّتْنَ وَيُقَطَّعْنَ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، وظاهره: أن القراءات أربع، وليس كذلك،

(١) رواه البيهقي في «الاسماء والصفات» (٢٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٧٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ
وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ وَعَدَّهَمْ
عَدًّا ﴿٩٤﴾

بِالتَّاءِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ - بِالانْشِقَاقِ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَي: تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَجْلِ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أَي: مَا يَلِيْقُ بِهِ
ذَلِكَ.

﴿٩٣﴾ ﴿إِنْ﴾ أَي: مَا ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ذَلِيلًا خَاضِعًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْهُمْ غُزِيرٌ وَعِيسَى.
﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ وَعَدَّهَمْ عَدًّا﴾ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ

حاشية الصاوي

بل هي ثلاث فقط؛ لأنَّ في قراءة التاء من (تكاد) وجهين: التاء والنون من (يتفطرون)، وفي قراءة
الياء وجهاً واحداً وهو التاء من (يتفطرون)، والثلاث سبعيات^(١).

قوله: ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ أَي: تَخْسَفُ بِهِمْ.

قوله: (من أجل ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾) المعنى: أَنَّ هذه المقالة منهم مُوجِبَةٌ للغضب عليهم
الذي ينشأ عنه نزول السماء قطعاً قطعاً عليهم، وخسف الأرض بهم، وسقوط الجبال عليهم لولا
جَلَمِهِ وسبق رحمته، أو المعنى: أَنَّ هذه المقالة من عَظَمِهَا وشِنَاعَتِهَا تَفْزَعُ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ، وتتمنى أنها لو أَهْلَكَتْ مَنْ تَفَوَّهَ بِهَا لَوْلا رَحْمَةُ اللَّهِ.

قوله: (قال تعالى) أَي: رَدًّا عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ﴾ أَي: لَا يَلِيْقُ بِهِ ذَلِكَ وَلَا يَتَّأَنِي؛ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ عَقْلًا وَنَقْلًا؛
لأنَّ الولد علامة الضعف والحدوث.

قوله: ﴿لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ﴾ أَي: أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمُهُ.

قوله: ﴿وَعَدَّهَمْ عَدًّا﴾ أَي: عَدَّ أَشْخَاصَهُمْ وَأَنْفَاسَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أُمُورِهِمْ.

(١) قرأ نافع والكسائي بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحزمة
(بنفطرون) مضارع (انفطر)، والباقون (بنفطرون) مضارع (نفطر) بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٦٤٦/٧).

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ

مَبْلَغُ جَمِيعِهِمْ وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ. ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ بِلا مالٍ وَلَا نَصِيرٍ يَمْنَعُهُ. ﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَتَوَادُّونَ وَيَتَحَابُّونَ وَيُحِبُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿٩٧﴾ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ الْعَرَبِيِّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (مبلغ جميعهم) راجع لقوله: ﴿وَعَدْتُهُمْ﴾، وقوله: (ولا واحد منهم) راجع لقوله: ﴿أَنصَحْتُهُمْ﴾، فكانه قال: أحاط بهم علماً جمعاً وفرداً. قوله: ﴿فَرْدًا﴾ أي: منفرداً.

قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: في الدنيا والآخرة، والتنوين للتعظيم؛ أي: وُدًّا عظيماً؛ فكلمة عظمت طاعاتهم.. عظم ودُّهم لربهم ولأحبابه. وعبر بـ(الرحمن)؛ لعظم تلك النعمة؛ فإنَّ المحبة رأس الإيمان وأساسه؛ لما في الحديث: «ألا لا إيمانَ لمن لا محبةَ له»؛ فمن أعطي المحبة لله ولأحبابه.. فقد أعطي خير الدنيا والآخرة؛ لأنَّ المحبة حكمة إيجاد الخلق؛ لما في الحديث القدسي: «فأحببتُ أن أعرف فخلقت الخلق، فبي عرفوني»^(١)، وبالجمل: فالمحبة أمرها عظيم؛ ولذا كان تنافس العارفين فيها، فكلُّ من عظمت معرفته.. ازداد محبةً وشغفاً.

وعبر بأداة الاستقبال؛ لأن المؤمنين كانوا بمكة في مبدأ الإسلام مفرقين، فوعد الله رسوله بأنه يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة، فهذه الآية نزلت في مبدأ الإسلام تسلياً له ﷺ.

و﴿وُدًّا﴾ بضم الواو للسبعة، وقرئ بفتحها وكسرهما، فهو مثَلثٌ^(٢).

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي: أنزلناه ميسراً.

قوله: (العربي) أي: فالمراد باللسان: اللُّغة العربية.

(١) أوردته العلامة العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ١٣٢)، وقال: (قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يُعرف له

سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في «اللآلئ» والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكنَّ معناه صحيحٌ مُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِيَلَنَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفوني؛ كما فسره ابن عباس .

(٢) العائمة على ضم الواو، وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتحها، وجناح بن حبيش بكسرهما. انظر «الدر المصون» (٧/ ٦٥٣).

وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَدَا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

الفائزين بالإيمان، ﴿وَتُنذِرُ﴾: تُخَوِّفُ ﴿بِهِ﴾ قَوْمًا لَدَا: جَمَعَ اللَّذَّ أَي: جَدِلَ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ كُفَّارٌ مَكَّةَ.

﴿٩٨﴾ ﴿وَكَمْ﴾ أَي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أَي: أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ، ﴿هَلْ يُحِشُّ﴾: تَجِدُ ﴿مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: صَوْتًا خَفِيًّا؟ لَا، فَكَمَا أَهْلَكْنَا أَوْلَئِكَ نُهْلِكُ هَؤُلَاءِ.



حاشية الصاوي

قوله: (جمع اللذ) أي: شديد الخصومة.

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾... إلخ) تخويفٌ لهم، وتسليَةٌ لَهُ ﷺ.

قوله: ﴿هَلْ يُحِشُّ﴾ (بضم التاء وكسر الحاء من: (أَحْسَ) رباعيًا، والاستفهام إنكاري؛ كما أشار له بقوله: (لا)، وقرئ شذوذًا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرهما^(١).

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ (حال من ﴿أَحَدٍ﴾؛ لأنه نعت نكرة قَدْماً عليها.

قوله: (صوتًا خفيًا) أي: والمعنى: استأصلناهم بالهلاك جميعاً حتى لا يُرَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتُ خَفِيٍّ.



(١) قرأ أبو حيوة وأبو جعفر وابن أبي عبلة: «تَحْسُ» بفتح التاء وضم الحاء، وقرأ بعضهم: «تَحْسُ» بالفتح والكسر. انظر «الدر المصون» (٦٥٣/٧).

﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝١



مَكِّيَّةٌ، مائة وخمسة وثلاثون آيةً أو وأربعون أو وثمانين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿طه﴾ الله أعلم بمُراده بذلك. ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿لِتَشْقَى﴾: لِيَتَّعَبَ بِمَا فَعَلْتَ بَعْدَ نُزُولِهِ مِنْ طُولِ قِيَامِكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، أَي: خَفَّفَ عَنْ نَفْسِكَ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ طٰهٍ

(مكية) أي: كُلُّهَا، وقيل: إلا ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...﴾ الآية، وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت سبباً فيه^(١).

قوله: (أو أربعون... إلخ) أي: فالخلاف في سبع آيات، أو خمس.

قوله: (الله أعلم بمُراده بذلك) أشار بذلك إلى أن ﴿طه﴾ حروفٌ مقطَّعةٌ استأثر الله بعلمها.

وقيل: إن (طه) اسم من أسماء رسول الله ﷺ حُذِفَ منه حرف النداء.

وقيل: إنه فعل أمر، وأصله: طأها، والمعنى: طأ الأرض بقدميك معاً، خوطب به لما كان يشدد على نفسه في تهجده؛ حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويُريح الأخرى من شدة التعب، فأمره الله بالتخفيف على نفسه، فكان يصلي وينام، ويقوم على رجليه معاً^(٢).

قوله: (من طول قيامك) بيان لـ(ما)، وقيل: إنَّ معنى ﴿لِتَشْقَى﴾: لِيَتَّعَبَ نَفْسَكَ بِتَأْسُفِكَ عَلَى كُفْرٍ مِنْ كُفْرٍ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، فَأَرْحَ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا التَّعَبِ؛ فَإِنَّا أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ لِمَنْ يَذْكُرُ وَيَخْشَى.

(١) روى قصة إسلامه ﷺ الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/٢٧٩).

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٥٤٣/٢) لابن مردويه في «تفسيره» عن سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه.

إِلَّا نَذْكُرَهُ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى ﴿٥﴾

﴿٣﴾ إِلَّا: لَكِنْ أَنْزَلْنَاهُ ﴿نَذْكُرَهُ﴾ بِهِ ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾: يَخَافُ اللَّهَ.

﴿٤﴾ تَنْزِيلًا: بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِفِعْلِهِ النَّاصِبِ لَهُ - ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾: جَمْعٌ عَلِيًّا كـ (كُبْرَى وَكُبْر).
﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) هُوَ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وَهُوَ فِي اللَّغَةِ سَرِيرُ الْمُلِكِ ﴿أَسْتَوَى﴾ اسْتَوَاءً

يَلِيْقُ بِهِ،
حاشية الصاوي

وقيل: إنه ردٌّ وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به^(١).

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع؛ لأنَّ التذكرة ليست من جنس الشقاء.
قوله: ﴿نَذْكُرَهُ﴾ مفعول لأجله، و﴿لَتَشْقَى﴾ كذلك، وإنما نصب الثاني دون الأول؛ لأنَّ فاعل الذكرى والإنزال هو الله، بخلاف الأول^(٢).

قوله: ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ أي: لمن في قلبه رقة يتأثر بالمواعظ.
قوله: (بدل من اللفظ) أي: عوض^(٣) من التلغظ والنطق بفعله المقدر، والأصل: نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا، فحذف الفعل وجوباً؛ لِنِيَابَةِ الْمَصْدَرِ عَنْهُ فِي الْمَعْنَى وَالْعَمَلِ.

قوله: (هو) قدره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبرٌ لمحدوف، وحينئذ: فيكون نعتاً مقطوعاً قَصِدَ بِهِ المدح.

قوله: (سرير الملك) أي: الذي يجلس عليه الملك، قال تعالى في حقِّ بَلْقِيسَ: ﴿قَالَ تَكَرَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١].

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يُفَوِّضُونَ عِلْمَ الْمُتَشَابِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ: جَوَابُ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى؛ حَيْثُ قَالَ لِلْسَّائِلِ:

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ١٥٠).

(٢) وشرط نصب المفعول له: اتحاد الفاعل والزمن.

(٣) فليس المراد البدل الاصطلاحي.

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ هُوَ التُّرَابُ النَّدِيُّ، وَالْمُرَادُ الْأَرْضُ السَّعْبُ لِأَنَّهَا تَحْتَهُ.

﴿٧﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ ﴿٧﴾ فِي ذِكْرِ أَوْ دُعَاءٍ

حاشية الصاوي

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع^(١).

وأما الخلف - وهم من بعد الخمس مئة^(٢) - فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى؛ فيقولون: إن المراد بالاستواء: الاستيلاء بالتصرف والقهر؛ فالاستواء له معنيان: الركوب والجلوس، والاستيلاء بالقهر والتصرف، وكلا المعنيين وارد في اللغة، يُقال: استوى السلطان على الكرسي بمعنى: جلس، واستوى على الأقطار بمعنى: ملك وقهر، ومن الثاني قول الشاعر^(٣):

[الرجز]

قد استوى بِشَرٍّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وحينئذٍ: فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثاني.

قوله: (من المخلوقات) بيان للثلاثة.

قوله: (هو التراب الندي) أي: الذي فيه نداوة؛ فإن لم يكن ندياً.. فهو تراب، ولا يقال له:

ثرى.

قوله: ﴿وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ﴾ المقصود منه: النهي عن الجهر لغير أمر شرعي؛ كأنه يقول: إن الله غني عن الجهر فلا تُجهد نفسك به، فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى.. إما جهلاً أو كفرًا، وأما لغرض آخر كإرشاد العباد وحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة.. فهو مطلوب.

(١) انظر «طبقات الشافعية» للسبكي (٤: ٢٨٧)، وفي «الاعتقاد» للبيهقي (ص ١١٦): (الاستواء غير مجهول، والكيف

غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يُخرَج).

(٢) وقيل: من بعد القرون الثلاثة. انظر «شرح الباجوري على الجوهرة» (ص ١٥٦).

(٣) هو للبيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٠٦).

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾

فالله غني عن الجهر به؛ ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَ وَأَخْفَى﴾ منه أي: ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به، فلا تُجهد نفسك بالجهر.

﴿٨﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، و(الحسنى) مؤنث الأحسن.

﴿٩ - ١٠﴾ ﴿وَهَلْ﴾: قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿٩﴾

حاشية الصاوي

قوله: (فالله غني... إلخ) قدره؛ إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَ...﴾ إلخ تعليل لذلك المحذوف.

قوله: ﴿وَأَخْفَى﴾ هو أفعال تفضيل؛ أي: والذي هو أخفى من السر.

قوله: (أي: ما حدثت به النفس... إلخ) هذا أحد أقوال في تفسير ﴿الْسِّرَ وَأَخْفَى﴾، وقال ابن عباس: (السر: ما أسرّه ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما أخفى على ابن آدم ممّا هو فاعله وهو لا يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد، وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة)^(١).

قوله: (فلا تجهد) بفتح التاء والهاء، أو ضمّ التاء وكسر الهاء؛ من (جهد) و(أجهد) أي: لا تُتعب نفسك بالجهر بقصد إسماع الله تعالى، وهذا نهى له ﷺ والمراد به غيره.

قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أي: فهي اسم تفضيل يُوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر لغير العاقل؛ كما هنا.

قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ الاستفهام للتشويق والتقرير في ذهن السامع، والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد ﷺ، كأن الله يقول له: إنا أرسلناك بالتوحيد ولا غرابة في ذلك؛ فإنه أمر مستمرّ فيما بين الأنبياء كابرًا عن كابر، وقد خُوطب به موسى حيث قيل له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وبه ختم موسى مقالته حيث قال: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ إِلَٰهِي لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/١٢٥).

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا.....

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ: لَا مَرَاتِهِ ﴿امْكُثُوا﴾ هُنَا، وَذَلِكَ فِي مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينِ طَالِبَا مِصْرَ،

حاشية الصاوي

﴿طه: ٩٨﴾ فالمقصود من الاستفهام: تشويق السامع؛ ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب، لا حقيقته؛ فإنه مستحيل عليه تعالى، أو أن (هل) بمعنى (قد) كما قال المفسر.

قوله: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ ظرف لـ ﴿حَدِيثٌ﴾.

قوله: (امراته) أي: وهي بنت شعيب، واسمها: صفوراء، وقيل: صفورياء، وقيل: صفورة، واسم أختها: ليا، وقيل: شرفا، وقيل: عبدا. واختلف في التي تزوجها؛ فقيل: هي الصغرى، وقيل: الكبرى، وتقدم ذلك.

قوله: ﴿امْكُثُوا﴾ إنما أتى بجمع الذكور وإن كان الخطاب لامراته؛ تعظيماً، أو مراعاة لمن معها من الخدم والأولاد.

قوله: (وذلك في سيره^(١)...) إلخ) روي: أنه عليه السلام استأذن شعبياً عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر، فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق؛ مخافةً من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى - وهو بالجانب الغربي من الطور الذي هو بفلسطين؛ لأنه هو الذي على يمين المتوجه من مدين، وقيل: هو الذي بين مصر وأيلة، وردّ: بأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى: ﴿وَنَدَبْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] - وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ، وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، وَتَفَرَّقَتْ مَاشِيَتُهُ وَلَا مَاءَ عِنْدَهُ، وَقَدَحَ زَنْدَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ نَاراً^(٢)، فبينما هو كذلك إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور ناراً، فأمر أهله بالمكث؛ لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد؛ لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر؛ فإنه مما لا يخطر بالبال، فلما وصل إلى تلك النار التي أبصرها.. خاطبه الله وأرسله إلى فرعون، وخلف أهله في المكان الذي تركهم فيه، فلم يزلوا مُقيمِينَ فيه حتى مرَّ بهم راعٍ من أهل مدين، فعرفهم فحملهم إلى شعيب، فمكثوا عنده حتى جاوز موسى ببني إسرائيل البحر، وغرق فرعون وقومه، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر.

(١) في (طه): (مسيره).

(٢) الزند: العود الذي يقدح به النار. «القاموس» (١/٢٨٥).

إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا لَعَلِّي مِّنْكُمْ مِّنْهَا يَقْبَسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ
يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

﴿إِنِّي مَأْسُتٌ﴾: أَبْصَرْتُ ﴿نَارًا لَعَلِّي مِّنْكُمْ مِّنْهَا يَقْبَسُ﴾: شُعْلَةٌ فِي رَأْسِ فِتِيلَةٍ أَوْ عُودٍ، ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: أَي: هَادِيًا يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَانَ أَخْطَاهَا لِظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَقَالَ: (لَعَلَّ) لِعَدَمِ الْجَزْمِ بِوَفَاءِ الْوَعْدِ.

(١١ - ١٢) ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ وَهِيَ شَجَرَةٌ عَوْسَجٍ، ﴿نُودِيَ يَمُوسَى﴾ ﴿إِنِّي﴾ - بِكَسْرِ
الْهَمْزَةِ بِتَأْوِيلِ ﴿نُودِيَ﴾ بِ(قِيلَ)، وَبِفَتْحِهَا بِتَقْدِيرِ الْبَاءِ - ﴿أَنَا﴾ - تَأْكِيدٌ لِّبَاءِ الْمُتَكَلِّمِ - ﴿رَبُّكَ
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: الْمُطَهَّرِ أَوْ الْمُبَارَكِ، ﴿طُوًى﴾ - بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنِّي مَأْسُتٌ﴾ من الإيناس، وهو: الإبصار، ومنه: إنسان العين؛ لأنه يُبْصِرُ الأشياء.

قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ﴿أَوْ﴾: مانعة خَلَوْ تَجَوَّزَ الْجَمْعَ، وَ﴿عَلَى﴾ بِمَعْنَى (عِنْدَ)
أَي: عِنْدَ النَّارِ.

قوله: (وَكَانَ أَخْطَاهَا) أَي: لِأَنَّهُ سَارَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ؛ مَخَافَةً مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ.

قوله: (لِعَدَمِ الْجَزْمِ بِوَفَاءِ الْوَعْدِ) أَي: لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِ.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ أَي: النَّارَ الَّتِي أَنْسَهَا.

قوله: (عَوْسَجٍ) هَذَا أَحَدُ أَقْوَالٍ فِيهَا، وَقِيلَ: عَلِيقٌ، وَقِيلَ: عُتَابٌ.

قوله: ﴿نُودِيَ يَمُوسَى﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ هَذَا أَوَّلُ الْمَكَالِمَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَآخِرُهَا قَوْلُهُ
فِيمَا يَأْتِي: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَإِلَّا... فَلَهُ مَكَالِمَاتُ
أُخْرَى، وَسَمِعَ الْكَلَامَ بِكُلِّ أَجْزَائِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ حَتَّى إِنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْهُ كَانَتْ أَذْنًا.

قوله: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أَي: تَوَاضَعًا لِلَّهِ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَ السَّلَفُ يَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ حِفَاءً، وَقِيلَ:
أَمْرٌ بِخَلْعِهَا؛ لِئِنْجَاسَتَهُمَا؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ لَمْ يُدْبَغْ^(١)، رَوَى: أَنَّهُ خَلَعَهُمَا وَأَلْقَاهُمَا
خَلْفَ الْوَادِي.

(١) وَقِيلَ: لِيُبَاشِرَ بِقَدَمَيْهِ بَرَكَةَ الْوَادِي، وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٧٨/١٨)؛ لِأَنَّهُ فِي ذِكْرِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ بِعَقِبِهِ دَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُ بِخَلْعِهِمَا؛ لَمَّا ذَكَرْنَا.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا

بالتنوين وتركه؛ مصروف بإعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث بإعتبار البقعة مع العَلَمِيَّة ..
 ﴿١٣﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ إِلَيْكَ مِنِّي، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فِيهَا. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عَنِ النَّاسِ، وَيُظْهَرُ لَهُمْ قُرْبُهَا بِعَلَامَاتِهَا؛

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ أي: للنبوة والرسالة، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة؛ كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾ [طه: ٤٠].

قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ بدل من (ما يوحى)، وهو إشارة للعقائد العقلية، وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ إشارة للأعمال الفرعية، وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ إشارة للعقائد السمعية؛ فقد اشتمل ذلك على جملة الدين.

قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ خصّها بالذكر وإن كانت داخلة في جملة العبادة؛ لإِعْظَم شأنها واحتوائها على الذكر، وشغل القلب واللسان والجوارح، فهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد.

قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾ فيها) أي: لتذكرني فيها؛ لأنها مشتملة على كلامي وغيره من أنواع الذكر. قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أي: حاصلة ولا بدّ، وسمّيت ساعة؛ لأنها تأتي في ساعة؛ أي: قطعة من الزمان.

قوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي: أريد إخفاء وقتها، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت: أن الله حكم بعدم قبول التوبة عند قربها، وفي الغرغرة؛ فلو عرّف الخلق وقتها .. لاشتغلوا بالمعاصي إلى قرب ذلك الوقت، ثم يتوبون فيتخلّصون من عقاب المعصية، فتعريف وقتها كالإغراء بفعل المعاصي.

قوله: (بعلاماتها) أي: أماراتها، وأول العلامات الصغرى: بعثته ﷺ، وآخرها ظهور المهدي.

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر بضمّ الطاء والتنوين، والباقون بضمّها من غير تنوين. انظر «الدر المصون» (١٦/٨).

لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾
وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾

﴿لِتُجْزَى﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ به من خير أو شر.

﴿١٦﴾ ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ : يَصْرِفُكَ ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها، ﴿فَتَرْدَى﴾ أي: فتهلك إن صددت عنها.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة ﴿يَمِينُكَ يَمْوَسَى﴾؟ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِتُجْزَى﴾ متعلق بـ ﴿أَخْفِيهَا﴾، أو بـ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وقوله: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق.

قوله: ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ (ما): موصولة، وجملة ﴿تَسْعَى﴾: صلتها، والعائد محذوف، قدره المفسر بقوله: (به)، وقوله: (من خير أو شر) بيان لـ (ما).

قوله: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ الخطاب لموسى والمراد غيره، والفعل مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة.

قوله: ﴿فَتَرْدَى﴾ منصوب بفتحة مقدرة على الألف بـ (أن) مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي.

قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى﴾ أي: بعد أن خلّع عليه خلعة النبوة والرسالة. بسط له الكلام؛ ليزداد حباً وشغفاً، ويؤيده بالمعجزات الباهرة.

و(ما): اسم استفهام مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة خبر، وقوله: ﴿يَمِينُكَ﴾ متعلق بمحذوف حال، والعامل فيه معنى الإشارة، وهذا أحسن من جعل ﴿تِلْكَ﴾ اسماً موصولاً بمعنى (التي)، و﴿يَمِينُكَ﴾: صلتها؛ لأنه ليس مذهب البصريين^(١).

قوله: (الاستفهام للتقرير) أي: فحكمة الاستفهام كون موسى يُقرُّ ويعترف بصفات تلك العصا

(١) لأنهم لم يجعلوا من أسماء الإشارة موصولاً إلا (ذا) بشروط، وأما الكوفيون. فيُجيزون ذلك في جميعها، ومنه هذه الآية عندهم؛ أي: وما التي يمينك؟ انظر الدر المصون (٢٣/٨).

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْبُشْ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾

﴿١٨﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا ﴿عَلَيْهَا﴾ : اعْتَمَدُ ﴿عَلَيْهَا﴾ عِنْدَ الْوُثُوبِ وَالْمَشْيِ، ﴿وَاهْبُشْ﴾ : أَخِيطُ وَرَقَ الشَّجَرِ ﴿بِهَا﴾ لِيَسْقُطَ ﴿عَلَى غَنَمِي﴾ فَتَأْكُلُهُ، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ﴾ : جَمَعَ مَنَازِبَةً - مُثَلَّثَ الرَّاءِ - أَيِ : حَوَائِجُ ﴿أُخْرَى﴾ كَحَمْلِ الزَّادِ وَالسَّقَاءِ وَطَرْدِ الْهَوَامِّ، زَادَ فِي الْجَوَابِ بَيَانَ حَاجَاتِهِ بِهَا.

حاشية الصاوي

فَيَمْنَحُهُ فَوْقَ مَا يَعْلَمُ مِنْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْاِسْتِفْهَامِ الَّذِي هُوَ طَلَبُ الْفَهْمِ؛ فَإِنَّهُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى؛ لِيَعْلَمَهُ بِهَا.

قوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ أي: وكانت من آس الجنة، نَزَلَ بِهَا آدَمُ مِنْهَا، ثُمَّ وَرَثَهَا شَعِيبُ، فَلَمَّا زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ.. أَمَرَهَا أَنْ تُعْطِيَهُ عَصَاً يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ، وَكَانَتْ عِصْيُ الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَهُ، فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ، فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعِلْمِ شَعِيبَ.

وإنما زاد في الجواب؛ لأنَّ المقام مقام مُبَاسَطة وخطاب الحبيب، ولا شكَّ أنَّ الزيادة في الجواب في هذا المقام مما يريح الفؤاد، وإلَّا.. فكان يكفيه أن يقول: هي عصاي.

قوله: (عند الوثوب) أي: النهوض للقيام.

قوله: ﴿وَاهْبُشْ﴾ بضم الهاء من: (هَشَّ يَهْشُ) بمعنى: خبط الشجر؛ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ، وَأَمَّا (هَشَّ يَهْشُ) بكسر الهاء.. فيقال على اللين والاسترخاء، وسُرْعَةِ الْكَسْرِ وَالْبَشَاشَةِ.

قوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى﴾ أجمل في هذا الجواب؛ إِمَّا حَيَاءً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِطَوِيلِ الْكَلَامِ، أَوْ اتِّكَالاً عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى.

قوله: (كحمل الزاد) أشار بالكاف إلى أنَّ لها منافعَ أُخَرَ، فَكَانَ يَسْتَقِي بِهَا الْمَاءَ مِنَ الْبَثْرِ فَيَجْعَلُهَا مَوْضِعَ الْحَبْلِ، وَكُلُّ شُعْبَةٍ مِنْ شُعْبَتَيْهَا تَصِيرُ دَلْوًا مَمْتَلَأًا، وَكَانَتْ تُمَاشِيهِ وَتَحَادِثُهُ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِهَا الْأَرْضَ فَيَخْرُجُ لَهُ مَا يَأْكُلُهُ يَوْمَهُ، وَيَرْكُزُهَا فَيَخْرُجُ الْمَاءُ، فَإِذَا رَفَعَهَا.. ذَهَبَ الْمَاءُ، وَكَانَ إِذَا اشْتَهَى ثَمَرَةً.. رَكَزَهَا فَتَغْصَنُ غُصْنَيْنِ، فَصَارَتْ شَجَرَةً وَأَوْرَقَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَكَانَتْ شُعْبَتَاهَا تَضِيئَانِ بِاللَّيْلِ كَالسَّرَاجِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَهُ عَدُوٌّ.. كَانَتْ تُحَارِبُهُ.

قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَتَعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾

(١٩ - ٢٠) ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ: ثعبانٌ عَظِيمٌ ﴿سَتَعَى﴾: تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا سَرِيعاً كَسُرْعَةِ الثُّعْبَانِ الصَّغِيرِ الْمُسَمَّى بِالْجَانِّ الْمُعَبَّرِ بِهِ فِيهَا فِي آيَةٍ أُخْرَى.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ مِنْهَا، ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ مَنُصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَي: إِلَى حَالَتِهَا ﴿الْأُولَى﴾، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِهَا فَعَادَتْ عَصاً، فَتَبَيَّنَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَلْقَهَا﴾ أي: طرحها على الأرض.

قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَتَعَى﴾ عبَّرَ عنها هنا ب: الحية، وفي آية أخرى ب: ثعبان، وفي أخرى بأنها كالجان، ووجه الجمع: ما أشار له المفسر بقوله: (تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان... إلخ)، والحاصل: أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعباناً عظيماً، وجاناً باعتبار سرعة مشيها.

قوله: (المسمى بالجان) أي: وهو الثعبان الصغير، وأما الجن.. فهو النوع المعروف.

قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ إنما حصل له الخوف؛ لأنَّ صُورَتَهَا هَائِلَةٌ، فَشَعَبَتَاها صَارَتَا شَدِيقَيْنِ لَهَا، وَالْمَحْجَنُ عُقْقَاهَا، وَعَيْنَاهَا تَتَّقِدَانِ نَاراً، تَمُرُّ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتَلْتَقِمُهَا، وَتَقْطَعُ الشَّجَرَةَ الْعَظِيمَةَ بِأَنْبِيَإِهَا، وَيُسْمَعُ لِأَسْنَانِهَا صَوْتُ عَظِيمٌ، فَظَنَّ أَنَّهَا سَطُوءَةٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَوَلَّى مَدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا نِعْمَةٌ لَا نِقْمَةٌ.

قوله: (فأدخل يده) أي: مكشوفة، وقيل: كان عليه مِذْرَعَةٌ صُوفٍ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿خُذْهَا﴾.. لَفَّ كُمَّ الْمِذْرَعَةِ عَلَى يَدِهِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ يَدَهُ وَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَذْنُ اللَّهُ لَهَا أَكَانَتْ الْمِذْرَعَةُ تَغْنِي عَنْكَ شَيْئاً؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي ضَعِيفٌ، مِنَ الضَّعْفِ خُلِقْتُ، فَكَشَفَ عَنْ يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي فَمِ الْحَيَّةِ^(١).

قوله: (وتبين) هو فعل ماضٍ، فاعله ضمير يعود على موسى؛ أي: علم.

وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا

أَنَّ مَوْضِعَ الإدخالِ مَوْضِعَ مَسْكِهَا بَيْنَ شُعْبَتَيْهَا، وَأَرَى ذَلِكَ السَّيِّدُ مُوسَى لَثَلًا يَجْزَعُ إِذَا انْقَلَبَتْ حَيَّةٌ لَدَى فِرْعَوْنَ.

﴿٢٢﴾ وَأَضْمُمُ يَدَكَ ﴿الْيُمْنَى بِمَعْنَى الْكَفِّ﴾ إِلَى جَنَاحِكَ ﴿أَيَ: جَنِبِكَ الْأَيْسَرِ تَحْتَ الْعَضْدِ إِلَى الْإِبْطِ وَأَخْرَجَهَا﴾ تَخْرُجُ ﴿خِلَافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأُدْمَةِ﴾ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿أَيَ: بَرَصٌ تُضِيءُ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ تَغْشَى الْبَصَرَ﴾ آيَةٌ أُخْرَى ﴿- وَهِيَ وَبَيْضَاءَ﴾ حَالَانِ مِنْ ضَمِيرٍ ﴿تَخْرُجُ﴾ ..

﴿٢٣﴾ لِرَبِّكَ ﴿بِهَا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِإِظْهَارِهَا﴾ مِنْ ءَايَاتِنَا

حاشية الصاوي

قوله: (أَنَّ مَوْضِعَ ... إلخ) في محل المفعول به.

قوله: (مَوْضِعَ مَسْكِهَا) أَي: الْإِتِّكَاءَ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمَّا وَضَعَ يَدَهُ فِي فَمِهَا وَانْقَلَبَتْ عَصَاً وَيَدُهُ بِحَالِهَا .. رَأَى مَحَلَّ يَدِهِ هُوَ مَا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ، وَالشُعْبَتَانِ صَارَتَا شِدْقَيْنِ، وَصَارَ مَا تَحْتَهُمَا - وَهُوَ مَحَلُّ مَسْكِهَا بِيَدِهِ - عِنَقًا لَهَا.

قوله: (وَأَرَى ذَلِكَ) أَي: بَصَّرَ اللَّهُ مُوسَى قَلْبَهَا حَيَّةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ لَثَلًا يَجْزَعُ ... إلخ.

قوله: (لَدَى فِرْعَوْنَ) أَي: عِنْدَهُ.

قوله: (بِمَعْنَى: الْكَفِّ) أَي: لَا بِمَعْنَى حَقِيقَتِهَا، وَهِيَ: مِنَ الْأَصَابِعِ إِلَى الْمَنْكَبِ.

قوله: (تَحْتَ الْعَضْدِ) بَيَانٌ لِلْمَرَادِ مِنَ الْجَنْبِ، وَقَوْلُهُ: (إِلَى الْإِبْطِ) بِمَعْنَى: الْمَرْفَقِ مُنْتَهِيًا إِلَى الْإِبْطِ.

قوله: (مِنِ الْأُدْمَةِ) أَي: السُّمْرَةِ.

قوله: (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) متعلق بـ ﴿تَخْرُجُ﴾، وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ احْتِرَاسًا، وَهُوَ: أَنَّ يَوْثِي شَيْءٍ يَرْفَعُ تَوَهُّمَ غَيْرِ الْمَرَادِ؛ لِأَنَّ الْبَيَاضَ قَدْ يُرَادُّ بِهِ الْبَرَصُ وَالْبَهَقُ.

قوله: (تَضِيءُ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ) أَي: فَكَانَ إِذَا أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي جَيْبِهِ وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْسَرِ وَأَخْرَجَهَا .. كَانَ لَهَا نُورٌ سَاطِعٌ يُضِيءُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَأَشَدَّ ضَوْءًا، ثُمَّ إِذَا رَدَّهَا إِلَى جَيْبِهِ .. صَارَتْ إِلَى لَوْنِهَا الْأَوَّلِ.

الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾
وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾

الآية ﴿الْكُبْرَى﴾ أي: العُظمى على رسالتك، وإذا أرادَ عودَها إلى حالتها الأولى ضمَّها إلى جناحِها كما تقدَّم وأخرجَها.

﴿٢٤﴾ ﴿أَذْهَبَ﴾ رَسُولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وَمَنْ مَعَهُ ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾: جَاوَزَ الْحَدَّ فِي كُفْرِهِ إِلَى ادِّعَاءِ الإِلَهِيَّةِ.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: وَسَّعُهُ لِتَحْمُلِ الرِّسَالَةِ، ﴿وَيَسِّرْ﴾: سَهِّلْ لِي أَمْرِي ﴿لِأَبْلَغِهَا﴾، ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ حَدَّثْتُ مِنْ احْتِرَاقِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (الآية ﴿الْكُبْرَى﴾) قدره؛ إشارة إلى أن ﴿الْكُبْرَى﴾ صفة لمحذوف، مفعول ثانٍ لقوله: (نريك)، والكاف: مفعول أول، و(الكبرى): اسم تفضيل، والمعنى: التي هي أكبر من غيرها حتى من العصا؛ لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا.. فقد عارضها السحرة.

قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ﴾) أي: بهاتين الآيتين، وهما: العصا واليد، روي: أن الله قال لموسى عليه السلام: اسمع كلامي، واحفظ وصيَّتي، وانطلق برسالتني؛ فإنك بعيني وسمعي، وإنَّ معك يدي ونصري، وإنِّي ألبسك جبَّة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك، أبعثك إلى خلقٍ ضَعِيفٍ من خلقي، بظُر نعمتي، وأَمِّنْ مكري، وغرَّته الدنيا حتى جحد حقِّي، وأنكر ربوبيَّتي، أقسم بعزَّتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي.. لبطشت به بطشة جبار، ولكن هان عليَّ وسقط من عيني، فبلَّغته رسالتني، وادَّعُه إلى عبادتي، وحذَّره نعمتي، وقل له قولاً ليناً؛ لا يَغتر بلباس الدنيا؛ فإنَّ ناصيته بيدي، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم، ثمَّ جاءه الملك فقال له: أَجِبْ ربك فيما أمرك، فعند ذلك قال: ربِّ اشرح لي صدري^(١).

قوله: (وسَّعُهُ لِتَحْمُلِ الرِّسَالَةَ) أي: فإنك كلَّفتني بأمرٍ عظيمٍ لا يَقْوَى عليه إلَّا مَنْ شَرَحَتْ صدره وقوَّيته.

قوله: ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾) أي: لُكْنَةً حاصلةً فيه، وقد أجيب بحلِّها فعاد لفصاحته الأصلية، وهذا هو الأحسن، وقيل: زال بعضها؛ بدليل قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾،

(١) نقله الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (٢/٤٥٨) عن وهب بن منبه.

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي
أَمْرِي ﴿٣٢﴾

بِجَمْرَةٍ وَضَعَهَا فِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، ﴿يَفْقَهُوا﴾: يَفْقَهُوا ﴿قَوْلِي﴾: عِنْدَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾: مُعِينًا عَلَيْهَا ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ ﴿٢٩﴾ هَرُونَ ﴿٣٠﴾ - مَفْعُولٌ ثَانٍ - ﴿أَخِي﴾ - عَطْفٌ بَيَانٌ - ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾: ظَهْرِي، ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أَي: الرِّسَالَةِ، وَالْفِعْلَانِ بِصِغَتَيِ الْأَمْرِ وَالْمُضَارَعِ حاشية الصاوي

وقول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وردَّ: بَأْنٍ مَعْنَى ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾: أَنَّهُ لَمْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ لَكْنَةٌ، وَقَوْلُ فِرْعَوْنَ: بِاعْتِبَارِ مَا يَعْهَدُهُ مِنْهُ.

قوله: (بِجَمْرَةٍ وَضَعَهَا... إلخ) أي: وذلك أَنَّ مُوسَى لَاعَبَهُ فِرْعَوْنُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَتَنَّفَ لِحَيْتِهِ وَلَطَمَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَاعْتَمَّ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ أَسِيَّةُ بِنْتُ مَزَاحِمَ: مِثْلُ هَذَا الْغُلَامِ لَا يُغْتَمُّ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ التَّمْرَةِ وَالْجَمْرَةِ، فَأَتَيْتُ لَهُ بِطَشْتٍ فِيهِ تَمْرٌ - وَقِيلَ: جَوْهَرٌ - وَبِطَشْتُ فِيهِ جَمْرًا، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ التَّمْرَ أَوْ الْجَوْهَرَ، فَأَخَذَ جَبْرِيلُ بِيَدِهِ وَوَضَعَهَا عَلَى الْجَمْرَةِ، فَأَخَذَ جَمْرَةً وَوَضَعَهَا عَلَى فِيهِ، فَاحْتَرَقَ لِسَانَهُ وَصَارَ فِيهِ لُكْنَةٌ^(١).

قوله: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ مجزوم في جواب الدعاء.

قوله: ﴿وَزِيرًا﴾ من الوَزِيرِ وهو: الثَّقَلُ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ مَشَاقَّ الْمَلِكِ، وَيُعِينُهُ عَلَى أُمُورِهِ، وَيَقُومُ بِهَا^(٢).

قوله: (مَفْعُولٌ ثَانٍ) أي: وَالْأَوَّلُ ﴿وَزِيرًا﴾، وَالْأَحْسَنُ: عَكْسُهُ؛ بَأْنٍ يَجْعَلُ ﴿وَزِيرًا﴾ مَفْعُولًا ثَانِيًا مَقْدَمًا، وَ﴿هَرُونَ﴾ مَفْعُولٌ أَوَّلٌ مُؤَخَّرٌ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ: إِذَا اجْتَمَعَ مَعْرِفَةٌ وَنَكْرَةٌ... يُجْعَلُ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ الْمُبْتَدَأُ، وَالنَّكْرَةُ الْمَفْعُولُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ الْخَبَرَ، وَ﴿وَزِيرًا﴾ نَكْرَةٌ، وَ﴿هَرُونَ﴾ مَعْرِفَةٌ بِالْعِلْمِيَّةِ^(٣).

قوله: (وَالْفِعْلَانِ بِصِفَتَيِ الْأَمْرِ وَالْمُضَارَعِ) حَاصِلُ مَا هُنَا: أَنَّ الْقُرْآنَ السَّبْعِيَّةَ خَمْسَةٌ: اثْنَتَانِ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٩٢/١١).

(٢) وقيل: بل هو من الوَزَرِ وهو الملجأ، كقوله تعالى: ﴿لَا وَزَرَ﴾. «الدر المصون» (٣٣/٨).

(٣) ويجوز أن يكون «لي» مفعولاً ثانياً مقدماً، و(وزيراً) هو المفعول الأول، و(من أهلي) على هذا: يجوز أن يكون صفة ل(وزيراً)، ويجوز أن يكون متعلقاً بالجعل، و(هارون): بدل من (وزيراً). انظر «الدر المصون» (٣٠/٨).

كَيْ نُسِيحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ
يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ

المَجْزُوم، وهو جواب الطلب.

(٣٣ - ٣٥) ﴿كَيْ نُسِيحَكَ﴾ تَسْيِيحًا ﴿كَثِيرًا﴾ ﴿وَنَذْرَكَ﴾ ذِكْرًا ﴿كَثِيرًا﴾ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالمًا فأنعمت بالرسالة.

(٣٦ - ٣٩) ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ مَنَّا عَلَيْكَ. ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾

إِذْ

حاشية الصاوي

عند الوقف على ياء ﴿أَخِي﴾، وهما: قراءة الفعلين بصفتي الأمر؛ فتُضم الهمزة في الأول وتفتح في الثاني، والمضارع تفتح في الأول وتضم في الثاني، وثلاثة عند وصل ﴿أَخِي﴾ بما بعده، وهي: أن تسكن الياء ممدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع، أو تفتحها والفعالان بالأمر، أو تحذفها وهما بالأمر أيضاً^(١).

قوله: (وهو جواب الطلب) أي: وهو (اجعل لي).

قوله: ﴿كَيْ نُسِيحَكَ كَثِيرًا﴾ تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التي هي: اجعل، واشدد، وأشرك.

قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: جواباً لمطلوباته، وقوله: ﴿سُؤْلَكَ﴾ أي: مسؤولك، ف(فُعِلْ) بمعنى (مفعول) ك: (أَكَلٍ وَخُبْزٍ) بمعنى: مأكول ومخبوز.

قوله: ﴿يَمُوسَى﴾ خاطبه باسمه إشعاراً بمحبته، وتعظيم شأنه، ورفعة قدره عليه السلام.

قوله: (مَنَّا عَلَيْكَ) أي: تفضلاً حاصلًا عليك، وقدره؛ دخولاً على ما بعده.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾ استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى؛ كأن الله يقول له: إنا قد مَنَّنا عليك بمننٍ سابقة من غير دعاء منك ولا طلب، فلأن نعطيك ما تطلبه بالأولى. وصدر الجملة بالقسم؛ زيادة في الاعتناء بشأنه.

قوله: ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ تأنيث (آخر) بمعنى: غير؛ أي: تحققت مِنَّا عليك مرة أخرى غير المنة التي تحققت لك بسؤالك، والمراد بالمنة: الجنس الصادق بالمنن الكثيرة.

(١) قرأ ابن عامر «أشدد» بفتح الهمزة للمضارعة وجزم الفعل جواباً للأمر، «وأشركه» بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل نسقاً على ما قبله، وقرأ الباقون بحذف همزة الوصل من الأول، وفتح همزة القطع في الثاني، على أنهما دعاء من موسى لربه بذلك. انظر «الدر المصون» (٣٢/٨).

أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ

- لِلتَّلْعِيلِ - ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ مَنَاماً أَوْ إِلَهَاماً لَمَّا وَلَدَتْكَ وَخَافَتْ أَنْ يَقْتُلَكَ فِرْعَوْنُ فِي

حاشية الصاوي

قوله: (للتلعليل) أي: لقوله: ﴿مَنَاماً﴾، والمعنى: لأننا أوحينا إلى أمك... إلخ، ويصح أن تكون للظرفية، والمعنى: ولقد منّاً عليك وقت إحيائنا إلى أمك، وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية:

الأولى: قوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾، الثانية: قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ...﴾ إلخ، الثالثة: قوله: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْ﴾، الرابعة: قوله: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾، الخامسة: قوله: ﴿وَقَلَّلْتَ نَفْسًا﴾، السادسة: قوله: ﴿وَفَتَّنَا فُتُونًا﴾، والسابعة: قوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾، الثامنة: قوله: ﴿وَأَصْطَفَعْنَا لِنَفْسِ﴾.

قوله: ﴿إِلَى أُمِّكَ﴾ أي: واسمها: يوحانذ؛ بياء مضمومة فواو ساكنة، بعدها حاء مهملة، فآلف فنون مكسورة، فذال معجمة.

قوله: (مناماً أو إلهاماً) أي: أو يقظة، ولا يُنافيه كونها ليست نبياً؛ فإنَّ المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف، وأمّا الوحي بغير الشرع.. فجائزٌ حتى للنساء كما وقع لمريم أمّ عيسى^(١).

قوله: (لما ولدتك) أي: في السنة التي رتب فيها فرعون أتباعه لذبح كل من يولد من الذكور في تلك السنة، وذلك: أن فرعون رأى رؤيا أهالته، فقَصَّها على الكهنة، فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه، فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شقَّ الأمر، فأبقى القتل في سنة، ورفع في سنة، فصادف ولادة موسى في السنة التي فيها القتل.

فلما وُلِدَ.. جاء أتباع فرعون يُفتشون على المولود، فوضعت أمه في التَّنُور، فجاءت أختُه فأوقدته، ففتشوا عليه فلم يجدوه، فخرجوا من عندها، فنظرت إلى التَّنُور فوجدته موقداً، فخافت عليه، فنادها من التَّنُور، فأخرجته سالماً، فأوحى الله إليها أن أرضعيه، فإذا خفت عليه.. فألقيه في اليم، فأخذت صندوقاً وجعلت فيه قطناً ووضعت فيه، ثم طلت رأس التابوت بالقار^(٢) وألقتَه في اليم، فموجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بُسْتَانِ فرعون، وكان فرعون جالساً مع آسية

(١) وكما أوحى للنحل وحي هداية ورشد؛ فقال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَرْتَشُونَ﴾.

(٢) القار: شيء أسود يُطلى به السفن، يمنع الماء أن يدخل. «تاج العروس» (١٣/٤٩٩).

مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْدِرِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِرِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ
لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾

جُمْلَةٌ مِّن يُّوْلَدُ، ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ فِي أَمْرِكَ. - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ -: ﴿أَنِ اقْدِرِيهِ﴾: أَلْقِيهِ ﴿فِي الثَّابُوتِ﴾
فَأَقْدِرِيهِ ﴿بِالثَّابُوتِ﴾ ﴿فِي الْيَمِّ﴾: بَحْرِ النَّيْلِ ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أَي: شَاطِئِهِ، وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى
الْخَبَرِ، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وَهُوَ فِرْعَوْنُ، ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بَعْدَ أَنْ أَخَذَكَ ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾
لِتُحَبَّ فِي النَّاسِ؛ فَأَحَبَّكَ فِرْعَوْنُ وَكُلُّ مَنْ رَأَى، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾: تُرَبَّى عَلَى رِعَايَتِي
وَحِفْظِي لَكَ.

حاشية الصاوي

زوجته، فأمر به فأخرج، ففتح فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً، فأحبه عدو الله حباً شديداً حتى إنه
لم يقدر على بعده عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

قوله: ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ أبهمه للتعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].
قوله: (في أمرك) أي: شأنك.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل مفصل من مجمل.

قوله: (أي: شاطئه) المراد: قُربُه؛ لأنَّ الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البر.

قوله: (والأمر بمعنى الخبر) أي: وحكمة العدول عنه: أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل
أمراً واجب الحصول؛ لتعلق الإرادة به... نزل البحر منزلة شخص مُطيع أمره الله بأمر لا يستطيع
مُخالفته.

وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ يحتمل أن المعنى: أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً صادرة مني؛ بأن
أَحْبَبْتُكَ، فتسبب عن محبتي محبة الناس لك، ويحتمل أن المعنى: أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً خلقتها
في قلوب الناس لك، فأحبوك، والأول أحسن؛ لعدم الكلفة فيه.

قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ عطفه على محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (لِتُحَبَّ من الناس).

قوله: (تربى على رعايتي... إلخ) أي: فالعين هنا بمعنى: الرعاية والحفظ؛ مجازاً مرسلأ
من إطلاق السبب - وهو العين - على المسبب - وهو الحفظ والرعاية - لأنَّ شأن من ينظر الشيء بعينه
أن يحفظه ويرعاه.

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ
وَقُلْتَ نَفْسًا فَفَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتْنَاكَ فُتُونًا ۖ

(٤٠) - (٤١) ﴿إِذْ﴾ - لِلتَّعْلِيلِ - ﴿تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مَرِيَمُ لِتَتَعَرَّفَ خَبْرَكَ وَقَدْ أَحْضَرُوا مَرَاضِعَ وَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ ثُدَيَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾؟ فَأُجِيبَتْ، فَجَاءَتْ بِأُمِّهِ فَقَبِلَ ثُدِيهَا، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقَائِكَ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ، ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ هُوَ الْقَبْطِيُّ بِمِصْرَ، فَاعْتَمَمَتْ لِقَتْلِهِ مِنْ جِهَةِ فِرْعَوْنَ، ﴿فَفَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتْنَاكَ فُتُونًا﴾: اخْتَبَرْنَاكَ بِالْإِيْقَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ وَخَلَّصْنَاكَ مِنْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُخْتُكَ﴾ مريم) أي: وكانت شقيقته، وهي غير أم عيسى.

قوله: (لتتعرف خبرك) أي: فوجدتك وقعت في يد فرعون، فدلّتهم على أمك حيث قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (وأنت لا تقبل) إلخ) أي: لحكمة عظيمة، وهي وقوعك في يد أمك؛ لأنك لو رضعْتَ غيرها.. لاستغنوا عن أمك.

قوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾) أي: يُكْمِلُ رِضَاعَهُ، وقد أرضعته أمه؛ قيل: ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة.

قوله: ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾ معطوف على محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (فأُجِيبَتْ... إلخ).

قوله: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾) أي: تسكن وتبرد دمعهُ حزنها.

قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ) أي: حِينَئِذٍ قَبِلْتَ ثُدِيهَا، والمراد: نفي دوام الحزن.

قوله: (هو القبطي) أي: واسمه: قاب قان، وكان طباحاً لفرعون.

قوله: (من جهة فرعون) أي: لا من جهة قتله؛ فإنه كان كافراً.

قوله: ﴿وَفُتْنَاكَ فُتُونًا﴾) أي: خَلَّصْنَاكَ مِنْ مُحَنَةٍ بَعْدَ أُخْرَى، روي: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: خَلَّصْنَاكَ مِنْ مُحَنَةٍ بَعْدَ مُحَنَةٍ؛ وَلَدَ فِي عَامٍ كَانَ يَقْتُلُ فِيهِ الْوِلْدَانَ، فَهَذِهِ فِتْنَةٌ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ، وَأَلْقَتْهُ أُمُّهُ فِي الْبَحْرِ، وَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ، وَقَتْلُ قَبْطِيًّا، وَأَجْرَ نَفْسِهِ عَشْرَ سَنِينَ، وَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَضَلَّ غَنَمَهُ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ: فَهَذِهِ فِتْنَةٌ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ^(١).

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٦) مطولاً.

فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْؤِسُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِثَانِيٍّ وَلَا لَنِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

﴿فَلَيْتَ سِنِينَ﴾ عَشْرًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ عِنْدَ شُعَيْبِ النَّبِيِّ وَتَزَوُّجِكَ بِابْنَتِهِ، ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ فِي عِلْمِي بِالرَّسَالَةِ، وَهُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً مِنْ عُمرِكَ ﴿يَمْؤِسُونَ﴾ ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾: اخْتَرْتُكَ ﴿لِنَفْسِي﴾ بِالرَّسَالَةِ.
 ﴿٤٢﴾ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ إِلَى النَّاسِ ﴿بِثَانِيٍّ﴾ التَّسْعِ، ﴿وَلَا لَنِيًّا﴾: تَفْتَرًا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بِتَسْيِيحٍ وَغَيْرِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سِنِينَ﴾ عَشْرًا أي: ولبت في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة، وقيل: خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فمكث بمدين لرعي الغنم عشر سنين، وبعدها ثمانية عشر سنة.

قوله: ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ أي: مقدار من الزمان.

قوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: لَتَشْتَغَلَ بِأوامري وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لغيري.

قوله: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِثَانِيٍّ﴾ أي: قد أجبناك فيما طلبت، وأعطينا أخاك الرسالة؛ فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه.

قوله: ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ قَدَّرَهُ؛ إشارةً إِلَى أَنَّهُ حُذِفَ مِنْ هُنَا؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ فِيمَا يَأْتِي: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ عَلَيْهِ؛ كَمَا أَنَّهُ حُذِفَ فِيمَا يَأْتِي قَوْلُهُ: ﴿بِثَانِيٍّ﴾؛ لِدَلَالَةِ مَا هُنَا عَلَيْهِ؛ ففِي الْكَلَامِ احْتِثَابُ؛ حَيْثُ حُذِفَ مِنْ كُلِّ نَظِيرٍ مَا أَثْبَتَهُ فِي الْآخِرِ.

قوله: ﴿بِثَانِيٍّ﴾ التَّسْعِ الْمُنَاسِبِ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقُولَ: الْعَصَا وَالْيَدُ؛ لِأَنَّ بَاقِيَ التَّسْعِ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَبْدَأِ، بَلْ كَانَ فِي أَثْنَاءِ الْمَدَّةِ، وَعَلَيْهِ: فَجُمِعَ الْآيَاتُ بِاعْتِبَارِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْعَصَا وَالْيَدُ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ.

قوله: ﴿وَلَا لَنِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ يُقَالُ: وَنَى بَيْنِي وَبَيْنَا ك: وَعَدَ يَعِدُ وَعَدَاءً: إِذَا فُتِرَ، وَأَصْلُهُ: تَوْنِيًّا، حُذِفَتِ الْوَاوُ؛ لِوُقُوعِهَا بَيْنَ عَدَوْتَيْهَا: الْفَتْحَةِ، وَالْكَسْرِ.

قوله: (وغيره) كتبليغ الرسالة، وهو المقصود بالذات.

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا
خَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

(٤٣ - ٤٤) ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ بِإِذْعَانِهِ الرُّبُوبِيَّةَ، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِنَا﴾ فِي رُجُوعِهِ عَنِ ذَلِكَ، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَعِظُ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ اللَّهُ فَيَرْجِعَ، وَالتَّرَجُّي بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا لِعِلْمِهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ.

(٤٥ - ٤٦) ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا خَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أَي: يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ، ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ أَي: يَتَكَبَّرَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ إِنْ قُلْتَ: مَا حِكْمَةُ جَمْعِهِمَا فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ مَعَ أَنَّ هَارُونَ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا فِي مَحَلِّ الْمُنَاجَاةِ، بَلْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ بِمِصْرَ؟
وَأُجِيب: بِأَنَّ اللَّهَ كَشَفَ الْحِجَابَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عَنْ سَمْعِ هَارُونَ حَتَّى سَمِعَ الْخُطَابَ مَعَ أَخِيهِ، لَكِنْ مُوسَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَهَارُونَ سَمِعَهُ مِنْ جَبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَقَالُ.

قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِنَا﴾ أَي: سَهْلًا لَطِيفًا، وَقَدْ قَصَّه اللَّهُ فِي سُورَةِ (النَّازِعَاتِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿قَتَلَ هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَزَكَّ﴾ ١٨ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النَّازِعَاتِ: ١٨-١٩]؛ فَإِنَّهُ دَعَا فِي صُورَةٍ عَرْضٍ.

قوله: (فِي رُجُوعِهِ عَنْ ذَلِكَ) أَي: عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ ادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتَّكَبُّرِ.

قوله: (وَالْتَرَجُّي بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا) أَي: إِلَىٰ مُوسَى وَهَارُونَ، وَالْمَعْنَى: أَذْهَبَا مُتَرَجِّجَيْنِ إِيْمَانَهُ وَطَامِعَيْنِ فِيهِ، وَلَا تَذْهَبَا آيِسَيْنِ مِنْهُ.

قوله: (لِعِلْمِهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ) أَي: وَالفائدة فِي إِرسَالِهِمَا: إِلزَامُهُ الْحِجَّةَ، وَقَطْعُ عِذْرِهِ؛ لِجَرِيَانِ عَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا يَعْذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ تَبْلِيغِهِ الدَّعْوَةَ وَعِنَادِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا﴾ أَسْنَدَ الْقَوْلَ لَهُمَا؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا وَإِنْ كَانَ مَكَانُهُمَا مُخْتَلِفًا؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ إِزَالَةِ الْحِجَابِ عَنْ هَارُونَ وَسَمَاعِهِ مِنْ جَبْرِيلَ مَا قِيلَ لِمُوسَى وَقَتَ الْمُنَاجَاةِ.

قوله: (أَي: يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ) أَي: فَلَا يَصْبِرُ إِلَىٰ تِمَامِ الدَّعْوَةِ وَإِظْهَارِ الْمَعْجِزَةِ.

قوله: ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ أَي: يَزْدَادُ تَكَبُّرًا وَكُفْرًا، وَ(أَوْ): مَانِعَةٌ خَلَوْ تُجَوِّزُ الْجَمْعَ.

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بعوني، ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يَقُولُ ﴿وَأَرَى﴾ ما يَفْعَلُ.
 ﴿٤٦﴾ ﴿فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى الشَّامِ ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خَلِّ عَنْهُمْ مِنْ اسْتِعْمَالِكَ إِيَّاهُمْ فِي أَشْغَالِكَ الشَّاقَّةِ، كَالْحَفْرِ وَالْبِنَاءِ وَحَمْلِ الثَّقِيلِ، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ﴾: بِحُجَّةٍ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ عَلَى صِدْقِنَا بِالرَّسَالَةِ، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: السَّلَامَةُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ.
 ﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ﴾ ما جِئْنَا بِهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَنبَاهُ وَقَالَ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾ أي: لا تتزعجا منه.

قوله: ﴿فَأَنبَاهُ﴾ أي: اذها بأنفسكما إليه، ولا تقعدا في مكان وترسلا له.

قوله: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أمرهما الله أن يقولوا له ستَّ جمل؛ أولها: قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، الثانية: قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، الثالثة: قوله: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾، الرابعة: قوله: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، الخامسة: قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾، والسادسة: قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾.

قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم من أسرك ولا تتولَّ عليهم؛ فإنهم أولاد الأنبياء، ولا يُلِيقُ أَنْ يُوَلَّى عَلَيْهِمْ خَسِيسٌ، والمعنى: أن موسى وهارون أُرْسِلَا إِلَى فِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَتَوَلَّى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: ﴿بِحُجَّةٍ﴾ أي: دليل وبرهان على ما ادَّعِيَاهُ مِنَ الرِّسَالَةِ.

قوله: ﴿فَأَنبَاهُ وَقَالَ لَهُ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ﴾ قدَّر ذلك؛ إشارةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ...﴾ إلخ مرتَّبٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَإِشْعَاراً بِأَنَّهُمَا سَارِعَا إِلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ فِيهِ.

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ

(٤٩ - ٥٠) ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾؟ اقتصَرَ عليه لآئِهِ الْأَصْلُ، ولإدلاله عليه بالتربية. ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْخَلْقِ ﴿خَلْقَهُ﴾ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مُتَمَيِّزٌ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ الْحَيَوَانَ مِنْهُ إِلَى مَطْعِمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَنْكَحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرْعَوْنُ: ﴿فَمَا بَالُ﴾: حَالُ ﴿الْقُرُونِ﴾: الْأُمَمِ ﴿الْأُولَى﴾ كَقَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَلُوطٍ وَصَالِحٍ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانِ؟

﴿٥٢﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿عَلَّمَهَا﴾ أَي: عِلْمُ حَالِهِمْ مَحْفُوظٌ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ يُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ لم يُضِفِ الرب لنفسه؛ تكبراً وطغياناً، وخوفاً على قومه إذا أضاف الربَّ لنفسه أن يميلوا لموسى.

قوله: (اقتصر عليه) أي: مع توجيهه الخطاب لهما.

قوله: (لأنه الأصل) أي: في الرسالة، وهارون وإن كان رسولاً إلا أنَّ المقصود منه معاونته موسى.

قوله: (ولإدلاله عليه بالتربية) أي: ولإقامة فرعون الدليل على موسى؛ بأن ذكره بتربيته في قوله الآتي في (الشعراء): ﴿أَلَمْ نَرْبِكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

قوله: ﴿خَلْقَهُ﴾ أي: صُورته وشكله.

قوله: (الحيوان منه) أي: من كل شيء.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ لما ظهر للعين حقيقة ما قال موسى وبُطلان ما هو عليه.. أراد أن يصرفه عليه السلام إلى ما لا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات؛ خوفاً على رياسته أن تذهب، فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.

قوله: (في عبادتهم الأوثان) أي: أكان سبباً في شقاوتهم أو سعادتهم؟! وإنما لم يوضح له الجواب؛ لأنه مأمورٌ بملاطفته، وإذا وضح له الجواب.. ربما نفّر وتغير.

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ

﴿لَا يَضِلُّ﴾: يَغِيبُ ﴿رَبِّي﴾ عن شيءٍ ﴿وَلَا يَنسَى﴾ رَبِّي شيئاً.

﴿٥٢﴾ هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جُمْلَةِ الْخَلْقِ ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فِرَاشًا، ﴿وَسَلَكَ﴾: سَهَّلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقًا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مَطَرًا، قَالَ تَعَالَى تَتِمِّمًا لِّمَا وَصَفَهُ بِهِ مُوسَى وَخِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: أَصْنَافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ صِفَةُ ﴿أَزْوَاجًا﴾، أَي: مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَغَيْرِهِمَا، وَ(شَتَّى) جَمْعُ شَتَيْتٍ كَمَرِيضٍ وَمَرْضَى، مِّن شَتَّ الْأَمْرِ: تَفَرَّقَ.

﴿٥٣﴾ ﴿كُلُوا﴾ مِنْهَا ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فِيهَا، جَمْعُ نَعَمٍ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، يُقَالُ: رَعَتِ الْأَنْعَامُ وَرَعَيْتُهَا، وَالْأَمْرُ لِلإِبَاحَةِ وَتَذْكِيرِ النُّعْمَةِ - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِّنْ ضَمِيرٍ (أَخْرَجْنَا) -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي: لا يذهب شيءٌ عن علمه.

قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي: بعد علمه.

وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول.

قوله: ﴿مِهْدًا﴾^(١) أي: كالمهاد.

قوله: (طُرُقًا) أي: تَسْلُكُونَهَا مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ؛ لَتَقْضُوا مَآرِبَكُمْ.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسى، بل خطاباً لأهل مكة وامتناناً عليهم، وَيَنْتَهِي إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ مُوسَى، وَفِيهِ التَّفَاتُ مِنَ الْغِيْبَةِ لِلتَّكَلُّمِ.

قوله: (وخطاب لأهل مكة) أي: في قوله: ﴿وَارْعَوْا﴾.

قوله: ﴿شَتَّى﴾ ألفه للتأنيث.

قوله: (يقال: رعت الأنعام... إلخ) أي: فيُستعمل لازماً ومتعدياً.

(١) قرا الكوفيون: (مَهْدًا) بفتح الميم وسكون الهاء من غير ألف، والباقون: (مِهَادًا). انظر «الدر المصون» (٥١/٨).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾

أي: مُبَيِّحِينَ لَكُمْ الْأَكْلَ وَرَعَى الْأَنْعَامَ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ هُنَا ﴿لَآيَاتٍ﴾: لَعِبْرًا ﴿لِّأُولِي النُّهَى﴾: لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ، جَمْعُ (نُهْيَةٍ) كـ(غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ)، سُمِّيَ بِهِ الْعَقْلُ لِأَنَّهُ يَنْهَى صَاحِبَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ.

﴿مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الْأَرْضِ ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهَا، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مَقْبُورِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عِنْدَ الْبَعْثِ ﴿تَارَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَى﴾ كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي: أَبْصَرْنَا فِرْعَوْنَ ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التَّسْعَ ﴿فَكَذَّبَ﴾ بِهَا وَزَعَمَ أَنَّهَا سِحْرٌ، ﴿وَأَبَى﴾ أَنْ يُوحِّدَ اللَّهَ تَعَالَى.

﴿٥٧ - ٥٨﴾ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: مِصْرَ وَيَكُونُ لَكَ الْمُلْكُ فِيهَا ﴿بِسِحْرِكَ﴾

يَمُوسَى ﴿٥٧﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مبينين لكم) المناسب أن يقول: (أي: قائلين لكم: كلوا... إلخ)، فهو أمرٌ إباحة.

قوله: (جمع نُهْيَةٍ) وقيل: إنه اسم مفرد، فهو مصدرٌ ك: الهدى والشرى.

قوله: (بخلق أبيكم آدم منها) أي: فجميع الخلق غير آدم خُلِقُوا مِنَ الْأَرْضِ بِوَاسِطَةِ، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: كُلُّ إِنْسَانٍ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ بِلَا وَاسِطَةٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ نُطْفَةٍ وَقَعَتْ فِي الرَّحِمِ يَأْخُذُ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهَا شَيْئًا مِنَ تَرَابِ الْمَكَانِ الَّذِي يُدْفَنُ فِيهِ فَيَذَرُهُ عَلَى النُّطْفَةِ، فَيَخْلُقُ اللَّهُ النَّسَمَةَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالتُّرَابِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ إخبارٌ عمّا وقعَ لِمُوسَى فِي مُدَّةِ دَعَائِهِ لِفِرْعَوْنَ، وَبِهَذَا التَّفْهِيمِ صَحَّ قَوْلُ الْمُفَسِّرِ: (التسعة)، وَانْدَفَعَ مَا يُقَالُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ لَمْ يَرَ إِلَّا الْعَصَا وَالْيَدَ، وَعَلَيْهِ: فَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ الْقِصَّةِ.

قوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾ أي: بَعْدَ أَنْ رَأَى مَا رَأَى مِنْ مُعْجَزَةِ الْعَصَا وَالْيَدِ.. قَالَ مَا ذَكَرَ؛ تَسْتَرْأً وَخَوْفًا عَلَى حِطِّ رِيَاسَتِهِ؛ لِثَلَا يُؤْمِنُ قَوْمُهُ.

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾
قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، يُعَارِضُهُ، ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لِذَلِكَ ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا﴾ - مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ (في) - ﴿سُوًى﴾ - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ - أي: وَسَطًا تَسْتَوِي إِلَيْهِ مَسَافَةُ الْجَائِي مِنَ الطَّرَفَيْنِ.

﴿٥٩﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يَوْمَ عِيدِ لَهُمْ يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ وَيَجْتَمِعُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ اللام: مُوطئة لقسم محذوف، تقديره: وعزّتي وكبريائي^(١)، وقوله: ﴿بِسِحْرٍ﴾ متعلّق بـ(نأتينك).

قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾ أي: في الغرابة.

قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ الأحسن: أنه ظرف زمان، مفعول أول مؤخّر لقوله: (اجعل)، وقوله: ﴿بَيْنَنَا﴾ مفعول ثانٍ مقدّم، وقوله: (بنزع الخافض^(٢)) أي: فالمعنى: عَيْنَ زَمَانًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ نَجْتَمِعُ فِيهِ فِي مَكَانٍ سُوًى؛ أي: متوسط.

قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ خصّه عليه السلام بالتعيين؛ لمزيد وثوقه برّبه، وعدم مُبالاته بهم، وليكون ظهور الحقّ على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك بين كلّ حاضرٍ وبادٍ، فيكون أعظم فخرًا لموسى عليه السلام.

قوله: (يوم عيد لهم) أي: وكان يوم عاشوراء، واتفق أنه يوم سبت.

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف، كما قدّره المفسر رحمه الله تعالى.

(٢) فيه: أنَّ العامل إن كان (اجعل). . فهو مُتَعَدُّ بنفسه لهذا المنصوب؛ فلا وجه لِتَكْلُفِ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ، وإن كان (موعدًا). . فلا يخلو؛ إما أن يكون المراد به المصدر أو الزمان أو المكان؛ فإن كان الأول. . وَرَدَ عليه: أن الوعد ليس في المكان المستوي، بل الذي فيه إنما هو المناظرة، والوعد وقع في مكان التخاطب قبل ذلك، وإن كان الثاني. . وَرَدَ عليه مثل الذي وَرَدَ على ما قبله، وإن كان الثالث. . كان الصواب أن يجعله بدلاً منه، وحينئذ: فالأظهر أنه منصوب بـ(اجعل) على أنه مفعول فيه، ومن المعلوم أنه على معنى (في)، فكأن هذا شُبْهَةُ الشَّارِحِ في تعبيره بنزع الخافض، كأنه لما رأى أنَّ المعنى على نزع الخافض. . تساهل فعبر بهذه العبارة، مع أنها لا تُقَالُ إلا في العامل الذي لا يَصِلُ للمعمول بنفسه. تأمل. «فتوحات» (١٠٣/٣).

وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾: يُجَمِّعُ أَهْلَ مِصْرَ ﴿ضُحَى﴾ وَقَتُهُ لِلنَّظَرِ فِيمَا يَقَعُ.
﴿٦٠﴾ ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾: أَدْبَرَ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أَي: ذَوِيَ كَيْدِهِ مِنَ السَّحَرَةِ، ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ بِهِمُ الْمَوْعِدَ.

﴿٦١﴾ ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى﴾ وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ حَبْلٌ وَعَصَا: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أَي: أَلْزَمَكُمْ اللَّهُ الْوَيْلَ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِإِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ «أَنْ» وما دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرِ مَعْطُوفٍ عَلَى ﴿الزَّيْنَةِ﴾؛
أَي: وَيَوْمَ حُشْرِ النَّاسِ ضُحَى.

قوله: (وَقَتُهُ) أَي: وَقْتُ الضُّحَى، وَهُوَ: ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ.

قوله: (أَدْبَرَ) أَي: انْصَرَفَ فِي الْمَجْلِسِ.

قوله: (أَي: ذَوِيَ كَيْدِهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: (ثُمَّ أَتَى بِهِمُ الْمَوْعِدَ) أَي: فِي يَوْمِ الزَّيْنَةِ، وَفِي الْمَكَانِ الْمَتَوَسِّطِ، وَهُوَ سَكَنْدَرِيَّةُ.

قوله: (وَهُمُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ) اثْنَانِ مِنَ الْقِبْطِ، وَالسَّبْعُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهَذَا أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي عَدْدِهِمْ، وَقِيلَ: كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا - وَهُوَ مَا فِي بَعْضِ النُّسخِ - وَقِيلَ: اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا.

قوله: (مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ حَبْلٌ وَعَصَا) تَقَدَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ حَمَلًا أَرْبَعَ مِثَّةَ بَعِيرٍ^(١).

قوله: (أَي: أَلْزَمَكُمْ اللَّهُ الْوَيْلَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ مَنصُوبٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ، وَالْوَيْلُ مَعْنَاهُ: الدَّمَارُ وَالْهَلَاكُ.

قوله: (بِإِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَهُ) أَي: بِسَبَبِ إِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: أَلْزَمَكُمْ اللَّهُ الْوَيْلَ إِنْ افْتَرَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِسَبَبِ إِشْرَاكِكُمْ مَعَ اللَّهِ بِدَوَامِ تَصَدِيقِكُمْ لِفِرْعَوْنَ.

(١) مَا تَقَدَّمَ أَنَّهَا حَمَلٌ ثَلَاثَ مِثَّةَ بَعِيرٍ، انْظُرْ (٥٨٣/٢).

فَيُسْحِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا
إِنَّ هَٰذَيْنِ

﴿فَيُسْحِكُمْ﴾ - بضم الياء وكسر الحاء ويفتحهما - أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنِ افْتَرَى﴾: كذب على الله.

(٦٢ - ٦٣) ﴿فَتَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه، ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيهما. ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره: ﴿هَٰذَانِ﴾ وهو موافق للغة حاشية الصاوي

قوله: (بضم الياء... إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيتان، فالضم من الرباعي، والفتح من الثلاثي^(١).

قوله: ﴿فَتَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تناظروا وتشاؤروا في أمر موسى وأخيه سرًا، واختلف فيما أسروه؛ ف قيل: هو قولهم: (إن هذين لساحران)^(٢)، وقيل: هو قول بعضهم لبعض: ما هذا قول ساحر؛ فإن غلبنا.. أتبعناه، وإن غلبناه.. بقينا على ما نحن عليه. قوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: تحدثوا سرًا فيما بينهم.

قوله: (لأبي عمرو) أي: فقراءته بالياء اسم (إن)، و(ساحران): خبرها، واللام: للابتداء زُحِلَتْ للخبر، وقوله: (ولغيره) خبرٌ مقدَّم، و(هذان): مبتدأ مؤخرٌ، وقوله: (وهو موافق) أي: (هذان) موافق لمن يُعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف؛ فيبني اسم الإشارة الدال عليه على الألف.

وقد أجمل المفسر في قوله: (ولغيره: «هذان»)، والحاصل: أن القراءات السبعيات أربع: الأولى لأبي عمرو التي ذكرها المفسر، وبقي ثلاث: الأولى: تشديد نون (هذان) مع تخفيف نون (إن)، والثانية والثالثة: تخفيف نون (هذان) مع تشديد نون (إن) أو تخفيفها؛ فعلى تشديد نون (إن) يكون (هذان) اسمها مبنياً على الألف، و(ساحران) خبرها، وعلى تخفيفها يكون (هذان) ساحران مبتدأ وخبراً، و(إن): مخففة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبر (إن)^(٣).

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي وحفص عن عصام: «فَيُسْحِكُمْ» بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتحهما. انظر «الدر المصون» (٦٠/٨).

(٢) أي: كما في قراءة أبي عمرو كما سيأتي بعد.

(٣) اختلف القراء في هذه الآية الكريمة: فقرأ ابن كثير وحده: «إن هذان» بتخفيف «إن»، والألف، وتشديد النون، =

لَسَّٰحِرَينِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقِكُمْ الْغَنَى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا
كَيِّدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْشُونَ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا

من يَأْتِي فِي الْمُنَى بِالْأَلْفِ فِي أَحْوَالِهِ الثَّلَاثِ، ﴿لَسَاحِرَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
سِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ مُؤَنَّثٌ (أَمْثَل) بِمَعْنَى أَشْرَفَ، أَي: بِأَشْرَافِكُمْ بِمِثْلِهِمَا إِلَيْهِمَا
لَغَلَّتِيهِمَا.

﴿٦٤﴾ ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ مِنَ السَّحَرِ - بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ وَفَتْحِ الْمِيمِ مِنْ (جَمَعَ) أَي: لَمْ، وَبِهَمْزَةٍ قَطْعٍ وَكَسْرِ الْمِيمِ مِنْ (أَجْمَعَ): أَحْكَمَ -، ﴿ثُمَّ انْتَوُوا صَفًّا﴾ - حَال - أَي: مُصْطَفَيْنَ، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فَازَ ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾: غَلَبَ.

(٦٥ - ٦٦) ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَخْتَرٌ لِّمَّا أَنْ تُلْقَىٰ عَصَاكَ أَي: أَوَّلًا، ﴿وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ عَصَاهُ.﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فآلَقُوا،
 حاشية الصاوي

قوله: (أي: بإشرافكم) تفسير لـ (طريقتكم)؛ فإنَّ من جملة معاني الطريقة: أمثال الناس وأشرافهم؛ أي: وذلك كفرعون وجلسائه.

قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: اجعلوه مجمعا؛ بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم.

قوله: (بهمزة وصل... إلخ) أي: فهما سبعيتان^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنتَوَوْا صَفًّا﴾ أي: لأنه أهيبُ في صدور الرّائينَ.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ «أن» وما بعدها: في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف، قدره المفسر بقوله: (اختَر).

قوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوْتُ﴾ أي: لِيُظْهِرَ الفرق بين المعجزة والسحر.

= وحفص كذلك إلا أنه خَفَّفَ نون «هَـذَانِ»، وقرأ أبو عمرو: «إِنَّ» بالتشديد «هَـذَيْنِ» بالياء وتخفيف النون، والباقون كذلك إلا أنهم قرؤوا «هَـذَانِ» بالآلف. انظر «الدر المصون» (٦٣/٨).

(١) قرأ أبو عمرو: «فاجمعوا» بوصل الألف وفتح الميم، والباقون بَقَطْعِهَا مفتوحة وكسر الميم. انظر «الدر المصون» (٦٨/٨).

فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُجَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ - أصله: (عُصُو) قُلِبَتِ الواوَانِ ياءَيْنِ وكُسِرَتِ العين والصاد -
﴿يُجَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ حَيَّاتٌ ﴿تَسْعَى﴾ على بُطُونِهَا.

﴿٦٧﴾ ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أَحَسَّ ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي: خَافَ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ سِحْرَهُمْ مِنْ جِنْسٍ مُعْجِزَتِهِ أَنْ يَلْتَسِ أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ فَلَا يُؤْمِنُوا بِهِ.

﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿فَلَمَّا﴾ لَهُ: ﴿لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عَلَيْهِم بِالْغَلْبَةِ. ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وَهِيَ عَصَاهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ (إذا): فجائية، و﴿جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ مبتدأ، خبره جملة ﴿يُجَيَّلُ إِلَيْهِ... إلخ﴾.

قوله: (أصله: عُصُو) أي: بوزن (فُلوس)، وقوله: (قُلِبَتِ الواوَانِ ياءَيْنِ... إلخ) أي: قُلِبَتِ الثانية ياء؛ لوقوعها متطرفة، فاجتمعت مع الواو وسبقت إحداهما بالسكون، قُلِبَتِ الواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله: (وكسرت العين) أي: إِتْبَاعاً لِلصَّادِ، وكُسِرَتِ الصَّاد؛ لِتَصَحَّحِ الْيَاءِ.

قوله: ﴿يُجَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ أي: لَأَنَّهُمْ طَلَّوْهَا بِالزَّبَقِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَرُّ الشَّمْسِ... اضْطَرَبَتْ وَاهْتَزَّتْ، فَتَخَيَّلَ أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ.

قوله: ﴿خِيفَةً﴾ أصله: خَوْفَةٌ، قُلِبَتِ الواو ياءً؛ لِكَسْرِ مَا قَبْلَهَا.

قوله: (من جهة أن سحرهم... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ حَصَلَ لَهُ الْخَوْفُ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَلَا يَصِلُ لَهُ سُوءُ مِنْهُمْ!؟

قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ فيه إشارةٌ إِلَى أَنَّ لَهُمْ عُلُوًّا وَغَلْبَةً بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ النَّاسِ، فَطَمَّنَهُ^(١) اللهُ بِأُمُورٍ لَا تَخْطُرُ بِإِيَالِهِ؛ فَإِنَّ ابْتِلَاعَ الْعَصَا لِحَبَالِهِمْ وَعَصِيَّتَهُمْ أَمْرٌ لَمْ يَخْطُرْ بِإِيَالِ مُوسَى.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: فطمأنه.

نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا
ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾

﴿نَلَقَفَ﴾: تَبَتَّلَعَ ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ﴾ أي: جِنْسُهُ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بِسِحْرِهِ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَتَلَقَّفَتْ كُلُّ مَا صَنَعُوهُ.
﴿٧٠﴾ ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا﴾: خَرُّوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَلَقَفَ﴾ بفتح اللام وتشديد القاف، أو بسكون اللام وفتح القاف، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي: اخترعوا مما لا حقيقة له.

قوله: (أي: جنسه) دفع بذلك ما يقال: لِمَ لَمْ يَقُلْ: (ولا يُفْلِحُ السحرة) بصيغة الجمع؟ وفيه إشارة إلى أنَّ الكلام موجَّه للعموم، فكأنه قال: لا يفلح كلُّ ساحرٍ؛ سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم.

قوله: ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ أي: في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ أقبل منه.

قوله: (فألقي موسى عصاه... إلخ) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا﴾ مرتَّب على محذوف.

قوله: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا﴾ أي: إيماناً بالله، وكفراً بفرعون، وهذا من غريب قدرة الله؛ حيث ألقوا حبالهم وعصيَّهم للكفر والجحود، ثُمَّ أَلْقَوْا رُؤُوسَهُمْ بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين!

قيل: لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب، ورأوا منازلهم في الجنة.

قوله: (و﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾) قدر المفسر الواو؛ إشارة إلى أنه معطوف على قوله: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا﴾، وفيه إيحاء إلى أنهم جمعوا في الإيمان بين القول والفعل.

(١) قرأ العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على جواب الأمر، وقرأ حفص: «نلقف» بسكون اللام وتخفيف القاف. انظر «الدر المصون» (٧٤/٨).

الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا
أَنْتَ قَاضٍ

﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ - حال - بِمَعْنَى مُخْتَلِفَةً، أَي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى، ﴿وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ أَي: عَلَيْهَا، ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾: أَدْوَمُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: نَخْتَارُكَ ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: خَلَقَنَا، - قَسَمَ أَوْ عَطَفَ عَلَى ﴿مَا﴾ - ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أَي: اصْنَعْ حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ (مِنْ): ابتدائية؛ أَي: فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو. قوله: (أَي: عليها) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية؛ حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة، فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات، فاستعيرت لفظة (في) الموضوعية للظرفية الخاصة لمعنى (على) الموضوعية للاستعلاء الخاص بإجماع التمكن في كل.

قوله: (على مخالفته) متعلق بكل من: (أشد) و(أبقى).

قوله: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا﴾ أَي: قالوا ذلك غير مُكْرَثين بوعيده لهم.

قوله: ﴿مِنْ الْبَيِّنَاتِ﴾ أَي: المعجزات الظاهرة، وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات، وإنما نُسِبَ المجيء لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضاً؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

قوله: (قسم) أَي: وجوابه محذوف، تقديره: لا نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ جوابه؛ لأنَّ القسم لا يجاب ب(لن) إلا شذوذاً، ولا ينبغي حمله التنزيل عليه^(١).

قوله: (أو عطف على ﴿مَا﴾) أَي: والتقدير: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات ولا على الذي فطرنا^(٢).

قوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (اقض): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، و﴿مَا﴾: اسم

(١) كما نصَّ عليه ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص ٨٠٥).

(٢) وإنما أخرجوا ذكر الباري تعالى؛ لأنه من باب: الترقي من الأدنى إلى الأعلى. انظر «الدر المصون» (٧٧/٨).

إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾

ما قلته، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النصب على الاتساع أي: فيها، وتُجزى عليه في الآخرة.

﴿٧٣﴾ ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾ من الإشراف وغيره، ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تَعْلَمًا وَعَمَلًا لِمُعَارَضَةِ مُوسَى، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثواباً إذا أُطِيع، ﴿وَأَبْقَى﴾ منك عذاباً إذا عُصِي.

حاشية الصاوي

موصول مفعول، و﴿أَنْتَ قَاضٍ﴾: صِلته، والعائد محذوف تقديره: الذي أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله^(١): [الرجز]

كَذَاكَ حَذَفُ مَا يَوْصَفُ خُفْضًا كـ(أَنْتَ قَاضٍ) بَعْدَ أَمْرٍ مِنْ قَضَى

وهو جوابٌ عن تهديده المذكور، كأنهم قالوا: لا تُبالي بك ولا بتهديدك؛ فافعل ما بدا لك، ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة أنه فعل ما هددهم به.

قوله: (النصب على الاتساع) أي: نصب ﴿هَذِهِ﴾ المبدلة منه ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على نزع الخافض.

قوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ (معطوف على ﴿خَطِيئَتَنَا﴾ أي: ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من السحر.

قوله: (تَعْلَمًا وَعَمَلًا) أي: لأنَّ فرعون كان يُخبره الكهنة بظهور مولود من بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه، فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين، فأحبَّ أن يتهياً لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر، وأكرههم أيضاً على الإتيان بهم من المدائن البعيدة.

ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله: ما روي: أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى وهو نائم، ففعل، فوجدوه تحرُّسه عصاه، فقالوا: ما هذا ساحر؛ فإنَّ الساحر إذا نام.. بطل سحره، فأبى إلا أن يُعارضوه.

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ردُّ لقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا ابْنَ آدَمَ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

(١) «الخلاصة»، باب: الموصول، (ص ١٦).

إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي

﴿٧٤﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُجْرِمًا﴾: كافرًا كفرعون، ﴿فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة تنفعه.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾: جمع (عليا) مؤنث أعلى.

﴿٧٦﴾ ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة - بيان له - ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾: تطهر من الذنوب.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ - بهمزة قطع من (أسرى)، وبهمزة وصل

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنف من كلامه تعالى، وقيل: إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُجْرِمًا﴾ أي: بأن يموت على كفره.

قوله: (فيستريح) أي: من العذاب.

قوله: (حياة تنفعه) أي: بأن تكون هنيئة مريئة.

قوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: ما تقدم من قوله: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ...﴾ إلخ.

قوله: (تطهر من الذنوب) أي: بعدم فعلها، أو بالتوبة النصوح منها.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ عطف قصة على قصة؛ لأن الله تعالى قصّ علينا أولاً مبدءاً

رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه، وقصّ علينا ثانياً منتهى أمر فرعون وجنوده، وكل ذلك عبرة للأمم المحمدية؛ ليعلموا أن الظالم وإن أمهله الله وأمدّه بالنعم... لا يهمله، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة، وتقدم ذكرها في (الأعراف) مبسطة.

قوله: ﴿بِعِبَادِي﴾ أي: وكانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفاً.

فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۝.....

وَكَسَرَ التُّونَ مِنْ (سَرَى) لُغْتَانِ - أَي: سِرُّ بِهِمْ لَيْلًا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ﴿فَاضْرِبْ﴾: اجْعَلْ ﴿لَهُمْ﴾: بِالضَّرْبِ بِعَصَاكَ ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أَي: يَابِسًا، فَاِمْتَثِلْ مَا أَمَرَ بِهِ وَأَيَسَّ اللَّهُ الْأَرْضَ فَمَرُّوا فِيهَا، ﴿لَا تَخَفُ دَرَكًا﴾ أَي: أَنْ يُدْرِكَكَ فِرْعَوْنُ ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غَرَقًا.

حاشية الصاوي

قوله: (لغتان) أي: وقراءتان سبعيتان^(١)، وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك.

قوله: (أي: سِرُّ بِهِمْ لَيْلًا) تفسير لكل من القراءتين.

قوله: (من أرض مصر) أي: إلى البحر، فهو مأمورٌ بالسير له؛ فلا يقال: لَمْ لَمْ يَسِرْ فِي الْبَرِّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ؟

قوله: ﴿طَرِيقًا﴾ مفعول به؛ لتضمّن (اضرب) معنى (اجعل)؛ كما أشار له المفسر، والمراد بالطريق: جنسه؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ كَانَتْ اثْنِي عَشَرَ بَعْدَ أُسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: ﴿يَبَسًا﴾ أي: يُؤْوِلُ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَابِسًا قَبْلُ، وَإِنَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ الصَّبَا فَجَفَّتْهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَقْطَعَ بِقَوْمِهِ الْبَحْرَ وَكَانَ يُوسُفُ عَهْدَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَخْرُجُوا بِعِظَامِهِمْ مِنْ مِصْرَ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَكَانَهَا حَتَّى دَلَّتْهُمْ عَلَيْهَا عَجُوزٌ، فَأَخَذُوهَا، وَقَالَ لَهَا مُوسَى: اطْلُبِي مِنِّي شَيْئًا، فَقَالَتْ: أَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْجَنَّةِ^(٢).

فَلَمَّا خَرَجُوا.. تَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبَحْرَ وَكَانَ عَلَى حِصَانٍ.. أَقْبَلَ جَبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ أَنْثَى فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَسَارَ جَبْرِيلُ بَيْنَ يَدَيْ فِرْعَوْنَ، فَأَبْصَرَ الْحِصَانَ الْفَرَسَ، فَاقْتَحَمَ بِفِرْعَوْنَ عَلَى أَثَرِهَا، فَصَاحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْقَبْطِ: الْحَقُّوْا حَتَّى إِذَا لَحِقَ آخِرُهُمْ وَكَادَ أَوَّلُهُمْ أَنْ يَخْرُجَ.. التَّقَى الْبَحْرَ عَلَيْهِمْ، فَغَرَقُوا، فَجَرَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ وَقَالُوا: يَا مُوسَى؛ ادْعِ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ لَنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، فَلَفِظَهُمُ الْبَحْرُ إِلَى السَّاحِلِ، فَأَصَابُوا مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا.

قوله: ﴿لَا تَخَفُ﴾ العامة - ما عدا حمزة وحده - على الرفع، وعليه: فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو حال من فاعل (اضرب) أي: اضرب لهم طريقاً حال كونك غير

(١) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل بعدها من: سري، والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من: أسرى. انظر «السراج المنير» (٢/٤٧٥).

(٢) خبر عَجُوزَ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٧٢٣) عَنْ سَيْدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِيٰ
إِسْرَءِيلَ ۚ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ ۖ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ۖ

(٧٨ - ٧٩) ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم، ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾: فأغرقهم. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾: بل أوقعهم في الهلاك، خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكَ إِلَّا سَبِيلَ الرِّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَبْنِيٰ إِسْرَءِيلَ ۚ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾: فرعون بإغراقه، ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: فنؤتي موسى التوراة للعمل بها،

حاشية الصاوي

خائف، وقرأ حمزة بالجزم على أن (لا) نافية، و(تخف): مجزوم بها، وقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ هو بالألف باتفاق القراء؛ فعلى رفع (لا تخاف) العطف ظاهر، وعلى الجزم فيكون قوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ معطوفاً على (لا تخف) مجزوماً، وعلامة جزمه حذف الألف، والألف الموجودة للإشباع، أتى بها موافقةً للفواصل ورؤوس الآي^(١).

قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي: بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش، فجمعوا جيوشاً كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبع مئة ألف فضلاً عن الجناحين والقلب والساقة.

قوله: ﴿بِجُنُودِهِ﴾: الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿فِرْعَوْنُ﴾.

قوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علاهم وغمرهم من الأمر الهائل ما لا يبلغ كُنْهَهُ أحدٌ.

قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: إخبار عن حاله قبل الغرق.

قوله: (خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكَ إِلَّا سَبِيلَ الرِّشَادِ﴾) أي: إنه مخالف له، فهو تكذيب لفرعون في قوله.

قوله: ﴿قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾... إلخ) قدّم أولاً نعمة الإنجاء، ثم النعمة الدنيوية، ثم الدنيوية، فهو ترتيب في غاية الحسن.

قوله: (فنؤتي موسى التوراة) جوابٌ عما يقال: إنَّ المواعدة كانت لموسى، لا لهم؛ فكيف

(١) وقيل: مجزوم بحذف الحركة تقديراً؛ كقوله:

إذا العَجُورُ غَضِبَتْ فَطَلَّقَ ولا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلُقْ

ومنه: ﴿فَلَا تَنْتَهِ﴾ في أحد القولين؛ إجراءً لحرف العلة مُجرى الحرف الصحيح. انظر «الدر المصون» (٨/ ٨٣).

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الَمْنَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُم ۖ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الَمْنَ وَالسَّلَوى﴾ هما الترنجبین والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبى ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبى موسى عليه السلام توطئة لقوله تعالى لهم:

﴿٨١﴾ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُم﴾ أي: المُنعم به عليكم، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ - بكسر الحاء أي: يجب، ويضمها أي: ينزل - ﴿وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ - بكسر اللام وضمها - ﴿فَقَدْ هَوَى﴾: سقط في النار.

حاشية الصاوي

أضيفت لهم؟ وأجيب أيضاً: بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلاً، فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار.

قوله: (هما الترنجبين) هو شيء حلوا أبيض مثل الثلج، كان ينزل عليهم في التيه من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع.

قوله: (والطير السمانى) أي: فكان ريح الجنوب يأتيهم به، فيذبح الرجل منهم ما يكفيه، وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر.

قوله: (والمنادى من وجد من اليهود... إلخ) هذا أحد قولين، وقيل: المخاطب من كان في عهد موسى.

قوله: (توطئة) أي: تمهيداً.

قوله: ﴿مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُم﴾ أي: لذائذه وحلاياه.

قوله: (بأن تكفروا النعمة) أي: بعدم شكرها، وبطركم لها.

قوله: (بكسر الحاء... إلخ) أي: ففي كل قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (سقط في النار) أي: على سبيل الخلود.

(١) قرأ العامة «فيحل» بكسر الحاء، واللام من «يحلل»، والكسائي في آخرين بضمهما. انظر «الدر المصون» (٨/٨٦).

وَلِيَّ لَفْقَارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ

﴿٨٢﴾ وَلِيَّ لَفْقَارٍ لِّمَن تَابَ ﴿﴾ مِنَ الشُّرْكِ ﴿﴾ وَءَامَنَ ﴿﴾: وَحَدَّ اللهُ، ﴿﴾ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿﴾ يَصْدُقُ بِالْفَرْضِ وَالنَّفْلِ، ﴿﴾ ثُمَّ اهْتَدَى ﴿﴾ بِاسْتِمْرَارِهِ عَلَى مَا ذُكِرَ إِلَى مَوْتِهِ.

﴿٨٣﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ ﴿﴾ لِمَجِيءِ مِيعَادِ اخْذِ التَّوْرَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (يصدق بالفرض والنفل) أي: العمل الصالح يشمل كلا منهما.

قوله: (باستمراره على ما ذكر إلى موته) أي: بأن يدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، وهو جوابٌ عمّا يقال: ما فائدة ذكر الاهتداء آخرًا مع أنه داخل في عموم قوله: ﴿﴾ وَءَامَنَ ﴿﴾؟ فأفاد المفسّر: أنّ النجاة التامة والمغفرة الشاملة لِمَن حصلت منه التوبة والأعمال الصالحة ثم استمرّ عليها إلى أن لقي مولاه.

قوله: ﴿﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسِي ﴿﴾ (ما): استفهامية مبتدأ، و﴿﴾ أَعْجَلَكَ ﴿﴾: خبره، و﴿﴾ عَنْ قَوْمِكَ ﴿﴾: متعلق ب﴿﴾ أَعْجَلَكَ ﴿﴾، والمعنى: أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

وحاصل ذلك: أنّ الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوماً، وأتمّها بعشر بعد إغراق فرعون وقومه، يصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها، وأمره تعالى أن يُحضر من قومه سبعين رجلاً يختارهم من بني إسرائيل؛ ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة، فخرج بهم، وخلف هارون على من بقي - وفي رواية: أنه أمر هارون ألا يأتي بهم عند تمام الميقات - فسار موسى بالسبعين، ثم عجل من بينهم تشوّقاً إلى ربّه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى له: ﴿﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ ... ﴿﴾ إلخ. ^(١) والمقصود من سؤال الله لموسى: إعلامه بما حصل من قومه، وإلّا... فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم.

قوله: ﴿﴾ عَنْ قَوْمِكَ ﴿﴾) سياق المفسّر يقتضي أن المراد بهم: جملة بني إسرائيل، وأيّده جماعة من المفسرين.

قوله: (لمجيء ميعاد أخذ التوراة) أي: لمجيئك إلى ميعاد أخذ التوراة.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/١٧١).

يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ
رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا

﴿يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: بِالقُرْبِ مِنِّي يَأْتُونَ ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾
عَنِّي أي: زِيَادَةً عَلَى رِضَاكَ، وَقَبْلَ الْجَوَابِ أَتَى بِالْإِعْتِذَارِ عَلَى حَسَبِ ظَنِّهِ، وَتَخَلَّفَ
الْمَظْنُونُ لَمَّا ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: بَعْدَ فِرَاقِكَ لَهُمْ، ﴿وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ﴾ فَعَبَدُوا الْعِجْلَ.

﴿٨٦﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ مِنْ جِهَتِهِمْ﴾ ﴿أَسِفًا﴾: شَدِيدَ الْحُزَنِ، ﴿قَالَ يَقَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي﴾ ﴿هُمْ﴾: مَبْتَدَأٌ، و﴿أَوْلَاءُ﴾: خَبَرُهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى أَثَرِي﴾ خَبَرُ
بَعْدَ خَبَرٍ.

قوله: (أي: زِيَادَةً عَلَى رِضَاكَ) أي: فَسَارَعْتُ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِكَ؛ طَلِبًا لَزِيَادَةِ رِضَاكَ، لَا لِأَصْلِ
الرِّضَا؛ فَإِنَّهُ حَاصِلٌ، وَطَلِبُهُ لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ.

قوله: (وَقَبْلَ الْجَوَابِ) أي: جَوَابِ السُّؤَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

قوله: (أَتَى بِالْإِعْتِذَارِ) أي: عَنِ سَبْقِهِ لِقَوْمِهِ، وَقَوْلُهُ (بِحَسَبِ ظَنِّهِ) مُتَعَلِّقٌ بِالْإِعْتِذَارِ.

قوله: (وَتَخَلَّفَ الْمَظْنُونُ لَمَّا ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى) أي: ظَهَرَ لِمُوسَى أَنَّ ظَنَّهُ تَخَلَّفَ حِينَ أَخْبَرَهُ اللَّهُ
بَأَنَّ قَوْمَهُ قَدْ عَبَدُوا الْعِجْلَ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْقَوْمِ: جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: (أي: بَعْدَ فِرَاقِكَ لَهُمْ) أي: بَعَثَرِينَ يَوْمًا، وَهَذَا الْإِخْبَارُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ تَمَامِ الْأَرْبَعِينَ.

قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾) اسْمُهُ: مُوسَى بْنُ ظَفَرٍ، مَنْسُوبٌ إِلَى سَامِرَةَ قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
كَانَ مَنَافِقًا وَكَانَ قَدْ رَبَّاهُ جَبْرِيلُ؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا شَرَعَ فِي ذَبْحِ الْوِلْدَانِ.. وَضَعَتْهُ أُمُّهُ فِي حَفْرَةٍ،
فَتَعَهُدَهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يُغَذِّيهِ مِنْ أَصَابِعِهِ الثَّلَاثَةِ، فَيَخْرُجُ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَمِنْ الْأُخْرَى سَمْنٌ،
وَمِنْ الْأُخْرَى عَسَلٌ.

قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى﴾) أي: بَعْدَ أَنْ تَمَّ الْأَرْبَعِينَ وَأَخَذَ التَّوْرَةَ.

أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ

أي: صدقاً أنه يُعْطِيكُم التَّوْرَةَ؟ ﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾: مُدَّةٌ مُفَارَقَتِي إِيَّاكُمْ، ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾: يَجِبُ ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِعِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ، ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ وَتَرَكْتُمْ الْمَجِيءَ بَعْدِي؟

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ - مُثَلَّثُ الْمِيمِ - أي: بِقُدْرَتِنَا أَوْ أَمْرِنَا، ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا﴾ - بَفَتْحِ الْحَاءِ مُخَفَّفًا، وَبِضْمِّهَا وَكَسْرِ الْمِيمِ مُشَدَّدًا - ﴿أَوْزَارًا﴾: أَثْقَالًا ﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: حُلِيِّ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
حاشية الصاوي

روي: أنه لما رجع موسى.. سمع الصياح والضجيج، وكانوا يرقصون حول العجل، فقال لل سبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفِئْتَةِ^(١).

قوله: (أنه يعطيكم التوراة) «أَنْ» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله: ﴿يَعِدُّكُمْ﴾، والْأَوَّلُ الْكَافُ.

قوله: ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المعنى: إن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم.. فلا يليق من العاقل التعرُّض لِغَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ).

قوله: (وتركنتم المجيء بعدي) أي: لأنه وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات، فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل.

قوله: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ (أي: لأننا لو حُلِينَا وَأَنْفُسْنَا.. ما أَخْلَفْنَا، ولكن السَّامِرِيُّ سَوَّلَ لَنَا وَغَلَبَ عَلَى عَقُولِنَا، فَأَطَعْنَاهُ).

قوله: (مثلث الميم) أي: وكلُّها قراءاتٌ سَبْعِيَّاتٌ^(٢).

قوله: (وبضْمُهَا وكسر الميم) أي: فهما قراءتان سَبْعِيَّتَانِ^(٣).

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢٩١/٥).

(٢) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي بضم الميم، ونافع وعاصم بفتحها، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٨٩/٨).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة، وأبو جعفر كذلك إلا أنه خَفَّفَ الميم، والباقون بفتحها خفيفة الميم. انظر «الدر المصون» (٩٠/٨).

فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرُونَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ...

استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم، ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾: طرَحناها في النار بِأمرِ السَّامِرِيِّ، ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما أَلْقَيْنَا ﴿أَتَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حُلِيِّهم ومن التُّراب الَّذِي أَخَذَهُ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي.

﴿٨٨﴾ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صَاغَهُ مِنَ الْحُلِيِّ، ﴿جَسَدًا﴾: لَحْمًا وَدَمًا ﴿لَهُ خُورٌ﴾ أَي: صَوْتُ يُسْمَعُ، أَي: انْقَلَبَ كَذَلِكَ بِسَبَبِ التُّرَابِ الَّذِي أَثَرُهُ الْحَيَاةُ فِيمَا يُوَضَعُ فِيهِ، وَوَضَعُهُ بَعْدَ صَوِّغِهِ فِي فَمِهِ، ﴿فَقَالُوا﴾ أَي: السَّامِرِيُّ وَأَتْبَاعُهُ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ مُوسَى رَبَّهُ هُنَا وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٨٩﴾ ﴿أَفَلَا يَرُونَ أَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ الْعِجْلُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أَي: لَا يَرُدُّ لَهُمْ جَوَابًا، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أَي: دَفَعَهُ ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أَي: جَلَبَهُ أَي: فَكَيْفَ يَتَّخِذُ إِلَهًا؟

حاشية الصاوي

قوله: (استعارها منهم بنو إسرائيل) أي: قبل مَسْخِ أَمْوَالِهِمْ.

قوله: (بعلة عرس) أي: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَظْهَرُوا أَنَّ الْعِلَّةَ فِي اسْتِعَارَتِهَا هُوَ الْعُرْسُ، وَفِي الْوَاقِعِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

قوله: (بأمر السامري) أي: فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا تَأَخَّرَ عَنْكُمْ مُوسَى؛ لَمَّا مَعَكُمْ مِنَ الْأَوْزَارِ، فَالْإِشْرَافُ أَنْ تَحْفَرُوا لَهَا حُفِيرَةً وَتَوْقِدُوا فِيهَا نَارًا وَتَقْدِفُوا فِيهَا؛ لِتَخْلُصُوا مِنْ ذَنْبِهَا.

قوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ هذا من كلام الله تعالى حكايةً عَنِ فِتْنَةِ السَّامِرِيِّ، فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَضْلَمُ السَّامِرِيُّ﴾.

قوله: ﴿جَسَدًا﴾ حال من (العجل)، وَلَا يَقَالُ: جَسَدٌ إِلَّا لِلْحَيَوَانِ، وَلَا يَقَالُ لِغَيْرِهِ: جَسَدٌ إِلَّا لِلزَّعْفَرَانِ وَالْدَّمِ إِذَا بَيَسَ.

قوله: (وأتباعه) أي: الَّذِينَ ضَلُّوا وَصَارُوا يُسَاعِدُونَهُ عَلَى مَنْ تَوَقَّفَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: ﴿أَفَلَا يَرُونَ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

قوله: ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة) أي: فَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ بِالرَّفْعِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾

﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ﴿٩٠﴾ أي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي ﴿٩٠﴾ في عِبَادَتِهِ ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها .
 ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ ﴿٩١﴾ : نزال ﴿عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ على عِبَادَتِهِ مُقِيمِينَ، ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ .

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رُجُوعِهِ: ﴿يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بِعِبَادَتِهِ ﴿أَنْ لَا تَتَّبِعَنِ﴾ - ﴿لَا﴾ زائدة - ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بِإِقَامَتِكَ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ﴾... إلخ) أي: فَصَحَّحَهُمْ هَارُونُ قَبْلَ رُجُوعِ مُوسَى .
 قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾) إنما ذكر هذا الاسم؛ تنبيهاً على أنهم متى تابوا... قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ؛ لأنه هو الرحمن .
 قوله: ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾) غايةً لِعُكُوفِهِمْ بِطَرِيقِ التَّعَلُّلِ وَالتَّسْوِيفِ، لا بِطَرِيقِ الْوَعْدِ وَتَرْكِ عِبَادَتِهِ عِنْدَ رُجُوعِهِ .
 قوله: ﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾) ظَرْفٌ مَنْصُوبٌ بـ ﴿مَنَعَكَ﴾، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ وَقْتَ رُؤْيِكَ ضَلَالَهُمْ؟
 قوله: ﴿لَا﴾ زائدة) أي: لِلتَّأْكِيدِ، والمعنى: مَا مَنَعَكَ مِنْ اتِّبَاعِي فِي الْغَضَبِ لِلَّهِ وَالْمَقَاتِلَةِ لِمَنْ كَفَرَ؟
 قوله: ﴿بِإِقَامَتِكَ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ﴾) أي: وَلَمْ يُبَالِغْ فِي مَنَعِهِمُ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ .

قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ

﴿٩٤﴾ قَالَ هَارُونُ: ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ - بِكسر الميم وفتحها - أراد: أُمِّي، وذكرها أعطفُ لِقَلْبِهِ، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بِشِمَالِهِ، ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذَ شَعْرَهُ بِيَمِينِهِ غَضَبًا، ﴿إِنْ خَشِيتُ﴾ لو اتَّبَعْتُكَ ولا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي جَمْعٌ مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وتغضب عليّ، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تَنْتَظِرُ ﴿قَوْلِي﴾ فيما رَأَيْتَهُ في ذلك.

﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ: شَأْنُكَ الدَّاعِي إِلَى مَا صَنَعْتَ ﴿يُسْمِعُ﴾؟

﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ - بِالْيَاءِ وَالْتَاءِ - أَي: عَلِمْتُ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ، ﴿فَقَبَضْتُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الميم) أي: فحذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها، وقوله: (وفتحها) أي: فحذفت الألف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالة عليها، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أعطف لقلبه) أي: لا لكونه أخاه من أمه فقط؛ فإنَّ الحقَّ أنه شقيقه.

قوله: (وكان أخذ شعره) أي: الرأس.

قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ معطوف على ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ أي: وخشيت عدم ترقبك؛ أي: انتظارك وتأملك في قولي حتى تفهم عذري؛ فالياء في ﴿قَوْلِي﴾ واقعة على هارون، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر. وقيل: إنه معطوف على ﴿فَرَّقْتَ﴾ أي: وخشيت أن تقول: لم ترقب قولي؛ أي: تحفظه وتعمل به؛ فعليه: الياء واقعة على موسى.

قوله: ﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾ بضم الصاد في قراءة العامة؛ من باب: ظَرْفٌ، وقرئ بكسرهما؛ من باب: تَعَبٌ^(٢).

قوله: (بالياء) أي: بنو إسرائيل، وقوله: (والثناء) أي: أنت وقومك، والقراءتان سبعيتان^(٣).

(١) قراءة ابن عامر وشعبة والكسائي بكسر الميم، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (٥١٩/١).

(٢) قرأ الأعمش وأبو السمال: «بَصُرْتُ» بالكسر، «يَبْصُرُوا» بالفتح، وهي لغة. انظر «الدر المصون» (٩٤/٨).

(٣) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (تَبْصُرُوا) خطاباً لموسى وقومه، أو تعظيماً له، والباقون بالغيبة عن قومه. انظر «الدر المصون» (٩٤/٨).

فَبَضَّةٌ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَبَدَّثَهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ فَكَالَ فَادَّهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ

فَبَضَّةٌ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ الرَّسُولِ: جبريل، ﴿فَبَدَّثَهَا﴾: أَلْقَيْتُهَا فِي صُورَةِ الْعِجْلِ الْمُصَاغِ، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لِي نَفْسِي﴾: وَأَلْقَيْتُ فِيهَا أَنْ أَخَذَ فَبَضَّةً مِنْ تُرَابٍ مَا ذُكِرَ وَأَلْقَيْتُهَا عَلَى مَا لَا رُوحَ لَهُ يَصِيرُ لَهُ رُوحٌ، وَرَأَيْتُ قَوْمَكَ طَلَبُوا مِنْكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ إِلَهًا، فَحَدَّثْتَنِي نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْعِجْلُ إِلَهُهُمْ.

﴿٩٧﴾ ﴿فَكَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿فَادَّهَبَ﴾ مِنْ بَيْنِنَا ﴿فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ أَي: مُدَّةَ حَيَاتِكَ ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لِمَنْ رَأَيْتَهُ: ﴿لَا مِسَاسٌ﴾ أَي: لَا تَقْرُبْنِي، فَكَانَ يَهِيمُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَإِذَا مَسَّ أَحَدًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أَي: وَعَرَفَهُ لِسَابِقِ الْأَلْفَةِ، فَلَمَّا جَاءَ جَبْرِيلُ لِيَطْلُبَ مُوسَى إِلَى الْمِيقَاتِ؛ لِأَخْذِ التَّوْرَةِ.. كَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ؛ كَلِمًا وَضَعَتْ حَافِرُهَا عَلَى شَيْءٍ اخْضَرَ، فَعَرَفَ السَّامِرِيُّ أَنَّ لِلتُّرَابِ الَّذِي تَضَعُ الْفَرَسُ حَافِرُهَا عَلَيْهِ شَأْنًا.

قوله: (في صورة العجل) أَي: فِي قِيَمِهِ.

قوله: (المصاغ) صَوَابُهُ: الْمَصْوَغُ؛ كَمَا فِي بَعْضِ النُّسخ^(١).

قوله: (طلبوا منك) أَي: حِينَ جَاوَزُوا الْبَحْرَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ...﴾ الْآيَةُ.

قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ (إِنْ): حَرْفُ تَوْكِيدٍ وَنَصْبٍ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ: خَبَرُهَا مُقَدِّمٌ، وَ﴿أَنْ تَقُولَ﴾: فِي مَحَلِّ نَصْبِ اسْمِهَا مُؤَخَّرٌ، وَالْمَعْنَى: إِنْ هَذَا الْقَوْلُ ثَابِتٌ لَكَ مَا دُمْتَ حَيًّا لَا يَنْفَكُ عَنْكَ، فَكَانَ يَصِيحُ فِي الْبَرِّيَّةِ: لَا مِسَاسَ، وَحَرَّمَ مُوسَى عَلَيْهِمْ مُكَالَمَتَهُ وَمُوَاجَهَتَهُ وَمُبَايَعَتَهُ، وَيُقَالُ: إِنْ قَوْمَهُ بَاقِيَةٌ فِيهِمْ تِلْكَ الْحَالَةُ إِلَى الْآنَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي نَفْيِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْمَعَاصِي، وَهَجْرَانِهِمْ، وَعَدَمِ مَخَالَطَتِهِمْ.

قوله: (فَكَانَ يَهِيمُ فِي الْبَرِّيَّةِ) أَي: مَعَ السَّبَاعِ وَالْوَحُوشِ، يُقَالُ: إِنْ مُوسَى هَمَّ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: لَا تَقْتُلْهُ؛ فَإِنَّهُ سَخِيٌّ^(٢).

(١) وفي «المختار»، مادة (صوغ): (صَاغَ الشَّيْءَ مِنْ بَابٍ: قَالَ).

(٢) انظر «تفسير الثعلبي» (٢٥٨/٦).

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ. وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ

أو مَسَّهُ أَحَدٌ حُمًّا جَمِيعًا، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لِعَذَابِكَ ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ - بِكسر اللام أي: لَنْ تَغِيبَ عَنْهُ، وَبِفَتْحِهَا أي: بَلْ تُبْعَثْ إِلَيْهِ -، ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ - أَصْلُهُ: ظَلَلْتَ بِلامين؛ أُولَاهُمَا مَكْسُورَةٌ حُذِفَتْ تَخْفِيفًا - أي: دُمْتَ ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مُقِيمًا تَعْبُدُهُ، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بِالنَّارِ، ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾: نُذَرِيَّتُهُ فِي هَوَاءِ الْبَحْرِ. وَفَعَلَ مُوسَى بَعْدَ ذَبْحِهِ مَا ذَكَرَهُ.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ - تَمْيِيزُ مُحَوَّلٍ عن الفاعِل - أي: وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

﴿٩٩﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كَمَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد

حاشية الصاوي

قوله: (وبفتحها) أي: هما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾ فلا يبقى له عينٌ ولا أثرٌ.

قوله: (بعد ذبحه) أي: ولما ذبحه.. سال منه الدم.

قوله: ﴿إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ؛ لتحقيق الحقِّ إثرَ إبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة.

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ، ذُكرت تسليّةً له ﷺ، وتكثيراً لمعجزاته، وزيادةً في علم أمّته؛ ليعرفوا أحبابَ الله فيحبّونهم، وأعداءَ الله فيبغضونهم، فيزدادوا رفعةً وشأنًا؛ حيث أطلعوا على سير الأوائل.

قوله: (أي: كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف، تقديره: كَقَصَصْنَا^(٢) هذا الخبرَ الغريبَ نقصٌ عليك... إلخ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام على البناء للفاعل، والباقون بفتحها على البناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٩٨/٨).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (كَقَصَصْنَا)؛ كما هو في «الفتوحات الإلهية» (١٢١/٣).

نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

هَذِهِ الْقِصَّةُ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ﴾: أَخْبَارٍ ﴿مَا قَدْ سَبَقُ﴾: مِنَ الْأَمَمِ، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾:
أَعْطَيْنَاكَ ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾: مِنْ عِنْدِنَا ﴿ذِكْرًا﴾: قُرْآنًا.

(١٠٠ - ١٠١) ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ : حِمْلًا ثَقِيلًا مِنَ الْإِثْمِ . ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي : فِي عَذَابِ الْوِزْرِ ، ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ - تَمْيِيزُ مُفَسِّرٍ لِلضَّمِيرِ فِي (سَاءَ) ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : وَزْرُهُمْ ، وَاللَّامُ لِلْبَيَانِ ، وَيُبَدَلُ مِنْ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ :-

حاشية الصاوى

قوله: (هذه القصة) أَل: للجنس؛ لأنَّ المتقدم ثلاثُ قصص: قصة موسى مع فرعون، ومع بني إسرائيل، ومع السَّامريِّ.

قوله: ﴿ذِكْرًا﴾ سَمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِتَذْكِيرِهِ النَّعْمَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

قوله: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ هذه الجملة في محل نصب صفة لـ ﴿ذِكْرًا﴾.

قوله: (فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالإعراض عنه: الكفرُ به، وإنكارُ كونه من عند الله كلاًّ أو بعضاً.

قوله: (من الإثم) بيانٌ للحمل الثقيل.

قوله: ﴿خَلِّدِينَ فِيهٖ﴾ الجملة في محل نصبٍ على الحال من الضمير في ﴿يَحْمِلْنَ﴾ العائد على (مَنْ) باعتبار معناها، والتقدير: يَحْمِلُونَ الوزر حالاً كونهم مَخْلُودِينَ فِيهٖ.

قوله: (أي: في الوزر) أي: عقابه، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿وَسَاءَ لَمَمٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ (ساء): فعل ماضٍ لإنشاء الذم، والفاعل مُستترٌ عائد على الحمل المفسَّر بقوله: ﴿حِمْلًا﴾، و﴿لَمَمٌ﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بقولٍ محذوف^(١)، و﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ظرف لـ(ساء)، و﴿حِمْلًا﴾: تمييزٌ، والمخصوص بالذم محذوف، قدره المفسَّر بقوله: (وزرهم).

(١) أى: يقال لهم هذا الكلام وفى حقهم. «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١٢١).

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لِّئْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لِّئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

﴿يَوْمَ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: القرن النفخة الثانية، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ غيوتهم مع سواد وجوههم.

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يتسارون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿لِّئْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك أي: ليس كما قالوا، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾: أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لِّئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ﴾ أي: تأمر بالنفخ، وفي قراءة سبعة أيضاً بالياء مع بناء الفعل للمفعول؛ أي: ينفخ إسرافيل^(١).

قوله: (القرن) أي: وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق.

قوله: (النفخة الثانية) أي: لحشر الخلائق.

قوله: ﴿زُرْقًا﴾ حال من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾.

قوله: (مع سواد وجوههم) خصت بالذكر؛ لأنها مظهر القبح والحسن.

قوله: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها؛ لما شاهدوه من الرعب والهول.

قوله: (من الليالي بأيامها) حمل المفسر العشر على الليالي دون الأيام؛ لتجريده من التاء؛ فإنَّ المعدود إذا كان مؤنثاً. جرَّد المعدود من التاء، عكس المذكر.

قوله: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعدلهم رأياً في الدنيا.

قوله: (لما عاينوه في الآخرة من الهول) أي: فنسب ذلك القول لهم؛ لشدة ما عاينوا من الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

(١) قرأ أبو عمرو: (ننفخ) مبتئاً للفاعل بنون العظمة، أسند الفعل إلى الأمر به؛ تعظيماً للمأمور وهو الملك إسرافيل، والباقون بالياء مضمومة مفتوح الفاء على البناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/١٠٣).

وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ

(١٠٥ - ١٠٧) ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ مُنْبَسِطًا صَفْصَفًا: مُستويًا، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾: انخفاضًا، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾: ارتفاعًا.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا تبايعهم أي: لا يقدرُونَ أن لا يتبعوا، ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سكنت

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَسْتَلُونَكَ﴾ (أي: كفار مكة تعنتًا واستهزاء).

قوله: (ثم يطيرها بالرياح) أي: فالمعنى: أنها تذهب بقدرة الله، فلا يبقى لها أثر.

قوله: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ (أي: يتركها، والضمير عائد على الأرض).

قوله: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (حالان من الضمير في (يَذَرُهَا)، والقاع: المستوي الصلب، والصفصف: الأرض الملساء، فهو قريب في المعنى من القاع، فهو توكيد له).

قوله: ﴿عِوَجًا﴾ (تقدم أنَّ العِوَجَ بالكسر في المعاني، وبالفتح في المحسوسات، وما هنا من الثاني، لكن عبّر فيه بالكسر؛ لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعاني).

قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ (أي: فيقبلون من كل جهة).

قوله: (وهو إسرافيل) أي: فيضع الصور على فيه، ويقف على صخرة بيت المقدس، ويقول: يا أيها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة؛ إنَّ الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيقبلون عليه^(١)، وقيل: المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصححه بعضهم^(٢).

قوله: (إلى عرض الرحمن) أي: العرض عليه.

قوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ (أي: لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً، بل يأتون سراعاً).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) من حديث كعب.

(٢) انظر «الفتوحات الإلهية» (١٢٢/٣).

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ

﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

(﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع له، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾: لا يعلمون ذلك.

﴿١١١﴾ ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ﴾: خَضَعَتْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: لجلاله وهيبته.

قوله: ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ مفعول به، وهو استثناء مفرغ.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿مَنْ﴾: مفعول به، وهي واقعة على المشفوع له، أو على الشفيع^(١)، فقول المفسر: (أن يشفع له) أي: أو يشفع في غيره.

قوله: (بأن يقول: لا إله إلا الله) أي: مع عديلتها، وهي: محمد رسول الله، والمعنى: أن كل من مات على الإسلام.. فقد رضي الله قوله، وأذن له أن يشفع في غيره، وأن يشفع غيره فيه.

قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق عموماً.

قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ أي: بما بين أيديهم وما خلفهم.

قوله: (لا يعلمون ذلك) أي: لا تفصيلاً ولا إجمالاً، وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ﴾ (عنا): فعل ماض، والتاء: للتأنيث، و﴿الْوُجُوهُ﴾: فاعل، وأصله: عَنَوْتُ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حُذفت الالتقاء الساكنين، فهو من باب: سما يسمو سُمُوًا، وأما (عَنِي) - ك: رضي - يَعْنِي عَنَاءً.. فهو بمعنى: تعب، وليس مراداً هنا، بل المراد هنا: خَضَعَتْ وَذَلَّتْ.

(١) ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى أحد الوجوه في إعراب (مَنْ)، والثاني: أنه في محل رفع بدلاً من الشفاعة، ولا بد من حذف مضاف تقديره: إلا شفاعة من أذن له، والثالث: أنه منصوب على الاستثناء من الشفاعة بتقدير المضاف المحذوف، وهو استثناء متصل على هذا، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً إذا لم تقدر شيئاً. انظر «الدر المصون» (١٠٧/٨).

لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: الله، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شركاً.
 ﴿١١٢﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: الطَّاعَاتِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بِزِيَادَةِ
 فِي سَيِّئَاتِهِ، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ يَنْقُصُ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

حاشية الصاوي

و(أل) في ﴿الْوُجُوهُ﴾ للاستغراق؛ أي: كل الوجوه، والمراد: أصحابها، وُخِصَّت الوجوه بالذكر؛ لأن الدَّلَّ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ فِيهَا.

قوله: ﴿لِلْحَيِّ﴾ أي: الذي حياته أبدية لا أول لها ولا آخر.

قوله: ﴿الْقَيُّومِ﴾ أي: القائم على كل نفس بما كسبت؛ فيُجازيها على الخير والشر.

قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ الخلائق تنقسم في القيامة قسمين: أهل سعادة، وأهل شقاوة، وكلاهما في خضوع وذُلٍّ لله جلَّ جلاله، لكن أهل السعادة خُضِعَ لهم إجلالاً وهيبه ورغبة في الله، وأهل الشقاوة خُضِعَ لهم رهبة وإشفاقاً من عذاب الله، وبأساً من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمَرُ بِسُبْحَانَ ﴿٢٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ وَوُجُوهٌ يُؤْمَرُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٣٠﴾ تَهْفَأُ فَذُرَّةٌ ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٣٨-٤١].
 قوله: (خسر) أي: ظهر خسرانه.

قوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: تحمَّله وارتكبه، وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدلُّ على أَنَّ أهل الظلم خائبون خاسرون؛ أي: مُعرضون لذلك؛ ففي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(١)؛ فإنَّ الظالم ربما أدَّاه ظُلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فإذا مات على ذلك.. فهو مخلَّد في النار، وإن مات على الإسلام.. فقد نقص عن مراتب المطهَّرين؛ بسبب الزيادة في سيئاته، والنقص من حسناته.

قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ أي: وبِضْدِهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ؛ فالعاصي الظالم يخاف زيادة

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٦٦٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ

﴿١١٣﴾ - مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ - أي: مثل إنزال ما ذُكِرَ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾
أي: الْقُرْآنَ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كَرَّرْنَا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ﴾ الشَّرْكَ، ﴿أَوْ
يُحْدِثُ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بِهَلَاكِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأُمَمِ فَيَعْتَبِرُونَ.
﴿١١٤﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ

حاشية الصاوي

سِيئَاتِهِ ونقص حسناته؛ لما ورد: أنه يُؤخذ من حسناته للمظلوم، فإذا لم يبقَ له حسنات.. طُرِحَ
من سيئات المظلوم عليه^(١).

قوله: (أي: مثل إنزال ما ذكر) أي: الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة.
قوله: (﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾) أي: على لسان جبريل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع.
قوله: (﴿عَرَبِيًّا﴾) أي: بلغة العرب؛ ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر.
قوله: (﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾) أي: التخويف.
قوله: (لعلهم يتقون الشرك) أي: يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية؛ بأن يؤمنوا.
قوله: (﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾) أي: موعظة في القلوب، فينشأ عنها امتثال الأوامر، واجتناب
النواهي.

وتكرار المواعظ في القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده، سيما مع إهمالهم وعدم مُعاجلتهم
بالأخذ؛ ولذلك يُقال للكفار يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾
[فاطر: ٣٧].

قوله: (﴿الْمَلِكُ﴾) أي: النافذ حكمه وأمره.

(١) كما روى الترمذي (٢٤١٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلَسُ؟» قالوا: المفلس
فيما يا رسول الله مَنْ لَا دَرَهْمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قال رسول الله ﷺ: «الْمَفْلَسُ مَنْ أَمْتِيَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ
وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيَقْعَدُ فَيَقْتَصِفُ هَذَا
مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتَصَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا.. أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطَرَحَ
عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ».

الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

الْحَقُّ ﴿١١٤﴾ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: بِقِرَاءَتِهِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: يَفْرُغَ جِبْرِيلُ مِنْ إِبْلَاغِهِ، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: بِالْقُرْآنِ، فَكُلَّمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ زَادَ بِهِ عِلْمُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ المعنى: لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك حتى يقرأه عليك.

وسبب ذلك: أَنَّ جبريل كان يأتي للنبي ﷺ بالقرآن، فيلبس جسمه، ويضعه في قلبه، فيريد النبي ﷺ التعجل والنطق به، فأمره الله ألا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهراً، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ تُرَوِّدُهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿[القيامة: ١٦-١٩]﴾^(١).

والحكمة في تلقي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً: أنه يكون سنةً متبعةً لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يُفْلِحُ من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سرٌّ آخر.

قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: سَلْ رَبَّكَ الاستزادة من العلوم بسبب توالي القرآن؛ فإنها أفضل ما يُسأل وأَعَزُّ ما يُطلَبُ، ومن هنا أُمِرُ المشايخ للمُريدين بتلاوة القرآن والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم، وما دأبوا لم يكملوا. . يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه؛ لتخلص قلوبهم، والحكمة في ذلك: أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن؛ لما في الأثر: «رُبَّ قارئٍ والقرآنَ يلعنه»^(٢)، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طُرُقاً يجاهدون أنفسهم فيها؛ ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارفَ وأخلاقاً، وحينئذ: فليس تركهم القراءة في المبدأ؛ لكون غيره أفضلَ منه، بل لينظفوا أنفسهم للقراءة.

(١) كما رواه البخاري (٧٥٢٤)، ومسلم (٩٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» (٢٧٤/١) من كلام سيدنا أنس بن مالك ؓ، وكون القرآن على حالين من قارئه ثابت في الأحاديث الصحيحة؛ ففي «صحيح مسلم» (٢٢٣): «والقرآن حجة لك أو عليك».

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾

﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴿وَصَيْنَاهُ أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل أكله منها، ﴿فَنَسَى﴾: تَرَكَ عَهْدَنَا، ﴿وَلَمْ يُحْدِ لَهُ عَزْمًا﴾: حَزَمًا وَصَبْرًا عَمَّا نَهَيْنَاهُ عَنْهُ.
﴿١١٦﴾ وَ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وهو أَبُو الْجِنِّ كَانَ يَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ وَيَعْبُدُ اللَّهَ مَعَهُمْ، ﴿إِبْنَ﴾ عن السُّجُود لِآدَمَ، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿١١٧﴾ ﴿فَقُلْنَا يَتَّخِذُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حَوَاءَ - بِالْمَدِّ -، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾: تَتَعَبُ بِالْحَرْثِ وَالزَّرْعِ وَالْحَصْدِ وَالطَّحْنِ وَالْخَبْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وَصَيْنَاهُ أَلَّا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ) أي: نَهَيْنَاهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا، وَحَثَّمْنَا عَلَيْهِ الْأَكْلَ مِنْهَا، فغلب مُرَادُنَا عَلَى أَمْرِنَا.

قوله: (ترك عهدنا) أي: متاؤلاً؛ حيث غلَّطه إبليس بقوله: ﴿هَلْ أَذُكَّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، فظنَّ أَنَّهُ لَا يَحْلِفُ أَحَدٌ بِاللَّهِ كَذِبًا.

قوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ) كُرِّرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي سَبْعِ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ تَعْلِيمًا لِلْعِبَادِ أَمْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَعَظْفُ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَى مَا قَبْلَهَا مِنْ عَظْفِ السَّبَبِ عَلَى الْمَسَبِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ سَبَبٌ فِي عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لِآدَمَ.

قوله: (فَسَجَدُوا) أي: جميعاً، وتقدَّم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه.

قوله: (إِلَّا إِبْلِيسَ) استثناء متصل أو منقطع.

قوله: (كان يصحب الملائكة...) إلخ) توجية للاتصال؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يَعْزُبْ بِهِ (لكن).

قوله: (فَلَا يُخْرِجَنَّكَ) النهي لإبليس صورة، والمراد: نهيهما عن تعاطي أسباب الخروج، فيتسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا.

إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبِعُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

واقْتَصَرَ عَلَى شِقَائِهِ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسْعَى عَلَى زَوْجَتِهِ.

(١١٨ - ١١٩) ﴿إِنَّ لَكَ أُنْثَىٰ ۖ لَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ۚ﴾ وَأَنَّكَ ﴿١١٨﴾ - يَفْتَحِ الهمزة وكسرها، عطف على اسم ﴿إِنَّ﴾ وجملتها - ﴿لَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ﴾ : تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ : لا يحصل لك حرٌّ شمس الضحى لا ينفائ الشمس في الجنة.

﴿١٣٠﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَذَا أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ أَي: الَّتِي يَخْلُدُ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهَا، ﴿وَمَلِكٌ لَا يَمُتُ﴾: لَا يَفْنَى وَهُوَ لَا زَمَ الْخُلْدِ؟

﴿فَأَكَلَا﴾ أي: آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَّتْ لَٰهُمَا سَوْءُ تُهْمَا﴾ أي: ظهرَ لِكُلِّ مِنْهُمَا قُبْلُهُ وَقُبْلُ الْآخَرِ وَدُبُرُهُ، وَسُمِّيَ كُلُّ مِنْهُمَا سَوَاءً لِأَنَّ انْكِشَافَهُ يَسُوءُ صَاحِبَهُ، وَطَلِيقًا بِنِصْفَانِ: أَخَذَا يُلْزِقَانِ

حاشية الصاوى

قوله: (واقصر على شقائه) أي: مع أنَّ النهي لهما معاً.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾... إلخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعري، والظمأ والضحو وإن كان الجوع يُقابل العطش، والعري يقابل الضحو؛ لأنَّ الجوع ذلُّ الباطن، والعري ذلُّ الظاهر، والظمأ حرُّ الباطن، والضحو حرُّ الظاهر، فنفى عن ساكن الجنة ذلَّ الظاهر والباطن، وحرَّ الظاهر والباطن.

قوله: (بفتح الهمزة وكسرهما) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿قَالَ يَتَدَامُّ﴾ بيان لصورة الوسوسة.

فوله: ﴿فَبَدَّتْ لَمَّا سَوَاءَ تِهُمَا﴾ أي: بسبب تساقط حُلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة.

قوله: (يسوء صاحبه) أي: يحزنه.

(١) قرأ نافع وأبو بكر: (وإنك) بكسر الهمزة، والباء قون بفتحها؛ فمن كسر.. فيجوز أن يكون ذلك استئنافاً، وأن يكون نسقاً على (إن) الأولى، ومَنْ فتح.. فلأنه عطف مصدرأ مؤولاً على اسم (إن) الأولى. انظر «الدر المصون» (٨/١١٣).

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَنبَأَ عَلَيْهِ وَهْدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا

﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ لِيَسْتَرَا بِهِ، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ. ﴿١٢٢﴾ ﴿ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾: قَرَّبَهُ ﴿فَأَنبَأَ عَلَيْهِ﴾: قَبْلَ تَوْبَتِهِ، ﴿وَهْدَى﴾: أَي: هَدَاهُ إِلَى الْمُدَاوِمَةِ عَلَى التَّوْبَةِ.

﴿١٢٣﴾ ﴿قَالَ أَهْبِطَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: ورق التين، فصارا يُلْزِقَانِ بعضه ببعض حتى يصير طويلاً عريضاً يصلح للاستتار به.

قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي: وقع فيما نُهي عنه متأولاً؛ حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة، وضلَّ عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة؛ فمَعْصِيته: وقوعه في المخالفة باعتبار الواقع، لا في القصد والنية، بل قصده ونِيَّتُهُ امتثال الأمر، وتجنُّب ما يوجب الخروج، وحينئذٍ: فلا يجوز أن يُطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل، ولا نفْي اسم العصيان عنه؛ لِصَرِيح الآية، وعلى كُلِّ حالٍ فالله عنه راضٍ، وهو مَعْصُوم قبل النبوة وبعدها من كُلِّ ما يُخَالِف أمر الله، هذا هو الحقُّ في تقرير هذا المقام.

واعلم: أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح؛ كما هو معهود في نصوص الشرع، وتسمية الله له في حقِّهم مَعْصِيَةً من باب: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرِئِينَ.

قوله: ﴿بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ تقدَّم أنها الجَنَّةُ، وقيل: التين، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿ثُمَّ اجْنَبَهُ﴾ أي: اصْطَفَاهُ واختاره.

قوله: ﴿قَبْلَ تَوْبَتِهِ﴾ أي: بقوله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ إلخ.

قوله: ﴿إِلَى الْمُدَاوِمَةِ عَلَى التَّوْبَةِ﴾ أي: الاستمرار عليها.

قوله: ﴿قَالَ أَهْبِطَا﴾ أي: قال الله تعالى لآدم وحواء: اهْبِطَا مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ مَكْتَبَهُمَا فِيهَا كَانَ مَعْلَقاً عَلَى عَدَمِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهُمَا بِأَكْلَانِ مِنْهَا، فَهُوَ أَمْرٌ مُبَرَّمٌ، وَالْمَعْلَقُ عَلَى الْمُبَرَّمِ مُبَرَّمٌ، فإِخْرَاجُهُمَا لَيْسَ لِلْغَضَبِ عَلَيْهِمَا، بَلْ لِمَزِيدِ شَرْفِهِمَا وَرَفْعَةِ قَدْرِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا خَرَجَا مِنَ الْجَنَّةِ مُفْرَدَيْنِ، وَيَعُودَانِ إِلَيْهَا بِمِثَّةٍ وَعَشْرِينَ صَفّاً مِنْ أَوْلَادِهِمَا.

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ...

أي: آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتهما ﴿مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿جَمِيعًا بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: من ظلم بعضهم بعضاً، ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المَزِيدَة - ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾: أي: القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾

حاشية الصاوي

إن قلت: ما الحكمة في تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب؟
أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى كريم، ومن عادة الكريم ألا يسلب نعمته عن المنعم عليه إلا بحجة^(١)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].
قوله: (أي آدم وحواء) يحتمل أن (أي) حرف نداء، و(آدم): منادى مبني على الضم في محل نصب، و(حواء): معطوف على (آدم)، ويحتمل أن (أي) حرف تفسير، و(آدم وحواء): تفسير للضمير في (اهبطا).

قوله: (اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية (الأعراف)؛ حيث جمع فيها، وتقدم لنا وجه آخر في التوفيق بينهما: بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية، وعلى هذا: فقوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته.

قوله: (من ظلم بعضهم بعضاً) أي: من أجل ظلم بعضهم بعضاً؛ لما في الحديث: «سألت ربي ألا يسلب علي أمتي عدواً من سوى أنفسها، فاستجاب لي»^(٢).

قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (إن): شرطية مُدْغَمَة في (ما) الزائدة، و﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: فعل الشرط، مبني على الفتح في محل جزم؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و﴿مِنِّي﴾: متعلق ب﴿هُدًى﴾، و﴿هُدًى﴾: فاعل، وقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ...﴾ إلخ (من): شرطية، و﴿اتَّبَعَ﴾: فعل الشرط، وجملة ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ جوابه، وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ...﴾ إلخ جملة شرطية أيضاً، والجملتان في محل جزم جواب الشرط الأول.

قوله: (أي: القرآن) في تفسير (الهدى) و(الذكر) فيما يأتي بالقرآن قصوراً؛ لأن الخطاب مع آدم وذريته، وهُداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل، فالمناسب أن يقول: (أي: كتاب ورسول).

(١) في (أ): (بجنحة).

(٢) رواه الترمذي (٢١٧٥)، والنسائي في «المجتبى» (٢١٦/٣) عن سيدنا خباب بن الأرت رضي الله عنه.

وَلَا يَشْفَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِينَهَا

في الدنيا ﴿وَلَا يَشْفَى﴾ في الآخرة.

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي: القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ - بالتنوين - مصدر بمعنى ضيقة، وفُسرَت في حديثٍ بعذاب الكافر في قبره، ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي: المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾: أي: أعمى البصر.

﴿١٢٥﴾ - ﴿١٢٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث؟ ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِينَهَا﴾: تركتها ولم تؤمن بها،

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين) أي: وصلاً، وإبداله ألفاً وقفاً، وفي قراءة شاذة: (ضنكى) كـ(سكرى) بألف بدل عن التنوين؛ إجراءً للوصل مجرى الوقف.

قوله: (مصدر) أي: وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، بل هو يلفظ واحد للجميع؛ ولذلك لم يقل: ضنكة.

قوله: (بعذاب الكافر في قبره) أي: لما ورد: «أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ولا يزال في العذاب حتى يُبعث»^(١)، وقيل: المراد بالعيشة الضنكى: الحياة فيما يُغضب الله تعالى وإن كان في رخاء ونعمة؛ إذ لا خير في نعمة بعدها النار؛ لما في الحديث: «رُبَّ شهوة ساعية أورثت حزناً طويلاً»^(٢).

قوله: (أي: المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول: (المعرض عن الهدى) لما علمت.

قوله: (أي: أعمى البصر) أي: وذلك في المحشر، فإذا دخل النار. . زال عماه؛ ليرى مقعده في النار وعذابه بها.

قوله: (الأمر كذلك) قد أشار إلى أن ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (تركها ولم تؤمن بها) أي: فالمراد بالنسيان: الإعراض وعدم الإيمان بها، وليس المراد

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٨٨) عن سيدنا ابن الجبير رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَابِتِ رَبِّهِ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل نسيانك آياتنا ﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾: تُتْرَكُ في النَّارِ.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل جزائنا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: أَشْرَكَ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَابِتِ رَبِّهِ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ ﴿وَأَبْقَى﴾: أَدْوَمُ.

﴿١٢٨﴾ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: يَتَبَيَّنُ ﴿لَهُمْ﴾ لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿كَمْ﴾ - خَبَرِيَّةٌ - مَفْعُولٌ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كَثِيراً إِهْلَاكُنَا ﴿قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ، ﴿يَمْشُونَ﴾ - حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿لَهُمْ﴾ - ﴿فِي مَسْكِينَهُمْ﴾: فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا فَيَعْتَبِرُوا؟ - وَمَا ذُكِرَ

حاشية الصاوي

حقيقة النسيان، وحيثُذ: فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أَنَّ مَنْ حفظ القرآن ثم نسيه... يُحْشَرُ يوم القيامة أعمى؛ لأنه أمرٌ اختلف فيه العلماء؛ فمذهب مالك رحمته الله: حفظ الزائد عمّا تصح به الصلاة من القرآن مستحبٌ أكيد ابتداءً ودواماً، فَنَسِيَانُهُ مَكْرُوهٌ، ومذهب الشافعي: نسيان كل حرف منه كبيرة تُكْفَرُ بالتوبة والرجوع لحفظه.

قوله: (أَدْوَمَ) أي: لأنه لا يَنْقُطُ، بخلاف عذاب الدنيا والقبر.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أَعْمُوا فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ؟

قوله: (يَتَبَيَّنُ) أشار بذلك إلى أن ﴿يَهْدِ﴾ فعل لازم، والمعنى: أَعْمُوا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيراً من قبلهم من القرون؟

قوله: (مفعول به) أي: وتمييزها محذوف؛ أي: قرناً، وقوله: ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز.

قوله: (بتكذيب الرسل) الباء: سببية؛ أي: إِنَّ الْإِهْلَاكَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وترك الإيمان بالله ورسوله.

قوله: (وما ذكر) مبتدأ، وقوله: (لا مانع منه) خبره، والمعنى: أَنَّ أَخْذَ الْمَصْدَرِ مِنَ الْفِعْلِ لصحة المعنى... لا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَرْفِ الْمَصْدَرِيِّ، بل يُسَبِّكُ الْمَصْدَرُ مِنَ الْفِعْلِ بِدُونِ سَابِقٍ؛ لِيَتَوَقَّفَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وأما لصحة الإعراب... فلا يكون غالباً إلا بحرفٍ مصدرٍ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

مِنْ أَخَذَ (إهلاك) مِنْ فِعْلِهِ الْخَالِي عَنْ حَرْفِ مَصْدَرِيٍّ لِرِعَايَةِ الْمَعْنَى لَا مَانِعَ مِنْهُ .. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ : لَعِبْرًا ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ : لِذَوِي الْعُقُولِ .

﴿١٢٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴿بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ﴾، ﴿لَكَانَ﴾ الْإِهْلَاكُ ﴿لِزَامًا﴾ : لِإِزْمًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ : مَضْرُوبٌ لَهُمْ، - مَعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي (كَانَ)، وَقَامَ الْفَصْلُ بِخَبَرِهَا مَقَامَ التَّكْيِيدِ ..

حاشية الصاوي

قوله : (لِذَوِي الْعُقُولِ) أَي : السَّالِمَةُ الصَّافِيَّةُ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ .

قوله : ﴿لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ أَي : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى سَبَقَ فِي عِلْمِهِ تَأْخِيرُ الْعَذَابِ الْعَامِّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ إِكْرَامًا لِنَبِيِّهَا ﷺ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَحُلَّ بِهِمْ كَمَا حُلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، فَتَأْخِيرُهُ إِهْمَالٌ لَا إِهْمَالٌ ؛ لِيَتَذَكَّرَ الْكَافِرُ مَا فَاتَهُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ، فَإِنْ تَابَ .. قَبْلَهُ رَبُّهُ .

قوله : (مَعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي «كَانَ») أَي : وَالْمَعْنَى : لَكَانَ الْإِهْلَاكُ وَالْأَجَلُ الْمَعْيَنُ لَهُ لِزَامًا لَهُمْ ؛ أَي : لِإِزْمًا لَهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ : لِإِزْمَيْنِ ؛ لِأَنَّ (لِزَامًا) مُصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَإِنْ كَانَ هُنَا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، وَقَوْلُهُ : (وَقَامَ الْفَصْلُ ... إلخ) أَي : إِنَّ الْعَطْفَ عَلَى ضَمِيرِ الرِّفْعِ الْمُنْفَصِلِ جَائِزٌ إِذَا حَصَلَ الْفَاصِلُ ^(١) بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ أَوْ فَاصِلٍ مَا كَمَا هُنَا، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ ^(٢) : [الرجز]

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلٍ عَطِفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ

أَوْ فَاصِلٍ مَا

وَأَحْسَنَ مِمَّا قَرَّرَهُ الْمَفْسِّرُ : أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُهُ : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿كَلِمَةٌ﴾، وَالْمَعْنَى : وَلَوْلَا كَلِمَةٌ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى، وَهُوَ مُدَّةٌ مَعِيشَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ لَهُمْ .. لَكَانَ الْعَذَابُ الْعَامُّ لِإِزْمًا لَهُمْ .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهَا : الْفَصْلُ .

(٢) «الخلاصة»، بَاب : عَطْفِ النَّسْقِ، (ص ٤٨) .

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿١٣٠﴾ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال، ﴿وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ - حال - أي: مُلتبساً به، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: صلاة الصُّبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر، ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾: صَلِّ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ - عطف على محلٍّ (من آناء) المنصوب - أي: صَلِّ الظُّهر؛ لأنَّ وقتها يدخلُ بزوالِ الشَّمسِ، فهو طَرَف النِّصْف الأوَّل وطَرَف النِّصْف الثَّانِي، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بما تُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: حيث علمت أنَّ تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل هو لازم لهم في القيامة.. فتسلَّ واصبر ولا تنزعج.

قوله: (منسوخ بآية القتال) أي: وعليه فالمراد بقوله: (اصبر): لا تُعاجلهم بالقتال، وقيل: إن الآية محكمة، وعليه: فالمراد بقوله: (اصبر): عدمُ الاضطراب بما صدر منهم من الأذية.

قوله: (صلِّ) إنما سُمِّيَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ صلاةً؛ لاشتِمَالِهَا عليهما، ولأنَّ المقصود من الصلاة: تنزيهُ الله عن كلِّ نقصٍ، والمعنى: لا تشتغل بالدعاء عليهم، بل صَلِّ الصَّلوات الخمسَ. ولمَّا كان الأصلُ في الأمر الوجوب.. حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمرِ بالصلاة.

قوله: (حال) أي: من فاعل (سَبِّحَ)، والباء في ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ للملابسة كما قال المفسر.

قوله: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ جمع (إني) بكسر الهمزة والقصر كـ(مَعَى)، وأصله: أُنَاء بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المعروفة.

قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المراد بالجمع: ما فوق الواحد؛ لأنَّ المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الأول، وأوَّل الثاني.

قوله: (المنصوب) أي: بـ(سَبِّحَ)، والمعنى: صَلِّ في أطراف النهار وهو الوقت الذي يجمع الطرفين، وهو الزوال.

قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ متعلق بـ(سَبِّحَ) أي: سَبِّح في هذه الأوقات لعلك تَرْضَى بذلك، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعرِ بأنه ﷺ حبيبُ ربِّ العالمين، وأفضلُ الخلق أجمعين؛ حيث قال له ربُّهُ: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ولم يقل: (لعلني أَرْضَى عليك) ونحو ذلك، ومن هنا: قوله عليه الصلاة

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى (١٣١)

﴿١٣١﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا : أصنافاً ﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : زينتها وبهجتها، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ : بأن يطغوا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ : في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ : أدوم.

حاشية الصاوي

والسلام : «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، وقول السيدة عائشة رضي الله عنها : (ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك)^(٢)، فصلاته ﷺ مأموراً بها ليرضى هو، لا ليُكفر الله عنه سيئاته، ولا ليرضى عليه، وحينئذ : فلا كلفة عليه فيها؛ لأن فيها شهوة لربه الذي هو قرّة عينه، وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام.

قوله : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ عطف على ﴿فَأَصْبِرْ﴾، أي : لا تنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظراً رغبة، وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد غيره؛ لأن ذلك مُستحيل عليه؛ لما ورد : «أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً»^(٣)، وورد : «لست من الدنيا، وليست الدنيا مني»^(٤).

قوله : (أصنافاً ﴿مِنْهُمْ﴾) أي : الخلق، فالدنيا دائرة في أصناف الخلق؛ فتارة تكون مع الشريف، وتارة مع الوضيع ... وهكذا.

قوله : ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الأحسن : أنه منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿مَتَّعْنَا﴾ بتضمينه معنى (أعطينا)، والأول هو قوله : ﴿أَزْوَاجًا﴾.

قوله : (بأن يطغوا) الباء : سببية؛ أي : نفتنهم بسبب طغيانهم فيه.

قوله : ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي : فعلى الإنسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى، وهو الجنة ونعيمها، ويترك ما يقنى وهو الدنيا، وقسمته الأزلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة.

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٦١ / ٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (٦٧٤٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣٧٥ / ٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾

﴿١٣٢﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ: اصْبِرْ ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ﴾: نَكْلُفُكَ ﴿رِزْقًا﴾ لِنَفْسِكَ وَلَا لِغَيْرِكَ، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾: الْجَنَّةُ ﴿لِلتَّقْوَى﴾: لِأَهْلِهَا.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿يَأْتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ مِمَّا يَقْتَرِحُونَهُ. ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿بَيِّنَةٌ﴾: بَيَانٌ ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ الْمُشْتَمِلِ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَإِهْلَاكِهِمْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أَي: أُمَّتَكَ.

قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أَي: وَأْمُرْهُمْ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أَي: نَحْنُ مَتَكِفِّلُونَ بِرِزْقِكَ، فَتَفَرَّغْ لِمَا كُفِّلَتْ بِهِ وَلَا تَشْتَغَلْ بِمَا تَكْفُلُنَا لَكَ بِهِ، رَوَى: (أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَصَابَ أَهْلَ بَيْتِهِ ضِيقٌ.. أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ) (١).

قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أَي: الْجَمِيلَةُ الْمَحْمُودَةُ لِأَهْلِ التَّقْوَى.

قوله: (أَي: الْمُشْرِكُونَ) أَي: وَهُمْ كَفَّارُ مَكَّةَ.

قوله: (مِمَّا يَقْتَرِحُونَهُ) أَي: يَطْلُبُونَهُ تَعْنَتًا كَمَا تَقَدَّمَ بَعْضُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الْآيَاتِ.

قوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف؛ أَي: أَعْمُوا وَلَمْ تَأْتِهِمْ؟! إلخ.

قوله: (بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ) أَي: فَهُمَا قَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ (٢).

قوله: ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أَي: الْكُتُبِ الْمَتَقَدِّمَةِ، وَالْمَعْنَى: أَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْقُرْآنِ الْمَحْتَوِي عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؟

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٢٩١١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٧٢/١) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ.

(٢) قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ: «تَأْتِهِمْ» بِالنَّائِثِ، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٨/١٢٥).

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

﴿١٣٤﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ: قَبْلَ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ ﴿لَقَالُوا﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَبَّنَا لَوْلَا: هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ﴾ الْمُرْسَلِ بِهَا ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿وَنَخْزَى﴾ فِي جَهَنَّمَ.

﴿١٣٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿كُلُّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: مُنْتَظِرٌ مَا يَأْتِيهِ الْأَمْرُ، ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ﴾: الطَّرِيقِ ﴿السَّوِيِّ﴾: الْمُسْتَقِيمِ، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ كلامٌ مستأنفٌ لِتَقْرِيرِ ما قبله.

قوله: ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا... إلخ﴾ أي: لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر، فقطع الله عُذرهم بإرسال الرسول لهم، ولم يهلكهم قبل مجيئه.

قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ أي: يَحْصِلُ لَنَا الذُّلُّ وَالْهَوَانُ.

قوله: ﴿وَنَخْزَى﴾ أي: نَفْتَضِحُ.

قوله: ﴿ما يَأْتِيهِ الْأَمْرُ﴾ أي: أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ.

قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا.

قوله: ﴿مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: ﴿مَنْ﴾: فِي الْمَوْضَعَيْنِ اسْتِفْهَامِيَّةٌ، وَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مضاف، والتقدير: فَسَتَعْلَمُونَ جَوَابَ مَنْ أَصْحَاب... إلخ، وهو: إِنَّهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ.

قوله: ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ أَشارَ الْمَفْسِّرُ إِلَى وَجْهِ الْمَغَايِرَةِ بَيْنَ الْقَسَمَيْنِ؛ فَأَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ مَنْ لَمْ يَضِلَّ أَصْلًا؛ كَالنَّبِيِّ وَمَنْ أَسْلَمَ صَبِيًّا، وَمَنْ اهْتَدَى هُوَ: مَنْ سَبَقَ لَهُ الْكُفْرُ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ.



﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١)



مَكِّيَّةٌ، وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿أَقْتَرَبَ﴾ : قُرْبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ : أي: أهل مكة مُنْكَرِي البَعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عَنْهُ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عَنْ التَّأَهُبِ لَهُ بِالْإِيمَانِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام

سُمِّيَتْ بذلك؛ لِذِكْرِ قِصَصِ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِيهَا.

قوله: (مَكِّيَّة) أي: نَزَلَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِاتِّفَاقٍ.

قوله: (أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مُرتَّبٌ عَلَى الْخِلَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ هَلْ هُوَ آيَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ آيَتَانِ وَأَوَّلُ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ: ﴿أَفِ لَكُمْ...﴾ إلخ^(١)؟

قوله: (أهل مكة) أشار بذلك إلى أَنَّهُ مِنْ إِطْلَاقِ الْعَامِ وَإِرَادَةِ الْخَاصِّ، وَحَاصِلُ ذَلِكَ: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَالُوا: مُحَمَّدٌ يُهْدِدُنَا بِالْبَعثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَهَذَا بَعِيدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وَوَجْهُ قُرْبِ الْحِسَابِ: أَنَّهُ آتٍ لَا مُحَالَةَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، أَوْ يُقَالُ: إِنَّ قُرْبَهُ بِاعْتِبَارِ مَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ؛ فَإِنَّ مَا بَقِيَ أَقْلٌ مِمَّا مَضَى.

قوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الجملة حالية؛ أي: قُرْبُ حِسَابِهِمْ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ غَافِلُونَ مُعْرِضُونَ غَيْرُ مُتَأَهِّبِينَ لَهُ، وَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَ سَبَبُهَا الرَّدُّ عَلَى كُفَّارِ مَكَّةَ إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِهَا.

(١) فغير الكوفيين بعده آية، والكوفيون يعدُّونه آيتين: الأولى إلى قوله: ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، والثانية أولها: ﴿أَفِ لَكُمْ﴾.

مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَّهِيبَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ
النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
.....

(٢ - ٣) ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ شَيْئاً فَشَيْئاً أَي: لَفْظِ قُرْآنٍ
﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يَسْتَهْزِئُونَ، ﴿لَّهِيبَةً﴾: غَافِلَةً ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: عَنْ مَعْنَاهُ، ﴿وَأَسْرَأَ
النَّجْوَى﴾: الْكَلَامَ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ - ،
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ﴾ هذا في معنى العلة لما قبله، كأنه قال: مُعْرَضُونَ لِأَنَّهُ مَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ ذِكْرٍ... إلخ.

قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَأْتِيهِمْ﴾.

قوله: (أَي: لَفْظِ الْقُرْآنِ) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَقَالُ: كَيْفَ وَصَفَ الذِّكْرَ بِالْحَدُوثِ مَعَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ
الْقُرْآنَ وَهُوَ قَدِيمٌ؟

فأجاب: بَأَنَّ وَصْفَهُ بِالْحَدُوثِ بِاعْتِبَارِ أَلْفَاظِهِ الْمُتَزَلِّةِ عَلَيْنَا، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ الْمَدْلُولِ - وَهُوَ الْوَصْفُ
الْقَائِمُ بِذَاتِهِ تَعَالَى - فَهُوَ قَدِيمٌ، وَأَمَّا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَلْفَاظُ الْحَادِثَةُ.. فَمِنْهَا: مَا هُوَ قَدِيمٌ؛ كَمَدْلُولِ
آيَةِ الْكَرْسِيِّ وَالصِّمْدِيَّةِ، وَمِنْهَا: مَا هُوَ حَادِثٌ؛ كَمَدْلُولِ الْقِصَصِ وَأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِنْهَا:
مَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ؛ كَمَدْلُولِ ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾، وكذا قوله: ﴿لَّهِيبَةً قُلُوبُهُمْ﴾،
والمعنى: مَا يُقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ فِي حَالِ اسْتَهْزَائِهِمْ وَكُونَ قُلُوبِهِمْ غَافِلَةً عَنْ مَعْنَاهُ؛
فَلَا يَسْمَعُونَهُ سَمَاعَ تَدْبِيرٍ وَقَبُولٍ، وَكُلُّ آيَةٍ وَرَدَتْ فِي الْكُفَّارِ.. جَرَّتْ بِذِيلِهَا عَلَى عُصَاةِ الْأُمَّةِ؛
فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَحْذِيرٌ لِمَنْ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ فِي حَالِ لَهْوِهِ وَلَعْبِهِ، وَأَقْبَحُ مِنْهُ مَنْ يَطْرُبُ بِسَمَاعِهِ مِنْ حَيْثُ
اشْتِمَالُهُ عَلَى الْأَنْغَامِ الْمَعْرُوفَةِ، لَا مِنْ حَيْثُ بَلَاغَتُهُ وَمَوَاعِظُهُ وَأَحْكَامُهُ وَكَوْنُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ «أَسْرَأَ النَّجْوَى») أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَسْرَأَ) فَعْلٌ مَاضٍ، وَالْوَاوُ: فَاعِلُهُ،
و﴿النَّجْوَى﴾: مَفْعُولُهُ، وَ﴿الَّذِينَ﴾: بَدَلٌ، وَهَذِهِ إِحْدَى طَرِيقَتَيْنِ لِلنَّحْوِيِّينَ فِي الْفِعْلِ الَّذِي لِحَقَّتْهُ
الْعَلَامَةُ وَأُسْنَدٌ لِلظَّاهِرِ، وَالطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْوَاوَ حَرْفُ عِلَامَةٍ، وَ﴿الَّذِينَ﴾: فَاعِلٌ، وَتُسَمَّى بِلُغَةٍ:
(أَكْلُونِي الْبَرَاغِيثَ)، وَلَمَّا كَانَتْ ضَعِيفَةً لَا يَنْبَغِي حَمْلُ الْآيَةِ عَلَيْهَا.. أَعْرَضَ عَنْهَا الْمَفْسِّرُ.

هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ

﴿هَلْ هَذَا﴾ أي: مُحَمَّدٌ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحرٌ، ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾: تَتَّبِعُونَهُ ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ؟
 ﴿٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا أَسْرَوْهُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِهِ.

﴿٥﴾ ﴿بَلْ﴾ - لِلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرٍ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ - ﴿قَالُوا﴾ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ: هُوَ ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾: أَخْلَاطٌ رَأَاهَا فِي النَّوْمِ، ﴿بَلْ أَفْتَرَاهُ﴾: اخْتَلَقَهُ،
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ بدل من ﴿التَّجَوَّى﴾ مفسرٌ لها؛ أي: فكانوا يتناجون بذلك سرّاً بينهم، ثم يُشيع كلُّ واحدٍ منهم مقالته؛ ليضلَّ غيره.
 قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أي: تَحْضُرُونَهُ وَتَقْبَلُونَهُ.
 قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل (تأتون).
 قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أشار المفسر إلى أنه حال من ﴿الْقَوْلِ﴾ أي: يَعْلَمُ الْقَوْلَ حَالِ كَوْنِ الْقَوْلِ كَائِناً فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

قوله: ﴿لِلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرٍ﴾ أي: فلا تقع (بل) في القرآن إلا للانتقال، لا للإبطال^(١)؛ لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق، وإعراضاً عنه؛ لكونه صدر على وجه الغلط، وتنزّه الله عنه، خلافاً لمن يقول: إنها تأتي للإبطال واستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، ولا دليل في ذلك؛ لأن (بل) فيهما للانتقال عن الإخبار بقولهم إلى الإخبار بالواقع، فتأمل.

قوله: ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدّره المفسر بقوله: (هو)، والجملة: مَقُولُ الْقَوْلِ.

(١) كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى، ووهّبه ابن هشام في «المغني» (ص ١٧٧)، وأول المصنف وغيره ما استدل به ابن هشام رحمه الله تعالى. وانظر «الفتوحات الإلهية» (١١٧/٣).

بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِا بِشَايِعٍ ﴿٥﴾ كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَتَشْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعراً، ﴿فَلْيَأْنِا بِشَايِعٍ﴾ كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ كالناقة والعصا واليد. قال تعالى:

﴿٦﴾ ﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.

﴿٧﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُّوْحِيْ﴾ - وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة، ﴿فَتَشْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي: يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها، وليس المراد بالشعر هنا: خصوص الكلام المقفى الموزون قصداً، بل ما هو أعم.

قوله: ﴿فَلْيَأْنِا بِشَايِعٍ﴾ جواب شرط مقدر، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، بل كان رسولاً كما يزعم.. فليأتنا إلخ.

قوله: ﴿كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ صفة لمصدر محذوف، والتقدير: إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين.

قوله: ﴿مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾: زائدة في الفاعل.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ رد لقولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قوله: ﴿يُّوْحِيْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام، والمعنى: ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك إلا رجالاً من أفراد جنسك متأهلين للإرسال.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿فَتَشْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أي: المطلعين على أحوال الرسل الماضية؛ فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال.

(١) قرأ حفص: «نوحى» بنون العظمة مبنياً للفاعل؛ أي: نوحى نحن، والباقون بالياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول. انظر

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

الْعُلَمَاءُ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿٧﴾ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَهُ، وَأَنْتُمْ إِلَى تَصْدِيقِهِمْ أَقْرَبُ مِنْ تَصْدِيقِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ.

﴿٨﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ ﴿٨﴾ أَي: الرُّسُلَ ﴿جَسَدًا﴾ بِمَعْنَى: أَجْسَادًا ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، بَلْ يَأْكُلُونَهُ، ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿٩﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾ بِإِنْجَائِهِمْ، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾: أَي: الْمُصْذِقِينَ لَهُمْ، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (العلماء بالتوراة والإنجيل) إنما أحالهم عليهم؛ لأنهم كانوا يُرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم، فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه؛ فلا يكذبونهم فيما هم فيه.

قوله: (من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: أقرب من تصديقكم المؤمنين، والمعنى: إذا أخبرهم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك.. صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين؛ لألفيتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ رد لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، والمعنى: لم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أي: ما كثرين على سبيل الخلود في الدنيا، بل يموتون كغيرهم.

قوله: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي: بإهلاك أعدائهم.

قوله: (بإنجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد؛ فلا يرد من قتل من الرسل؛ فإنهم لم يؤمروا بالجهاد.

قوله: ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ أي: المؤمنين الذين أتبعوهم، وقد وقع ذلك لرسول الله ﷺ؛ فإن كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا في حروبه، بل بقوا بعده ومهدوا دينه.

لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ.....

﴿١٠﴾ ﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لِأَنَّهُ بَلَّغْتِكُمْ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فَتُؤْمِنُونَ بِهِ؟

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أَهْلَكْنَا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أَي: أَهْلَهَا.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ كلامٌ مستأنفٌ قُصِدَ به التبكيتُ عليهم، والمعنى: كيف تعرضون عن كتابٍ فيه شرفكم وعزكم؛ لأنه بلسانكم وعلى لغتكم؟! فكان بمقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذي جاء به، وتكونوا أوّل مؤمن به، فأعراضكم عنه دليلٌ على عدم عقلكم. قوله: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: الشاء عليكم بالجميل، أو شرفكم، أو مواظكم. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك؟

قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ (كم): خبرية مفعول مقدّم لـ ﴿قَصَمْنَا﴾، و﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: بيان لـ (كم).

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمقصود من هذه الآية: تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان، والرجوع عن الكفر بأنهم لا يغرّتهم سعة الدنيا عليهم، والتفاخر بالأموال والأولاد، كأن الله يقول لهم: لا تغتروا بذلك؛ فإننا أهلنا كثيراً من أهل القرى الكفار، وما جرى عليهم يجري عليكم.

وأهل القرى؛ قيل: المراد بهم: الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم، وقيل: المراد بهم: أهل قرية باليمن تسمى حضوراً - بوزن: شكوراً - بعث الله عليهم موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب نبياً قبل موسى بن عمران، فكذبوه وقتلوه، فسلب الله عليهم بخت نصر^(١)، فقتل رجالهم، وسبى نساءهم، فلما استمرّ فيهم القتل... هربوا، فقالت لهم الملائكة استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئاً من دُنياكم؛ فإنكم أهل نعمة وغنى، فأتبعهم بخت نصر، وأخذتهم السيوف، ونادى مُنادٍ من جو السماء: يا ثارات الأنبياء، فلمّا رأوا ذلك... أفرّوا بالذنوب حين لم ينفعهم.

(١) بخت نصر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصلاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصر: اسم صنم وجد مطروحاً عنده، فنُسب إليه.

كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْئَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: كَافِرَةٌ، ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا﴾ أي: شَعَرَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يَهْرُبُونَ مُسْرِعِينَ. ﴿١٢﴾ فَقَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اسْتَهِزَاءً: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾: نَعْمَتُمْ ﴿فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْئَلُونَ﴾ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ عَلَى الْعَادَةِ. ﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿قَالُوا يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلَاكُنَا، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِالْكَفْرِ. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الْكَلِمَاتُ ﴿دَعْوُهُمْ﴾: يَدْعُونَ بِهَا وَيُرَدِّدُونَهَا

حاشية الصاوي

فعلى القول الأول: (كم) واقعة على القرى، وعلى الثاني: واقعة على أشخاص تلك القرية. قوله: (أي: شَعَرَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ) بفتح العين بمعنى: عَلِمَ، وَأَمَّا بِالضَّمِّ.. فمعناه: تَكَلَّمَ بِالشَّعْرِ ضِدَّ النَّشْرِ.

قوله: (يهربون) أي: فالركض كناية عن الهرب.

قوله: (استهزاء بهم) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَذْبِ؛ فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مُهْلَكُونَ عن آخرهم؟

فأجاب: بأنَّ هذا القول ليس على حقيقته، بل سُخْرِيَةٌ بِهِمْ عَلَى حَدٍّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله: ﴿وَمَسْكِنِكُمْ﴾ بالجر عطف على (ما).

قوله: (شيئاً من دنياكم) أي: فأنتم أهلُ سَخَاءٍ وَغِنًى، تُعْطُونَ الْفُقَرَاءَ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ وَتَهْكُمٌ بِهِمْ.

قوله: (بالكفر) أي: وقتل موسى.

قوله: ﴿فَمَا زَالَتْ﴾ (ما): نَافِيَةٌ، وَ(زَالَتْ): فَعْلٌ نَاقِصٌ، وَ﴿تِلْكَ﴾: اسْمُهَا، وَ﴿دَعْوُهُمْ﴾:

خبرها.

قوله: (الكلمات) المراد بها قولهم: ﴿يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ أي: كالزَّرْعِ المَحْصُودِ بِالمَنَاجِلِ بِأَنْ قُتِلُوا بِالسَّيْفِ، ﴿خَمِيدِينَ﴾: مَيِّتِينَ كخُمُودِ النَّارِ إِذَا طَفِئَتْ.

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾: عَابِثِينَ، بَلْ دَالِّينَ عَلَى قُدْرَتِنَا وَنَافِعِينَ عِبَادَنَا. ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي: مَا يُلْهَى بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ ﴿لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: مِنْ عِنْدِنَا مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَالْمَلَائِكَةِ، ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذَلِكَ، لَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْهُ فَلَمْ نَرُدْهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: رجالهم، وأما النساء.. فقد سباهم بخت نصر كما تقدّم، وكلام المفسّر يُفيد أنّ هذه الآية حكاية عن أهل حُضُورٍ.

قوله: (كخمود النار) أي: سكونٍ لَهَا بِمَا مَعَ بَقَاءِ حَرِّهَا، وَأَمَّا الهمود.. فهو عبارة عن ذهاب النار بِالْكَلْيَةِ حَتَّى تَصِيرَ رَمَادًا.

قوله: ﴿لِعَيْنٍ﴾ (حال من فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾، وهو محطّ النفي).

قوله: (بل دالّين على قُدْرَتِنَا) ويُسَبِّحُونَا؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمِعُ بِهِمْ﴾.

[الإسراء: ٤٤].

قوله: (ونافعين لعبادنا) أي: وتفصيلُ جِهَاتِ النِّفَعِ بِهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ رَدُّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ الْوَلَدَ وَالزَّوْجَةَ لِلَّهِ.

قوله: ﴿لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾، وَاسْتِثْنَاءُ نَقِيضِ التَّالِيِ يَنْتِجُ نَقِيضَ الْمَقْدَمِ، وَالمَعْنَى: لَوْ تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُنَا بِاتِّخَاذِ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ.. لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا، لَكِنَّا لَمْ نَتَّخِذْهُ فَلَمْ تَتَّعَلِقْ بِهِ إِرَادَتُنَا؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ عَلَيْنَا.

قوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿إِنْ﴾ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ جَوَابُ ﴿لَوْ﴾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً؛ أَيْ: مَا كُنَّا فَاعِلِينَ.

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ أَثْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٨﴾ بَلْ نَقْذِفُ: نَرْمِي ﴿بِالْحَقِّ﴾: الْإِيمَانِ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾: الْكُفْرِ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يُذْهِبُهُ، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: ذَاهِبٌ، وَدَمَغُهُ فِي الْأَصْلِ: أَصَابَ دِمَاعَهُ بِالضَّرْبِ، وَهُوَ مَقْتَلٌ، ﴿وَلَكُمْ﴾: يَا كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿الْوَيْلُ﴾: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾: اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ.

﴿١٩ - ٢٠﴾ ﴿وَلَهُ﴾: تَعَالَى ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُلْكًا، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: أَي: الْمَلَائِكَةُ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ -: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لَا يَعْيُونَ. ﴿يُسَبِّحُونَ أَثْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾: عَنْهُ، فَهُوَ مِنْهُمْ كَالنَّفْسِ مِنَّا لَا يَشْغَلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ (أي: شأنا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل).

قوله: ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (الله به) أشار بذلك إلى أن (ما) موصولة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون مصدرية، والمعنى: ولكم الويل من أجل وصفكم إيَّاه بما لا يليق.

قوله: (أي: الملائكة) عبر عنهم بالعندين؛ إشارة إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة.

قوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (أي: يتكبرون).

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (أي: لا يكلون ولا يتعبون).

قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ أَثْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (المقصود من هذا الإخبار: تحريض المؤمنين على الطاعات، وتبكيث الكفار على تركها؛ لأنَّ العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف، وتركها وصف أهل البعد والخساسة).

قوله: (فهو منهم كالنفس منّا) أي: فهو سجيّة وطبيعة لهم، ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كلّ عن الكفرة ونزول الأرض وتبليغ الأحكام وغير ذلك؛ كما أنّ اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام.

إن قلت: إنّ هذا قياس مع الفارق؛ لأنَّ آلة النفس غير آلة الكلام، وأمّا التسبيح واللعن.. فهما من جنس الكلام، فاجتماعهما محال.

أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

﴿٢١﴾ - بِمَعْنَى (بَل) لِّلانتِقَالِ وَهَمْزَةُ الْإِنْكَارِ - ﴿اتَّخَذُوا إِلَهَةً﴾ كَائِنَةٌ مِّنَ الْأَرْضِ ﴿كَحَجَرٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ﴾ هُمْ أَي: الْإِلَهَةُ ﴿يُنْشِرُونَ﴾ أَي: يُحْيُونَ الْمَوْتَى؟ لَا، وَلَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى.

(﴿٢٢﴾ - ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أَي: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَي: غَيْرُهُ ﴿لَفَسَدَتَا﴾: خَرَجْنَا عَنِ نِظَامِيهِمَا الْمُشَاهِدَ؛

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ الملائكة لهم ألسنة كثيرة؛ بعضها يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِهِ، وبعضها يَلْعَنُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِهِ؛ فَلَا يُقَاسُونَ عَلَى بَنِي آدَمَ.

قوله: (وهَمْزَةُ الْإِنْكَارِ) أَي: وَهُوَ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿هُم يُنْشِرُونَ﴾.

قوله: ﴿هُم يُنْشِرُونَ﴾ أَي: حَيْثُ ادَّعَوْا أَنَّهَا آلِهَةٌ.. لَزِمَهُمْ مَا ذُكِرَ ضَمَنًا وَالتَّزَامًا، وَإِلَّا.. فَهُمْ لَمْ يَدَّعُوا أَنَّهَا تَحْيِي الْمَوْتَى.

قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ﴿لَوْ﴾: حَرْفُ شَرْطٍ، وَ﴿كَانَ﴾: تَامَةٌ فَعَلَ الشَّرْطِ، وَ﴿إِلَهَةٌ﴾: فَاعِلُهَا، وَ﴿فِيهِمَا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿كَانَ﴾، وَ﴿إِلَّا﴾: بِمَعْنَى (غَيْرِ) صِفَةٌ لِّ﴿إِلَهَةٍ﴾ ظَهَرَ إِعْرَابُهَا فِيهَا بَعْدَهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿لَفَسَدَتَا﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ، فَفِعْلُ الشَّرْطِ يُقَالُ لَهُ: الْمَقْدَمُ، وَجَوَابُهُ يُقَالُ لَهُ: التَّالِي، وَاسْتِثْنَاءُ نَقِيضِ التَّالِي يُنتِجُ نَقِيضَ الْمَقْدَمِ، وَالْمَعْنَى: لَكُنْهُمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ.

والجمع في (آلهة) ليس قيداً، وكذلك قوله: ﴿فِيهِمَا﴾، وَإِنَّمَا أَتَى بِذَلِكَ رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ فِي اتِّخَاذِهِمُ الْآلِهَةَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

قوله: (أَي: غَيْرُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (إِلَّا) صِفَةٌ بِمَعْنَى (غَيْرِ)، فَهِيَ اسْمٌ، لَكِنْ لَمْ يَظْهَرْ إِعْرَابُهَا إِلَّا فِيهَا بَعْدَهَا؛ لَكُونِهَا عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَدَاةَ اسْتِثْنَاءٍ؛ لَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، وَلَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلأنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ التَّوْحِيدِ؛ إِذِ التَّقْدِيرُ: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ لَيْسَ فِيهِمُ اللَّهُ.. لَفَسَدَتَا، فَيَقْضِي بِمَفْهُومِهِ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ فِيهِمُ اللَّهُ.. لَمْ تَفْسُدَا، وَهُوَ بَاطِلٌ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَلأنَّ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ يَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا، وَ(آلهة) جَمْعُ مَنْكَرٍ فِي الْإِثْبَاتِ؛ فَلَا عُمُومَ لَهُ، فَلَا يَصِحُّ الْاسْتِثْنَاءُ مِنْهُ.

لَوْجُودِ التَّمَانُعِ بَيْنَهُمْ عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانُعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتِّفَاقِ

حاشية الصاوي

قوله: (لوجود التمانع بينهم) أي: التخالف بين الآلهة، ويسمى الدليل على ذلك: برهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما، وتقريره أن يقال: لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية، وأراد أحدهما إيجاد شيء، والآخر إعدامه؛ فإمّا أن يتم مرادهما معاً، وهو باطل؛ للزوم اجتماع الضدين، أو لا يتم مرادهما معاً، وهو باطل أيضاً؛ للزوم عجز من لا يتم مراده، وعجز من يتم مراده أيضاً؛ لوجود المماثلة بينهما، فبطل التعدد، وثبتت الوحدانية.

وإذا فرض اتفاقهما.. فهو باطل أيضاً؛ لوجود برهان التوارد، وتقريره أن يقال: لو فرض إلهان وأرادا معاً إيجاد شيء؛ فإمّا أن يحصل بإرادتهما معاً، وذلك باطل؛ لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، أو يسبق أحدهما إلى إيجاده؛ فيلزم عليه عجز الآخر، أو تحصيل الحاصل، ويلزم عجز الأول؛ لوجود المماثلة بينهما.

واعلم: أن الدليل على ثبوت وحدانية الله العقل والنقل:

أما النقل: فأيات كثيرة جداً؛ منها: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ الَّذِي يُمَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٦] إلى غير ذلك.

وأما العقل: فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكهذه الآية.

إذا علمت ذلك.. فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق؛ لكون الفساد مرتباً على فرض الاتفاق والاختلاف، وليس إقناعياً بحسب ما يفهمه المخاطب، خلافاً لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة.

وبهذه الآية انتفت الكُوم الخمسة^(١): الكم المتصل في الذات، وهو: التركيب فيها، والكم المنفصل فيها، وهو: النظير فيها، والكم المتصل في الصفات، وهو: التركيب فيها، والكم المنفصل فيها، وهو: النظير، والكم المنفصل في الأفعال، وهو: المشارِكُ له فيها، والمتصل فيها لا يُتَنَقَّى؛ لأنه ثابت؛ لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه.

(١) المراد بالكم هنا: العدد، والكم نوعان: المنفصل، وهو: ما كان في أشياء متباعدة متفاكّة، والمتصل: ضده. انظر

«حاشية الأمير على إتحاف المريد» (ص ٧٣).

فَسُبِّحَنَّ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي

عليه، ﴿فَسُبِّحَنَّ﴾ تنزيهه ﴿اللَّهُ رَبَّ﴾: خالق ﴿الْعَرْشِ﴾: الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: الكفار الله به من الشريك له وغيره. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عن أفعالهم.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ تعالى أي: سواه ﴿ءَالِهَةً﴾ - فيه استفهام توبيخ - ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه، ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي: أممي وهو القرآن، ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله،

حاشية الصاوي

قوله: (الكرسي) الصواب: إبقاء (العرش) على ما هو عليه؛ لأن التحقيق: أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته، والكرسي تحته، وخصَّ العرش بالذكر؛ لأنه أعظم من غيره، فإذا كان الله ربَّ العرش.. كان ربَّ غيره بالأولى.

قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أي: لا يُسْأَلُ عَمَّا يَحْكُمُ فِي عِبَادِهِ؛ من إعلاء وإذلال، وهُدَى وإضلال، وإسعاد وإشقاء؛ لأنه الربُّ الخالق المالك لجميع الأشياء. إذا علمت ذلك.. فلا اعتراض على أفعال الله إمَّا كفرًا أو قريبًا منه.

قوله: ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أي: يقال للخلق: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيدٌ يجب عليهم امتثال أمرٍ مولاهم، وتبيين بهذا أن من يُسأل عن أعماله كعيسى والملائكة.. لا يصلح للالوهية.

قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليلٍ على ألوهيتها.

قوله: (فيه استفهام توبيخ) أي: من حيث إنَّ (أم) بمعنى الهمزة، وسكت عن كونها بمعنى (بل) هنا، والمناسب لما تقدَّم: أنها بمعناها أيضًا.

قوله: (على ذلك) أي: الاتخاذ، كأنَّ الله يقول لهم: نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا؛ فأتوا ببرهان يدلُّ على ثبوت الشريك لنا.

قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ أي: عظمتهم ومُتمسكهم على التوحيد.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ

ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مِمَّا قالوا تعالى عن ذلك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: توحيد الله ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصول إليه.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي﴾ - وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: وحدوني.

﴿٢٦ - ٢٧﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة، ﴿سُبْحَنَهُ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تُنافي الولادة. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله،

حاشية الصاوي

قوله: (ليس في واحد منها) أي: فراجعوها وانظروا؛ هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك.

قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إضرابٌ انتقالي من حاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم لا يميزون الحق والباطل.

قوله: ﴿الْحَقَّ﴾ الكلام على حذف مضاف؛ أي: توحيد الحق.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾... إلخ) تقريرٌ لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة، واجتمعت عليه الرسل.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير عائد على فِرَق من العرب، وهم خزاعة وجُهينة وبنو سلمة؛ حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

قوله: (والعبودية تُنافي الولادة) أي: لأنَّ عبد الإنسان لا يكون ولده، وهذا بحسب المعتاد عندهم.

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء. انظر «السراج المنير» (٢/٥٠٥).

وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى
وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ

﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بعده.

﴿٢٨﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما عَمِلُوا وما هُمْ عَامِلُونَ، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ تعالى أن يُشْفَعَ لَهُ، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعالى ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون.
﴿٢٩﴾ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله أي: غيره، وهو إبليسُ دعا إلى عبادة نفسه وأمرَ بِطاعتِها،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يُخالفونه في القول ولا في العمل.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: فهم يُراقبونه في جميع أحوالهم؛ فلا يُقْلِمُونَ على قولٍ ولا عملٍ بغير مراده؛ لِعلمهم بأنه تعالى محيطٌ بهم.

قوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: كان مؤمناً؛ فلا يُقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أنَّ الله راضٍ عنه، ويقبل شفاعتهم فيه.

قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وَجِلُّون لا يَأْمَنُونَ مكرهه. والإشفاق: الخوف مع الإجلال، ويُرادفه الخشية.

قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾، وهذا على سبيل الفرض والتقدير؛ لأنهم معصومون من الكفر والمعاصي، ويحتمل أنَّ القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر، وكونه من الملائكة.. باعتبار أنه كان بينهم وملحوقاً بهم في العبادة؛ حتى قيل: إنه كان أعبدَهُمْ.

قوله: (دعا إلى عبادة نفسه) أي: لأجل الإضلال والإغواء، ولا مانع من ذلك؛ كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك، ودَعَوَاهُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وكما وقع لبرصيصا العابد؛ حيث أتى له وهو مصلوب، وقال له: اسجد لي وأنا أخلصك^(١) وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله وأيساً من رحمته. إذا علمت ذلك.. فكلام المفسر لا غبار عليه.

(١) ذكر المفسرون قصة العابد برصيصا الطويلة في تفسير سورة (الحشر). انظر «تفسير الخازن» (٤/٢٧٣).

فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾: كما نَجْزِيهِ ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: المُشْرِكِينَ.

﴿٣٠﴾ ﴿أَوَلَمْ﴾ - بِوَاوٍ وَتَرْكُهَا - ﴿يَرِ﴾: يَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا﴾ أي: سَدًّا بِمَعْنَى مَسْدُودَةٍ ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَبْعًا وَالْأَرْضَ سَبْعًا، أَوْ فَتَقُّ السَّمَاءُ أَنْ كَانَتْ لَا تُمِطِرُ فَأَمْطَرَتْ، وَفَتَقُ الْأَرْضُ أَنْ كَانَتْ لَا تُنْبِتُ فَانْبَتَتْ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّابِعِ مِنَ الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: إِيَّاهَا.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا... إلخ.

قوله: (بِوَاوٍ وَدُونِهَا) قراءتان سبعتان^(١).

قوله: ﴿يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروعٌ في ذكر سِتَّةِ أدلةٍ على التوحيد، وأنَّ ما سوى الله مقهورٌ، وهو القاهر فوق عباده.

قوله: ﴿كَانَتْا رَتْقًا﴾ أي: شيئاً واحداً؛ لما روي: (أنَّ الله خلق السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً تَوَسَّطَهَا، فَفَتَقَهَا بِهَا)^(٢)، وقيل: السماوات قطعة واحدة مرتفعة، والأرض قطعة واحدة مُنخفضة، فجعل السماوات سبْعاً، والأرضين سبْعاً، ولكن السماوات طباق، والأرض مختلف فيها؛ قيل: طباق، وقيل: مجاورة لبعضها، كناية عن الأقاليم السبعة. وتقدَّم الجواب عن جمع السماوات وإفراد الأرض: بأن جنس السماوات مختلف، بخلاف الأرض.

قوله: (أَنْ كَانَتْ لَا تَمْطُرُ) بفتح الهمزة: مصدرية؛ أي: كونها لا تمطر، فأَمْطَرَتْ.

قوله: (من الماء) الجار والمجرور: متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ مقدَّم، و(كُلُّ شَيْءٍ): مفعول أول مؤخَّر، والمعنى: ناشئاً ومتسبباً عنه.

(١) قرأ ابن كثير: (ألم ير) من غير واو، والباءون بالواو بين همزة الاستفهام و(لم). انظر «الدر المصون» (١٤٧/٨).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٢٧٤/٦) من كلام كعب.

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: نباتٍ وغيره، أي: فالماء سبب لحياته، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: يتوجيدي؟
 ﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابتٍ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِهِمْ﴾
 وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴿أَيَ﴾: الرَوَاسِيَ ﴿فِجَاجًا﴾: مسالك ﴿سُبُلًا﴾ - بَدَل - أي: طُرُقًا نافذةً واسعة،
 لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿إِلَى﴾ مقاصدهم في الأسفار.
 ﴿٣٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ، ﴿مَحْفُوظًا﴾: عَنْ الْوُقُوعِ،
 وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا ﴿مِنْ﴾ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا فَيَعْلَمُونَ
 أَنَّ خَالِقَهَا لَا شَرِيكَ لَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (نبات وغيره) أي: فالحياة في كل شيء بحسبه؛ فحياة الحيوان: قيام الروح فيه، وحياة
 النبات: بُرُوزُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَخَضِرَتُهُ وَإِثْمَارُهُ.
 قوله: ﴿رَوَاسِيَ﴾ جمع راسية؛ من: رَسَا الشَّيْءُ: إِذَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ.
 قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ (لَا) النَّافِيَةَ؛ لَصَحَّةِ التَّعْلِيلِ؛ أَي: لِأَجْلِ عَدَمِ تَحَرُّكِهَا بِهِمْ؛
 لِأَنَّ تَثْبِيتَهَا بِالْجِبَالِ لِأَجْلِ عَدَمِ التَّحَرُّكِ، لَا لِلتَّحَرُّكِ.
 قوله: (إلى مقاصدهم) أي: الدنيوية والأخروية.
 قوله: (كالسقف للبيت) أي: وهذا ما عليه أهل السنة، وقالت الحكماء: إِنَّ السَّمَاءَ مُحِيطَةٌ
 بِالْأَرْضِ كِإِحَاطَةِ بَيَاضِ الْبَيْضَةِ بِصَفَارِهَا^(١). إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَلَا فِرَارَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.
 قوله: ﴿مَحْفُوظًا﴾: عَنْ الْوُقُوعِ (أي: أَوْ عَنْ الْفَسَادِ وَالْخَلَلِ).
 قوله: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾: الدالّة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله.
 قوله: (من الشمس والقمر) أي: وغيرهما كالنجوم، وارتفاعها من غير عَمَدٍ، ونزول الماء
 منها.

قوله: (لا يتفكرون فيها) أي: مع أنهم لو سُئِلُوا عَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.. لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ.

(١) لا تخالف بين قول أهل السنة والحكماء؛ إذ نظر أهل السنة إلى الظاهر المشاهد، ونظر الحكماء إلى الحقيقة. (ع)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ

﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ - تَنْوِينُهُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ - أي: كُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَتَابِعِهِ وَهُوَ النُّجُومُ، ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي: مُسْتَدِيرٌ كَالطَّاحُونَةِ فِي السَّمَاءِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَسِيرُونَ بِسُرْعَةٍ كَالسَّابِحِ فِي الْمَاءِ، وَلِلتَّشْبِيهِ بِهِ أَتَى بِضَمِيرٍ جَمَعَ مَنْ يَعْقِلُ.

﴿٣٤﴾ وَنَزَلَ لِمَا قَالَ الْكُفَّارُ: إِنَّ مُحَمَّدًا سَيُمُوتُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾: أي: الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ ... إلخ) فيه التفاتٌ من التكلم للغيبة.

قوله: (من الشمس والقمر) بيانٌ للمضاف إليه المحذوف.

قوله: (أي: مستدير كالطاحونة) أي: كهيئة فلك المغزل؛ أي: ثقلته، وقيل: الفلك: السماء التي تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن في البحر، واختلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال؛ قيل: إِنَّ الْفَلَكَ سَاكِنٌ وَالسَّيْرُ لِلْكَوَاكِبِ، وهو الذي يدلُّ عليه لفظ القرآن^(١)، وقيل: إِنَّ الْفَلَكَ مُتَحَرِّكٌ وَالْكَوَاكِبُ مُتَحَرِّكَةٌ، وحركة كلٍّ تدافع حركة الآخر، وقيل: إِنَّ الْفَلَكَ مُتَحَرِّكٌ وَالْكَوَاكِبُ سَاكِنَةٌ، وَلَا يَعْلَمُ الْحَقِيقَةُ إِلَّا اللَّهُ.

واختلف؛ هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء، أو منتهى سيرهما في العالم العلوي وعليه أهل السنة.

قوله: (وللتشبيه به) جوابٌ عما يقال: لِمَ جمعهما بضمير العقلاء؟ فأجاب: بأنه كما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جُمعًا جمعهم.

قوله: (ونزل لما قال الكفار: إِنَّ مُحَمَّدًا سَيُمُوتُ) أي: شماتة به.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: سَبَقَتْ حُكْمَتُنَا بِأَنَّ كُلَّ بَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ، بَلْ وَمِنْ بَعْدِكَ لَا يَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا، بَلْ يَذُوقُ الْمَوْتَ، واقتصر على البشر وإن كان غيره كذلك بدليل ما بعده؛ للردِّ عليهم؛ لكونهم من البشر.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وهذا باعتبار الظاهر المشاهد (ع).

أَفَايُن مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَّخَذُونَكُمْ إِلَّا هُزُوءًا

﴿أَفَايُن مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ فيها؟ لا، - فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري -.
 ﴿٣٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا، ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة، ﴿فِتْنَةً﴾ - مفعول له - أي: لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَّخَذُونَكُمْ﴾: ما ﴿بِتَّخَذُونَكُمْ إِلَّا هُزُوءًا﴾ أي: مهزوءاً به

حاشية الصاوي

قوله: (فالجملة الأخيرة... إلخ) أي: فالهمزة مقدّمة من تأخير؛ لأنّ الاستفهام له الصّدارة، والأصل: أَفَهُمُ الْخَالِدُونَ إِنْ مِتَّ؟!

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: مخلوقة؛ فلا يرد ذات الله تعالى، وهو دليل لما قبله، أعمّ منه وليس معيّناً. وقوله: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم، وهي في غاية الصعوبة جداً، ومثّلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة؛ فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلاً، بل يؤخذ للنار حالاً، غير أنّ المؤمن يتسلّى برؤية ما أعدّ له من النعيم الدائم، والكافر يزداد بالموت عقوبة؛ لرؤيته ما أعدّ له من العذاب المقيم.

قوله: (نختبركم) أي: نعاملكم معاملة المختبر؛ إذ لا يخفى على الله شيء.

قوله: (أتصبرون) راجع للشّر، وقوله: (وتشكرون) راجع للخير؛ فالمرضيّ الكامل يشاهد الأشياء كلّها من الله، فإذا ابتلي بالفقر أو المرض مثلاً.. رضي به وازداد إقبالاً عليه، وإذا أُنعِمَ عليه بالغنى أو الصحة مثلاً.. ازداد شكراً وخوفاً من الله، فهو راضٍ عن الله في الحالتين، وأما الكافر والفاسق.. فيشاهد الأشياء من الخلق؛ فإذا ابتلي.. سخط، وإذا أُنعِمَ عليه.. بطر، فهو مغضوبٌ عليه في الحالتين.

قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: تُردّون فيظهر لكم جزاء أعمالكم؛ إن خيراً.. فخير، وإن شراً.. فشر.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (رأى): بصريّة؛ أي: أبصرَكَ المشركون.

قوله: ﴿بِتَّخَذُونَكُمْ﴾ جواب (إذا)، و(إن): نافية بمعنى (ما) كما قال المفسّر.

أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

يَقُولُونَ: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ﴾ أي: يَعِيبُهَا، ﴿وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ﴾ لَهُمْ هُمْ - تَأْكِيدٌ - ﴿كَافِرُونَ﴾ بِهِ إِذْ قَالُوا: مَا نَعْرِفُهُ.

﴿٣٧﴾ وَنَزَلَ فِي اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: إِنَّهُ لِكَثْرَةِ عَجَلِهِ فِي أَحْوَالِهِ كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (يقولون) قَدَرَهُ؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي...﴾ إلخ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ، والمعنى: يقول بعضهم لِبَعْضٍ فِي حَالِ الْهَزْءِ وَالسَّخَرَةِ: أَهَذَا... إلخ.

قوله: ﴿وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (هم): مَبْتَدَأٌ، ﴿كَافِرُونَ﴾: خَبَرُهُ، و﴿يَذْكُرِ﴾: متعلق به، و﴿هُمْ﴾ الثانية: تَأْكِيدٌ لَفْظِي لِلأَوَّلِ، وَحِينَئِذٍ: فَقَدْ فُصِّلَ بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ بِالْمَوْكَّدِ، وَبَيْنَ الْمَوْكَّدِ وَالْمَوْكَّدِ بِالْمَعْمُولِ. وَإِضَافَةٌ (ذَكَرَ) لَلرَّحْمَنِ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِفَاعِلِهِ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ؛ حَيْثُ قَدَّرَ (لَهُمْ)، وَحِينَئِذٍ: فَالْمَرَادُ بِالذِّكْرِ: إِرْشَادُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنزَالِ الْكُتُبِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِضَافٌ لِمَفْعُولِهِ؛ أَي: ذَكَرَهُمُ الرَّحْمَنُ بِالتَّوْحِيدِ.

قوله: (إِذْ قَالُوا: مَا نَعْرِفُهُ) أَي: الرَّحْمَنُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: (لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ، وَهُوَ مَسِيلَمَةُ الْكَذَّابِ)^(١).

قوله: (فِي اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ) أَي: حَيْثُ قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾ [الأنفال: ٣٢] آيَةً.

قوله: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ (هو): ضِدُّ الْبُطْءِ؛ أَي: السَّرْعَةُ فِي الْأُمُورِ^(٢).

قوله: (أَي: أَنَّهُ لِكَثْرَةِ عَجَلِهِ فِي أَحْوَالِهِ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ؛ حَيْثُ شَبَّهَ الْعَجَلَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ طَبَعَ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ كَالْجَبَلَةِ لَهُ بِالطِّينِ الَّذِي خُلِقَ

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧١٥/٨).

(٢) وقيل: الْعَجَلُ: الطِّينُ بِلُغَةِ جَمِيرٍ، قَالَ شَاعِرُهُمْ:

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مَنِيْبُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

انظر «الكشاف» (١٤٦/٤).

سَأُورِيكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾

﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَتِي﴾ : مَوَاعِيدِي بِالْعَذَابِ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فِيهِ ، فَأَرَاهُمْ الْقَتْلَ يَبْدُرُ .
 (﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بِالْقِيَامَةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ ؟ قَالَ
 تَعَالَى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ : يَدْفَعُونَ ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ
 ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ : يُمْنَعُونَ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ ، وَجَوَابُ (لَوْ) : مَا قَالُوا ذَلِكَ .
 ﴿٤٠﴾ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ الْقِيَامَةُ ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ : تُحَيِّرُهُمْ ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ
 يُنْظَرُونَ﴾ : يُمَهِّلُونَ لِتُوبَةٍ أَوْ مَعْدِرَةٍ .

حاشية الصاوي

منه البشر، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو (خَلَقَ)، والمعنى: أن الإنسان
 جُبِلَ على السرعة في الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع في المضرة ولا يشعر.
 قوله: (مواعيدي بالعذاب) المراد: متعلقاتها، وهي أنواع العذاب في الدنيا كوقعة بدر وغيرها،
 وفي الآخرة كعذاب النار.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: استهزاء واستعجالاً للعذاب.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه، والتقدير: فأتوا به، وهو خطابٌ منهم
 للنبي وأصحابه.

قوله: (قال تعالى) كلامٌ مستأنفٌ لبيان شدة هول ما يستعجلون؛ لجهلهم به.

قوله: ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية.

قوله: (ما قالوا ذلك) قدره؛ إشارة إلى أن جواب (لو) محذوف.

قوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ من قولهم إلى بيان كيفية وقوع العذاب بهم.

قوله: ﴿رَدَّهَا﴾ أي: دفعها.

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلُوكُم بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وَهُوَ الْعَذَابُ، فَكَذَا يَحِيقُ بِمَن اسْتَهْزَأَ بِكَ.

﴿٤٢﴾ قُلْ ﴿﴾ لَّهُمْ: ﴿مَن يَكْلُوكُم﴾: يَحْفَظُكُمْ ﴿بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ؟ أَي: لَا أَحَدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَالْمُخَاطَبُونَ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أَي: الْقُرْآنِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ.

﴿٤٣﴾ ﴿أَمْ﴾ - فِيهَا مَعْنَى الْهَمْزَةِ لِلإِنْكَارِ - أَي: أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَسُوؤُهُمْ ﴿مِن دُونِنَا﴾ أَي: أَلَّهُمْ مَن يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ غَيْرُنَا؟ لَا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أَي: الْإِلَهَةُ ﴿نَصَرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فَلَا يَنْصُرُونَهُمْ ﴿وَلَا هُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارُ ﴿مِنَّا﴾: مِنْ عَذَابِنَا ﴿يُصْحَبُونَ﴾: يُجَارُونَ، يُقَالُ: صَحَبَكَ اللَّهُ أَي: حَفِظَكَ وَأَجَارَكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تسليّة للنبي) أي: حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم.

قوله: (﴿قُلْ مَن يَكْلُوكُم﴾... إلخ) أي: قل يا محمد للمستهزئين القائلين: لا نعرف الرحمن: مَنْ يَحْفَظُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ عَذَابِهِ إِنْ أَرَادَهُ بِكُمْ؟ وَقَدْ أَمَّ اللَّيْلُ؛ لِكثْرَةِ الْآفَاتِ فِيهِ.

قوله: (وَالْمُخَاطَبُونَ لَا يَخَافُونَ... إلخ) توطئة لقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُمْ حَافِظٌ وَلَا مَانِعٌ غَيْرُ الرَّحْمَنِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ ذِكْرِهِ.

قوله: (فيها معنى الهمزة) أي: زيادة على (بل).

قوله: (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم؟!

قوله: (يُجَارُونَ) أي: يُنْقَذُونَ.

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا

﴿٤٤﴾ ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم، ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟ لا، بل النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ.

﴿٤٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِي، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْيَاءِ -
حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ﴾... إلخ) إضرابٌ عما توهَّموه من أنَّ حفظهم وإمدادهم بالنعيم من قبل آلهتهم، بل ما هم فيه من السَّراء والنَّعم والحفظ منَّا استدراجٌ لهم.

قوله: (بالفتح على النبي) أي: وتسليط المسلمين عليهم.

قوله: ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ استفهام توبيخ وتقرير، وفيه معنى الإنكار؛ ولذا قدَّر المفسِّر (لا)، وقوله: (بل النبي وأصحابه) أي: هم الغالبون.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ المقصود من ذلك: توبيخهم على ما وقع منهم؛ حيث أقام لهم الحُجَج والبراهين، فلم يُدْعِنُوا لها.

قوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بالياء المفتوحة ورفع ﴿الصُّمُّ﴾ على الفاعلية، ونصب ﴿الدُّعَاءَ﴾ على المفعولية، وفي قراءة سبعة أيضاً بالتاء المضمومة، وكسر الميم خطابٌ للنبي، و(الصُّمُّ) مفعوله الأول، و(الدُّعَاءُ) مفعوله الثاني^(١).

والمقصود من ذلك: تسليته ﷺ، كأنَّ الله يقول: له أرح قلبك، ولا تعلِّق بهم، وارْضَ بحكم الله فيهم.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: همزة ﴿الدُّعَاءَ﴾ وهمزة ﴿إِذَا﴾.

قوله: (وتسهيل الثانية) فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) وهي قراءة ابن عامر رحمه الله تعالى. انظر «الدر المصون» (٨/١٦١).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، والباقون بتحقيق الهمزتين. انظر «السراج المنير» (٢/٥٠٦).

مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنُوبُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

﴿مَا يُنذِرُونَ﴾ أي: هُمْ لِتَرْكِهِمُ الْعَمَلِ بِمَا سَمِعُوهُ مِنَ الْإِنذَارِ كَالصُّمِّ.
 ﴿٤٦﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ: وَقَعَتْ خَفِيفَةٌ ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ -
 ﴿وَيَلْنَا﴾: هَلَاكْنَا، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِالْإِشْرَاكِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ.
 ﴿٤٧﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (وقعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالمرس والنفع والتاء الدالة على المرة. والنفع في الأصل: هبوب رائحة الشيء، والمعنى: ولئن أصابهم عذاب خفيف.. ليقولنَّ تحسراً وتندماً: يا ويلنا... إلخ، وهو كناية عن كونهم في غاية الضعف والحقارة، ومن كان كذلك.. فلا يُبَالَى به.

قوله: (﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾) هذه الآية آخر خطابات قريش في هذه السورة، والجمع في (الموازن) للتعظيم؛ فإنَّ الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو: جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود، كلُّ كفة قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه: قبل الصراط، كفته اليمنى للحسنات، وهي نيرة عن يمين العرش، وكفته اليسرى للسيئات، وهي مظلمة عن يساره، يأخذ جبريل بعموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل أمينٌ عليه، يحضره الجنُّ والإنسُ، ووقته: بعد الحساب، ولا يكون الوزن في حق كلِّ أحد، بل هو تابع للحساب؛ فمن حوسب.. وُزِنَ أعماله، ومن لا.. فلا.

والحق: أنَّ الكفار تُوزَن أعمالهم السيئة غير الكفر؛ لِيُجَارَوْا عَلَيْهَا بِالْعِقَابِ زِيَادَةً عَلَى عَذَابِ الْكُفْرِ، وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف؛ فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر، فتُوزَن أعمالهم لأجل ذلك، لا لِلنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْكُفْرِ؛ فإنه لا يخفف عنهم ولا ينقطع، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].. فمعناه: نافعا؛ بحيث ينجون من الخلود في النار، وقيل: حسناتهم التي فعلوها يُجَارُونَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا كَصَحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، ولا يجازون عليها في الآخرة أصلاً.

واختلف هل الوزن بصنَجٍ^(١) أو لا؟ واستظهر الأوَّل تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مُقَابَلَةِ

(١) الصَّنَجُ: جمع (صنجة)، وهي: ما يوزن به، قال في «المصباح المنير»، مادة: (سنج): (سنجة الميزان معرب، =

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْفَيْمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْثِيَ بِهَا

الْقِسْطُ: دَوَاتِ الْعَدْلِ ﴿لِيَوْمِ الْفَيْمَةِ﴾ أي: فيه، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ مِنْ نَقْصِ حَسَنَةٍ أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ، ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ الْعَمَلُ ﴿مِثْقَالَ﴾: زَنَةِ ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْثِيَ بِهَا﴾: يَمُوزُونَهَا

حاشية الصاوي

الحسنات؛ فإن رجع أحدهما.. وضع صنج بقدر ما رجع، فَيُنْعَمُ بِقَدْرِهِ أَوْ يَعَذَّبُ بِقَدْرِهِ؛ فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيئات فقط.. وَضِعَتِ الصَّنِجُ فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى.

واختلف أيضاً هل الأعمال تُصَوَّرُ وتوزن؛ فالحسنات تُصَوَّرُ بصورٍ حسنةٍ نورانيةٍ ثم توضع في كِفَّةِ الحسنات، والسيئات تُصَوَّرُ بصورةٍ قبيحةٍ ظلمانيةٍ ثم توضع في كِفَّةِ السيئات^(١)، أو تُوزن الصَّحَافُ، أو توزن الأشخاص؟ ولا مانع من حصول ذلك كله.

قوله: ﴿الْقِسْطُ﴾ أفرد؛ لأنه مصدرٌ وَصِفَ به مبالغةً، أو على حذف مضافٍ.

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ إمَّا مفعول ثانٍ، أو مفعول مطلق^(٢).

قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ إشارةً إلى أن ﴿كَانَ﴾ ناقصة، اسمها: مستتر يعود على العمل، و﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب: خبرها، وفي قراءة سبعة برفعه على أنها تامة^(٣).

قوله: ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ المراد: أقلُّ قليلٍ.

= والجمع: سنجات مثل: سَجْدَةٌ وَسَجْدَاتٌ، وَسِنَجٌ أيضاً مثل: قَصْعَةٌ وَقَصْعٌ، قال الأزهرى: قال الفراء: هي بالسين ولا تقال بالصاد، وعكس ابن السكيت وتبعه ابن قتيبة فقالا: صنجة الميزان بالصاد، ولا يقال بالسين، وفي نسخة من «التهذيب»: سنجة وصنجة، والسين أعرب وأفصح، فهما لغتان، وأما كون السين أفصح.. فلأنَّ الصاد والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية.

(١) قال المصنف رحمه الله في «شرحه على الجوهرة» (ص ٣٨٨): (ولا يقال: إنَّ فيه قلبَ حقائق؛ لأنه مثال، وعلى تسليم أن فيه قلبَ حقائق يقال: الممتنع قلبُ أقسام الحكم العقلي، لا تصيير المعنى جرماً؛ لأنَّ قدرة الله صالحة لذلك؛ فإنه من جملة الممكنات).

(٢) أي: شيئاً من الظلم. «الدر المصون» (٨/ ١٦٥).

(٣) قرأ نافع برفع (مثقال)، على أن (كان) تامة؛ أي: وإن وجد مثقال، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٦٥).

وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيْبٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿٤٨﴾
الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيْبٍ﴾ : مُحْصِيْنَ كُلِّ شَيْءٍ .

﴿٤٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي : التَّوْرَةَ الْفَارِقَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، ﴿وَضِيَآءَ﴾ بِهَا ﴿وَذِكْرًا﴾ أي : عِظَةً بِهَا ﴿لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾ .

﴿٤٩﴾ ﴿الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن النَّاسِ أي : فِي الْخَلَاءِ عَنْهُمْ ، ﴿وَهُمْ مِّنَ
السَّاعَةِ﴾ أي : أَهْوَالِهَا ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي : خَائِفُونَ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيْبٍ﴾ أي : عالمين ، والمقصود منه : التحذير ؛ لأنَّ الإنسان العاقل
إذا عَلِمَ أَنَّ اللهَ تعالى يحاسب مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله . . فإنه يكون على حذرٍ
وخوفٍ منه .

قوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ ،
وَزِيَادَةً فِي عِلْمِ أُمَّتِهِ ، وَذَكَرَ مِنْهَا عَشْرَ قِصَصٍ : الْأُولَى : قِصَّةُ مُوسَى وَهَارُونَ ، الثَّانِيَّةُ : قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ ،
الثَّلَاثَةُ : قِصَّةُ لُوطَ ، الرَّابِعَةُ : قِصَّةُ نُوحَ ، الْخَامِسَةُ : قِصَّةُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ، السَّادِسَةُ : قِصَّةُ أَيُّوبَ ،
السَّابِعَةُ : قِصَّةُ إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذِي الْكِفْلِ ، الثَّامِنَةُ : قِصَّةُ يُونُسَ ، التَّاسِعَةُ : قِصَّةُ زَكَرِيَّا ، الْعَاشِرَةُ :
قِصَّةُ مَرْيَمَ وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى الْجَمِيعِ .

قوله : ﴿وَضِيَآءَ﴾ يَسْتَضَاءُ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ .

قوله : ﴿الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ أي : عَذَابُهُ .

قوله : ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حَالُ مَنْ الْفَاعِلُ فِي ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي : حَالُ كَوْنِهِمْ غَائِبِينَ وَمَنْفَرِدِينَ عَنِ النَّاسِ ،
وَالنَّاسِ فِي ذَلِكَ مَرَاتِبُ :

فَمِنْهُمْ : مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ غَيْرُ ذَاتِقٍ لِّذَلِكَ ، وَهَذَا مَحْجُوبٌ
قَدْ تَقَعَّ مِنْهُ الْمَعَاصِي ، وَمِنْهُمْ : مَنْ يَرِاقِبُ اللَّهَ بِقَلْبِهِ ؛ بِحَيْثُ يَشَاهِدُ أَنَّهُ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ مَطَّلَعٌ
عَلَيْهِ ، وَهَذَا أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْمَقَامُ مَقَامَ الْمِرَاقَبَةِ ، وَمِنْهُمْ : مَنْ يَشَاهِدُ اللَّهَ بِعَيْنِ
بَصِيرَتِهِ ، وَهَذَا أَعْلَى الْمَقَامَاتِ ، وَيُسَمَّى مَقَامَ الْمَشَاهِدَةِ .

قوله : ﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ خَصَّتْ بِالذِّكْرِ ؛ لِكُونِهَا أَعْظَمَ مَا يُخَافُ مِنْهُ .

وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ

﴿٥٠﴾ وَهَذَا: أَي: الْقُرْآنُ ﴿ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ - الِاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّوْبِيخِ -.

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ: أَي: هُدَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ، ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ بِأَنَّهُ أَهْلٌ لِذَلِكَ.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: الْأَصْنَامُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾: أَي: كَثِيرُ الْخَيْرِ.

قوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: الْخُطَابُ لِأَهْلِ مَكَّةَ؛ تَقْرِيعاً لَهُمْ؛ أَي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ تَذَكِيرُكُمْ، وَفِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ لَا يَلِيقُ مِنْكُمْ إِنْكَارُهُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِ.

قوله: (أَي: هُدَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ) الْمُرَادُ بِالْهُدَى: الْإِهْتِدَاءُ لِصَلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّرْبِ وَهُوَ صَغِيرٌ^(١)، وَتَفَكَّرَ وَاسْتَدَلَّ بِالْكَوَاكِبِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ النُّبُوَّةُ، وَقِيلَ: مِنْ قَبْلِ مُوسَى وَهَارُونَ، وَعَلَيْهِ: فَالْمُرَادُ بِ(الرُّشْدِ): النُّبُوَّةُ، فَتَحَصَّلَ: أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (قَبْلُ) قَبْلَ الْبُلُوغِ. . فَالْمُرَادُ بِ(الرُّشْدِ): الْإِهْتِدَاءُ لِصَلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلِيًّا جَاهِلًا بِمَعْرِفَتِهِ فَضْلًا عَنْ نَبِيٍّ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ: قَبْلَ مُوسَى وَهَارُونَ. . فَالْمُرَادُ بِ(الرُّشْدِ): النُّبُوَّةُ وَإِرْشَادُ الْخَلْقِ.

قوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾: أَي: وَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: (آتَيْنَا)، أَوْ لِمَحْذُوفٍ؛ أَي: اذْكُرْ.

قوله: ﴿لِأَبِيهِ﴾: أَي: آزَرَ.

قوله: ﴿التَّمَاثِيلُ﴾: جَمْعُ تَمَثَالٍ، وَهُوَ: الصُّورَةُ الْمَصْنُوعَةُ مِنْ رُخَامٍ أَوْ نَحَاسٍ أَوْ خَشَبٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ صَنْمًا، بَعْضُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ رِصَاصٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ نَحَاسٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ حَجَرٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ خَشَبٍ، وَكَانَ كَبِيرَهَا مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلًا بِالْجَوَاهِرِ، فِي عَيْنَيْهِ يَاقُوتَتَانِ مَتَّقِدَتَانِ تَضِيئَانِ بِاللَّيْلِ.

(١) السَّرْبُ: الْحَفِيرُ أَوْ الْبَيْتُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَسَبَبُ جَعْلِهِ فِي السَّرْبِ: أَنَّ النَّمْرُودَ رَأَى رُؤْيَا أَنَّ مَلَكَهُ يَذْهَبُ عَلَى يَدِ مَوْلُودٍ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ، فَلَمَّا حَمَلَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بِهِ وَحَانَ وَضَعُهَا. . ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى سَرَبٍ ظَاهِرِ الْبَلَدِ، فَوُلِدَتْ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَتَرَكْتَهُ. وَانْظُرْ «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٤/٧).

الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَحِثْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّرُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مُقِيمُونَ؟ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فاقْتَدَيْنَا بِهِمْ. ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ بِعِبَادَتِهَا﴾ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ: ﴿بَيِّنٌ﴾. ﴿قَالُوا أَحِثْنَا بِالْحَقِّ﴾ فِي قَوْلِكَ هَذَا، ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فِيهِ؟ ﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿قَالَ بَلْ زَكَّرُكُمْ﴾ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ ﴿رَبُّ﴾: مَالِكُ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾: خَلَقَهُنَّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ الَّذِي قُلْتُهُ ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ بِهِ. ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَاكِفُونَ﴾ عبّر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما، ولم يعبر بالعبادة؛ تحقيراً لهم.

قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا...﴾ إلخ) أجابوا بذلك وإن كان غير موافق لسؤاله بـ(ما)؛ لأنه مأل سؤاله؛ إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره، كأنه قال: ما هي، لأي شيء عبدتموها؟ وحينئذ: فلم يكن لهم جواب إلا التقليد.

قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: لعدم استنادكم إلى دليل.

قوله: ﴿أَحِثْنَا بِالْحَقِّ...﴾ إلخ) لما استبعدوا تضليل آبائهم.. ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب، فقالوا: أصدق ما تقول أم أنت هازل فيه؟!

قوله: ﴿قَالَ بَلْ زَكَّرُكُمْ...﴾ إلخ) إضراب عن قولهم بإقامة البرهان على صدق ما ادّعاء.

قوله: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ أي: على ما ذكرته من كون ربكم رب السماوات والأرض دون ما عداه.

قوله: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: العالمين بالبرهان.

قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية، فلما لم يُفد فيهم الدليل القولي.. عدل إلى الدليل الفعلي وهو الكسر، والمعنى: لأجتهدن في كسرها وأكيدنكم فيها.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا
إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ

﴿٥٨﴾ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مُجْتَمَعِهِمْ فِي يَوْمِ عِيدِ لَهُمْ ﴿جُذَاً﴾ - بِضْمِ الْجِيمِ
وَكَسْرِهَا -: فُتَاتاً بِفَاسٍ، ﴿إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ﴾ عُلِقَ الْفَاسُ فِي عُنُقِهِ، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾
أَي: إِلَى الْكَبِيرِ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فَيَرُونَ مَا فَعَلَ بِغَيْرِهِ.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا﴾ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ وَرُؤْيَيْهِمْ مَا فَعَلَ: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ فِيهِ؟

(٦٠ - ٦١) ﴿قَالُوا﴾ أَي: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بعد ذهابهم إلى مجتمعتهم) أي: وقد ذهب معهم إبراهيم، فلما كان في أثناء الطريق..
ألقي نفسه وقال: إني سقيم، اشتكى رجله، فتركوه ومضوا، ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء
الناس: تالله لا أكيدن أصنامكم، فسمعا الضعفاء، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم
عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام
طعاماً يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه،
فكسرها.

قوله: (بضم الجيم وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بفتحها^(١).

قوله: (بفأس) هو مهموز: الآلة التي يُكسَرُ بها الحجر.

قوله: ﴿إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ﴾ أي: لم يكسره، بل تركه، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يصح أن يعود
على الأصنام، أو على عابديها.

قوله: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ أي: التكسير، و﴿مَنْ﴾ يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، و﴿فَعَلَ هَذَا﴾
خبره، أو موصولة، و﴿فَعَلَ﴾ صلته، و﴿إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خبره.

قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى﴾ القائل: هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا خليفه.

(١) قرأ العامة «جذاذاً» بضم الجيم، والكسائي بكسرها، وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها. انظر «الدر
المصون» (٨/ ١٧٣).

يُقَالُ لَهُ: ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَتَّبِعُهُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا فَتَلَوْهُمْ

أي: يَعِيبُهُمْ ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴿أي: ظاهراً﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عَلَيْهِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا﴾ لَهُ بَعْدَ إِيْتَانِهِ: ﴿ءَأَنْتَ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَتَّبِعُهُ﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ﴾ سَائِكَةً عَنْ فِعْلِهِ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا فَتَلَوْهُمْ﴾ عَنْ فَاعِلِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يَعِيبُهُمْ) أي: ينقصهم ويستهزئ بهم.

قوله: ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ مرفوعٌ على أنه نائب فاعل ﴿يُقَالُ﴾ على إرادة لفظه، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: يقال له إبراهيم فاعل ذلك، أو منادى وحرف النداء محذوف، أو خبر لمحذوف؛ أي: يقال له: هذا إبراهيم^(١).

قوله: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ﴾ القائل لذلك النمروذ.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: لعلَّ الناس يشهدون عليه بفعله؛ بأن يكون أحدٌ من الناس رآه يكسرها.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: بإدخال ألف بينهما وتركه، فتكون القراءات السبعيات خمساً، وحاصله: أن الهمزتين إمَّا محققتان، أو الثانية مسهلة، وفي كلِّ إمَّا بإدخال ألف بينهما، أو لا، فهذه أربع، والخامسة: إبدال الثانية أَلِفًا^(٢).

قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا﴾ اعلم أنَّ هذا من التعريض؛ لأنَّ القاعدة: أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه، وأثبت للعاجز بطريق التحكم به.. لزم انحصاره في الآخر، فهو إشارة لنفسه مضمناً فيه الاستهزاء والتضليل. وقوله: ﴿هَذَا﴾ بدل من ﴿كَبْرُهُمْ﴾، أو نعت له.

(١) وعلى الأوجه الثلاثة فهو مُقْتَطَعٌ من جملة، وتلك الجملة محكية به (يقال).

(٢) جميع القراء على تحقيق الأولى، وأمَّا الثانية فيُسْهَلُها نافع وابن كثير وأبو عمرو، وهشام بخلاف عنه، وأدخل بينهما أَلِفًا قالون وأبو عمرو، والباقون بتحقيقهما وعدم الإدخال بينهما. انظر «السراج المنير» (٢/٥١٠).

إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ، - فيه تقديم جواب الشرط - وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً .

(٦٤ - ٦٥) ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم : ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي : بعبادتكم من لا ينطق . ﴿ثُمَّ نَكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي : ردوا إلى كفرهم وقالوا : والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي : فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

حاشية الصاوي

ورد : أن إبراهيم قال لهم : إن الكبير غضب من إشراككم معه غيره الصغار في العبادة، فكسرهن ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم^(١) .

قوله : ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ أي : إن كانوا ممن يمكن أن ينطق ، وخص النطق بالذكر وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك ؛ لأنه أظهر في تبكيته .

قوله : (فيه تقديم جواب الشرط) أي : وهو قوله : ﴿فَسْتَلُوهُمْ﴾ ، وفيه إشارة إلى أن قوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾ مرتبط بقوله : ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ، والمعنى : بل فعله كبيرهم هذا ؛ إن كانوا ينطقون .. فاسألوهم .

قوله : ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي : إلى عقولهم ، وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة ؛ كيف يصلح أن يكون إلهاً؟!

قوله : ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي : انقلبوا إلى الكفر بعد استقامتهم بالمراجعة . و﴿نَكِسُوا﴾ بالتخفيف مبنياً للمفعول في قراءة العامة ، وفاعل النكس هو الله ؛ كما يشير إليه المفسر ، وقرئ شذوذاً بالتشديد ، وبالتخفيف مبنياً للفاعل^(٢) .

قوله : (أي : ردوا إلى كفرهم) أي : الاستمرار عليه .

قوله : (وقالوا : والله) أشار بذلك إلى أن قوله : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ...﴾ إلخ جواب قسم محذوف .

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/٢٢٩) .

(٢) قرأ أبو حية وابن أبي عبة وابن الجارود وابن مقسم : «نكسوا» بالتشديد ، وقرأ رضوان بن عبد المعبود : «نكسوا» مخففاً مبنياً للفاعل . انظر «الدر المصون» (٨/١٧٩) .

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي: بَدَلَهُ ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ رِزْقٍ وَغَيْرِهِ ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شَيْئًا إِذَا لَمْ تَعْبُدُوهُ.

﴿٦٧﴾ أَفِ لَكُمْ - بِكسر الفاء وفتحها بِمَعْنَى مَصْدَر - أَي: نَتَنَّا وَقُبْحًا ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَلَا تَصْلُحُ لَهَا، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا اللَّهُ تَعَالَى؟

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الفاء) أَي: مع التنوين وتركه، وقوله: (وفتحها) أَي: بترك التنوين، فالقراءات ثلاثٌ سَبْعِيَّاتٌ^(١).

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أَجْهَلْتُمْ فلا تعقلون؟!)

فائدة: ورد في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثَنِينٍ مِنْهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقَوْلُهُ: ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقَوْلُهُ لِسَارَةَ: هَذِهِ أُخْتِي»^(٢) والمعنى: أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ صُورَتُهُ صُورَةُ الْكَذْبِ إِلَّا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَرَادَ سَقِيمَ الْقَلْبِ مِنْ ضَلَالَتِكُمْ، وقَوْلُهُ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ تَبَكَّيْتُ لِقَوْمِهِ، وقَوْلُهُ: (هَذِهِ أُخْتِي) أَي: فِي الدِّينِ وَالْخَلْقَةِ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ صَدُقَ فِي نَفْسِهَا، لَيْسَ فِيهَا كَذِبٌ أَصْلًا، وَمَعْنَى كَوْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ: أَنَّهُمَا مِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَمِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَهَذَا مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ.

(١) قرأ نافع وحفص بتنوين الفاء مكسورة، وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، والباقيون بكسر الفاء من غير تنوين. انظر «السراج المنير» (٥١١/٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٦٢٢١) عن سيدنا أبي هريرة ؓ مختصراً، وليس هذا من الكذب الحقيقي الذي يذمُّ فاعله حاشاً وكلاً، وإنما أطلق عليه الكذب تجوزاً، وهو من باب المعارض المحتملة للأمرين لمقصد شرعي ديني. انظر «إرشاد الساري» (٣٤٧/٥).

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٦٨﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ أَي: إِبْرَاهِيمَ، ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أَي: بِتَحْرِيقِهِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نُصْرَتُهَا، فَجَمَعُوا لَهُ الْحَطَبَ الْكَثِيرَ وَأَضْرَمُوا النَّارَ فِي جَمِيعِهِ، وَأَوْثَقُوا إِبْرَاهِيمَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ القائل ذلك النمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل: رجل من أكراد فارس اسمه هيوب، خسف الله به الأرض، والحكمة في اختياريهم التحريق على غيره من أنواع القتل: أنَّ إِبْرَاهِيمَ بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم، فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة.

قوله: ﴿فَجَمَعُوا لَهُ الْحَطَبَ... إلخ﴾ حاصل القصة في ذلك: أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إِبْرَاهِيمَ.. حبسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها: كوثى، ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر، حتى كان الرجل يمرض فيقول: لئن عُوفيت لأجمعنَّ حطباً لإِبْرَاهِيمَ، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب؛ لئن أصابته لتحطبنَّ في نار إِبْرَاهِيمَ، وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتساباً في دينها، وكان الرجل يُوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، فلما جمعوا ما أرادوا.. أشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً، فاشتعلت النار واشتدَّت، حتى إن كان الطير ليمرُّ فيحترق من شدَّة وهجها وحرِّها، فأوقدوا عليها سبعة أيام.

فلما أرادوا أن يُلقوا إِبْرَاهِيمَ، فلم يعلموا كيف يُلقونه، فقليل: إنَّ إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق، فعملوه، ثمَّ عمدوا إلى إِبْرَاهِيمَ فقيّدوه ورفعوه على رأس البنيان، ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة: أَي رَبَّنَا؛ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ يُلقى في النار وليس في أرضك أحدٌ يعبدك غيره، فأذن لنا في نُصْرَتِهِ، فقال الله تعالى: «إنه خليلي، ليس لي خليلٌ غيره، وأنا الإله ليس له إلهٌ غيري، فإن استغاث بأحدكم أو دَعَاهُ.. فَلْيَنْصُرْهُ فقد أذنتُ له في ذلك، وإن لم يدعُ غيري.. فانا أعلم به، وأنا وليُّه، فخلُّوا بينه وبينني»، فلما أرادوا إلقاءه في النار.. أتاه خازن المياه وقال: إن أردت أنخمدت النار، وأتاه خازن الهواء وقال: إن شئت طيَّرت النار في الهواء، فقال إِبْرَاهِيمَ: «لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل»^(١).

قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

وَجَعَلُوهُ فِي مَنجْنِيقٍ وَرَمَوْهُ فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَلَمْ تُحْرِقْ مِنْهُ غَيْرَ وَثَاقِهِ، وَذَهَبَتْ حَرَارَتُهَا وَبَقِيَتْ إِضَاءَتُهَا،

حاشية الصاوي

روي: أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك»، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم؛ لك حاجة؟ قال: أمّا إليك.. فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: «حسبي من سُؤالي علمه بحالي»^(١).

وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة، وقيل: ابن ست وعشرين سنة، ولما ألقي فيها.. جعل كلُّ شيء يطفئ النار إلا الوزغ؛ فإنه كان ينفخ في النار^(٢)، فَصُمَّ بسبب ذلك، وأمر ﷺ بقتله، وقال: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ.. كُتِبَ لَهُ مِئَةٌ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ»^(٣)، ذكر بعض الحكماء: أَنَّ الْوَزْغَ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ زَعْفَرَانٌ.

وَمُدَّةُ مَكْنَاهُ فِي النَّارِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: خَمْسِينَ يَوْمًا.

قوله: (فِي مَنجْنِيقٍ) آلة ترمى بها الحجارة، فارسي معرَّب؛ لِأَنَّ الْجِيمَ وَالْقَافَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ كَلَامِ الْعَرَبِ.

قوله: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ابردي برداً غير ضارٍّ، ورد: أَنَّهُ لَمَّا أُلْقِيَ فِيهَا.. أَخَذَتْ الْمَلَائِكَةُ بِضَبْعِيهِ، فَأَقْعَدُوهُ عَلَى الْأَرْضِ، فِإِذَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ وَوَرْدٍ أَحْمَرٍ وَنَرَجِسٍ، وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِقَمِيصٍ مِنْ حَرِيرِ الْجَنَّةِ وَطَنْفَسَةٍ^(٤)، فَأَلْبَسَهُ الْقَمِيصَ وَأَقْعَدَهُ عَلَى الطَنْفَسَةِ، وَجَلَسَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ وَيَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ النَّارَ لَا تَضُرُّ أَحِبَّابِي؟» قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «مَا كُنْتُ أَيَّامًا قَطُّ

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٣٠٣/١١) عن سيدنا أبي بن كعب ؓ.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (١٨٩/٥) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٣) رواه مسلم (٥٩٠٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٤) الطنفسة: مثله الطاء والفاء، وبكسر الطاء وفتح الفاء، وبالعكس: واحدة الطنافس للبُسط والثياب. انظر «القاموس المحيط»، مادة: (طنفس).

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا

وَيَقُولُ: ﴿سَلَمًا﴾ سَلِمَ مِنَ الْمَوْتِ بِبَرِّهَا.

(٧٠ - ٧١) ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التَّحْرِيقُ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مُرَادِهِمْ. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابْنُ أَخِيهِ هَارَانَ مِنَ الْعِرَاقِ

حاشية الصاوي

أَنعَمَ مِنِّي مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي كُنْتُ فِي النَّارِ، ثُمَّ نَظَرَ نَمْرُودُ وَأَشْرَفَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ صَرْحٍ لَهُ، فَرَأَاهُ جَالِسًا فِي رَوْضَةٍ وَالْمَلِكُ قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِهِ، فَنَادَاهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ إِنَّ إِلَهَكَ الَّذِي بَلَغْتَ قُدْرَتَهُ أَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّارِ لَكَبِيرٌ؛ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: هَلْ تَخْشَى إِنْ قَمْتُ أَنْ تُضْرَكَ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: قُمْ فَاخْرُجْ مِنْهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي فِيهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ.. قَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتُ مَعَكَ مِثْلَكَ فِي صُورَتِكَ قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ مَلِكُ الظَّلِّ، أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي لِيُؤَنِّسَنِي فِيهَا»، فَقَالَ نَمْرُودُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ إِنِّي مُقَرَّبٌ إِلَى إِلَهِكَ قَرِيبَانًا لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعِزَّتِهِ فِيمَا صَنَعَ لَكَ حِينَ أَبَيْتَ إِلَّا عِبَادَتَهُ وَتَوْحِيدَهُ، وَإِنِّي ذَابِحٌ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ بَقَرَةٍ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِذَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ مَا كُنْتُ عَلَى دِينِكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ وَتَرْجِعَ إِلَى دِينِي»، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ تَرْكَ مُلْكِي، وَلَكِنْ سَوْفَ أَذْبَحُهَا لَهُ، فَذَبَحَهَا لَهُ نَمْرُودُ وَكَفَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

قوله: (ويقوله: «سلاماً... إلخ») أي: ولو لم يقل: ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ لما أحرقت النار أحداً، ولما أوقدت.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي: لأنهم خَسَرُوا السَّعْيَ وَالنَّفَقَةَ فَلَمْ يَحْصُلُوا مَرَادَهُمْ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ بِالْأَخْسَرِينَ: الْهَالِكُونَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْبَعُوضَ، فَأَكَلَتْ لَحُومَهُمْ، وَشَرِبَتْ دِمَاءَهُمْ، وَدَخَلَتْ فِي رَأْسِ النَّمْرُودِ بَعُوضَةٌ فَأَهْلَكَتَهُ.

قوله: (ابن أخيه هاران) أي: الأصغر، وكان له أخٌ ثالث اسمه ناخور، والثلاثة أولاد آزر، وأمَّا هاران الأكبر فهو عمُّ إِبْرَاهِيمَ أَبُو سَارَةَ زَوْجَتِهِ وَقَدْ آمَنَتْ بِهِ.

قوله: (من العراق) أي: وصحب معه لوطاً وسارة، ونزل بخران، فمكث بها، ثم خرج منها حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام، فنزل بالسبع من أرض فلسطين، وترك لوطاً بالمؤتفكة، فَبَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِهَا وَمَا قُرْبَ مِنْهَا.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣٢٨/٥).

إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام، نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم.

﴿٧٢﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: لإبراهيم - وكان سأل ولداً كما ذكر في (الصفات) - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة على المسؤول، أو هو ولد الولد، ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: أنبياء.

﴿٧٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء - يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إِلَى دِينِنَا،

حاشية الصاوي

قوله: (بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة: الدنيوية، وعليه يُحمل ما ورد: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره؟ فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده)^(١) وإلا... فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق.

قوله: (فلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير: قرى بيت المقدس.

قوله: (ولوط بالمؤتفكة) هي: قرى قوم لوط، رفعها جبريل وأسقطها مقلوبةً بأمر من الله.

قوله: (كما ذكر في «الصفات») أي: في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠].

قوله: ﴿نَافِلَةً﴾ حال من (يعقوب) أي: أعطي يعقوب لإبراهيم زيادةً على مطلوبه.

قوله: (وولده) أي: إسحاق ويعقوب.

قوله: (وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدّمت في سورة (براءة)^(٢).

قوله: ﴿يَهْدُونَ النَّاسَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس بوحينا.

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٤٣/١٤) لابن عساكر رحمه الله تعالى.

(٢) انظرها (٧١/٣).

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ ﴿٧٣﴾
وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
سَوْرٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تُفَعَّلَ وتُقَامَ وتُؤْتَى مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ، - وحذف هاء (إقامة) تخفيفً - ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾.

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: فصلاً بَيْنَ الْخُصُومِ ﴿وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمالَ ﴿الْفَبْثِثَ﴾ مِنَ اللُّوَاطِ وَالرَّمِي بِالْبُنْدُقِ وَاللَّعِبِ بِالطُّيُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْرٍ﴾ مَصْدَرُ (سَاءَه) نَقِيضُ: سَرَّهَ ﴿فَاسِقِينَ﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بِأَن أَنْجَيْنَاهُ مِنْ قَوْمِهِ، ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ؛ لأنَّ الصلاةَ أفضلَ العبادات البدنيَّة، والزكاةَ أفضلَ العبادات الماليَّة.

قوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ تقديم الجارِّ والمجرور يفيد الحصر؛ أي: كانوا لنا، لا لغيرنا.

قوله: ﴿وَلَوْطًا﴾ منصوب بفعل مقدَّر يفسره قوله: ﴿آتيناه﴾^(١).

قوله: ﴿فصلاً بين الخصوم﴾ أي: على وجه الحق.

قوله: ﴿وَعِلْمًا﴾ أي: بالشرائع والأحكام.

قوله: ﴿أي: أهلها﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الكلامَ على حذف مضاف، أو فيه مجازٌ عقليٌّ.

قوله: ﴿الأعمال﴾ قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿الْفَبْثِثَ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوف.

قوله: ﴿والرَّمي بالبندق﴾ أي: رمي المارة بالبرام^(٢)، وأما بندق الرصاص.. فلم يحدث

إلا في هذه الأمة.

قوله: ﴿وغير ذلك﴾ أي: كالضراط في المجلس.

قوله: ﴿بأن أنجيناه من قومه﴾ المناسب أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا؛ أي: جئتنا،

وإلاً.. فيلزم عليه التكرار.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: ﴿آتيناه﴾.

(٢) البرام: نحو كُرَّة من الطين تُجفف ويرمى بها بعد يُبْسِها.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَنَصْرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ

﴿٧٦﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ - وما بعده بدل منه -، ﴿إِذْ نَادَى﴾: دَعَا على قومه بقوله:
﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي...﴾. إلخ [نوح: ٢٦] ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق وتكذيب قومه له.
﴿٧٧﴾ ﴿وَنَصْرْنَاهُ﴾: منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته أن لا يصلوا
إليه بسوء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.
﴿٧٨﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما،

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) قدره؛ إشارة إلى أن (نوحاً) منصوب بفعل محذوف، ويُعتَ نوح وهو ابن أربعين
سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين، فجمله عمره ألف وخمسون
سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت.

قوله: (بقوله): ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ...﴾ إلخ) أي: بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك
إلا من قد آمن.

قوله: (الذين في سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم، وقيل: أربعون رجلاً، وأربعون امرأة.

قوله: (منعناه) أشار بذلك إلى أنه ضَمَّنَ (نصر) معنى (منع) حيث عدِّي به (من).

قوله: (أن لا يصلوا إليه) أي: لئلا يصلوا إليه، فهو تعليل لـ (نصرناه).

قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ معمولان لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (اذكر)، وعاش داوود مئة

سنة وبينه وبين موسى خمس مئة وتسعة وستون سنة، وقيل: تسع وسبعون، وعاش ولده سليمان
تسعا وخمسين، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف سنة وسبع مئة سنة.

قوله: (أي: قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (ويبدل منهما) في الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف.

إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾

- وَيُبَدِّل مِنْهُمَا -: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هُوَ زَرْعٌ أَوْ كَرْمٌ، ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أَي: رَعَتْهُ لَيْلًا بِلا رَاعٍ، بِأَن انْفَلَتَتْ، ﴿وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فِيهِ اسْتِعْمَالُ ضَمِيرِ الْجَمْعِ لِاثْنَيْنِ، قَالَ دَاوُدُ: لِصَاحِبِ الْحَرْثِ رِقَابُ الْغَنَمِ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ: يَنْتَفِعُ بِدَرِّهَا وَنَسْلِهَا وَصُوفِهَا إِلَى أَنْ يَعُودَ الْحَرْثُ كَمَا كَانَ بِإِصْلَاحِ صَاحِبِهَا، فِيرُدُّهَا إِلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ عبّر عنه بالمضارع؛ استحضاراً للحال الماضية؛ لغرابتها.

قوله: (هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين، وعلى كل كان قبل تمام نضجه.

قوله: ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ أي: تفرقت وانتشرت فيه، فأفسدته.

قوله: ﴿غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: بعض القوم؛ أي: قوم داوود، وهم أمته.

قوله: ﴿وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا^(١)، فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها.

قوله: (فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أي: بناء على أن أقل الجمع اثنان، ويجاب أيضاً:

بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما.

قوله: (قال داوود: لصاحب الحرث رقاب الغنم) أي: عوضاً عن حرثه، وحاصل تلك القصة:

أن رجلين دخلا على داوود عليه السلام؛ أحدهما: صاحب حرث، والآخر: صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا قد انفلتت غنمه ليلاً، فوقع في حرثي فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً، فأعطاه داوود رقاب الغنم في الحرث، فخرجا فمرّا على سليمان وهو ابن أحد عشر سنة، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما.. لقصيت بغير هذا.

وروي أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داوود، فدعاه، فقال له: بحق النبوة

والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهَيْئَتِهِ يوم أُكِلَ.. دُفع إلى صاحبه، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داوود: القضاء ما قضيت^(٢).

(١) في (أ): (ومرادنا).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/٢٨٥).

فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ

﴿٧٩﴾ ﴿فَفَهَّمْنَهَا﴾ أي: الْحُكُومَةَ ﴿سُلَيْمَنَ﴾ وَحُكْمُهُمَا بِاجْتِهَادٍ، وَرَجَعَ دَاوُدُ إِلَى سُلَيْمَانَ، وَقِيلَ: بِوَحْيٍ وَالثَّانِي نَاسِخٌ لِلأَوَّلِ،

حاشية الصاوي

ومن أحكام داوود وسليمان عليهما السلام: ما روي: (كانت امرأتان معهما ابناهما؛ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داوود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داوود فأخبرتاه، فقال: اتنوني بالسكين أشقّه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى)^(١).

قوله: ﴿فَفَهَّمْنَهَا﴾ أي: فَهَّمْنَاهُ الصَّوَابَ فِيهَا.

قوله: (وَحُكْمُهُمَا بِاجْتِهَادٍ... إلخ) أي: ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدة، ولكن لا يُبْقِيهِمُ اللهُ عَلَيْهِ؛ لِعَصْمَتِهِمْ، وَالْمَجْتَهِدُ مَأْجُورٌ؛ أَخْطَأَ أَوْ أَصَابَ، لَكِنِ الْمَصِيبُ لَهُ أَجْرَانِ، وَالْمَخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

قوله: (وقيل: بوحى) أي: لكلٍّ منهما، وهذا في شريعتهم، وأما في شريعتنا: فمذهب مالك: ما أتلّفته البهائم ليلاً وهي غير معروفة بالعداء ولم تُربط ولم يغلق عليها... فعلى ربّها، وإن زاد على قيمتها... يُقَوِّمُ إِنْ لَمْ يَبْدُ صِلَاحُهُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَإِنْ بَدَأَ صِلَاحُهُ... ضَمَّنَ قِيَمَتَهُ عَلَى الْبَيْتِ، وَأَمَّا مَا أتلّفته نهاراً وهي غير عادية ولم يكن معها راعٍ وسرّحت بعيداً عن المزارع... فلا ضمان على ربّها، وإن كان معها راعٍ أو سرحها ربّها قرب المزارع أو كانت عادية... فعلى ربّها ليلاً أو نهاراً^(٢). ومذهب أبي حنيفة: لا ضمان فيما أتلّفت البهائم ليلاً أو نهاراً إلا أن يكون معها سائق أو قائد^(٣).

ومذهب الشافعي فيه تفصيل؛ فانظره^(٤)، ويمكن تخريج حكم داوود على شريعتنا بأنه رأى أنَّ قيمة الغنم مثل قيمة الحرث، وصاحب الغنم مُفْلِسٌ، فَالْحَكْمُ أَنَّهَا تُعْطَى لِصَاحِبِ الْحَرْثِ.

(١) رواه مسلم (٤٥١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «بُلْغَةُ السَّالِكِ لِأَقْرَبِ الْمَسَالِكِ» (٤/٥٠٧-٥٠٨).

(٣) انظر «حاشية ابن عابدين» (٦/٦٠٧).

(٤) انظر «تحفة المحتاج» (٩/٢٠١).

وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

﴿وَكُلًّا﴾ مِنْهُمَا ﴿ءَاتَيْنَا﴾ هُ ﴿حُكْمًا﴾: نُبُوَّةٌ ﴿وَعِلْمًا﴾ بِأُمُورِ الدِّينِ، ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كَذَلِكَ، سُخَّرَا لِلتَّسْبِيحِ مَعَهُ لِأَمْرِهِ بِهِ إِذَا وَجَدَ فِتْرَةً لِيَنْشَطَ لَهُ، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تَسْخِيرَ تَسْبِيحِهِمَا مَعَهُ وَإِنْ كَانَ عَجَبًا عِنْدَكُمْ، أَي: مُجَاوِبَتَهُ لِلسَّيِّدِ دَاوُدَ. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دفع بذلك ما يُتوهم من قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ﴾ أَنَّ دَاوُدَ ناقص في العلم.

قوله: ﴿وَسَخَرْنَا﴾ أَي: ذَلَّلْنَا.

قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حال من ﴿الْجِبَالَ﴾، وقوله ﴿وَالطَّيْرَ﴾ فيه قراءتان سبعيتان^(١): الرفع، والنصب؛ فالنصب إما على أنه مفعول معه، أو معطوف على ﴿الْجِبَالَ﴾، والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدَّره المفسر بقوله: (كذلك)^(٢). وقدَّم الجبال؛ لكون تَسْبِيحِهَا أَغْرَبَ وَأَعْجَبَ. قوله: (لأمره به إذا وجد فترة) أَي: فكان إذا وجد فترة. أمر الجبال والطير فسبَّحت.

قوله: (وإن كان عجباً عندكم) أَي: مُسْتَغْرِباً، وقد اتفق في هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وأمثاله^(٣).

قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ أَي: وسبب ذلك: أنه مرَّ به ملكان على صورة رجلين، فقال أحدهما للآخر: نِعَمْ الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال، فسأل الله أن يَرْزُقَهُ من كسبه، فألأن الله له الحديد، فكان يَعْمَلُ منه الدروع بغير نار كأنه طينٌ في يده^(٤).

(١) في هامش (أ): (الصواب: إسقاط قوله: «قراءتان سبعيتان»، ولعله فيه لغتان من جهة العربية؛ فإنه لا يقرأ إلا بالنصب فقط).

(٢) أو عطف على الضمير في (يسبحن) ولم يؤكد ولم يُفصل، وهو موافق لمذهب الكوفيين، وهو توجيه قراءة شاذة. انظر «البحر المحيط» (٣٠٧/٦).

(٣) انظر ترجمة سيدي العارف بالله القطب إبراهيم الدسوقي رحمه الله في «الطبقات الكبرى» للإمام الشعراني (ص ٢٣٩).

(٤) انظر «تفسير الخازن» (٤٤٢/٣).

لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسُلْخَمَنْ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا

وهي الدرع لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح، ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس، ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ - بالنون لله، وبالتحتانية لداود، وبالفوقانية لللبوس - ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: حربكم مع أعدائكم، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نَعْمِي بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ؟ أي: اشكروني بذلك.

﴿٨١﴾ ﴿و﴾ سَخَّرْنَا ﴿لِسُلْخَمَنْ الرِّيحِ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى: ﴿رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦] أي: شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام، حاشية الصاوي

قوله: (وهي الدروع) أنت الضمير؛ لكون درع الحديد تؤث وتذگر، وأما درع المرأة - أي: قميصها - فهو مذکر.

قوله: (وهو أول من صنعها) أي: جَلَقًا بعضها داخل بعض، وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصلاً بعضها ببعض.

قوله: ﴿لَكُمْ﴾ أي: يا أهل مكة.

قوله: (في جملة الناس) دفع به ما يرد: كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن في زمنهم؟ فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم.

قوله: (وبالفوقانية لللبوس) أي: لأنه بمعنى الدرع، وهي تؤث^(١).

قوله: ﴿لِسُلْخَمَنْ الرِّيحِ﴾ عبّر باللام؛ إشارة إلى أن الله ملكه الريح وجعلها ممثلة لأمره، وعبّر بـ(مع) في حق داود؛ لأن الجبال والطير قد صاحبا في التسبيح واشتركا معه.

قوله: (أي: شديدة الهبوب... إلخ) لفّ ونشّر مرتّب.

قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ حال.

قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: لأنها مقره، فكان يتقل منها ويرجع إليها، قال وهب:

(١) قرأ شعبة بالنون؛ فالضمير لله تعالى، وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء على التانيث، فالضمير للصنعة أو لللبوس على تأويل الدرر، وقرأ الباقر بالياء التحتية، فالضمير لداود أو لللبوس. انظر «السراج المنير» (٥١٦/٢).

وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك علمه تعالى بأن ما يُعطيه سُليمانُ يدعوه إلى الخضوع لربّه، ففعله تعالى على مقتضى علمه.

﴿٨٢﴾ ﴿و﴾ سَحَرْنَا ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: يَدْخُلُونَ فِي الْبَحْرِ فَيُخْرِجُونَ مِنْهُ الْجَوَاهِرَ لِسُلَيْمَانَ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سِوَى الْغَوْصِ مِنَ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا مَا عَمَلُوا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَرَّغُوا مِنْ عَمَلٍ قَبْلَ اللَّيْلِ أَفْسَدُوهُ إِنْ لَمْ يَسْتَغْلَوْا بغيره.

حاشية الصاوي

كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه.. عكفت عليه الطير، وقام له الإنس والجن حين يجلس على سريريه، وكان امرأ غازياً قلّ ما كان يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملكٍ إلا أتاه حتى يذله.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبرٌ من الذهب وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح.

وقال الحسن: لما شغلت نبيّ الله سليمان الخيلُ حتى فاتته صلاة العصر.. غضب الله، فعقر الخيل، فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف يشاء، فكان يغدو من إيلياء فيقبل بإصطخر ثم يروح منها، فيكون رواحها ببابل، وهكذا غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ حتى ملك الأرض مشرقاً ومغرباً مُلْكَ سُلْطَنَةٍ وَحَكْمٍ، وَأَمَّا رِسَالَتُهُ.. فكانت لبني إسرائيل^(١).

قوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: الكفار منهم.

قوله: (وغيره) أي: كالنورة والطاحون والقوارير والصابون؛ فإن ذلك من استخراجاتهم.

قوله: (لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل... إلخ) قيل: إنَّ سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان

ليعمل له عملاً.. قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعملٍ آخر؛ لئلا يُفسد ما عمله ويخرجه.

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ.....

﴿٨٣﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿أَيُّوبَ﴾ وَيُبَدِّلْ مِنْهُ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لَمَّا ابْتُلِيَ بِفَقْدِ جَمِيعِ مَالِهِ
وَوَلَدِهِ وَتَمْزِيقِ جَسَدِهِ وَهَجْرِ جَمِيعِ النَّاسِ لَهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ سِنِينَ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ قَدَّرَ (اذكر)؛ إشارة إلى أن (أيوب) معمول لمحذوف.

قوله: (ويبدل منه) أي: من (أيوب)، والمعنى: اذكر قصة أيوب إذ نادى ربّه، ففي الحقيقة
الإبدال من المضاف المقدر كما تقدّم نظيره وسيأتي.

قوله: (لما ابتلي) متعلق بـ ﴿نَادَى﴾.

قوله: (بفقد جميع ماله) أي: فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور، وحاصل قصته باختصار:
أنّ أيوب كان رجلاً من الروم، وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم،
وكانت أمّه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم، وكان له من أصناف المال كلّ من الإبل والبقر
والغنم والخيول والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمس مئة فدان،
يتبعها خمس مئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وكان له أهل وولد من رجال ونساء، وكان نبياً
تقيّاً شاكراً لأنعم ربّه، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن
شيء من السماوات، فيقف فيهنّ من حيث ما أراد، فسمع صلاة الملائكة على أيوب، فحسده
وقال: إلهي؛ نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكراً حامداً لك، ولو ابتليته.. لرجع عن شكرك
وطاعتك، فقال الله له: انطلق فقد سلّطتك على ماله، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجنّ وقال
لهم: قد سلّطت على مال أيوب، فقال عفريت: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من
نار فأحرق كل شيء آتى عليه، قال إبليس: اذهب فائت الإبل ورعاتها، فلم يشعر الناس حتى ثار
من تحت الأرض إعصار من نار، فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها، ثم جاء إبليس
في صورة القيم على قعود إلى أيوب، فوجده قائماً يصلي، فقال له: أحرقت نار إبلك ورعاتها،
فقال أيوب: الحمد لله، هو أعطانيها، وهو أخذها، ثم سلّط عفريتاً على الغنم ورعاتها، فصاح
عليهم فماتوا جميعاً، وعلى الحرث فتحول ريحاً عاصفاً فأطارها، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب
بذلك، فحمد الله وأثنى عليه.

فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء.. صعد إلى السماء وقال: يا ربّ؛ سلّطني
على أولاده، فقال له: انطلق فقد سلّطتك على أولاده، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلّبه عليهم،

أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَضَيِّقَ عَيْشِهِ،

حاشية الصاوي

فماتوا جميعاً، ثم جاء في صورة المعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه، فأخبره بموت أولاده وفصل له ذلك حتى رُقَّ قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أُمِّي لم تلدني، ففرح إبليس وصعد السماء سريعاً لينظر ما يفعل به، فأوحى الله إلى أيوب أنه إبليس فاستغفر، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً، فقال: يا ربِّ؛ سلطني على جسده، فقال: انطلق لقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله، فانقضَّ عدو الله سريعاً فوجده ساجداً، فنفخ في منخريره نفخة اشتعل منها جسده، فخرج منها ثاكيل مثل أَلْيَاتِ الغنم ووقعت فيه حَكَّةٌ، فحكَّ بأظفاره حتى سقطت كلُّها، ثم حكَّها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكَّها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يَزَلْ كذلك حتى تقطع جسده وأنتن، فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشاً وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام، وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم^(١).

ونقل أن سبب قوله: ﴿أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ﴾: أن الدود قصد قلبه ولسانه، فخشي أن يفتر عن الذكر، ولا ينافي صبره قوله: ﴿أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ﴾؛ لأنه شكوى للخالق، وهي لا تنافي الصبر.

إن قلت: إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض.

أجيب: بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء، وإنما هو حرارة وقد ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس، وأعظم الله ضررها لخصوص أيوب؛ تعظيماً لقدره؛ لأنَّ أشدَّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل؛ كما ورد بذلك الحديث^(٢).

قوله: (أو ثمانى عشرة) هذا هو الصحيح.

قوله: (وضيق) إمَّا فعلٌ مبني للمفعول عطف على (ابتلي)، أو مصدرٌ عطف على (فقد).

(١) أورد القصة الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٩٠/٦)، والمحققون من العلماء على أنَّ نسبة هذا إلى المعصوم عليه السلام إمَّا من عمل بعض الوضَّاعين الذين يُركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، وأما البلاء الذي نزل به عليه السلام.. فكان بين الجلد والعظم، فلم يكن مُتَفَرِّغاً، وما اشتهر في القصة من الحكايات المنفرة فهو باطلٌ لا أصل له. انظر «تحفة المريد» (ص ٢٠٦)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص ٢٨٠).

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٧٤٨٢) عن فاطمة عَمَّة أبي عبيدة رضي الله عنه.

أَنَّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا يَبِئُ مِنْ ضُرِّهِ
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا

﴿أَنَّى﴾ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ بِتَقْدِيرِ الْبَاءِ - ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي: الشُّدَّةُ، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.
﴿٨٤﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نِدَاءٌ، ﴿فَكَشَفْنَا مَا يَبِئُ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾: أَوْلَادُهُ الذُّكُورُ
وَالْإِنَاثُ بِأَن أَحْيَوْا لَهُ، وَكُلُّ مِنَ الصُّنْفَيْنِ ثَلَاثٌ أَوْ سَبْعٌ، ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ مِنْ زَوْجَتِهِ وَزَيْدٍ
فِي شَبَابِهَا، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرُ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرُ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ أَفْرَعَتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى
أَنْدَرِ الْقَمْحِ الذَّهَبَ، وَأَفْرَعَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ، ﴿رَحْمَةً﴾
- مَفْعُولٌ لَهُ - ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ - صِفَةٌ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ تعريضٌ بطلب الرحمة.

قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه) أي: الذي في ضَمْنِهِ الدُّعَاءُ.

قوله: ﴿فَكَشَفْنَا مَا يَبِئُ مِنْ ضُرِّهِ﴾ روي: أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ الْأَرْضَ، فَرَكَضَ،
فَخَرَجَتْ عَيْنُ مَاءٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا، ففَعَلَ، فَذَهَبَ كُلُّ دَاءٍ كَانَ بظَاهِرِهِ، ثُمَّ مَشَى أَرْبَعِينَ
خَطْوَةً، فَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الْيَمْنَى مَرَّةً أُخْرَى، ففَعَلَ، فَنبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ بَارِدٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ
مِنْهَا، فَشَرَبَ، فَذَهَبَ كُلُّ دَاءٍ كَانَ بِبَاطِنِهِ، فَصَارَ كَأَصْحٍ مَا كَانَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي (سُورَةِ
ص): ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] ^(١).

قوله: (بأن أحيوا له) أي: لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل: رَزَقَهُ اللَّهُ مِثْلَهُمْ، روي:
أَنَّ أَمْرَاتَهُ وَلِدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ سِتَّةَ وَعَشْرِينَ ابْنًا ^(٢).

قوله: (ثلاث أو سبع) أي: فَجُمِلَتْهُمْ سِتَّةً، أَوْ أَرْبَعَةً عَشَرَ.

قوله: (وكان له أندر) هو الموضع الذي يُدْرَسُ فِيهِ الطَّعَامُ.

قوله: (أفْرَعَتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ الذَّهَبَ) أي: لِمُنَاسَبَتِهِ لَهُ فِي الْحُمْرَةِ، وَكَذَا يُقَالُ فِيمَا

بعده.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣٤٦/٥).

(٢) رواه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٧٧/١٠) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ لِيَصْبِرُوا فَيُثَابُوا.

(٨٥ - ٨٦) ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ مِنَ النَّبُوَّةِ، ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لَهَا، وَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ لِأَنَّهُ تَكَفَّلَ بِصِيَامِ جَمِيعِ نَهَارِهِ وَقِيَامِ جَمِيعِ لَيْلِهِ، وَأَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ حَاشِيَةِ الصَّائِي

قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ خَصَّهِمْ؛ لِأَنَّهُمِ الْمُتَنَفِعُونَ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عاش مئة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وقصة صبره على الذبح ستأتي مفصلة في سورة (الصافات).

قوله: ﴿وَإِدْرِيسَ﴾ هو جد نوح، وُلِدَ فِي حَيَاةِ آدَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمِئَةِ سَنَةٍ، وَبَعَثَ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمِئَتِي سَنَةٍ، وَعَاشَ بَعْدَ نَبُوَّتِهِ مِئَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَجُمِلَ عُمُرُهُ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوْحٍ أَلْفَ سَنَةٍ.

قوله: ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ هَذَا لِقَبِّهِ، وَاسْمُهُ: بَشْرٌ، وَهُوَ ابْنُ أَيُّوبَ.

قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: فَأَعْطَيْنَاهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ... إلخ.

قوله: ﴿لَأَنَّهُ تَكَفَّلَ بِصِيَامِ جَمِيعِ نَهَارِهِ... إلخ﴾ فَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيُصَلِّيُ بِاللَّيْلِ وَلَا يَقْتَرُ، وَكَانَ يَنَامُ وَقْتُ الْقِيلُولَةِ، وَكَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا تِلْكَ النَّوْمَةَ، فَامْتَحَنَهُ إِبْلِيسُ لِيَنْظُرَ هَلْ يَغْضَبُ أَمْ لَا، فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ حِينَ أَخَذَ مَضْجَعَهُ فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَظْلُومٌ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي خُصُومَةٌ، وَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي، فَقَامَ وَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ، وَصَارَ يُطِيلُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ حَتَّى ذَهَبَتِ الْقِيلُولَةُ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا قَعَدْتَ لِلْحَكْمِ فَائْتَنِي أُخْلَصْ حَقُّكَ، فَلَمَّا جَلَسَ لِلْحَكْمِ لَمْ يَجِدْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْقَائِلَةِ مِنَ الْغَدِ... أَتَاهُ وَدَقَّ الْبَابَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: الشَّيْخُ الْمَظْلُومُ، فَفَتَحَ الْبَابَ، فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِذَا قَعَدْتُ لِلْحَكْمِ فَائْتَنِي؟ فَقَالَ: إِنْ خُصُومِي أَحْبَبْتُ قَوْمَ إِذَا عَلِمُوا أَنَّكَ قَاعِدٌ قَالُوا: نَعْطِيكَ حَقَّكَ، وَإِذَا قُضِيَ جَحْدُونِي، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ... قَالَ ذُو الْكِفْلِ لِبَعْضِ أَهْلِهِ: لَا تَدْعُنَّ أَحَدًا يَقْرُبَ هَذَا الْبَابَ حَتَّى أَنَامَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ النَّعَاسَ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ... جَاءَ إِبْلِيسُ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الرَّجُلُ، فَرَأَى طَاقَةً، فَدَخَلَ مِنْهَا وَدَقَّ الْبَابَ مِنْ دَاخِلٍ، فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَنَامُ وَالْخُصُومُ بِيَابِكَ؟ فَعَرَفَ أَنَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ، وَقَالَ: فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لِأَغْضِبَكَ، فَعَصَمَكَ اللَّهُ^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٤٦٢/٨) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ

النَّاسِ وَلَا يَغَضَبَ، فَوْقَى بِذَلِكَ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا.

﴿٨٧﴾ ﴿وَاذْكُرْ﴾ ﴿وَذَا التُّونِ﴾: صَاحِبَ الْحُوتِ، وَهُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى، وَيُبَدَّلُ مِنْهُ: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا﴾ لِقَوْمِهِ أَي: غَضَبَانِ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَاسَى مِنْهُمْ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي ذَلِكَ، ﴿فَظَنَّ﴾ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أَي: نَقْضِي عَلَيْهِ مَا قَضَيْنَاهُ مِنْ حَبْسِهِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، أَوْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، ﴿فَنكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ:

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: لم يكن نبياً) أي: بل كان عبداً صالحاً، والصحيح: أنه نبي، قيل: بعث إلى رجل واحد.

قوله: (﴿وَذَا التُّونِ﴾) لقب ليونس، وجمعه: أنوان ونيان، وهو: اسمٌ للحوت كبيراً أو صغيراً.

قوله: (ابن متى) اسم أبيه، وقيل: أمه.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال.

قوله: (﴿مُغَضِبًا﴾ لقومه) أي: لا لربه؛ لأنَّ خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب، فلمَّا لم ينزل بهم.. ظَنَّ أَنَّهُ إِنْ بَقِيَ بَيْنَهُمْ قَتْلُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ كَذِبٌ.

قوله: (أي: غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أنَّ المفاعلة ليست على بابها.

قوله: (أي: نقضي عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: نقضي عليه بما قضينا من القدر، وهو القضاء، والمعنى: فَظَنَّ أَنَّا لَا نُوَاخِذُهُ بِخُرُوجِهِ.

قوله: (أو نُضَيِّقُ عَلَيْهِ) أي: فمعنى (نقدر): نُضَيِّقُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]، لَا مِنْ الْقُدْرَةِ بِمَعْنَى الْإِسْطَاعَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْعَجْزِ.

قوله: (من حبسه في بطن الحوت) أي: وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوماً، أو سبعة أيام، أو ثلاثة، أو أربع ساعات، وأوحى الله إلى ذلك الحوت: لَا تَأْكُلْ لَهُ لَحْماً، وَلَا تَهْشَمْ لَهُ عَظْماً؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ رِزْقاً لَكَ، وَإِنَّمَا جَعَلْتُكَ سَجْناً لَهُ.

وحاصل ذلك: أَنَّهُ حِينَ غَاضَبَ قَوْمَهُ لَمَّا لَمْ يَنْزِلْ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ.. خَرَجَ فَرَكَبَ سَفِينَةً، فَسَارَتْ قَلِيلاً، ثُمَّ وَقَفَتْ فِي لَجَةِ الْبَحْرِ، فَقَالَ الْمَلَا حُونَ: هُنَا عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ تُظْهِرُهُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَرَكَرَبًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ.....

﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهابي مِنْ بَيْنِ قَوْمِي بِلا إذن.

﴿٨٨﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا نَجَّيْنَاهُ ﴿نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ كَرْبِهِمْ إِذَا اسْتَغَاثُوا بِنَا دَاعِينَ.

﴿٨٩﴾ ﴿و﴾ اذْكَر ﴿رَكَرَبًا﴾ - وَيُبَدِّل مِنْهُ -: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بِلا وَلَدٍ يَرِثُنِي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾: الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِكَ.

﴿٩٠﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نِدَاءُهُ، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ وَلَدًا، ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ فَأَتَتْ بِالْوَلَدِ بَعْدَ عُقْمِهَا،

حاشية الصاوي

القرعة، فضربوها، فخرجت على يونس، فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه، فدعا ربه، فألقاه الحوت بالساحل ضعيفاً، وكانت تأتيه غزاة صباحاً ومساءً فيشرب من لبنها حتى قوي، فرجع إلى قومه، فأمنوا به جميعاً، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمِ آدَمَ أَنْ يَرْجِعُوا فَاسْتَجَبُوا لَهُ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨].

قوله: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ (أَنْ): إمَّا مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وما بعدها خبرها، أو تفسيرية؛ لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهذا الدعاء عظيم جداً؛ لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب؛ ولذا ورد في الحديث: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء.. إلا استجيب له»^(١).

قوله: ﴿وَرَكَرَبًا﴾ معمول لمحذوف، قدره بقوله: (اذكر).

قوله: (أي: بلا ولد يرثني) أي: في العلم والنبوة.

قوله: (بعد عقمها) المراد به: انبساد الرحم عن الولادة.

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٣) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَحَهَا فَفَنَخْنَا فِيهَا مِنْ زُوجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾: يُبَادِرُونَ ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: الطَّاعَاتِ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ فِي رَحْمَتِنَا ﴿وَرَهَبًا﴾ مِنْ عَذَابِنَا، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾: مُتَوَاضِعِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ.

﴿٩١﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ مَرْيَمَ ﴿الَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَحَهَا﴾: حَفِظْتَهُ مِنْ أَنْ يُنَالَ، ﴿فَفَنَخْنَا فِيهَا مِنْ زُوجِنَا﴾ أي: جِبْرِيلَ حَيْثُ نَفَخَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، حَيْثُ وَلَدَتْهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ.

﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دِينُكُمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ، أي: يَجِبُ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾ (علة لمحذوف؛ أي: قالوا ما قالوا؛ لأنهم... إلخ).
قوله: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (إمّا منصوبان على المفعول من أجله، أو على أنهما واقعان موقع الحال؛ أي: راغبين راهبين).

قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَحَهَا﴾ (صفة لموصوفٍ محذوف معمولٍ لمحذوف، قدّر ذلك المفسّر بقوله: (واذكر مريم)).

قوله: (من أن ينال) أي: يصل إليه أحدٌ بحلال أو حرام.
إن قلت: المزية ظاهرة في حفظه من الحرام، وأما الحلال.. فكيف تمدح على التعقّف عنه؟!
أجيب: بأنّ الترهّب كان مشروعاً لهم، أو لتكون ولادتها خارقةً للعادة.
قوله: (حيث نفخ في جيب درعها) أي: أمرناه، ففعل ذلك، أو المراد: نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا، وهي روح عيسى.

قوله: ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (لم يقل: (آيتين)؛ لأنّ كلاً من مريم وابنها بانضمامهما للآخر صار آيةً واحدةً، أو فيه الحذف من الأول؛ لدلالة الثاني عليه).

قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ (أشار المفسّر إلى أنّ اسم الإشارة يعود على مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، والأُمَّة في الأصل: الجماعة، ثمّ أطلقت على الملة؛ لأنها تستلزم الاجتماع، والمعنى: أنّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ

أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

أن تكونوا عليها، ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ - حالٌ لازمة - ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: وَحْدُونِ.
 ﴿٩٣﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بَعْضُ الْمُخَاطَبِينَ ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تَفَرَّقُوا أَمْرَ دِينِهِمْ
 مُتَخَالِفِينَ فِيهِ، وَهُمْ طَوَائِفُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،
 حاشية الصاوي

مَلَّتْكُمْ، لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد؛ فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين، وإنما التغير
 في الفروع؛ فمن غَيَّرَ وَبَدَّلَ فِي الْمِلَّةِ.. فهو خارجٌ عنها ضالٌّ مضلٌّ.
 وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص: دفع ما يتوهم أن رسول الله ﷺ بُعِثَ بعقائد تخالف
 عقائد مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرسل.

قوله: (حال لازمة) أي: من ﴿أُمَّةٌ﴾، وقيل: بَدَلٌ مِنْ ﴿هَذِهِ﴾، ويكون قد فصل بين البديل
 والمبديل منه بخبر (إن) نحو: إن زيدا قائمٌ أخاك. و﴿أَمَّتْكُمْ﴾ بالرفع: خبر ﴿إِنَّ﴾، وقرئ شذوذاً
 بالنصب على أنه بدل من ﴿هَذِهِ﴾، أو عطف بيان^(١).

قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ (إن كان الخطاب للمؤمنين.. فمعناه: دُومُوا عَلَى الْعِبَادَةِ، وإن كان
 الخطاب للكفار.. فمعناه: إنشاء العبادَة للتوحيد.

قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ (أي: تفرَّقوا في أمرهم، واختلَفوا في دينهم، وهذا إخبارٌ من الله
 بأنَّ الجميع لم يكونوا على دين واحد؛ لسبق حكمته البالغة بذلك.

والحكمة في ذكر العبادَة هنا، والتقوى في (المؤمنون)، وذكر الواو هنا والفاء هناك^(٢): قيل:
 تَفَنُّنٌ، وقيل: لأنَّ الخطاب هنا للكفار، فناسبه ذكر التوحيد، والخطاب هناك للرسَل، فناسبه ذكر
 التقوى، وأتى بالواو هنا؛ لأنها لا تقتضي الترتيب وهو المراد هنا؛ فَإِنَّ التَّفَرُّقَ كان حاصلاً من قبل،
 بخلاف ما يأتي؛ فَإِنَّ التَّفَرُّقَ حصل بعد إرسال الرسل، فناسبه الفاء.

قوله: (وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له، وهذه الأُمَّة اقترفت ثلاثاً وسبعين فرقة:
 اثنتان وسبعون في النار، وواحدة ناجية؛ كما في الحديث^(٣).

(١) وهي قراءة الحسن كما نقلها السمين الحلبي في «الدر المصون» (١٩٦/٨).

(٢) أي: في قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿وَلَنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْعُونٌ﴾.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) عن سيدنا عوف بن مالك ؓ.

كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
وَلَنَا لَهُ كَنْبُونٌ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمٌ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَقٌّ إِذَا
فُتِحَتْ
.....

قال تعالى: ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: فَنُجَازِيهِ بِعَمَلِهِ.

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: جُحُودٌ ﴿لِسَعْيِهِ﴾ وَلَنَا لَهُ كَنْبُونٌ ﴿٩٤﴾ بِأَن نَأْمُرَ الْحَفَظَةَ بِكُتْبِهِ فَنُجَازِيهِ عَلَيْهِ.

﴿٩٥﴾ ﴿وَحَرَّمٌ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أَرِيدَ أَهْلُهَا ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ - زائدة - ﴿يَرْجِعُونَ﴾
أي: مُمْتَنِعٌ رُجُوعُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا.

﴿٩٦﴾ ﴿حَقٌّ﴾ غَايَةُ لِمَتَنَاعِ رُجُوعِهِمْ ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (تهديدٌ للكفار، والمعنى: أَنَّ الله تعالى لا يُفْلِتُ أَحَدًا، بل كُلُّ
من الثابت على الحق والزائف عنه راجعٌ إليه.

قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ مِنْ فَرْضٍ وَنَفْلِ.

قوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا يَمْنَعُ مِنْ ثَوَابِهِ، وَلَا يَحْرِمُ مِنْهُ، فَالْكُفْرَانُ: مُصَدِّرٌ
بمعنى: الكفر الذي هو الجُحُودُ وَالْإِنْكَارُ، فَشَبَّهَ مَنْعَ الثَّوَابِ بِالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ.

قوله: ﴿وَلَنَا لَهُ كَنْبُونٌ﴾ أي: حَافِظُونَ لِلْعَمَلِ؛ فَلَا يَضِيعُ مِنْهُ شَيْءٌ.

قوله: ﴿وَحَرَّمٌ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، والمعنى: رُجُوعُ أَهْلِ قَرَبَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا مُمْتَنِعٌ، وَقَوْلُهُ: (إِلَى الدُّنْيَا) أي: الْبَقَاءُ وَالْمَعِيشَةُ فِيهَا، وَقِيلَ: إِلَى الْإِيمَانِ؛ يَعْنِي: أَنَّ
رُجُوعَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ مُمْتَنِعٌ؛ لِسَبْقِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قوله: (غَايَةُ لِمَتَنَاعِ رُجُوعِهِمْ) أي: فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِ(حَرَامٍ) غَايَةُ لِمَا قَبْلَهَا، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ
ابْتِدَائِيَّةً وَتَكُونَ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً.

قوله: (بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) أي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

(١) قرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء، والباقيون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ

﴿يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ - بِالْهَمْزِ وَتَرَكِهِ اسْمَانِ اَعَجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَيْنِ، وَيُقَدَّرُ قَبْلَهُ مُضَافٌ -
 أَي: سَدُّهُمَا، وَذَلِكَ قُرْبُ الْقِيَامَةِ،

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (اسم قبيلتين) أي: من بني آدم، يقال: إنهم تسعة أعشار بني آدم، وتقدّمت قصّتهم.
 قوله: (وذلك قرب القيامة) أي: بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كباقي الأيام، وفي الحديث: (قلنا: يا رسول الله؛ في اليوم الذي كسنة يكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله؛ وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح».

فينزل عيسى على منارة بني أمية شرقي دمشق، عليه حلتان ممصّرتان، فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السّد، فيحصل للمخلوق جذبٌ عظيم حتى تكون رأس الثور خيراً من مئة دينار، ثم يدعو الله عيسى، فيرسل الله عزّ وجلّ النّغف في رقابهم، فيهلكون جميعاً، فتملاً رممهم وجيفهم الأرض، فيدعو الله عيسى، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البُخت، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جدّاً، ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحاً طيبة تقبض روح كلّ مؤمن ومسلم، وتُبقي شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة^(٢).

وبين موت عيسى والنّفخة الأولى مئة وعشرين سنة، لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة، فيكون بين موت عيسى والنّفخة قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة^(٣).

(١) قرأهما عاصم بهمزة ساكنة، والباقون بالالف. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

(٢) رواه مسلم (٧٤٨٣) بنحوه عن سيدنا النّوّاس بن سميان رضي الله عنه، والنّغف: دُوْدٌ يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(٣) كما روى الترمذي (٢٣٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة بالنار».

وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَآ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾: مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ ﴿يَنْسِلُونَ﴾: يُسْرِعُونَ.

﴿٩٧﴾ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: أَي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿فَإِذَا هِيَ﴾: الْقِصَّةُ ﴿شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِشِدَّتِهِ، يَقُولُونَ: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿وَلَّيْنَا﴾: هَلَاكُنَا، ﴿قَدْ كُنَّا﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ الْيَوْمِ، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أَنْفُسَنَا بِتَكْذِيبِنَا لِلرُّسُلِ.

حاشية الصاوي

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»^(١).

قوله: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾: أَي: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَنْتَشِرُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْرَحُونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ.

قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ﴾: عَظِفَ عَلَى ﴿فَتِيحَتْ﴾.

قوله: (أَي: القصة) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير للقصة، و﴿شَخِصَةٌ﴾: خَبْرٌ مُّقَدَّمٌ، و﴿أَبْصَرُ﴾: مُبْتَدَأٌ مُّؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ ﴿هِيَ﴾، وَالتَّعْقِيبُ عُرْفِيٌّ؛ لِأَنَّ التَّفَاوُتَ الْقَلِيلَ كَالْعَدَمِ، فَانْدَفَعَ مَا يُقَالُ: إِنَّهُ رَتَّبَ الشَّخْصَ عَلَى فَتْحِ السَّدِّ وَاقْتِرَابِ السَّاعَةِ مَعَ أَنَّ الشَّخْصَ لَا يُوجَدُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: (يقولون: ﴿يَتَوَلَّوْنَآ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿يَتَوَلَّوْنَآ﴾ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ.

قوله: ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: إِضْرَابٌ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾ لَعَلَّهُ يَنْفَعُهُمُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ؛ فَلَا يَنْفَعُهُمْ.

(١) رواه مسلم (٧٣٨٨) عن سيدنا حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ إِلَهِةَ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

﴿٩٨﴾ إِنَّكُمْ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾: وقودها، ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾: داخلون فيها.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾ ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ﴾ الأوثان ﴿إِلَهِةَ﴾ كما زَعَمْتُمْ ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾: دَخَلُوهَا، ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿لَهُمْ﴾: لِلْعَابِدِينَ ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شَيْئاً لِشِدَّةِ غَلِيَانِهَا.

﴿١٠١﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: عَبْدُ عَزِيزٍ وَالْمَسِيحُ وَالْمَلَائِكَةُ، فَهُمْ فِي النَّارِ عَلَى مُقْتَضَى مَا تَقَدَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (من الأوثان) خصّها بالذكر؛ لأنها كانت معظم معبوداتهم، وإلا... فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين في النار^(١).

قوله: (وقودها) أي: وسمي حصباً؛ لأنه يُرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء.

قوله: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ إِلَهِةَ﴾... إلخ) تبكيث عليهم.

قوله: ﴿زَفِيرٌ﴾ أي: أنينٌ وتنفسٌ شديدٌ.

قوله: (لشدة غليانها) أي: فعدم سماعهم لِشِدَّةِ غَلِيَانِ النارِ عليهم؛ لما ورد: «إذا بقي من يخلد فيها... جُعِلُوا فِي تَوَابِيَتْ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ جُعِلَتْ تِلْكَ التَّوَابِيَتْ فِي تَوَابِيَتْ أُخْرَى، ثُمَّ تِلْكَ التَّوَابِيَتْ فِي تَوَابِيَتْ أُخْرَى عَلَيْهَا مَسَامِيرُ مِنْ نَارٍ؛ فَلَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ فِي النَّارِ أَحَدًا يُعَذِّبُ غَيْرَهُ»^(٢).

قوله: (ونزل لما قال ابن الزُّبَيْرِ... إلخ) حاصل ذلك: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً، فعرض له النضر بن الحارث،

(١) روى الطيالسي في «مسنده» (٥٧٤/٢) عن أنس رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ تَوَرَّانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ» أي: زيمان لا يجريان، أو منحوران. وانظر «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٥٤٨/٦).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٩٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾

الْمَنْزِلَةُ ﴿الْحُسْنَى﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ، ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صَوْتَهَا، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنَ النَّعِيمِ
﴿خَالِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

فكَلَّمَهُ رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآيات
الثلاث، ثم قام، فأقبل ابن الزُّبَيْرِ - وهو بكسر الزاي، وفتح الباء، وسكون العين، وفتح الراء
مقصوراً، وقد أسلم بعد ذلك - فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله ﷺ لهم، فقال: أما والله
لو وجدته.. لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ، فقال له ابن الزبير: أنت قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؟ قال: «نعم»، قال: أليست اليهود تعبد عزيزاً، والنصارى
تعبد المسيح، وبنو مدلج يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: «إنهم يعبدون الشيطان»، فنزلت هذه
الآية ردّاً عليه^(١).

قوله: (المنزلة ﴿الْحُسْنَى﴾) أي: الدرجة والرتبة الحسنَى، أو المراد: الكلمة الحسنَى، وهي
لا إله إلا الله، أو المراد: السَّعادة الأبدية.

قوله: (ومنهم من ذكر) أي: العزيز وعيسى والملائكة، والمعنى: أَنَّ كُلَّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ
الحسنَى؛ سواء عُبدَ أو لا.. فهو مُبْعَدٌ عن النار.

قوله: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن جهنم.

إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْكَرُوا إِلَّا وَأَرْدُهَا﴾ [مريم: ٧١] والورود يقتضي القرب
منها. أجيب: بأنَّ المراد: مُبْعَدُونَ عن عذابها وألمها؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَرُّوا عَلَى النَّارِ تَحْمَدُ
وتقول: «جُزْ يَا مُؤْمِنُ؛ فَإِنَّ نُورَكَ قَدْ أَطْفَأَ لَهْبِي»^(٢)، وهذا لا يُنافي الورد.

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حركة تلَّهَّبها، وفي هذا تأكيدُ بُعْدِهِمْ عنها.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/٥٧٧) عن سيدنا يعلى بن منية ؓ.

لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّيْنَاهُمْ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ

﴿١٠٣﴾ لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وهو أن يُؤْمَرَ بِالْعَبْدِ إِلَى النَّارِ، ﴿وَتَلَقَّيْنَاهُمْ﴾: تَسْتَقْبِلُهُمْ ﴿الْمَلَكَةُ﴾: عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ، يَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿١٠٤﴾ ﴿يَوْمَ﴾ - منصوب بـ (اذكُر) مُقَدَّرًا قَبْلَهُ - ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ اسْمُ مَلَكٍ ﴿لِلْكُتُبِ﴾ صَحِيفَةُ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ مَوْتِهِ، - وَاللَّامُ زَائِدَةٌ، أَوِ السِّجِلُّ الصَّحِيفَةُ وَالكِتَابُ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ، وَاللَّامُ بِمَعْنَى (عَلَى)، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ جَمْعًا -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ هذا بيان لِنَجَاتِهِمْ مِنَ الْفَزَعِ إِثْرَ بَيَانِ نَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ.

قوله: (وهو أن يؤمر بالعبء إلى النار) أي: الكافر، وقيل: هو حين تغلق النار على أهلها ويأسون من الخروج، وقيل: هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار ويُنَادِي: «يا أهل النار؛ خلود بلا موت»^(١)، وقيل: هو جميع أهوال القيامة.

قوله: (عند خروجهم من القبور) أي: تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك، وقيل: تستقبلهم على أبواب الجنة، ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين.

قوله: (اسم ملك) أي: في السماء الثالثة، وعلى هذا: فالمصدر مضاف لفاعله؛ فإن هذا الملك يَطْوِي كُتُبَ الْأَعْمَالِ إِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ.

قوله: (واللام زائدة) أي: و(الكتاب): مفعوله.

قوله: (أو السجل: الصحيفة) أي: والمعنى: كُتُبُ الصَّحُفِ عَلَى مَكْتُوبِهَا، وَعَلَيْهِ: فَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ، وَالْفَاعِلُ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: كَمَا يَطْوِي الرَّجُلُ الصَّحِيفَةَ عَلَى مَا فِيهَا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٢).

قوله: (جمعاً) أي: وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْإِفْرَادِ.. ف(أل) لِلْجِنْسِ.

(١) رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الكاف والتاء على الجمع، والباقون بكسر الكاف على الإفراد. انظر «السر» المنير» (٥٢٣/٢).

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ
مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عَدَمٍ ﴿نُعِيدُهُمْ﴾ بعد إعدامه، - فالكاف مُتَعَلِّقَةٌ بِ(نُعِيدُ)،
وَضَمِيرُهُ عَائِدٌ إِلَى ﴿أَوَّلَ﴾ و(ما): مَصْدَرِيَّةٌ - ﴿وَعَدًّا عَلَيْنَا﴾ - مَنْصُوبٌ بِ(وَعَدْنَا) مُقَدَّرًا
قَبْلَهُ، وهو مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ ما قَبْلَهُ -، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وَعَدْنَاهُ.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بِمَعْنَى الْكِتَابِ أَي: كُتِبَ اللهُ الْمُنْزَلَةُ ﴿مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ﴾ بِمَعْنَى أُمِّ الْكِتَابِ الَّذِي عِنْدَ اللهِ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: أَرْضَ الْجَنَّةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ أي: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم عُراة حفاة عُزلًا.. كذلك
نعيدهم يوم القيامة.

والخلق بمعنى: المخلوق، وإضافة (أول) له من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى: كما بدأنا
المخلوق الأول نُعيدُه ثانيًا.

قوله: (بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة، والقول الثاني: أَنَّ الإعادة بعد تفرُّق الأجزاء،
قال في «الجوهرة»^(١): [الرجز]

وقُل: يُعَادُ الْجِسْمُ بِالتَّحْقِيقِ عن عَدَمٍ، وقِيلَ: عن تَفْرِيقِ
قوله: و(«ما»: مصدرية) أي: و﴿بَدَأْنَا﴾: صِلَتِهَا، والجملة في محل جرٍّ بالكاف، و﴿أَوَّلَ
خَلْقٍ﴾: مفعول به لـ﴿بَدَأْنَا﴾.

قوله: ﴿وَعَدًّا عَلَيْنَا﴾ أي: فعلينا إنجازَه؛ لِتَعَلُّقِ عِلْمِنَا بِوُقُوعِهِ، وقدرتنا على إنفاذه.

قوله: (لمضمون ما قبله) أي: الجملة الخبرية.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تأكيد لما قبله.

قوله: (بمعنى الكتاب) أي: ف(أل) في ﴿الزَّبُورِ﴾ للجنس، والمعنى: جنس الكتب السماوية.

قوله: (بمعنى أم الكتاب) أي: وهو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ مفعول ﴿كَتَبْنَا﴾.

(١) انظر شرح البيت في «تحفة المريد» (ص ٢٧٩).

يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ عامٌّ في كُلِّ صالح.

﴿١٠٦﴾ ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ الْقُرْآنِ ﴿لَبَلَاغًا﴾: كِفَايَةٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، ﴿لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾: عَامِلِينَ بِهِ.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أَي: لِلرَّحْمَةِ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (عامٌّ في كل صالح) أي: من هذه الأمة وغيرها من الأمم، والمراد بالصلاح: الموت على الإيمان، والمعنى: أن المؤمنين يرثون الجنة ويتنعمون فيها على قدر أعمالهم، وعبر بالميراث؛ لأنه ملكٌ مستمرٌّ يأتي من غير تكسبٍ، وأمَّا مَنْ مات على الكفر.. فليس له في الجنة نصيبٌ؛ لأنَّ الجنة عزيزةٌ عند الله، فلا يُعطىها لأعدائه، وأمَّا الدنيا.. فقد تعطى للكافر؛ لعدم عزَّتها عنده؛ لما في الحديث: «لو كانت الدنيا تَرَنُّ عند الله جناح بعوضة.. ما سقى الكافر منها جرعة ماء»^(١) ومعناه: لو كان للدنيا قدرٌ عند الله.. لَبَقِيَتْ ببقائه، ولو كانت باقية.. ما نعم الكافر فيها؛ لهوانه عليه، فَقَدَّرَ الله في الأزل أنَّ الدنيا فانيةٌ زائلةٌ لا قَدْرَ لها عنده، فنعم فيها الكفار.

قوله: (كفاية في دخول الجنة) أي: من حيث إنه يوصل لمراضي الله تعالى في الدنيا، ويؤنس صاحبه في القبر، ويوضع في الميزان، ويرقى به في درجات الجنة.

قوله: (عاملين به) أي: مُمَثِّلِينَ أوَامِرَهُ، مُجْتَنِبِينَ نَوَاهِيَهُ.

قوله: (أي: للرحمة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿رَحْمَةً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، ويصح أن يكون منصوباً على الحال؛ أي: أنه نفس الرحمة؛ لما ورد: «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ خُلِقُوا مِنَ الرَّحْمَةِ»^(٢)، وَنَبِيُّنَا ﷺ عَيْنُ الرَّحْمَةِ، أو على حذف مضاف؛ أي: ذا رحمة، أو راجِمٌ؛ لما في الحديث: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(٣).

قوله: (الإنس والجن) أي: برًّا وفاجرًا، مؤمنًا وكافرًا؛ لأنه رفع بسببه الخسف والمسح وعذاب

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) من كلام بعض العارفين، كما في «المواهب اللدنية» للإمام القسطلاني (٥٤٣/٢).

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (١٥) من حديث أبي صالح مرسلًا.

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ
ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴿١﴾ أي: ما يُوحِي إِلَيَّ في أمرِ الإلهِ
إِلَّا وَحْدَانِيَّتُهُ، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مُنْقَادُونَ لِمَا يُوحِي إِلَيَّ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ الإلهِ؟
والاستفهامُ بمعنى الأمرِ.

﴿١٠٩﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ﴾: أَعْلَمْتُكُمْ بِالْحَرْبِ ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ - حال
من الفاعِلِ والمفعول - أي: مُسْتَوِينَ في عِلْمِهِ؛ لَا أَسْتَبِدُّ بِهِ دُونَكُمْ لِتَتَأَهَّبُوا، ﴿وَإِنْ﴾:
ما ﴿أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ الْقِيَامَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَيْهِ،
وإنَّمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ.

حاشية الصاوي

الاستئصال، ورحمة أيضاً من حيث إنه جاء بما يُرشد الخلق إلى السعادة العظمى؛ فمن آمن.. .
فهو رحمة له دنيا وأخرى، ومن كفر.. . فهو رحمة له في الدنيا فقط.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ في هذه الآية قصريْن:
الأول: قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس، والمعنى كما قال المفسر: ما يُوحِي
إِلَيَّ في أمرِ الإلهِ إِلَّا اختصاصه بالوحدانية؛ ففيه ردٌّ على الكفرة الذين يَعْبُدُونَ غيرَ الله.

قوله: (بمعنى الأمر) أي: فالمراد منه: التحضيض على الإسلام لا الاستفهام عنه.

قوله: (أعلمتكم بالحرب) أي: أنذرتكم به، والمراد بالحرب: مُحَارِبَتُهُ هو وأصحابه لهم،
والمعنى: أعلمتكم بأنِّي مُحَارِبُكُمْ والحال أنني وأنتم مُسْتَوُونَ في العلم بنقض الصُّلح؛ لثلاثِ أنسبٍ
للغدر المذموم فاعله.

قوله: (لتتأهبوا) أي: لِتُسْتَعِدُوا أو تتهيؤوا له، وهو علة للنفي لا لِلْمُنْفِي، فالمعنى: لَا أَسْتَبِدُّ
بِهِ، بل أعلمكم لتتأهبوا.

قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: لَا أَدْرِي الوقت الذي يحل بكم العذاب
فيه، وإنما علمه موكولٌ إلى الله، والمراد بالعذاب: تَعْذِيْبُهُ إياهم بحربه في الدنيا، وقوله: (أو القيامة)
أي: تَعْذِيْبُهُم بالنار.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ

﴿١١٠﴾ إِنَّهُ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفِعْلَ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ مِنَ السِّرِّ.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِنْ﴾: مَا ﴿أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ﴾ أَي: مَا أَعْلَمْتُكُمْ بِهِ وَلَمْ يُعْلَمْ وَقْتُهُ ﴿فِتْنَةً﴾: اخْتِبَارٌ ﴿لَّكُمْ﴾ لِيَرَىٰ كَيْفَ صُنْعُكُمْ، ﴿وَمَتَّعَ﴾: تَمَتَّعَ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أَي: انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، وهذا مُقَابِلٌ لِلأَوَّلِ الْمُتَرَجِّى بِ(لَعَلَّ)، وَلَيْسَ الثَّانِي مَحَلًّا لِلتَّرَجُّي.

﴿١١٢﴾ ﴿قُلْ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿قُلْ﴾: - ﴿رَبِّ أَحْكُم﴾ بَيْنِي وَبَيْنَ مُكَذِّبِيَّ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالْعَذَابِ لَهُمْ أَوْ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، فَعُذِّبُوا بِبَدْرِ وَأُحُدٍ وَخُنَيْنٍ وَالْأَحْزَابِ وَالْخَنْدَقِ وَنُصِرَ عَلَيْهِمْ، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (أَي: مَا تَقُولُونَهُ جَهراً مما لا يليق).

قوله: (والفعل) أشار بذلك إلى أَنَّ فِي الْآيَةِ اكْتِفَاءً.

قوله: (أَي: مَا أَعْلَمْتُكُمْ بِهِ) أَي: وَهُوَ تَأْخِيرُ الْعَذَابِ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا.

قوله: (اختبار لكم) أَي: مُعَامَلَتُكُمْ مُعَامَلَةَ الْمُخْتَبَرِ.

قوله: (وهذا مقابل للأول) حاصله: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ مُحْتَمِلٌ لِلْوُقُوعِ وَعَدَمِهِ،

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فَهُوَ مُحَقِّقُ الْحَصُولِ، وَالْأَحْسَنُ: أَنَّ يُجْعَلَ قَوْلُهُ ﴿وَمَتَّعَ﴾ خَبِراً لِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَهَذَا مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ؛ أَي: وَتَأْخِيرُ عَذَابِكُمْ مَتَاعٌ؛ أَي: تَمَتُّعٌ لَكُمْ إِلَىٰ وَقْتِ فَرَاغِ الْأَجْلِ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ.

قوله: (وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١)؛ فَالْأَوَّلَىٰ أَمْرٌ، وَالثَّانِيَةُ إِخْبَارٌ عَنْ مَقَالَتِهِ.

قوله: ﴿أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ أَي: عَجَّلَ النَّصْرَ لِي وَالْعَذَابَ لِأَعْدَائِي.

قوله: (والخندق) المناسب حذفه؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَحْزَابُ.

قوله: ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ أَي: الَّذِي تَطْلُبُ مِنْهُ الْإِعَانَةُ.

(١) وبها قرأ حفص رحمه الله تعالى. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٥).

عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ مِنْ كَذِبِكُمْ عَلَى اللَّهِ فِي قَوْلِكُمْ: اتَّخَذَ وَلَدًا، وَعَلَيَّ فِي قَوْلِكُمْ: سَاحِرٌ،
وعلى القرآن في قَوْلِكُمْ: شِعْرٌ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: على وصفكم لربكم ولنبيّه بالنقائص؛ فقد أمر رسول الله بتفويض الأمر إلى الله، والصبر على المشاق؛ تعليمًا لأُمَّته حُسْنَ الالتجاء إلى ربهم.



﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ...﴾ الْآيَتَيْنِ، أَوْ إِلَّا ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ...﴾ السُّتِّ
آيَاتٍ فَمَدَنِيَّاتٍ. وَهِيَ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ أَوْ ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أَي: عِقَابَهُ.....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَجِّ

(مكية) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ الْحَجِّ فِيهَا.

قوله: (إِلَّا ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾... إلخ) هذا أحد قولين في المديني منها.

قوله: (أَوْ إِلَّا ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾) هذا قولٌ ثانٍ، وقوله: (السُّتِّ آيَاتٍ) أي: وتنتهي إلى ﴿صِرَاطٍ
لِّلْحَيْدِ﴾، لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار، وآيتان متعلقتان بالمؤمنين، وقيل: إنَّ السورة كُلُّهَا
مَدَنِيَّةٌ، وقيل: إلا أربع آيات من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ
مُّقِيمٌ﴾ فهي مَكِّيَّاتٌ، والتحقيق: أنها مُختلطة منها مَكِّيٌّ، ومنها مَدَنِيٌّ، وهي من أعاجيب السور،
نزلت ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، مَكِّيًّا ومَدَنِيًّا، سلمياً وحربيًّا، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً
ومتشابهاً.

قوله: (أَوْ ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ آيَةً) أي: إنها سبعون آية جزماً، والخلاف في النِّيف الزائد على خمسة
أقوال.

قوله: (أي: أهل مكة) إمَّا برفع (أهل) على أَنَّ (أي) حرف تفسير، و(أهل) تفسيرٌ لـ﴿النَّاسِ﴾،
أو نصبه على أَنَّ (أي) حرف نداء، و(أهل) منادى، وقوله: (وغيرهم) بالرفع والنصب، وأشار بذلك
إلى أَنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

بِأَن تَطِيعُوهُ، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا الذي هو قُرْبُ السَّاعَةِ ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاج النَّاسِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿٢﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ بِسَبَبِهَا ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ بِالْفِعْلِ﴾ عَمَّا أَرْضَعَتْ

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تطيعوه) أي: بفعل المأمورات واجتناب المنهيات.

قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾... إلخ) تعليل للأمر بالتقوى، والمعنى: اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف؛ فإنَّ مَنْ دخل حضرته.. أمِنَ مِنْ كُلِّ مَا يُزْجَعُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]، وإضافة ﴿زَلْزَلَةَ﴾ لـ ﴿السَّاعَةِ﴾ من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف، تقديره: الأرض، وإسنادُ الزلزلة للساعة مجازٌ عقليٌّ؛ لأنها مُقدمتها ومن علامتها الكبرى؛ لما روي في حديث الصُّور: «إِنَّهُ قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَنَفْخَةُ الصَّعَقِ، وَنَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١)، وإنَّ عِنْدَ نَفْخَةِ الْفَرْعِ يَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالُ، وَتَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمِئِذٍ وَاجِفَةٌ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ، أَوْ كَالْمَنْدِيلِ الْمَعْلَقِ تُحْرَكُهُ الرِّيَّاحُ.

قوله: (أي: الحركة الشديدة) أي: وتكون تلك الحركة في نصف رمضان.

قوله: (التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أنَّ تلك الزلزلة تكون في الدنيا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيُقْوِي هَذَا الْقَوْلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾... الآية، والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا، وقيل: تكون مع النفخة الأولى، وقيل: تكون مع قيام الساعة عند النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ مَبَالِغَةً؛ أَيْ: إِنَّ الزَّلْزَلَةَ مِنْ شِدَّةِ هَوْلِهَا وَعَظَمَةِ شَأْنِهَا أَنَّ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ وَلَدِهَا.

قوله: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ أي: بالفعل، والمعنى: مُباشرةً لِلإِرْضَاعِ.

قوله: ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ يصح أن تكون (ما) مصدرية؛ أي: عن إرضاعها، ويصح أن تكون موصولة؛ أي: عن الذي أرضعته.

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾

أي: تَسَاهُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ﴾ أي: حُبْلَى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ مِنَ الشَّرَابِ، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فَهُمْ يَخَافُونَهُ.

﴿٣﴾ وَنَزَلَ فِي النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَجَمَاعَةٍ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَالْقُرْآنُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَإِحْيَاءَ مَن صَارَ تُرَابًا، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فِي جِدَالِهِ ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أَي: مُتَمَرِّدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ﴾ هو بفتح الحاء: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وأما الحمل - بكسر الحاء - فهو: ما يُحْمَلُ على الظهر.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ استدراكٌ على محذوف، تقديره: فهذه الأهوال ليست شديدةً ولكن عذاب الله... إلخ؛ فما بعد (لكن) مخالفت لما قبلها.

وهاتان الآيتان قيل: نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى رسول الله ﷺ الناس حتى كانوا حوله، فقرأها عليهم، فلم يرَ باكياً أكثر من تلك الليلة، فلما أصبحوا... لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا، والناس من بين بالكٍ وجالس حزين متفكر^(١).

قوله: ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: في قُدرته وصفاته العظيمة.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل ﴿يُجَادِلُ﴾.

قوله: ﴿وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ﴾ أي: حيث قالوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

قوله: ﴿مَّرِيدٍ﴾ أي: عاتٍ، والمراد: إمَّا رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، وإمَّا إبليس وجنوده، وهو الأقرب؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ

﴿٤﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتَّبَعَهُ ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يَدْعُوهُ ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

﴿٥﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مَكَّةَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ﴾ خَلَقْنَا ذُرِّيَّتَهُ ﴿مِّن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾ وهي الدَّمُ الجامد، ﴿ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لَحْمَةٌ قَدَرُ مَا يُمَضَّغُ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ هو فعل مبني للمفعول، و(أَنَّ) وما دخلت عليه في تأويل مصدر: نائب الفاعل.

قوله: ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ إمَّا شرطية والفاء واقعة في جوابها، أو موصولة والفاء زائدة في الخبر؛ لشبه المبتدأ بالشرط.

قوله: (يدعوه) أي: وسمَّى الدعاء هداية؛ تهكُّماً بهم.

قوله: (أي: النار) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بـ﴿السَّعِيرِ﴾: النارُ بجميع طبقاتها، لا الطبقة المسمَّاة بذلك.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر من يُجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في البعث.. ذكر دليلين على ذلك: الأول: في نفس الإنسان وابتداء خلقه، والثاني: في الأرض وما يخرج منها، فإذا تأمَّل الإنسان فيهما.. ثبت عنده البعث، وأنه واقع لا محالة.

قوله: ﴿ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾ أي: بأن تصير النطفة دماً جامداً، وهكذا يقال فيما بعده؛ بدليل قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ لما ورد: «أن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشراً.. طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة، ثم تمكث أربعين يوماً، ثم تصير دماً في الرحم، فذلك جمعها»^(١)، وهو وقت جعلها علقة، واتفقوا على أنَّ نفخ الروح فيه يكون بعد مئة وعشرين يوماً، وذلك أربعة أشهر.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تُخَلِّقُهُ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ
لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا

﴿تُخَلِّقُهُ﴾: مُصَوِّرَةٌ تَامَّةُ الْخَلْقِ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غَيْرِ تَامَّةِ الْخَلْقِ؛ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كَمَالِ قُدْرَتِنَا لِنَسْتَدِلُّوا بِهَا فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ، ﴿وَنُقِرُّ﴾ - مُسْتَأْنَفٌ - ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وَقْتُ خُرُوجِهِ، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿طِفْلًا﴾ بِمَعْنَى: أَطْفَالًا، ﴿ثُمَّ نَعْمُرُكُمْ﴾ لِنَبْلُغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ، أي: الْكَمَالَ وَالْقُوَّةَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ﴾ يَمُوتُ قَبْلَ بُلُوغِ الْأَشُدِّ، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أَخْسَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ؛ ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَصِرْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (تامة الخلق) أي: تامة التصوير؛ بأن خُلِقَ الرأس واليدان والرجلان.

قوله: (أي: غير تامة الخلق) أي: غير تامة التصوير؛ بأن لم يُخْلَقْ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

قوله: (كمال قدرتنا) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ مَفْعُولَ (نُبَيِّنَ) مَحْذُوفٌ.

قوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أي: فَلَا يُسْقِطُهُ الرَّحْمَ.

قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: مَعَيَّنَ لِإِخْرَاجِهِ، فَتَارَةً يَخْرُجُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَتَارَةً لِأَكْثَرِ.

قوله: ﴿طِفْلًا﴾ (حال من مفعول ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾، وأفرد؛ لأنه مصدرٌ في الأصل، أو لأنه يراد به الجنس، أو لأنَّ المعنى: نَخْرُجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ طِفْلًا؛ كَقَوْلِكَ: الْقَوْمُ يُشْبِعُهُمْ رَغِيفٌ؛ أي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَالطِّفْلُ: يُطْلَقُ عَلَى الْوَلَدِ مِنْ حِينَ الْإِنْفِصَالِ إِلَى الْبُلُوغِ.

قوله: ﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ قيل: هُوَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَمَانُونَ، وَقِيلَ: تِسْعُونَ.

قوله: (والخرَف) بفتح الحين هو: فَسَادُ الْعَقْلِ مِنَ الْكِبَرِ.

قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ متعلق بـ ﴿يُرَدُّ﴾ أي: لِكَيْلَا يَعْقِلَ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا؛ لِيَعُودَ كَهَيْئَتِهِ الْأُولَى فِي أَوَانِ الطِّفْلِ؛ مِنْ سَخَافَةِ الْعَقْلِ، وَقِلَّةِ الْفَهْمِ، فَيَنْسَى مَا عِلِمَهُ وَيُنْكِرُ مَا عَرَفَهُ.

قوله: (قال عكرمة: من قرأ القرآن... إلخ) أي: فَهُوَ مُخْصِصٌ بِغَيْرِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَالْعُلَمَاءَ، وَأَمَّا هُمُ... فَلَا يُرَدُّونَ إِلَى الْأَرْذَلِ، بَلْ يَزْدَادُ عَقْلُهُمْ كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُمْ؛ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ.

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: يابسة، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتفعت وزادت، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن.
 (٦ - ٧) ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض، ﴿يَأْنِ﴾ يسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثابت الدائم، ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.
 ﴿٨﴾ ونزل في أبي جهل: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى.

قوله: (تحركت) أي: في رأي العين بسبب حركة النبات.

قوله: ﴿يَأْنِ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: هذا الصنع بسبب أنه تعالى الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، الموجدُ للأشياء على طبق علمه وإرادته.

قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ تأكيد لقوله: ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾، وكذا قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

قوله: (ونزل في أبي جهل) أي: واسمه عمرو بن هشام، وأبو جهل كُنِيته، ويكنى أيضاً بابي الحكم.

قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ﴾ الأول، والمعنى: أن الكفار تنوعوا في كفرهم؛ فبعضهم كان يُقلد غيره في الكفر، وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم، وبعضهم كان قدوة يقتدي به غيره في الضلال والكفر، وقد دلت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك، وهو الآتي في قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وحينئذ: فليس في الآية تكرار.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: معرفة، وقوله: ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي: استدلال،

وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾

﴿وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ﴾ لَهُ نُورٌ مَعَهُ.

﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ - حال - أي: لا وِيَّ عُنْقِهِ تَكْبَرًا عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْعِطْفُ الْجَانِبُ
عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ، ﴿لِيُضِلَّ﴾ - بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا - ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دِينِهِ، ﴿لَهُ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عَذَابٌ، فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراق
حاشية الصاوي

وقوله: ﴿﴿وَلَا كِتَابٌ﴾﴾ أي: وحي، والمعنى: أنه يجادل من غير مستند أصلاً.

قوله: ﴿﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾﴾ أي: لا وِيَّ جَنْبِهِ، والمراد منه: الإعراض عن الحق؛ لأنَّ شأن مَنْ
أعرض عن شيء لَوِيَّ جَنْبِهِ عَنْهُ، فَشَبَّهَ عَدَمَ التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ بِلَوِيَّ الْجَانِبِ^(١)، واستعير اسم المشبه به
للمشبه بجامع الإعراض في كلٍّ على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

والعامة على كسر العين وهو: الجانب، وقرئ شذوذاً بفتحها^(٢)، وهو مصدر بمعنى: التعطف،
كأنه قال: تاركاً تعطفه - أي: رحمته - وتمسك بالقسوة.

قوله: (أي: لا وِيَّ عُنْقِهِ) الأوضح أن يقول: جَنْبِهِ؛ لأنَّ العطف - بالكسر - الجانب إلا أن
يقال: يلزم من لِيَّ الجانب لِيَّ العنق.

قوله: ﴿﴿لِيُضِلَّ﴾﴾ متعلق بـ﴿يُضِلُّ﴾، وقوله: (بفتح الياء) أي: فهو فعل لازم، والمعنى:
ليحصل له الضلال في نفسه، وقوله: (وضمها) أي: فهو متعد، والمعنى: ليوقع غيره في الضلال،
وهما قراءتان سبعيتان^(٣)، واللام: للعاقبة والضرورة.

قوله: (عذاب) في بعض النسخ زيادة: (ثقل)، ومعناه: عظيم متكرر، وأخذ ذلك من التنوين
على حدٍّ: شرٌّ أهرَّ ذَا نَابٍ.

قوله: ﴿﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾﴾ من إضافة الموصوف لإصْفَتِهِ؛ أي: العذاب المحرق، أو الحريق: طبقة
من طباق جهنم.

(١) لوى الحبل يُلَوِيهِ، لَبَّيًّا - بالفتح - وَلَوِيًّا، بالضم مع تشديد الياء، كذا في النسخ، وهو غلط صوابه: لَوِيًّا - بالفتح - كما
هو نصُّ «المحكم». انظر «تاج العروس» (٤٣٨/٣٩)، والمصنف رحمه الله استعمل المصدرين في كلامه.

(٢) وهي قراءة الحسن. انظر «الدر المصون» (٢٣٦/٨).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٥٤٠/٢).

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ

بِالنَّارِ، وَيُقَالُ لَهُ:

﴿١٠﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي: قَدَّمْتَهُ، عُبِّرَ عَنْهُ بِهِمَا دُونَ غَيْرِهِمَا لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ تَزَاوُلَ بِهِمَا، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

﴿١١﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال له) أي: من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق.

قوله: (عُبِّرَ عَنْهُ بِهِمَا...) إلخ) جوابٌ عمّا يقال: لَمْ خَصَّ الْيَدَيْنِ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ الشَّخْصُ ذَاتُهُ؟

قوله: (تزاوُل) أي: تعالج.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ عطف على ﴿قَدَّمْتَ﴾.

قوله: (أي: بذِي ظلم) أي: فد(ظلام): صيغة نسبة ك: ثَمَارٌ وَنَجَّارٌ، ودفع بذلك ما يقال: إِنَّ نَفْيَ الْكثرةِ يَسْتَدْعِي ثبوتَ أَصْلِ الظلمِ مع أنه مستحيل؛ لأنَّ الظلم: التَّصَرُّفُ فِي ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحدٍ معه؛ لأنَّ حكمه في ملكه دائرٌ بين الفضل والعدل؛ فلا يسأل عمّا يفعل، وحينئذٍ: فلا يُلَيِّقُ مِنَ الشَّخْصِ الاعتراضُ على أحكام الله تعالى، وإنما يرضى ويسلم؛ لِيَفُوزَ بِسعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (فَيُعَذِّبُهُمْ بغير ذنب) أي: وسَمَّاهُ ظَلَمًا؛ لأنه وعد الطائع بالجنة ووعدُهُ لا يتخلف، لكن لو قُرِضَ... لم يكن ظلمًا.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في المنافقين وأعراب البوادي؛ كان أحدهم إذا قدم المدينة فصَحَّ بها جسمه، وَتُبِّجَتْ بها فرسهُ مهراً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله.. قال: هذا دينٌ حسنٌ، وقد أصبْتُ فيه خيراً، واطمأنَّ له، وإن أصابه مرضٌ، وولدت امرأته جاريةً، ولم تلد فرسهُ، وقلَّ ماله.. قال: ما أصبْتُ منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً، فَيَتَقَلَّبُ عَنْ دينه^(١).

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٧٤٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه موقوفاً، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٢٢٥).

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

أي: شَكٌّ فِي عِبَادَتِهِ، شُبَّةٌ بِالحَالِّ عَلَى حَرْفِ جَبَلٍ فِي عَدَمِ ثَبَاتِهِ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: صِحَّةٌ وَسَلَامَةٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ: مِحْنَةٌ وَسَقَمٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ﴿أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رَجَعَ إِلَى الكُفْرِ، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بِفَوَاتٍ مَا أَمَلَهُ مِنْهَا، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالكُفْرِ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: الْبَيِّنُ.

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ (حَالٌّ مِنْ فَاعِلٍ ﴿يَعْبُدُ﴾ أي: مُتَزَلِّزاً، وَقَدْ صَارَ مَثَلًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَكٌّ فِي شَيْءٍ.

قوله: (أي: شَكٌّ فِي عِبَادَتِهِ) أي: ضَعْفٌ يَقِينٌ فِيهَا.

قوله: (شُبَّةٌ بِالحَالِّ عَلَى حَرْفِ جَبَلٍ فِي عَدَمِ ثَبَاتِهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ اسْتِعَارَةً تَمثِيلِيَّةً؛ حَيْثُ شُبَّةٌ حَالٌّ مِنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ وَصِحَّةٍ قَصْدٍ بِحَالِ الْجَالِسِ عَلَى طَرَفِ جَبَلٍ تَحْتَهُ مَهَاوِي^(١)، بِجَامِعِ التَّزَلُّزِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ فِي كُلِّ.

قوله: ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ أي: رَضِيَ بِهِ وَسَكَنَ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ المراد بِهَا هُنَا: كُلُّ مَكْرُوهٍُ لِلطَّبْعِ، وَثَقِيلٍ عَلَى النَّفْسِ، وَلَمْ يَقُلْ: (وَلِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ) لِيَقَعَ فِي مَقَابِلَةِ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ مَا يَنْفَرُ عَنْهُ الطَّبْعُ لَيْسَ شَرًّا فِي نَفْسِهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا إِذَا حَصَلَ مَعَهُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ.

قوله: ﴿أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: ارْتَدَّ لِلْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلًا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (بِفَوَاتٍ مَا أَمَلَهُ) أي: وَهُوَ كَثْرَةُ مَالِهِ وَاجْتِمَاعُهُ بِأَحْبَابِهِ.

قوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: الَّذِي لَا تُخْشَرَانُ مِثْلَهُ؛ لِفَوَاتٍ حِطُّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) فِي الْوَقْفِ عَلَى الْاسْمِ الْمَنْقُوصِ إِذَا كَانَ مُتَوْنًا لِغَتَانِ: الْأَفْصَحُ: حَذْفُ الْيَاءِ، وَيَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ بِالْيَاءِ. انْظُرْ «فَطْر» النَّدَى، لَابِنْ هَشَامٍ (ص: ٥٨٩).

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

﴿١٢﴾ يَدْعُوا: يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الصَّنَمِ مَا لَا يَضُرُّهُ إِنْ لَمْ يَعْبُدْهُ، وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ إِنْ عَبَدَهُ، ذَلِكَ الدُّعَاءُ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ عَنْ الْحَقِّ.
 ﴿١٣﴾ يَدْعُوا لِمَنْ - اللَّامُ زائدة - ضَرُّهُ بِعِبَادَتِهِ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، إِنْ نَفَعَ بِتَخْيِيلِهِ، لَيْسَ الْمَوْلَى هُوَ أَي: النَّاصِرُ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ: الصَّاحِبُ هُوَ، وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ فِي:

حاشية الصاوي

قوله: (من الصنم) لا مفهوم له، بل مثله كل مخلوق، والحاصل: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق، وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين.. فهو مطلوب، وهو في الحقيقة التجاء للخالق، يُقَرَّبُ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِالْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَالطَّوُافِ بِالْبَيْتِ، وَقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَنَحْوِهَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلتَّعَرُّضِ لِلرَّحْمَةِ النَّازِلَةِ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ؛ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ وَغَيْرِهَا، فَهُمْ مَهَبَطُ الرَّحْمَاتِ، لَا مَنْشُؤُهَا، تَأَمَّلْ.
 قوله: (اللام زائدة) أي: (مَنْ): مفعول ﴿يَدْعُوا﴾، و﴿ضَرُّهُ﴾: مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾: خبره، والجملة صلة (مَنْ) ^(١).

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ أَثْبَتَ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ هُنَا، وَنَفَاهُمَا فِيمَا تَقَدَّمَ ^(٢)؛ فَقَدْ حَصَلَ التَّعَارُضُ وَالتَّنَاقُضُ.

أَجِيب: بِأَنَّ النِّفْيَ بِاعْتِبَارِ مَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَالْإِثْبَاتَ بِاعْتِبَارِ زَعْمِهِمُ الْبَاطِلِ.

قوله: (هو) قدره؛ إشارةً إِلَى أَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ.

قوله: (وعقَّب ذكر الشاك بالخسران) الجارُّ والمجرور حال من (الشاك)، والباء: للملابسة، وقوله: (بذكر المؤمنين) متعلق بـ(عقَّب)، والمعنى: لَمَّا ذَكَرَ الشَّاكُّ فِي الدِّينِ حَالَهُ كَوْنَهُ مُلْتَبِساً بِالْخُسْرَانِ.. ذَكَرَ عَقْبَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

(١) ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وجه من وجوه عشرة في إعراب هذه الآية، ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢٣٨/٨).

(٢) أي: بقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ

﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١﴾ مِنَ الْفُرُوضِ وَالنَّوَافِلِ ﴿٢﴾ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٣﴾ مِنْ إِكْرَامٍ مَنْ يُطِيعُهُ وَإِهَانَةٍ مَنْ يَعَصِيهِ .

﴿١٥﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴿١﴾ أَي: مُحَمَّدًا نَبِيَّهِ ﴿٢﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴿٣﴾ بِحَبْلِ إِلَى السَّمَاءِ ﴿٤﴾ أَي: سَقْفِ بَيْتِهِ يَشُدُّهُ فِيهِ وَفِي عُنُقِهِ، ﴿٥﴾ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴿٦﴾ أَي: لِيَخْتَنِقَ بِهِ بِأَنْ يَقْطَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: (من الفروض) أي: وهي ما أُمِرَ بها المكلف أمراً جازماً يترتب على فعلها الثواب، وعلى تركها العقاب، وقوله: (والنوافل) هي: ما أُمِرَ بها الشخص أمراً غير جازم يترتب على فعلها الثواب، وليس في تركها عقاب.

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (أي: من تحت قصورها).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (أي: فلا معقّب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل).

قوله: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ (هذه الآية مُرتبطة بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ إلخ.. فهو معترض بين أوصاف الشاك؛ ليجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد، والمعنى: من كان يظنُّ من الكفار والشاكِّين في دينهم أنَّ الله لا ينصر محمدًا في الدنيا والآخرة.. فليأت بحبل يشده في سقف بيته وفي عنقه، ثم يخنق به حتى يموت، فليَنظر هل فعله هذا يُذهِبُ غيظه وهو نصره محمد؟ فالإتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظاً، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وهذا هو المشهور في تفسير الآية؛ ولذا مشى عليه المفسر.

وقيل: إنَّ المعنى: من كان يظنُّ أنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ الله محمدًا.. فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء،

ثم ليقطع النصر عنه، ويَنظر؛ هل يُذهِبُ ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك؟

قوله: (بأن يقطع نفسه) بالتحريك، وهو إشارة إلى أنَّ مفعول (يقطع) محذوف.

فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

كما في «الصَّحاح»، ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عَدَمِ نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﴿مَا يَغِيظُ﴾ مِنْهَا، الْمَعْنَى: فَلْيَخْتَنِقْ غِيظاً مِنْهَا فَلَا بُدَّ مِنْهَا.

﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ إِنْزَالِنَا الْآيَاتِ السَّابِقَةَ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ الْبَاقِيَّ ﴿آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ﴾: ظَاهِرَاتٍ - حَالٍ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هُدَاهُ، - مَعْطُوفٌ عَلَى هَاءِ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ - ..

﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿وَالصَّابِقِينَ﴾: طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴿وَالنَّصَرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بِإِدْخَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَإِدْخَالِ غَيْرِهِمُ النَّارَ،

حاشية الصاوي

قوله: (كما في «الصَّحاح») راجعٌ لجميع ما ذكر من قوله: (بحبل إلى السماء... إلخ)، و«الصَّحاح» بفتح الصاد: اسم كتاب في اللغة، للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري. قوله: ﴿مَا يَغِيظُ﴾ (مَا): اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، و﴿يَغِيظُ﴾: صلته، والعائد محذوف، والتقدير: الشيء الذي يغیظه.

قوله: (منها) بيان ل(ما) الواقعة على نُصْرَةِ النَّبِيِّ.

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

قوله: (على هاء ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾) أي: فالمعنى: وأنزلنا أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ؛ أي: ويضِلُّ مَنْ يَرِيدُ؛ ففي الآية اكتفاء.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... إلخ﴾ أي: فالأديان ستة: واحد للرحمن، وأصحابه في الجنة، وخمسة للشيطان، وأصحابها في النار.

قوله: ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ قيل: هم قومٌ يعبدون النار - وقيل: الشمس - ويقولون: العالم له أصلان: النور، والظلمة، وقيل: هم قومٌ يستعملون النجاسات، والأصل: نجوس، أبدلت النون ميماً. قوله: (طائفة منهم) أي: من اليهود، وقيل: هم طائفة من النصارى.

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: عَلِمَ بِهِ عِلْمٌ مُّشَاهِدَةٌ.
 ﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعَلَّمَ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ أَي: تَخَضَّعَ لَهُ بِمَا يُرَادُ مِنْهَا، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِزِيَادَةِ عَلَى الْخُضُوعِ فِي سُجُودِ الصَّلَاةِ، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ أَبَوَا السُّجُودَ الْمُتَوَقَّفَ عَلَى الْإِيمَانِ، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾: يُشَقِّهِ ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾: مُسْعِدٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْإِكْرَامِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: تعليل لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾.
 قوله: (عالم) أشار بذلك إلى أَنَّ الشهيد معناه: الذي لا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ.
 قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾: عطف خاص على قوله: ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ﴾، ونَصَّ عليها؛ لما ورد: أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَعْبُدُهَا.
 قوله: ﴿وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: عطف خاص على ﴿مَن فِي الْأَرْضِ﴾، وخصَّها بالذكر؛ لأنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَعْبُدُهَا.

قوله: (أي: تخضع له) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالسجود: الخضوع والانقياد، وهو أحد قولين، وقيل: المراد بالسجود: حقيقته؛ لأنه ورد: «ما من السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له»^(١)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ الْأَصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾: أشار المفسر إلى أنه معطوف على فاعل ﴿يَسْجُدُ﴾.
 قوله: ﴿يُشَقِّهِ﴾ أي: يختم عليه الشقاء، وهو: عدم الاهتداء.
 قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: أي: فلا حرج عليه، ولا مُنَازَعَ له في حكمه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٨٦/١٨) من حديث أبي العالية عليه السلام. وانظر «الدر المثور» (١٨/٦).

هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ.....

(١٩ - ٢٠) ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: الْمُؤْمِنُونَ خَصِمُوا وَالْكَفَّارُ الْخَمْسَةُ خَصِمُوا، وهو يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ، ﴿أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: فِي دِينِهِ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ يَلْبَسُونَهَا، يَعْنِي أُحِيطَتْ بِهِمُ النَّارُ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار؛ كما قال المفسر، وسبب نزولها: تخاضم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث مع عتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فكان كلٌّ من الفريقين يسبُّ دين الآخر.

وقيل: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب؛ حيث قال أهل الكتاب: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المسلمون: نحن أحقُّ بالله منكم، آمناً بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسداً^(١).

واختلف؛ هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ إلخ باعتبار تحقق مضمونه، أو في الآخرة بدليل التعقيب؛ ولذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا أول من يجتو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى؟^(٢)

قوله: (وهو يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ) أي: لأنه مصدر في الأصل، والغالب استعماله مفرداً مذكراً، وعليه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١]، ويشئى ويجمع كما هنا.

قوله: ﴿أَخْصَمُوا﴾ جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص، فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوهُ﴾ [الحجرات: ٩].

قوله: (أي: في دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ أي: قُدرت على قدر جُثَّتْهم؛ ففي الكلام استعارة تمثيلية؛ حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم.

وجمع الثياب؛ لأن تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض، وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع.

(١) انظر أسباب النزول في «زاد المسير» (٢٢٨/٣).

(٢) انظر «تفسير الثعالبي» (١١٣/٤).

يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الماءُ البالغُ نهايةَ الحرارة، ﴿يُصْهَرُ﴾: يُذابُ ﴿بِهِ﴾: مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴿مِنْ شُحُومٍ وَغَيْرِهَا﴾ ﴿و﴾ تُشَوَّى بِهِ ﴿الْجُلُودُ﴾. ﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لِضَرْبِ رُءُوسِهِمْ. ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أَي: النَّارِ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يَلْحَقُهُمْ بِهَا ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إِلَيْهَا بِالْمَقَامِعِ، ﴿و﴾ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أَي: البالغُ نهايةَ الإحراق.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾) أَي: لما ذكر أن الشياب تغطي الجسد غير الرأس.. ذكر ما يصيب الرأس، ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد.. ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذي يُذيب ما في البطن من الأحشاء؛ لما في الحديث: «إن الحميم ليُصبُّ من فوق رؤوسهم فيتفد من جمجمة أحدهم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر، ثم يعاد كما كان»^(١).

قوله: ﴿و﴾ تُشَوَّى بِهِ ﴿الْجُلُودُ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿الْجُلُودُ﴾ مرفوعٌ بفعلٍ مقدر؛ لأنَّ الجلود لا تذاب، نظير: [الكامل]

علفُها تبناً وماءً بارداً^(٢)

أو يصح أن يكون معطوفاً على (ما) ويُراد بالإذابة: التقطيع.

قوله: ﴿وَلَهُمْ مَقَمِعٌ﴾ جمع مِقْمَعَةٍ بكسر الميم: آلة القمع؛ أَي: الضرب والزجر.

قوله: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أَي: من أجل حصوله لهم.

قوله: ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾) أَي: لما ورد: (أنَّ جهنم تفور بهم، فيصعدون إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقاميع الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفاً)^(٣).

قوله: (وقيل لهم) أَي: تقول لهم الملائكة ذلك.

قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾) من إضافة الموصوف للصفة؛ أَي: العذاب المحرق.

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، (وسلت): يذهب ويمر، و(يمرق): يخرج.

(٢) تقدم الرجز والكلام عليه (٥٤٣/٢).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزُّهد» (٩٧/٢) عن الحسن.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿٢٣﴾ وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ - بِالْجَرِّ أَي: مِنْهُمَا - بِأَنْ يُرْصَعَ اللُّؤْلُؤُ بِالذَّهَبِ، وَبِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الْمُحَرَّمُ لُبْسُهُ عَلَى الرِّجَالِ فِي الدُّنْيَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) لم يقل في حقهم: (والذين آمنوا) عطفًا على قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ إشارةً لِتَعْظِيمِ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ (جمع نهر، والمعنى: تجري من تحت قُصورهم).

قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ (مِنْ): إمَّا زائدة، أو للتبعية، أو لبيان الجنس، وقوله: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ (مِنْ): لا ابتداء الغاية.

قوله: (بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب، والأصل: بأن يُرْصَعَ الذهب باللؤلؤ، وقيل: إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ، وفي آية (هل أتى): ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة؛ لما ورد: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُسَوَّرُ فِي الْجَنَّةِ بِثَلَاثَةِ أَسْوَرَةٍ: سَوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَسَوَارٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَسَوَارٍ مِنْ لَوْلُؤٍ»^(١)، وفي الحديث: «تَبْلُغُ حَلِيَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»^(٢).

قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (غير الأسلوب؛ حيث لم يقل: (ويلبسون فيها حريراً)؛ إشارةً إلى أَنَّ الْحَرِيرَ ثِيَابُهُمُ الْمَعْتَادَةُ فِي الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الْعُدُولَ إِلَى الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ.

قوله: (وهو المُحَرَّمُ لبسه على الرجال في الدنيا) أي: يُوصَلُّهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا.. لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

واختلف في معنى الحديث؛ فقليل: لم يلبسه في الآخرة إذا مات مصرًّا ودخل النار؛ فلا ينافي

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في «المعجم» (٩٣/١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٥٤٧٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَهْدُوا إِلَى آلَطَيْبٍ مِّنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

﴿٢٤﴾ ﴿وَهْدُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى آلَطَيْبٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ وهو «لا إله إلا الله»، ﴿وَهْدُوا إِلَى
صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله المَحْمُودَة ودينه.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طَاعَتِهِ ﴿و﴾ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ

حاشية الصاوي

أنه إذا دخل الجنة.. يلبسه، وقيل: لم يلبسه أصلاً ولو دخل الجنة، بل يتنعم بغير الحرير،
وأما هو.. فلا يشتفيه فيها. والمعتمد: الأول، وكذا يقال في الأحاديث الواردة فيمن شرب
الخمير، ولبس الذهب^(١).

قوله: (وهو لا إله إلا الله) أي: مع عديلتها: محمد رسول الله، فهي أفضل القول؛
لما في الحديث: «أفضل ما قلته أنا والنبئون من قبلي: لا إله إلا الله»^(٢) فهي رأس المال لذاكرها،
ولا يقبل شيء من الأعمال إلا بها؛ فَمَن مات عليها.. حصلت له السعادة والسيادة، نسأل الله
تعالى الثبات عليها في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ أي: وهو دين الإسلام، وسمي صراطاً؛ لأنه طريق يُوصل
إلى رضا الله تعالى.

قوله: (أي: طريق الله المحمود) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿الْحَمِيدَ﴾ وصفٌ لله تعالى، ومعناه:
المحمود في أفعاله.

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾ ففيه عطف المستقبل على الماضي، وحينئذٍ:
فإنَّما أن يراد بالماضي المضارع، أو يُجرد المضارع عن معناه؛ بأن يراد به الثبوت والاستمرار؛
لتناسب العطف، وهذا هو الأحسن، ولا يصح جعل جملة ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ حالاً؛ لأنَّ الجملة
المضارعة المثبتة إذا وقعت حالاً لا تُقرن بالواو، قال ابن مالك^(٣): [الرجز]

(١) حديث شارب الخمر رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٥٢٦٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وأما حديث لبس الذهب..
فرواه الإمام أحمد في «مسنده» (١١٦/١١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) «الخلاصة» (ص ٣٣)، باب: الحال.

لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَنَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ

مَنْسَكًا وَمُتَعَبِّدًا ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَنَكُفُ﴾: الْمُقِيمُ ﴿فِيهِ وَالْبَادُ﴾: الطَّارِئُ،

حاشية الصاوي

وذاث بدء بمضارع ثبث حوث ضميراً ومن الواو خلت
ولا جعل الواو زائدة؛ لأن الأصل عدمها، وخبر (إن) محذوف يُقدَّرُ بعد قوله: ﴿وَالْبَادُ﴾؛
لدلالة قوله: ﴿تُدْقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، والتقدير: نُذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ كما سيأتي للمفسر.
قوله: (منسكاً) قدَّره؛ إشارة إلى أن مفعول (جعلنا) الثاني محذوف، وقوله: (ومتعبداً) عطفت
تفسير.

قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ ظرف لغو إمّا متعلق بـ(منسكاً) الذي قدَّره المفسر، أو بـ(جعلنا)، وهذا
التقدير إنما هو لإيضاح المعنى، وإلا.. فيصح جعل جملة ﴿سَوَاءٌ الْعَنَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ مفعولاً ثانياً،
وعلى ما قدَّره المفسر تكون حالية.

قوله: ﴿سَوَاءٌ الْعَنَكُفُ فِيهِ﴾: ﴿سَوَاءٌ﴾: بالرفع خبر مقدم، و﴿الْعَنَكُفُ﴾ وما عطف عليه: مبتدأ
مؤخر، وقرأ حفص بالنصب فيُعرب حالاً^(١)، و﴿الْعَنَكُفُ﴾: مرفوع على الفاعلية لـ﴿سَوَاءٌ﴾؛
لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره: جعلناه مُستوياً فيه العاكف... إلخ.
والمعنى: أنَّ المقيم في المسجد والطارئ سواء في النزول به؛ فمن سبق إلى مكان فيه..
فهو حقُّه لا يقيمه منه غيره، وليس المراد: أنَّ دُورَ مكة غير مملوكة لأربابها؛ فالغريب وأهل البلد
سواء فيها، بل هي مملوكة لأربابها، ويجوز بيعها وإجارتها.

قوله: ﴿وَالْبَادُ﴾ بإثبات الياء وصلّاً ووقفاً، أو حذفها فيهما، أو حذفها وقفاً وإثباتها وصلّاً،
ثلاث قراءات سبعيات^(٢)، وقوله: (الطارئ) دفع به ما يُتوهم من قوله: (البادي): أن المراد به
ساكن البادية، بل المراد به: الطارئ كان من البادية أو لا، وإنما سُمي الطارئ بادياً؛ لأنه لا يأتي
إليها إلّا من البادية.

(١) هذا إن قلنا: إن (جعل) يتعدى لواحد، وإن قلنا: إنه يتعدى لاثنتين.. كان (سواء) مفعولاً ثانياً. انظر «الدر
المصون» (٢٥٨/٨).

(٢) أثبت ابن كثير الياء وصلّاً ووقفاً، وأثبتها أبو عمرو وورش وصلّاً وحذفها وقفاً، وحذفها الباقون وصلّاً ووقفاً،
وهي محذوفة في الإمام. انظر «الدر المصون» (٢٥٩/٨).

وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾ - الباء زائدة - ﴿يُظْلَمِ﴾ أي: يَسْبِيهِ، بِأَنْ ارْتَكَبَ مِنْهَا وَلَوْ شَتَمَ الْخَادِمَ، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِم، أي: بَعْضُهُ، وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ خَبَرٌ ﴿إِنَّ﴾، أي: نُذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ.

﴿٢٦﴾ ﴿وَاذْكُرْ﴾ إِذْ بَوَّأْنَا: بَيَّنَّا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ أي: يقصد في المسجد الحرام.

قوله: ﴿بِالْحَكَامِ﴾ أي: عدول عن الاعتدال.

قوله: (الباء: زائدة) أي: في المفعول.

قوله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: في الآخرة إلا أن يتوب، وأخذ منه: أَنَّ السَّيِّئَةَ فِي مَكَّةَ أَكْثَرُ مِنَ السَّيِّئَةِ فِي غَيْرِهَا، وَمِنْ هُنَا: كَرِهَ مَالِكُ الْمَجَاوِرَةَ فِي مَكَّةَ لِغَيْرِ أَهْلِهَا، وَنَذِيهَا بِالْمَدِينَةِ^(١).

قوله: (ومن هذا) أي: جواب الشرط.

قوله: ﴿يُؤْخَذُ خَبَرٌ﴾ (إِنَّ) أي: ويكون مقدراً بعد قوله: (والبادي).

قوله: (واذكر) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿بَوَّأْنَا﴾ ظرف لمحذوف.

قوله: (بيَّنَّا لإبراهيم مكان البيت) أي: أريناه أصله؛ لينبئ حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر في تلك الأرض وأنعم الله عليهما بزمزم، فدعا الله بعمارة هذا البيت، فبعث الله له ريحاً هفافة، فكشفت عن أساس آدم، فرتب قواعده عليه؛ لأنَّ أساسه في الأرض كما قيل: ثلاثون ذراعاً بذراع آدم، وقيل: بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت، وفيه رأس يتكلم: يا إبراهيم؛ ابنِ علي دُوري، فبنى عليه، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذارعه، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً يلقي فيه ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بناها العمالقة، ثم جُرههم، ثم قصي، ثم قريش، ثم ابن الزبير، ثم الحجاج، وهي باقية الآن على بنائه، ثم يهدمها في آخر الزمان ذو السويقتين، فيُجدِّدها عيسى بن مريم عليه السلام.

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/٢٦٦).

لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا

﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾ لِيَبْنِيَهُ، وكان قد رُفِعَ زَمَنَ الطُّوفَانِ، وأَمَرْنَاهُ ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾: الْمُقِيمِينَ بِهِ، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جَمْعُ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ: الْمُصَلِّينَ.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَذِّنْ﴾: نَادِ ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فَنَادَى عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ بَنَى بَيْتًا وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ إِلَيْهِ، فَأَجِيبُوا رَبَّكُمْ، وَالتَفَتَ بِوَجْهِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، فَأَجَابَهُ كُلُّ مَنْ كُتِبَ لَهُ أَنْ يَحُجَّ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ الْأُمَمَاتِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَجَوَابُ الْأَمْرِ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مُشَاءً، جَمْعُ رَاجِلٍ كـ(قَائِمٍ وَقِيَامٍ)،

حاشية الصاوي

قوله: (وَأَمَرْنَاهُ) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنْ قَوْلَهُ: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي﴾ مَعْمُولٌ لِمَحْذُوفٍ، وَذَلِكَ الْمَحْذُوفُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بِوَأَنَّا﴾.

قوله: (مِنِ الْأَوْثَانِ) قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الْأَصْنَامُ؛ لِأَنَّ جُرْهَمًا وَالْعَمَالِقَةَ كَانَتَا لَهُمَا أَصْنَامٌ فِي مَحَلِّ الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: نَزَّهَهُ عَنْ أَنْ يُعْبَدَ فِيهِ غَيْرُهُ تَعَالَى، فَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ إِظْهَارِ التَّوْحِيدِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: طَهَّرَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَالدَّمَاءِ وَجَمِيعِ مَا تَنَفَّرَ مِنْهُ النَّفُوسُ.

قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أَي: بِالِدَعَاءِ إِلَيْهِ، وَالْأَمْرُ بِهِ.

قوله: (عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ) أَي: فَلَمَّا صَعِدَ لِلدَّعَاءِ.. أَخْفَضَتْ الْجِبَالُ رُؤُوسَهَا، وَرَفَعَتْ لَهُ الْقُرَى، فَنَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَأَوَّلُ مَنْ أَجَابَهُ أَهْلُ الْيَمَنِ، فَلَيْسَ حَاجٌّ مِنْ يَوْمئِذٍ إِلَى يَوْمٍ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا مَنْ أَجَابَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمئِذٍ، فَمَنْ لَبَّى مَرَّةً.. حَجَّ مَرَّةً، وَمَنْ لَبَّى مَرَّتَيْنِ.. حَجَّ مَرَّتَيْنِ، وَمَنْ لَبَّى أَكْثَرَ.. حَجَّ بِقَدَرِ تَلَبُّيَّتِهِ.

قوله: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) أَي: أَجَبْتُكَ إِجَابَةً بَعْدَ إِجَابَةٍ.

قوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أَي: يَأْتُوا مَكَانَكَ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِتْيَانُ الْبَيْتِ لَا إِتْيَانُ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلُهُ: ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَجُّ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ لَيْسَتْ فِي الْبَحْرِ، وَإِنَّمَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: بَعِيرٍ مَهْزُولٍ، وهو يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،
﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضَّوَامِرُ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طَرِيقٍ بَعِيدٍ.

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يَحْضُرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالتَّجَارَةِ، أَوْ فِي الْآخِرَةِ
أَوْ فِيهِمَا، أَقْوَالٌ، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ أي: عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ يَوْمَ
عَرَفَةَ أَوْ يَوْمَ النَّحْرِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَقْوَالٌ، ﴿وَعَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ التضمير في الأصل: أن تَعْلِفَ الفرس حتى تسمن ثم تَقْلَلْ عنه
الأكل شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى حد القوت، وحيثئذ: فيكون سريع الجري.

وقدّم الراجل؛ لما ورد: «أنّ له بكل خطوة سبع مئة حسنة من حسنات الحرم، كل حسنة مئة
ألف حسنة، وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة»^(١)، وأخذ الشافعي من هذا الحديث أنّ المشي
أفضل من الركوب، وقال مالك: الركوب أفضل؛ لأنه أقرب للشكر، ولأنّ رسول الله ﷺ حجّ
راكباً، ولو كان المشي أفضل.. لفعله رسول الله ﷺ، وأجاب عن الحديث: بأنه مزية،
وهي لا تقتضي الأفضلية^(٢).

قوله: (حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى) أي: حيث ألحق الفعل العلامة، ولو راعى اللفظ.. لقال: (يَأْتِي).

قوله: (بِالتَّجَارَةِ) أي: لأنها جائزة للحاجّ من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر.

قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ أي: عند إعداد الهدايا وذبحها.

قوله: (عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ) أي: وسمّيت معلومات؛ لحرص الحُجَّاجِ عَلَى عِلْمِهَا؛ لِأَنَّ وَقْتَ
الحج في آخرها.

قوله: (إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ) راجع للقولين قبله.

قوله: ﴿وَعَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾ أي: لأجل ما رَزَقَهُمْ.

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٥١/١٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) انظر «المجموع» (٩١/٧)، و«الشرح الكبير» للدردير (١٠/٢).

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ
وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ

الإبل والبقر والغنم التي تُنحرُ في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مُستَحَبَّةً، ﴿وَأَطِعُوا الْبَاسَ الْفَقِيرَ﴾ أي: الشَّيْءَ الْفَقِيرَ.

﴿٢٩﴾ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يُزِيلُوا أَوْسَاخَهُمْ وَشَعَثَهُمْ كَطَوِيلِ الظُّفْرِ، ﴿وَلِيُوفُوا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿نُدُورَهُمْ﴾ مِنَ الْهَدَايَا وَالضَّحَايَا، ﴿وَلِيَطَّوَفُوا﴾ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ - خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مُقَدَّرٌ - أي: الْأَمْرُ أَوْ الشَّأْنُ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمرٌ إباحة؛ لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم، فأمر الله بمخالفتهم.

واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً.. جاز الأكل منه، واختلفوا في الهدى الواجب؛ فقال الشافعي: لا يأكل منه، وقال مالك: يأكل من كل هدي وجب عليه إلا من جزاء الصيد، وفدية الأذى، والنذر إذا قصد به المساكين، وقال أصحاب أبي حنيفة: يأكل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: بعد تمام حجهم وتحللهم؛ لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب: الرمي، فالتنحر، فالحلق، فطواف الإفاضة، فبعد الفراغ منها حل له كل شيء كان محرماً عليه قبل الإحرام.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (لأنه أول بيت وضع) وقيل: سمي عتيقاً؛ لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، ومن الغرق؛ لأنه رفع أيام الطوفان.

قوله: (أي: الأمر والشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف، وهذا على عادة الفصحاء؛ إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض في كلام آخر.. يقولون: هذا وقد كان كذا، فهو يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد.

(١) انظر «روضة الطالبين» (٣/٢٢١)، و«بلغة السالك» (٢/١٢٦)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/٦١٦).

(٢) قرأ أبو بكر: «وليوفوا» بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٨/٢٨).

وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثَقَمُ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه، ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثَقَمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...﴾ الآية [المائدة: ٣]، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرير لما عرَضَ مِنَ الْمَوْتِ وَنَحْوِهِ، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ - (من) للبيان - أي: الذي هو الأوثان، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (هي ما لا يحل انتهاكه) أي: وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام، وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها؛ فتعظيمه في الواجب والسنة والمندوب فعل كل، وفي المكروه والحرام ترك كل، بل وترك ما يؤدي لذلك.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: قرب وطاعة يثاب عليها في الآخرة، واسم التفضيل على باب اعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق؛ من أن من أطلق نفسه في الشهوات.. فقد أصاب حظّه، فهو خير باعتبار ما عندهم، لا باعتبار ما عند الله؛ لما ورد: «رُبَّ شهوة ساعية أورث حزناً طويلاً»^(١).

قوله: ﴿الْآثَقَمُ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم.

قوله: (بعد الذبح) أي: أو النحر والعقر.

قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: إلا مدلول الآية التي تتلى عليكم.

قوله: (فالاستثناء منقطع) أي: ووجهه: أن في الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير.

قوله: (ويجوز أن يكون متصلاً) أي: ووجهه العموم في قوله: ﴿الْآثَقَمُ﴾؛ لأن ظاهره حل الأنعام مطلقاً ولو منخنقة وموقودة ومتردية، فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية.

قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ هو في الأصل: القذر والأوساخ، وعبادة الأوثان قذر معنوي.

قوله: ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ تعميم بعد تخصيص؛ لأن عبادة الأوثان رأس الزور.

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٨٨) عن سيدنا أبي البجير رحمه الله.

حُفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَثَ اللَّهِ فَإِنَّهَا

أي: الشُّرْكُ بِاللَّهِ فِي تَلْبِيتِكُمْ أَوْ شَهَادَةِ الزُّورِ.

﴿٣١﴾ ﴿حُفَاءَ اللَّهِ﴾: مُسْلِمِينَ عَادِلِينَ عَنْ كُلِّ دِينٍ سِوَى دِينِهِ، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ - تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ، وَهُمَا حَالَانِ مِنَ الْوَاوِ -، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سَقَطَ ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أي: تَأْخُذُهُ بِسُرْعَةٍ، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تُسْقِطُهُ ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بَعِيدٍ، فَهُوَ لَا يُرْجَى خَلَاصُهُ.

﴿٣٢﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ - يُقَدَّرُ قَبْلَهُ (الْأَمْرُ) مُبْتَدَأً - ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَثَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا وَهِيَ الْبُذْنُ الَّتِي تُهْدَى لِلْحَرَمِ بِأَنْ تُسْتَحْسَنَ وَتُسْتَسَمَّنَ
حاشية الصاوي

قوله: (أي: الشرك بالله في تلبيتهم) أي: فإنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

قوله: (أو شهادة الزور) أي: الشهادة بما لا يعلم حقيقته.

قوله: ﴿حُفَاءَ اللَّهِ﴾ أي: مخلصين له.

قوله: (حالات من الواو) أي: في ﴿اجْتَنِبُوا﴾، لكن الأولى مؤسسة، والثانية مؤكدة.

قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾... إلخ) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشرك، والمعنى: أنه شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أن كلاً لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع، فهو هالك لا محالة؛ إما بتخطف الطير لحمه، أو تفرقة الرياح لأجزائه في أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه.

قوله: (يقدر قبله: الأمر، مبتدأ) أي: واسم الإشارة خبر، نظير ما تقدم.

قوله: ﴿شَعَثَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة، أو شعارة.

قوله: (وهي البذن) فسرّها بذلك وإن كانت الشعائر في الأصل أعلام الحج وأفعاله؛ مراعاةً للسياق.

قوله: (بأن تستحسن) أي: تختار حسنة؛ بأن تكون غالبية الثمن؛ لما روي: (أن عمر أهدى نجيةً طلبت منه بثلاث مئة دينار)^(١).

(١) رواه أبو داود (١٧٥٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه (نجيةً) بدل (نجية)، وهو الفاضل من كل حيوان.

مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ.....

﴿مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾ مِنْهُمْ، وَسُمِّيَتْ شَعَائِرَ لِإِشْعَارِهَا بِمَا تُعَرَفُ بِهِ أَنَّهَا هَدْيٌ، كَطَعْنِ حَدِيدَةٍ بِسَنَامِهَا.

﴿٣٣﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كَرُكُوبِهَا وَالْحَمْلُ عَلَيْهَا مَا لَا يَضُرُّهَا، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وَقْتُ نَحْرِهَا، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ أَي: مَكَانُ حِلِّ نَحْرِهَا ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أَي: عِنْدَهُ، وَالْمُرَادُ الْحَرَمُ جَمِيعُهُ.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أَي: جَمَاعَةٍ مُّؤْمِنَةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ - يَفْتَحُ السَّيْنُ مَصْدَرًا، وَيَكْسِرُهَا اسْمُ مَكَانٍ - أَي: ذَبْحًا قُرْبَانًا أَوْ مَكَانَهُ؛ ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ عِنْدَ ذَبْحِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾ (أي: مِنْ امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَقَوْلُهُ: (مِنْهُمْ) قَدْرُهُ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَائِدَ مَحذُوفٌ.

قوله: (بِمَا تُعَرَفُ بِهِ) أَي: بِعَلَامَةٍ يُعَرَفُ بِهَا أَنَّهَا هَدْيٌ.

قوله: (كَطَعْنِ حَدِيدَةٍ بِسَنَامِهَا) أَي: وَشَقُّ الْجَلَالِ وَإِخْرَاجِ السَّنَامِ مِنَ الشَّقِّ، وَكَتَعْلِيقِ النِّعَالِ فِي رِقْبَتِهَا.

قوله: (كَرُكُوبِهَا وَالْحَمْلُ عَلَيْهَا) أَي: وَشُرْبُ لَبَنِهَا الْفَاضِلِ عَنْ وَلَدِهَا.

قوله: (أَي: عِنْدَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿إِلَى﴾ بِمَعْنَى (عِنْدَ).

قوله: (وَالْمُرَادُ: الْحَرَمُ جَمِيعُهُ) أَي: لَا خُصُوصَ الْكَعْبَةِ.

قوله: (أَي: ذَبْحًا قُرْبَانًا) مَفْعُولٌ لِلْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ (ذَبْحًا)، وَالْمَعْنَى: أَنَّ يَذْبَحُوا الْقُرْبَانَ، وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿مَنَسَكًا﴾: نَوْعًا مِنَ التَّعَبُّدِ وَالتَّقَرُّبِ.

قوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: أَمْرُنَاهُمْ عِنْدَ ذَبَائِحِهِمْ بِذِكْرِ اللَّهِ.

قوله: ﴿مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ (أَي: عِنْدَ ذَبْحِهَا وَنَحْرِهَا).

فَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَيَسِّرِ الْمُخْتَبِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ

﴿فَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا﴾: انقادوا، ﴿وَيَسِّرِ الْمُخْتَبِينَ﴾: الْمُطِيعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ.
 ﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾: خَافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ مِنَ الْبَلَايَا،
 ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ فِي أَوْقَاتِهَا، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ.
 ﴿٣٦﴾ ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جَمْعُ بَدَنَةٍ وَهِيَ الْإِبِلُ ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ﴾: أَعْلَامُ دِينِهِ،
 ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: نَفْعٌ فِي الدُّنْيَا كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَجْرٌ فِي الْعُقْبَى،

حاشية الصاوي

قوله: (انقادوا) أي: خضعوا، وفوضوا أمورهم إليه، ورضوا بأحكامه^(١).
 قوله: (المتواضعين) هذا أصل معناه؛ لأن الإخبات: نزول الخبت، وهو المكان المنخفض^(٢).
 قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: بأن سمعوا الذكر من غيرهم، أو ذكروا بأنفسهم.
 قوله: (من البلايا) أي: المحن بآلًا يجزعوا عند نزولها بهم.
 قوله: (يتصدقون) أي: صدقة التطوع، ويُعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى.
 قوله: (وهي الإبل) أي: فالبدن عند الشافعي خاصّة بالإبل، وقال أبو حنيفة: البدن: الإبل والبقر^(٣)، وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله أيضاً.
 قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الجملة إمّا حالية^(٤)، أو مستأنفة.

(١) كذا في الأصول بصيغة الماضي، والسياق يقتضي صيغة الأمر.

(٢) ولا يخفى حسن موقع (المختبين) هنا؛ من حيث إن نزول الخبت مناسب للحجاج؛ لما فيهم من صفات المتواضعين كالترجؤ عن اللباس، وكشف الرأس، والغربة عن الأوطان؛ ولذا وصفهم بالصبر. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٢٩٦/٦).

(٣) انظر «روضة الطالبين» (٣٣٠/٣)، و«حاشية ابن عابدين» (٤٨٥/٢).

(٤) إمّا من الضمير في ﴿جَعَلْنَاهَا﴾، وإمّا من ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وهذان مبنيان على أن الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هل هو عائد على (البدن) أو على (شعائره)؟ والأول قول الجمهور. انظر «الدر المصون» (٢٧٦/٨).

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عِنْدَ نَحْرِهَا ﴿صَوَافَّ﴾: قَائِمَةٌ عَلَى ثَلَاثٍ مَعْقُولَةٌ يَدُ الْيُسْرَى، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ وَهُوَ وَقْتُ الْأَكْلِ مِنْهَا، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: إِنْ شِئْتُمْ، ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾: الَّذِي يَقْنَعُ بِمَا يُعْطَى وَلَا يَسْأَلُ وَلَا يَتَعَرَّضُ، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: السَّائِلَ أَوِ الْمُعْتَرِضَ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ التَّسْخِيرِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾) أَي: بَأَن تَقُولُوا عِنْدَ ذَبْحِهَا: بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ.

قوله: (قائمة) المناسب أن يقول: (قائمات).

قوله: (﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾) كناية عن الموت، وجمع الجنوب مع أَنَّ البعير إِذَا سَقَطَ عِنْدَ النَّحْرِ إِنَّمَا يَسْقُطُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْجَمْعَ فِي مَقَابِلَةِ جَمْعِ الْبُذْنِ.

قوله: (سقطت إلى الأرض) أَي: فَالْوَجُوبُ: السَّقُوطُ، يُقَالُ: وَجَبَتِ الشَّمْسُ؛ أَي: سَقَطَتْ.

قوله: (﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾) أَي: إِنْ كَانَتْ مُسْتَحَبَّةً بِاتِّفَاقٍ، وَكَذَا إِنْ كَانَتْ وَاجِبَةً عِنْدَ مَالِكٍ إِلَّا فِي جِزَاءِ الصَّيْدِ، وَفِدْيَةِ الْأَذَى، وَالنَّذْرُ إِذَا قُصِدَ بِهِ الْمَسَاكِينُ، وَلَا يَأْكُلُ مِنَ الْوَاجِبَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ^(١).

قوله: (﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾) أَي: الْمُسْتَغْنَى بِمَا أُعْطِيَ، الْمَتَّعِفُّ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، الَّذِي لَا التَّفَاتَ لَهُ إِلَيْهِمْ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَتِهِ: ﴿يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): [الوافر]

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرْحْتُ نَفْسِي	فَإِنَّ النَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ
وَأَحْيَيْتُ الْقُنُوعَ وَكَانَ مَيْتًا	فَفِي إِحْيَائِهِ عِزٌّ مِثْلُ مِيتَةٍ
إِذَا طَمَعُ يَحُلُّ بِقَلْبِ شَخْصٍ	عَلَيْتُهُ مَهَانَةٌ وَعِلَافُهُ هُونُ

قوله: (أَي: مِثْلَ ذَلِكَ التَّسْخِيرِ) أَي: الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿صَوَافَّ﴾.

(١) انظر «روضة الطالبين» (٣/ ٢٢١)، و«بلغة السالك» (٢/ ١٢٦).

(٢) ذكرها البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٦٨٧).

سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ بأن تُنَحَرَ وتُرَكَّبَ وإلا لم تُطَقْ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنا عا مي عليكم .
 ﴿٣٦﴾ ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أي: لا يُرْفَعَانِ إِلَيْهِ، ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ أي: يُرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْخَالِصُ لَهُ مَعَ الْإِيمَانِ، ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: أَرْشَدَكُمْ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكَ حَجِّهِ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الْمُؤَحِّدِينَ.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (والا.. لم تُطَقْ) أي: وإلا نُسَخَّرُهَا.. لم يُقَدَّرْ على نحرها ورُكوبها.

قوله: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ ردُّ لما كانت عليه المشركون؛ مِنْ تَشْرِيحِ اللَّحْمِ، وجعله حول الكعبة، وتَضْمِيخِهَا بِالدَّمِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (أي: لا يُرْفَعَانِ إِلَيْهِ) أي: وإنما يُرْفَعُ إِلَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، ومنه: التَّصَدُّق.

قوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: بأن تقولوا: الله أكبر على ما هَدَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَانَا.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: بِرِضَاءِ اللَّهِ، والدرجات الرفيعة.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١) مُنَاسِبَةٌ هَذِهِ الْآيَةِ لَمَّا قَبْلُهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَتِمَكَّنُ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ وَالْهَدَايَا مَعَ وَجُودِ الْمَانِعِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ بِشَارَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ أَعْدَاءُهُمْ^(٢).

وهذه الآية وإن كان سببُ نزولها ما ذُكِرَ إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ؛ وَلِذَا حُذِفَ الْمَعْمُولُ؛

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يدفع)، والباقون: (يدافع). انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٨١).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٦).

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

غَوَائِلَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانته، ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعَمَتِهِ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، الْمَعْنَى: أَنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ.

﴿٣٩﴾ ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ أي: لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا، وَهَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿ظَلَمُوا﴾: لظُلْمِ الْكَافِرِينَ إِيَّاهُمْ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

حاشية الصاوي

لِيُؤْذَنَ بِالْعُمُومِ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ مَالَهُمْ لِلْعَزِّ وَالنَّصْرِ وَالْفُوزِ الْأَكْبَرِ، وَإِنْ امْتَحَنُوا بِبِلَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ.. فذلِكَ لَتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ، فَهَمَّ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

قوله: (غَوَائِلَ الْمُشْرِكِينَ) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمَفْعُولَ مَحْذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ الْمَقَامِ عَلَيْهِ، وَالْغَوَائِلُ: جَمْعُ غَائِلَةٍ، وَهِيَ: مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

قوله: (فِي أَمَانَتِهِ) مُفْرَدٌ مضاف^(١)؛ أَي: أَمَانَاتِهِ، وَهِيَ: الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاحِي.

قوله: (وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ) أَي: لِأَنَّهُمْ خَائِفُونَ كَافِرُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَأَمَّا الْعَصَاةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. فَلَيْسُوا كَذَلِكَ، وَهَذَا وَعِيدٌ لِلْكَفَّارِ إِثْرَ وَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الْخَائِنِ يُجَازَى عَلَى خِيَانَتِهِ بِالْخِزْيِ وَالْعِقَابِ.

قوله: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ أَي: يُرِيدُونَ الْقِتَالَ، وَالْمَأْذُونُ فِيهِ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أَنْ يُقَاتِلُوا)، وَفِي قِرَاءَةِ سَبْعِيَّةٍ: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ^(٢).

قوله: (وَهَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ) أَي: بَعْدَ أَنْ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَيْفٍ وَسَبْعِينَ آيَةً، وَذَلِكَ: أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ كَانُوا يُؤْذِنُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعَذِّبُونَهُمْ، فَيَشْكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُمْ: «اصْبِرُوا فَإِنِّي لَمْ أَوْمَرْ بِقِتَالِ»، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٣)، فَحِينَئِذٍ: كَانَ يَوْمَ عِيدٍ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، سَيِّقَتْ لَوَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ عَلَى طَرِيقِ الْكِتَابَةِ.

(١) أَي: فَيَعْمُ؛ وَلِذَا فُسِّرَ بِالْجَمْعِ.

(٢) قَرَأَهُ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ نَافِعُ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ، وَالباقون مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ. انظر «الدر المصون» (٨/٢٨٢).

(٣) انظر «زاد المسير» (٣/٢٤١)، و«المستدرک» (٢/٣٩١).

الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

﴿٤٠﴾ هُم ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده، وهذا القولُ حقٌّ، فالإخراجُ به إخراجٌ بغيرِ حقٍّ، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ - بَدَلُ بَعْضٍ مِنَ ﴿النَّاسِ﴾ - ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ لِلتَّكْثِيرِ،

حاشية الصاوي

قوله: (هم ﴿الَّذِينَ﴾) قدر المفسر الضمير؛ إشارة إلى أن الموصول خبرٌ لمحذوف، وهو أحدُ أوجه في إعرابه، ويصح أن يكون نعتاً أو بياناً أو بدلاً من ﴿الَّذِينَ﴾ الأول، أو منصوباً على المدح. قوله: ﴿﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾﴾ استثناءٌ مفرغٌ من محذوف، قدره المفسر بقوله: (ما أخرجوا)، وهو متصلٌ، والمعنى: لم يكن لهم سببٌ في إخراجهم إلا تعصُّبُ المشركين عليهم من أجل مُخالفتهم في الدين.

إن قلت: إنَّ سببَ خروجهم أمرُ الله لنبيِّه. أجيب: بأن سببَ الخروج باطناً أمرُ الله لهم بالخروج، وظاهراً تعصُّبُ المشركين عليهم. ولا يصح استثناءه من المذكور؛ لأنه يصير المعنى: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا: ربنا الله، وهو لا يصح.

قوله: ﴿﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾﴾ (لولا): حرف امتناع لوجود، و﴿دَفْعُ﴾: مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: موجودٌ، وإضافة (دفع) لما بعده من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: ﴿﴿بَعْضَهُمْ﴾﴾ أي: الكافرين، وقوله: ﴿﴿بِبَعْضٍ﴾﴾ أي: المؤمنين، والمعنى: لولا دفعُ الله الكافرين بالمؤمنين موجودٌ.. لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يُصلُّون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن نبيِّنا المساجد، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ، وأما من يوم بعث الله محمداً ﷺ.. فقد بطل كلُّ دين يخالف دينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فلولا عزُّ الإسلام وقوَّةُ شوكته.. ما عُبدَ الله في أيِّ زمن.

قوله: (بالتشديد للتكثير) أي: باعتبار المواضع.

صَوْمِعُ وَيَعٍ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ

وَبِالتَّخْفِيفِ - ﴿صَوْمِعُ﴾ لِلرُّهْبَانِ ﴿وَيَعٍ﴾: كَنَائِسُ لِلنَّصَارَى، ﴿وَصَلَوْتُ﴾: كَنَائِسُ لِلْيَهُودِ
بِالْعِبْرَانِيَّةِ ﴿وَمَسَجِدُ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا﴾ أَي: الْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ ﴿أَسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا﴾ وَتَنْقُطِعُ الْعِبَادَاتُ بِخَرَابِهَا، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أَي: يَنْصُرُ دِينَهُ، ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ عَلَى خَلْقِهِ ﴿عَزِيزٌ﴾: مَنِيْعٌ فِي سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ.

﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ يَنْصُرِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وبالتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (﴿صَوْمِعُ﴾) جمع صومعة، وهي: المحل المرتفع البناء في الأماكن الخلية.

قوله: (للهربان) أي: وقيل: للصباثين.

قوله: (﴿وَصَلَوْتُ﴾) جمع صلاة، سميت الكنائس بذلك؛ لأنه يُصَلَّى فيها، وقيل: هي كلمة
معربة، أصلها بالعبرانية: (صلوئا) بفتح الصاد، والثاء المثناة، والقصر، ومعناه في لغتهم:
المصلى.

قوله: (أي: ينصر دينه) أي: وأوليائه، ومعنى نصره تعالى هو: أن يُظْفَرَ أوليائه بأعدائه، ومعنى
نصر العبيد لربهم هو: تجلدهم بالقتال لأعداء الله، أو بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله
كالعلماء.

قوله: (مَنِيْعٌ فِي سُلْطَانِهِ) المناسب أن يقول: (غالب على أمره)^(٢)، وقد أنجز الله وعده؛ بأن أذلَّ
الكفار، وأعزَّ المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم.

قوله: (﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾... إلخ) يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله^(٣).

(١) قرأ بالتخفيف نافع وابن كثير، والباقون بالثقل. انظر «الدر المصون» (٢٨٤/٨).

(٢) لأن (عزیز) مأخوذ من (عزَّ) بمعنى (غلب). «فتوحات» (١٨١/٣) عن شيخه العلامة الأجهوري.

(٣) أي: ما ذكره من كونه خبراً لمحذوف، أو نعتاً أو بياناً أو بدلاً من (الذين) الأول، أو منصوباً على المدح.

وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ

جواب الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول، ويُقدَّر قبله (هُم) مُبتدأ، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مَرَجِعُهَا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾... إلى آخره فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تَأْنِيثٌ ﴿قَوْمٌ﴾ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى، ﴿وَعَادٌ﴾ قَوْمُ هُودٍ ﴿وَتَمُودٌ﴾ قَوْمُ صَالِحٍ، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ: قَوْمُ شُعَيْبٍ، ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ كَذَّبَهُ الْقَبِطُ لَا قَوْمَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أي: كَذَّبَ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ فَلَكَ أُسُوءَةُ بِهِمْ، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (جواب الشرط) أي: قوله: ﴿أَقَامُوا﴾ وما عطف عليه.

قوله: (وهو وجوابه) أي: الشرط وفعله وجوابه.

قوله: (صلة الموصول) أي: لا محل لها من الإعراب.

قوله: (ويقدَّر قبله... إلخ) أي: على أحد الاحتمالات المتقدمة. وهو إخبارٌ من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار ﷺ.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: آخرُ أمورِ الخلق مصيرها إليه، فيُجازي كلَّ شخصٍ بعمله؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

قوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك، والضمير عائذٌ على أهل مكة، والمعنى: لا تحزن وتسلَّ؛ فلست بأول من كذَّبه قومه.

قوله: (باعتبار المعنى) أي: وهو الأمة والقبيلة.

قوله: ﴿وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ لم يقل: قوم هود وقوم صالح؛ لاشتغالهما بهذين الاسمين.

قوله: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ خصَّهم بالذكر وإن كان شعيبٌ أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذَّبوه أيضاً؛ لأنهم ساقون عليهم في التكذيب له، فخصُّوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب.

قوله: (كذَّبه القبط، لا قومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل في هذا الأخير للمفعول، والقبط: بوزن (القسط): أهل مصر.

قوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة؛ زيادةً في التشنيع عليهم.

ثُمَّ أَخَذَتْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿٤٤﴾ فَكَأَنَّ مِّن قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

أَمَهَلْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِقَابِ لَهُمْ، ﴿ثُمَّ أَخَذَتْهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ، ﴿فَكَيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ أَي: إنْكَارِي عَلَيْهِمْ تَكْذِيبِهِمْ بِإِهْلَاكِهِمْ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، أَي: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقَعَهُ.

﴿٤٥﴾ ﴿فَكَأَنَّ﴾ أَي: كَمْ ﴿مِّن قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ - ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أَي: أَهْلُهَا بِكُفْرِهِمْ، ﴿فِيهَا خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفُهَا، ﴿وَكَمْ مِّنْ يَبْرٍ مَّعْطَلَةٍ﴾: مَتْرُوكَةٌ بِمَوْتِ أَهْلِهَا، ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾: رَفِيعٌ خَالٍ بِمَوْتِ أَهْلِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: إنْكَارِي عَلَيْهِمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿نَكِيرٌ﴾ مُصْدَرٌ بِمَعْنَى: الْإِنْكَارِ.

قوله: (بِإِهْلَاكِهِمْ) أَي: بِعَذَابِ الْإِسْتِثْصَالِ.

قوله: (لِلتَّقْرِيرِ) أَي: وَالْمَعْنَى: فَلْيَقَرَّ الْمُخَاطَبُونَ بِأَنَّ إِهْلَاكِهَا لَهْوَءٌ كَانَ وَاقِعاً مَوْقَعَهُ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ مُضْمَنٌ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، وَالْمَعْنَى: مَا أَشَدَّ مَا كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ.

قوله: (﴿فَكَأَنَّ﴾) مُبْتَدَأٌ، وَ﴿مِّن قَرْبَةٍ﴾: تَمْيِيزٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: خَبَرُهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: الْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ، وَالْمَعْنَى: عَدَدٌ كَثِيرٌ مِّنَ الْقُرَى أَهْلَكْتُهَا وَالحَالُ أَنَّهَا ظَالِمَةٌ. قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: (أَي: أَهْلُهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: (﴿فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾) أَي: تَهَدَّمَتْ حِيطَانُهَا، فَسَقَطَتِ الْحِيطَانُ فَوْقَ السُّقُوفِ. قوله: (﴿وَيَبْرٍ مَّعْطَلَةٍ﴾) قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ (كَمْ) وَالْجَارُ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿قَرْبَةٍ﴾، وَالْمَعْنَى: عَدَدٌ كَثِيرٌ مِّنَ الْآبَارِ مَعْطَلَةٌ عَنِ الْإِسْتِقَاءِ مِنْهَا بِمَوْتِ أَهْلِهَا، وَقِيلَ: إِنَّ الْبَشَرَ وَاحِدَةٌ مَّعْهُودَةٌ، وَهِيَ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا صَالِحٌ مَعَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ نَفَرٍ مَّمَّنْ آمَنَ بِهِ، وَنَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ بِحَضْرَمَوْتٍ - وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ صَالِحاً حِينَ حَضَرَهَا مَاتَ - وَهَنَاكَ بَلَدَةٌ عِنْدَ الْبَشَرِ اسْمُهَا حَاضِرَاءُ، بَنَاهَا قَوْمٌ صَالِحٌ، وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ جَلْهَسَ بَنَ جُلَّاسٍ، وَأَقَامُوا بِهَا زَمَاناً، ثُمَّ كَفَرُوا وَعَبَدُوا

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: (أَهْلَكْنَاهَا)، وَالباقون: (أَهْلَكْنَاهَا). انظر «الدر المصون» (٢٨٧/٨).

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَتَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

﴿٤٦﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نَزَلَ بِالْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهُمْ، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَخْبَارَهُمْ بِالْإِهْلَاكِ وَخَرَابِ الدِّيَارِ فَيَعْتَبِرُوا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الْقِصَّةَ ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ - تَأْكِيدٌ ..

﴿٤٧﴾ وَتَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

حاشية الصاوي

صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حَنْظَلَةَ بن صفوان نبياً، فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بثرهم وخرَّب قُصُورَهُمْ^(١). والمتبادر من الآية العموم؛ ولذا مشى عليه المفسر.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: أغفلوا فلم يسيروا؟ فهو تحريضٌ لهم على السير؛ ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار؛ ليَعتَبِرُوا، وهم وإن كانوا سافروا لم يُسَافِرُوا للاعتبار والنظر، فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا.

قوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ مفرَّع على قوله: ﴿يَسِيرُوا﴾ المنفي، فهو منفي أيضاً.

قوله: (ما نزل بالمكذِّبين) مفعول ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

قوله: (أي: القصة) أي: وما بعده تفسيرٌ له.

قوله: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ... إلخ﴾ أي: فالخلل ليس في حواسِّهم الظاهرية، وإنما هو في قلوبهم، فترتَّب على ذلك انهماكُهم في الشهوات وعدمُ إزعانهم للحق؛ لأنَّ عمى القلب هو الضَّارُّ في الدين؛ لما في الحديث: «وإنَّ في الجسد مُضْغَةً؛ إذا صلحت.. صلح الجسد كُلُّهُ، وإذا فسدت.. فسد الجسد كُلُّهُ، ألا وهي القلب»^(٢).

قوله: (تأكيد) أي: قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيدٌ لـ ﴿الْقُلُوبِ﴾؛ لأنه من المعلوم أنَّ القلوب حالةٌ في الصدور، ومنه: قولهم: سمعت بأذني، ونظرت بعيني.

قوله: ﴿وَتَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي: يطلب كفَّارُ مَكَّةَ تعجيلَ العذاب استهزاءً؛ حيث يقولون: أين ما توعدتنا به مع كوننا كذِّبناك كما كذَّبت الأممُ الماضيةُ رسلَهُمْ؟!

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٧٥/١٢).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٠١) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُهُ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنِّ مِّن قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَلَئِىَ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾

وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُهُ ﴿٤٧﴾ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ، فَأَنْزَلَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ بِسَبَبِ الْعَذَابِ ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - فِي الدُّنْيَا. ﴿٤٨﴾ وَكَأَنِّ مِّن قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴿٤٨﴾ الْمُرَادُ أَهْلُهَا، ﴿وَلَئِىَ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعُ.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الْإِنْذَارِ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ؛

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُهُ﴾ (تَضَمَّنَ ذَلِكَ نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَضَمَّنَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾... إلخ عذابهم فِي الْآخِرَةِ، فَهَمَّ يُعَذَّبُونَ مَرَّتَيْنِ: فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ النَّارِ الدَّائِمِ.

قوله: ﴿فَأَنْجِزْهُ يَوْمَ بَدْرٍ﴾ أَي: فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَأَسَرَ سَبْعُونَ مِنْ صَنَادِيدِهِمْ.

قوله: ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَلْفِ؛ لِأَنَّهُ مُتَّهَى الْعِدَّةِ بِلا تَكَرُّارٍ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ طَوْلِ الْعَذَابِ وَعَدَمِ تَنَاهِيهِ.

قوله: ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾ أَي: فَهَمَّا قَرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: ﴿وَكَأَنِّ مِّن قَرِيبَةٍ﴾ أَتَى هُنَا بِالْوَاوِ؛ لِمُنَاسَبَةِ مَا قَبْلُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُهُ وَلَئِنْ يَوْمًا﴾... إلخ، بِخِلَافِ الْأُولَى، فَاتَى بِالْفَاءِ؛ لِمُنَاسَبَةِ مَا قَبْلُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، فَاتَى فِي كُلِّ بَمَا يُنَاسِبُهُ.

قوله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَي: الْمَوْصُوفُونَ بِاسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَخَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وَكُفَّارِ مَكَّةَ بِ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾.

قوله: ﴿وَأَنَا بَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ اكْتِفَاءً؛ بِدَلِيلِ التَّعْمِيمِ الْمَذْكُورِ بَعْدَ.

(١) قَرَأَ الْأَخْوَانُ وَابْنُ كَثِيرٍ بِيَاءَ الْغِيَّةِ، وَالْبَاقُونَ بِنَاءِ الْخُطَابِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٢٩١/٨).

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هُوَ الْجَنَّةُ، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾: الْقُرْآنِ بِإِبْطَالِهَا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ، أَي: يَنْسُبُونَهُمْ إِلَى الْعَجْزِ وَيُبْطِلُونَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، أَوْ مُقَدِّرِينَ عَجْزًا عَنْهُمْ، .. وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿مُعْجِزِينَ﴾: مُسَابِقِينَ لَنَا - أَي: يَظُنُّونَ أَنْ يَقُونُوا بِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالْعِقَابَ، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: النَّارِ. ﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ (أي: من الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ (أي: اجْتَهِدُوا).

قوله: ﴿بِإِبْطَالِهَا﴾ الْبَاءُ: بِمَعْنَى (فِي)، وَالْمَعْنَى: اجْتَهِدُوا فِي إِبْطَالِهَا؛ حَيْثُ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ: إِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَسِحْرٌ وَكِهَانَةٌ.

قوله: ﴿مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ﴾ أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنْ مَفْعُولُ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مَحْذُوفٌ.

قوله: ﴿وَيُبْطِلُونَهُمْ﴾ (أَي: يَعْزِلُونَهُمْ وَيُثْقِلُونَهُمْ).

قوله: ﴿أَوْ مُقَدِّرِينَ عَجْزًا﴾ (أَي: فَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: اللَّهُ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ: ظَانِّينَ عَجْزًا عَنْهُمْ).

قوله: ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿مُعْجِزِينَ﴾﴾ (أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١))، وَتَقْدِيرُ الْمَفْعُولِ عَلَيْهَا: مُعَاجِزِينَ اللَّهَ؛ أَي: مُسَابِقِينَ لَهُ، وَمَعْنَى مُسَابِقَتِهِمْ: ظَنُّهُمْ الْفِرَارَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَمَعْنَى سَابِقِيَّةِ اللَّهِ: إِنْزَالُ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَعَدَمُ فِرَارِهِمْ مِنْهُ.

قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنْ يَقُونُوا﴾ (أَي: فَلَا يَلْحَقُهُمْ عَذَابُنَا).

قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (أَي: مَا لَهُمْ لَهَا، وَهِيَ مُعَدَّةٌ لَهُمْ).

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ ... (إِلَخ) هَذِهِ تَسْلِيَةٌ ثَانِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير والجحدري بالتشديد في الجيم، والباقون: «مُعَاجِزِينَ»، وابن الزبير: «مُعْجِزِينَ» بسكون العين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٩١).

مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ.....

مِنْ رَسُولٍ ﴿هُوَ نَبِيٌّ أُمِرَ بِالتَّبْلِيغِ، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أَي: لَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّبْلِيغِ، ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾: قَرَأَ ﴿أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: قِرَاءَتَهُ مَا لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا يَرْضَاهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُورَةِ (النَّجْم) بِمَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّى﴾ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ (مِنْ رَسُولٍ): زائدة في المفعول؛ أي: رسولاً.

قوله: (هو نبيٌّ أُمِرَ بالتبليغ) أي: إنسانٌ ذَكَرَ حُرّاً أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ.

قوله: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ عطف على ﴿رَسُولٍ﴾.

إن قلت: إن تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ يُنافي قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾؟

أجيب: بأن الإرسال معناه: البعث لنفسه؛ لأنه أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ يَعْمَلُ بِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلَيْسَ مَأْمُوراً بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ، أَوْ يَقْدَرُ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ مَا يُنَاسِبُهُ؛ كَأَن يُقَالَ مِثْلًا: وَلَا نَبَأًا مِنْ نَبِيٍّ؛ عَلَى حَدِّ: (١) [الكامل]

عَلَفْتُهَا تَبْنَاءَ وَمَاءً بَارِدًا

قوله: (أي: لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أَنَّ العطف في الآية مُغَايِرٌ وَإِنْ كَانَ لَفْظُ النَّبِيِّ أَعَمَّ.

قوله: (قراءته) إنما سُمِّيَتِ الْقِرَاءَةُ أُمْنِيَّةً؛ لِأَنَّ الْقَارِئَ إِذَا وَصَلَ إِلَى آيَةِ رَحْمَةٍ.. تَمَنَّى حَصُولَهَا، أَوْ آيَةِ عَذَابٍ.. تَمَنَّى الْبُعْدَ عَنْهُ.

قوله: (ما ليس من القرآن) مفعول ﴿أَلَقَى﴾.

قوله: (مما يرضاه) بيان لـ(ما).

قوله: (المرسل إليهم) أي: وَهُمْ الْكَفَّارُ.

قوله: (وقد قرأ النبي) أشار بذلك إلى أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ سُورَةِ (النَّجْم)، وَذَلِكَ كَانَ فِي رَمَضَانَ، سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْبُعْثَةِ، وَكَانَتِ الْهَجْرَةُ إِلَى الْحَبْشَةِ فِي رَجَبٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَقُدُومُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ فِي شَوَالٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ.

فَيَنْسَخُ اللَّهُ

الْآخَرَى ﴿[النجم: ١٩-٢٠] بِالْقَاءِ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ ﷺ بِهِ: (تِلْكَ الْغُرَانِيقُ الْعُلَا، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى)، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ بِمَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ مِنْ ذَلِكَ فَحَزَنَ، فَسُلِّيَ بِهِذِهِ الْآيَةُ لِيَطْمَئِنَّ، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾: يُبْطَلُ.....
حاشية الصاوي

قوله: (بالقاء الشيطان) متعلق بـ(قرأ).

قوله: (تلك الغرانيق) معمول (قرأ)، والغرانيق في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها: غُرْنُوق ك: فِرْدُوس، أو غُرْنُوق ك: عُصْفُور، وكانوا يزعمون أنَّ الأصنام تقرَّبهم من الله، وتشفع لهم، فشَبَّهت بالطيور التي تَعْلُو في السماء وترتفع.

قوله: (ففرحوا بذلك) أي: بما سَمِعوه، وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخيرٍ قبل اليوم.

قوله: (يبطل) أي: يُزِيل؛ فالنسخ في اللغة معناه: الإزالة.

وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين، قال الرازي: (أمَّا أهل التحقيق.. فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول:

أما القرآن فيُوجِّه: أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَفَقَلْنَا عَلَيْكَ بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ...﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية.

ثانيها: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي...﴾ [يونس: ١٥] الآية.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

وأما السنة فمنها: ما روي عن محمد بن خزيمة أنه سُئِلَ عن هذه القصة، فقال: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل؛ فقد روى البخاري في «صحيحه»: أنه ﷺ قرأ سورة (النجم) وسجد فيها المسلمون والكفار والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق^(١).

وأما المعقول فمن أوجه: أحدها: أنَّ من جوَّز على النبي ﷺ تعظيماً للأوثان.. فقد كفر.

ثانيها: لو كان الإلقاء على الرسول ثم الإزالة عنه.. لكانت عصمته من أول الأمر أولى،

وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي.

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٧٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ.

مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

﴿مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ﴾: يُثَبِّتُهَا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بِإِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ مَا ذُكِرَ، ﴿حَكِيمٌ﴾: فِي تَمَكِينِهِ مِنْهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

﴿٥٣﴾ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾: مِحْنَةً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ وَنِفَاقٌ ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أَيِ: الْمُشْرِكِينَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: خِلَافٍ طَوِيلٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

حاشية الصاوي

ثالثها وهو أقوى الأوجه: أننا لو جَوَّزنا ذلك.. لارتفع الأمان عن شرعه^(١)، ثم قال الرازي: (وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة، وخبر الواحد لا يُعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة) قاله الخطيب، ثم قال: (وهذا هو الذي يطمئن إليه القلب وإن أطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها). انتهى^(٢).

ويكون معنى الآية على هذا التحقيق: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: أَيِ: تِلَاوَتِهِ شَبْهًا وَتَخِيلَاتٍ فِي قُلُوبِ الْأُمَمِ؛ بَأَن يَقُولَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ: هَذَا سِحْرٌ وَكُهَانَةٌ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ تِلْكَ الشَّيْءَ مِنْ قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ لَهُمُ الْهُدَى، وَيُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، حَكِيمٌ فِي تَسْلِيْطِهِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَمِيزَ الْمَفْسَدَ مِنَ الْمَصْلَحِ.

قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ متعلق بـ﴿يُحْكِمُ﴾: أَيِ: ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ؛ لِيَجْعَلَ... إلخ. قوله: ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ عطف على (الذين) أَيِ: فِتْنَةً لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ.

(١) انظر «مفاتيح الغيب» (٢٣/٢٣٧-٢٣٨).

(٢) انظر «السراج المنير» (٢/٥٦٠)، وفيه: (وعلى القول بها قد سلك العلماء في ذلك مسالك: أحسنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُرْتَلُ الْقُرْآنُ، فَارْتَصَدَهُ الشَّيْطَانُ فِي سَكْتَةٍ مِنَ السَّكَتَاتِ، وَنَطَقَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ مُحَاكِاً نَغْمَتَهُ؛ بَحَيْثُ سَمِعَهُ مِنْ دُنَا إِلَيْهِ، فَظَنَّهَا مِنْ قَوْلِهِ وَأَشَاعَهَا)، ونقل القاضي عياض في «الشفاء» (٢/٣٠٠) على تسليم الحديث لو صحَّ، وقد أعادنا الله من صحته.. أجوبة أئمة المسلمين، واستحسن بعضاً، وردَّ بعضاً.

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

والمؤمنين، حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

﴿٥٤﴾ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: التَّوْحِيدَ وَالْقُرْآنَ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ﴾: تَطْمَئِنُّ ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٥٥﴾ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَةٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّنْهُ﴾ أي: الْقُرْآنَ بِمَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ثُمَّ أَبْطَلَ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

حاشية الصاوي

قوله: (حيث جرى على لسانه... إلخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول: حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن.

قوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ﴾ عطف على ﴿لِيَجْعَلَ﴾.

قوله: ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن.

قوله: (أي: دين الإسلام) أي: وسمي صراطاً؛ لأنه يوصل لمرضاة الله، كما أن الصراط يوصل لدار النعيم.

قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رجوعٌ لذكر حال الكفار وما هم عليه.

قوله: (أي: القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائدٌ على القرآن، وقيل: عائدٌ على الرسول؛ أي: في شك في أمر الرسول من كونه صادقاً أو لا.

قوله: (بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول: بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله.

قوله: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ العقم في الأصل: عدم الولادة، فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمراة

الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا

(٥٦ - ٥٧) ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، وما تَضَمَّنَهُ من الاستقرارِ ناصِبٍ لِلظَّرْفِ، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بينَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بما بَيَّنَّ بَعْدَهُ، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: شَدِيدٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾

حاشية الصاوي

عقيم، وطوى ذكر المشبه به، ورَّمز له بشيء من لوازمه وهو العقم، فإثباته تخييل، والجامع عدم الثمرة في كل.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوضٌ عن جملة؛ أي: الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة - أو يأتيهم العذاب يوم القيامة - لله، ومعنى كونه لله: عدمُ نسبة شيء في الملك لأحدٍ سواه في ذلك اليوم.

قوله: (ناصب للظرف) أي: قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

قوله: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ سبقت جواباً لسؤالٍ مقدَّر، تقديره: ماذا يصنع بهم؟

قوله: (فضلاً من الله) أي: لا بسبب أعمالهم.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾^(١)، وخصَّهم بالذكر وإن كانوا داخليين في جملة المؤمنين؛ تعظيماً لشأنهم.

قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي: في الحروب، وقوله: ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ أي: على فراشهم من غير قتل.

(١) ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ جوابٌ قسمٍ مقدَّر، والجملة القسميَّة وجوابها هي خبرُ (الذين)، وفيه دليلٌ على وقوع الجملة القسميَّة خبراً للمبتدأ، ومن يمنع يضمّر قولاً هو الخبر تحكى به هذه الجملة القسمية، وهو قول مرجوح. انظر «الدر المصون» (٢٩٦/٨).

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْقِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ
حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ.....

هو رِزْقُ الْجَنَّةِ، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾: أَفْضَلُ الْمُعْطِينَ.
﴿٥٩﴾ ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْقِهِ﴾ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا - أَي: إِدْخَالاً أَوْ مَوْضِعاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الْجَنَّةُ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِنِثَاتِهِمْ، ﴿حَلِيمٌ﴾ عَنْ عِقَابِهِمْ.
﴿٦٠﴾ الْأَمْرُ ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: جَازَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظُلماً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَي: قَاتَلَهُمْ كَمَا قَاتَلُوهُ فِي الشَّهْرِ الْمُحَرَّمِ، ..

حاشية الصاوي

قوله: (هو رزق الجنة) أي: التمتع فيها.

قوله: (أفضل المعطين) أي: فالمراد بالرزق: الإعطاء، وهو يُنسب للخلق كما ينسب للخالق، إلا إن نسبته للخالق حقيقة، ولغيره مجاز.

قوله: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾... إلخ) إمّا مستأنف، أو بدل من قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾.

قوله: (بضم الميم وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: فلا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه، بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك) أي: مِنْ وَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَعِيدِ الْكَافِرِينَ. واسم الإشارة خبرٌ لمحذوف، تقديره: الأمر الذي قصصناه عليك ذلك؛ أي: لا تغيير فيه ولا تبديل، فهي كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر.

قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ العقاب مأخوذٌ من التعاقب، وهو مجيء الشيء بعد غيره، وحينئذ:

فقوله: ﴿عَاقَبَ﴾ بمعنى: جازى حقيقة لغوية، وأمّا قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أتى به لمشكلة الأول للازدواج، نظير: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والباء في ﴿بِمِثْلِ﴾ للآلة، والباء في ﴿بِهِ﴾ للسببية.

قوله: (أي: قاتلهم) أي: قاتل مَنْ كان يُقاتله، نزلت هذه الآية في قوم من المشركين لقوا قوماً من المسلمين ليّليتين بقيتا من المحرم، فقالوا: إنّ أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام، فاحملوا

(١) قرأ نافع بفتح الميم، والباقون بالضم. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٦٢).

ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ
الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ مِنْهُمْ أَي: ظَلِمَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ، ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

﴿٦١﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ النَّصْرُ ﴿يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾
أَي: يُدْخِلُ كُلًّا مِنْهُمَا فِي الْآخَرِ بِأَنْ يَزِيدَ بِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَثَرِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا النَّصْرُ،
﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿بَصِيرٌ﴾ بِهِمْ حَيْثُ جَعَلَ فِيهِمُ الْإِيمَانَ فَأَجَابَ
دُعَاءَهُمْ.

حاشية الصاوي

عليهم، فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ أَلَّا يَقَاتِلُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَبَوْا، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ وَثَبَتَ الْمُسْلِمُونَ
وَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ الْمَفْسَرُ بِقَوْلِهِ: (غَفُورٌ لَهُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ) ^(١).

وقيل: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَثَلُوا بِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَتَلُوهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ، فَعَاقَبَهُمُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

وقيل: إِنَّهَا عَامَّةٌ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ، وَأَذَوْا مَنْ آمَنَ بِهِ،
وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ، فَوَعَدَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَإِنَّهُمْ حَزَبُ اللَّهِ، وَالْكَفَّارُ حَزَبُ الشَّيْطَانِ،
وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَنْصُرَ حَزْبَهُ عَلَى حَزْبِ الشَّيْطَانِ ^(٢).

قوله: ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُمْ أَي: مَا فَعَلُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ فَعَلُوهُ دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا تَجْرِيًا ^(٣) عَلَى الْمَحْرَمِ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿يَأْتِ اللَّهُ﴾: خَبَرُهُ.

قوله: (بأن يزيد) أَي: الْآخَرِ، وَقَوْلُهُ: (وذلك) أَي: الْإِيلَاجُ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِيلَاجَ دَلِيلُ
الْقُدْرَةِ، وَالْقُدْرَةُ دَلِيلُ النَّصْرِ؛ لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِدْخَالِ كُلِّ مِنْهُمَا فِي الْآخَرِ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِ أَحِبَابِهِ،
وَخِذْلَانِ أَعْدَائِهِ.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بِالْفَتْحِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ عَطْفٌ عَلَى (أَنَّ) الْأُولَى، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْكَسْرِ
اسْتِنْفَافًا.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٧٥/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٥٠٤/٨).

(٢) ذكر القولين القرطبي في «تفسيره» (٩٠/١٢). (٣) كذا في الأصول، ولعلها: تَجَرُّؤًا.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿٦٢﴾ ذَٰلِكَ ﴿النَّصْرُ﴾ أَيْضاً ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾
- بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ -: يَعْبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾: الزَّائِلُ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالِي على كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ، ﴿الْكَبِيرُ﴾ الَّذِي يَصْغُرُ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ.
﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ: تَعْلَمُ ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مَطَرًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿هُوَ﴾ إما مبتدأ، أو ضمير فصل.

قوله: (الثابت) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (الزائل) أي: الفاني الذي لا بقاء له.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَبِيرُ﴾ نتيجة ما قبله من الأوصاف.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ شروع في ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق،
وما سواه باطل، وفي الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذي قبله؛ ففي الأدلة الترقية في الاحتجاج
والمعرفة، فتأمل.

الأول: إنزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض، الثاني: قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾، الثالث: تسخير ما في الأرض. الرابع: تسخير الفلك. الخامس: إمساك السماء.
السادس: الإحياء، ثم الإمامة، ثم الإحياء ثانياً.

قوله: (تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الإبصار؛ لأنَّ الماء وإن كان مرئياً إلا أنَّ كون الله منزلاً له
من السماء غير مرئي.

قوله: (مطراً) لا مفهوم له؛ لأنَّ النيل وماء الآبار من السماء، إلا أن يقال: اقتصر على المطر؛
لأنه هو المشاهد نزوله من السماء دون غيره.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على الخطاب للمشركون، والباقون بالياء على الغيبة. انظر «السراج
المنير» (٥٦٣/٢).

فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةٌ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ يَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةٌ﴾: بِالنَّبَاتِ، وَهَذَا مِنْ أَثَرِ قُدْرَتِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: بِعِبَادِهِ
فِي إِخْرَاجِ النَّبَاتِ بِالْمَاءِ، ﴿خَبِيرٌ﴾: بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ عِنْدَ تَأْخِيرِ الْمَطَرِ.

﴿٦٤﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: عَلَى جِهَةِ الْمَلِكِ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْغَفِيُّ﴾: عَنْ عِبَادِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾: لِأَوْلِيَائِهِ.

﴿٦٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعَلَّمَ ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: مِنَ الْبَهَائِمِ، ﴿وَالْفَلَكَ﴾:
السُّفْنَ ﴿يَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾: لِلرُّكُوبِ وَالْحَمَلِ ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بِإِذْنِهِ، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾: مِنْ ﴿أَنْ﴾
أَوْ لِئَلَّا ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: فَتَهْلِكُوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: فِي التَّسْخِيرِ
وَالْإِمْسَاكِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةٌ﴾: عُبِّرَ بِالْمُضَارَعِ؛ إِشَارَةً إِلَى اسْتِمْرَارِ النِّفْعِ بِهِ بَعْدَ نُزُولِهِ.

قوله: ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ عِنْدَ تَأْخِيرِ الْمَطَرِ﴾: أَي: مِنَ التَّأَثُّرِ وَالْقُنُوطِ.

قوله: ﴿عَلَى جِهَةِ الْمَلِكِ﴾: أَي: فَلَا مُلْكَ لِأَحَدٍ مَعَهُ.

قوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: أَي: ذَلَّلَ لَكُمْ مَا فِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ؛ لِتَنْتَفِعُوا بِهَا.

قوله: ﴿وَالْفَلَكَ﴾: بِالنَّصَبِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ عَطْفَ عَلَى (مَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: أَي:
وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ، وَإِفْرَادَهَا بِالذِّكْرِ؛ لِكَوْنِ تَسْخِيرِهَا أَعْجَبَ مِنْ سَائِرِ الْمَسْخَرَاتِ. وَالْفَلَكَ يُطْلَقُ
عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ بِلَفْظِ وَاحِدٍ، فَوْزَنُ الْوَاحِدِ (قُفْلٌ)، وَوزنُ الْجَمْعِ (بُذُنٌ).

قوله: ﴿مِنْ﴾: أَوْ: لِئَلَّا ﴿تَقَعَ﴾: أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿أَنْ تَقَعَ﴾: إمَّا فِي مَحَلِّ نَصَبٍ
عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجَلِهِ؛ أَي: لِأَجْلِ أَنْ لَا تَقَعَ، أَوْ فِي مَحَلِّ جَرٍّ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَالتَّقْدِيرُ:
مَنْ أَنْ تَقَعَ؛ أَي: مِنْ وَقْعِهَا.

قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: اسْتِثْنَاءٌ مَفْرُغٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾،
وَالْتَّقْدِيرُ: لَا يَتْرَكُهَا تَقَعَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالَةِ كَوْنِهَا مُلْتَبَسَةً بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُيمِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ

﴿٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ﴿بِالْإِنْشَاءِ﴾، ﴿ثُمَّ يُيَمِّتُكُمْ﴾ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عِنْدَ الْبَعْثِ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أَيِ: الْمُشْرِكِ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لِنَعَمِ اللَّهِ بِتَرْكِهِ تَوْحِيدَهُ.
 ﴿٦٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا - يَفْتَحُ السِّينَ وَكَسَرَهَا -: شَرِيعَةً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: عَامِلُونَ بِهِ، ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يُرَادُ بِهِ: لَا تُنَازِعُهُمْ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أَيِ: أَمْرِ الذَّبِيحَةِ إِذْ قَالُوا: مَا قَتَلَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَأْكُلُوهُ مِمَّا قَتَلْتُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم من العدم؛ لتسعدوا أو تشقوا، فكلُّ من الإحياء الأول والثاني إمَّا نعمة أو نقمة.

قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث) أي: لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أي: جُحُودٌ لِنَعَمِ خَالِقِهِ.

قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: أَهْلِ دِينٍ، فالمراد بالأمَّة: من له مِلَّةٌ وَشَرْعٌ.

قوله: ﴿بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسَرِهَا﴾ أي: فهما قراءتان سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (شريعة) أي: أَحْكَامُ دِينٍ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَعْيِنَةٌ مِنَ الْأُمَمِ؛ بَحِيثٌ لَا تَتَخَطَّى أُمَّةٌ مِنْهُمْ شَرِيعَتَهَا الْمَعْيِنَةَ لَهَا إِلَى شَرِيعَةٍ أُخْرَى؛ فَالْأُمَّةُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ مَبْعَثِ مُوسَى إِلَى مَبْعَثِ عِيسَى مَنْسَكُهَا التَّوْرَةُ، وَمِنْ مَبْعَثِ عِيسَى إِلَى مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْسَكُهُمُ الْإِنْجِيلُ، وَالْأُمَّةُ الْمَوْجُودُونَ عِنْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْسَكُهُمُ الْقُرْآنُ لَا غَيْرَهُ، وَحَيْثُ فَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أَيِ: لَا يَنَازِعُكَ هَؤُلَاءِ الْأُمَمُ فِي أَمْرِ دِينِكَ زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّ شَرِيعَتَهُمْ بَاقِيَةٌ لَمْ تَنْسَخْ؛ فَإِنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ شَرِيعَتَانِ لِمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْ وَقْتِ بَعَثَتِهِ انْتَسَخَ كُلُّ شَرْعٍ سِوَى شَرْعِهِ ﷺ.

إذا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَقَوْلُ الْمَفْسَرِ: ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أَيِ: أَمْرِ الذَّبِيحَةِ... (إلخ) لَا يَسْلَمُ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ أَكْلُ الْمَيْتَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَنَاسِكِ وَالشَّرَائِعِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِبَعْضِ الْأُمَمِ، وَلَا شَكَّ فِي بَطْلَانِ ذَلِكَ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ لَهُ أَنْ يَفْسِّرَ الْآيَةَ بِمَا فَسَّرْنَاهَا بِهِ.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٦٤).

وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾
 اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ.....

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إِلَى دِينِهِ ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾: دِينِ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.

(٦٨ - ٦٩) ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ فِي أَمْرِ الدِّينِ ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُمْ
 عَلَيْهِ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ. ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ ﴿يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بِأَنْ يَقُولَ كُلٌّ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ خِلَافَ قَوْلِ الْآخَرِ.

﴿٧٠﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ - الِاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ - ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
 ذَلِكَ﴾ أَي: مَا ذَكَرَ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أَي: عِلْمَ مَا ذَكَرَ ﴿عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سَهْلٌ.

﴿٧١﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هُوَ الْأَصْنَامُ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾) أَي: ادْعُهُمْ، أَوْ ادْعِ النَّاسَ عَمُومًا.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أَي: فهو منسوخٌ بآية القتال، وهذا أحد قولين، وقيل: إِنَّ الْآيَةَ
 مُحْكَمَةٌ، وَحَيْثُذ: فَيَكُونُ الْمَعْنَى: اتْرَكَ جِدَالَهُمْ وَقَوِّضْ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ بِقَوْلِكَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ،
 فَيَكُونُ وَعِيدًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَيْثُ دَامُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ لَا يَنَافِي قِتَالَهُمْ؛ لِأَنَّ الْقِتَالَ يَرْفَعُهُ أَحَدُ
 أَمْرَيْنِ: الْإِسْلَامَ، أَوْ الْجَزِيَّةَ مَعَ الْبَقَاءِ عَلَى الْكُفْرِ.

قوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾) أَي: يَقْضِي وَيَقْضِلُ.

قوله: (الاستفهام فيه للتقرير) أَي: وَهُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالْحُكْمِ.

قوله: (أَي: عِلْمَ مَا ذَكَرَ) أَي: الْمَوْجُودُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) هُوَ مِنْ دُرَّةٍ بَيَاضَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، مَعْلَقٌ فِي الْهَوَاءِ، طَوْلُهُ

مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَشِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿سُلْطَنًا﴾: حُجَّةٌ ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أَنَّهَا آلِهَةٌ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: بِالْإِشْرَافِ ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾: يَمْنَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ.

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظَاهِرَاتٍ - حَالٍ - ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: أَي: الْإِنْكَارَ لَهَا، أَي: أَثَرَهُ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالْعُبُوسِ، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾: أَي: يَقْعُونَ فِيهِمْ بِالْبَطْشِ، ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ﴾: أَي: بِأَكْرَهَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَتْلُوِّ عَلَيْكُمْ؟ هُوَ ﴿النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِأَنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَيْهَا ﴿وَيَشِ الْمَصِيرُ﴾: هِيَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سُلْطَنًا﴾ (أَي: مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ).

قوله: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (أَي: دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ).

قوله: (حَالٍ) (أَي: مِنْ (آيَاتِ)).

قوله: ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَضَعِ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ؛ تَبَكُّيًا لَهُمْ.

قوله: (أَي: الْإِنْكَارَ لَهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَالٌ؛ إِمَّا مِنَ الْمَوْصُولِ، أَوْ مِنْ: الْوُجُوهِ، وَضَمَّنَ ﴿يَسْطُونَ﴾ مَعْنَى (يَبْطِشُونَ)، فَعَدَّاهُ بِالْبَاءِ، وَإِلَّا... فَهُوَ مُتَعَدٍّ بِ(عَلَى).

قوله: ﴿النَّارُ﴾ قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ الضَّمِيرَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ النَّارَ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ:

وَمَا الْأَشْرُ؟^(١) فَقِيلَ: هُوَ النَّارُ.

قوله: ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (وَعَدَ): يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ: الْهَاءُ: مَفْعُولٌ ثَانٍ مُقَدَّمٌ،

وَالَّذِينَ كَفَرُوا: مَفْعُولٌ أَوَّلٌ مُؤَخَّرٌ، نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْكَافَّةَ نَارَ

(١) كَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي بِنَاءِ التَّفْضِيلِ مِنْهُ، وَلَا يَكَادُونَ يَسْتَعْمَلُونَهُ إِلَّا عَلَى لُغَةِ لُبْنِي عَامِرٍ، وَقُرِئَ فِي الشَّاذِّ: (مِنْ الْكَذَابِ الْأَشْرُ) عَلَى هَذِهِ اللَّغَةِ. انْظُرْ «شَرْحَ التَّسْهِيلِ» لِابْنِ مَالِكٍ (٣/٥٣).

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ.....

﴿٧٣﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾، وهو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسمُ جنسٍ واحد: ذُبَابَةٌ، يَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لِخَلْقِهِ،

حاشية الصاوي

﴿جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٨]، وَيَصَحُّ الْعَكْسُ بِأَنْ يَجْعَلَ الضَّمِيرُ هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ، وَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (بأن مصيرهم إليها) حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به، والنار هي الموعودة، والمعنى: جعل الله الكفار طعاماً للنار وعدها بهم، والأول أنسب من جهة العريية؛ لأنَّ المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ ك: أعطيت زيدا درهماً.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ هذه الآية مُرْتَبِطَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾، فالخطاب وإن كان لأهل مكة إلا أنَّ المراد به عموم من كان يعبد الأصنام. والمَثَلُ في اللغة: مرادف للمَثَل والشَّبه والنظير، ثم صار حقيقةً عرفيةً فيما شَبَّهَ مَضْرِبُهُ بِمُورَدِهِ^(١)، كقولهم: (الصَّيْفُ ضَيَّعَ اللَّبْنَ)^(٢) وليس مراداً هنا، بل المراد به: الأمر الغريب، والقصة العجيبة، وإليه يُشِيرُ الْمَفْسِّرُ فِي آخِرِ الْعِبَارَةِ بِقَوْلِهِ: (هذا أمرٌ مستغربٌ).

قوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أصغوا إليه؛ لِتَعْتَبَرُوا.

قوله: (وهو) أي: المثل المضروب.

قوله: (واحدة ذبابة) أي: ويجمع على (ذَبَابٍ) بالكسر ك(فَرَبَانٍ)، و(ذَبَابَانٍ) بالضم ك(قُضْبَانٍ)، و(أَذْبَةٌ) ك(أَغْرِبَةٌ)، مأخوذ من: ذَبَّ: إِذَا طَرِدَ، وَأَبَّ: إِذَا رَجَعَ؛ لِأَنَّهُ يُذَبُّ فَيَرْجِعُ، وَهُوَ أَحْرَصُ الْحَيَوَانَاتِ وَأَجْهَلُهَا؛ لِأَنَّهُ يَرْمِي نَفْسَهُ فِي الْمَهْلَكَاتِ، وَمُدَّةُ عَيْشِهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَأَصْلُ خَلْقَتِهِ مِنَ الْعُفُونَاتِ، ثُمَّ يَتَوَالَدُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، يَقَعُ رَوْثُهُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَبْيَضِ فَيَرَى أَسْوَدَ، وَعَلَى الْأَسْوَدِ فَيَرَى أَبْيَضَ.

قوله: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: انْتَفَى خَلْقُهُمُ الذُّبَابَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَوْ فِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ.

(١) مَضْرِبُهُ: مَا يَضْرِبُ لَهُ ثَانِيًا، مُورَدُهُ: مَا وَرَدَ فِيهِ أَوَّلًا.

(٢) انظر «الأمثال» (ص ١٠٤).

وَلَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

﴿وَلَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾: لا يَسْتَرْذُوهُ ﴿مِنْهُ﴾ لِعَجْزِهِمْ، فكيف يَعْبُدُونَ شُرَكَاءَ الله تعالى؟ هذا أمرٌ مُسْتَعْرَبٌ عُبِّرَ عَنْهُ بِ﴿ضَرْبِ مَثَلٍ﴾، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبِ﴾: العايدُ ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: المعبود. ﴿٧٤﴾ ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ عَظَمُوهُ ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: عَظَمَتَهُ؛ إِذْ أَشْرَكُوا بِهِ مَا لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الذُّبَابِ وَلَا يَنْتَصِفُ مِنْهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾ أي: يأخذ ويختطف منهم.

قوله: (مما عليه من الطيب والزعفران... إلخ) أي: لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، ورؤوسها بالعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، وكانوا يحلون بها باليوافيت واللآلئ وأنواع الجواهر، ويطيّبونها بألوان الطيب، فربما سقط شيء منها فيأخذه طائرٌ أو ذبابٌ، فلا تقدر الآلهة على استرداده.

قوله: (الملطخون به) المناسب أن يقول: (الملطخين) لأنه نعتٌ سببيٌّ لـ (الطيب والزعفران).

قوله: ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾ أي: لا يخلصوه منه.

قوله: (عبر عنه بضرب المثل) جوابٌ عما يقال: إن الذي ضُربَ وبُيِّنَ ليس بمثل حقيقة فكيف سَمَّاهُ مَثَلًا؟

فأجاب: بأنَّ القصة العجيبة تسمَّى مَثَلًا؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال في الغرابة.

قوله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ هذه الآية قيل: غير مرتبطة بما قبلها، وعليه: فيكون سبب نزولها كما قيل: إنَّ رسول الله ﷺ كان جالساً وحوله أصحابه وفي القوم مالك بن الصيف من أحبار اليهود، فقال له رسول الله ﷺ: «ناشدتك الله؛ هل رأيت في التوراة أن الله يكره الحبر السمين؟»، فقال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «وأنت حبرٌ سمينٌ»، فضحك القوم، فالتفت مالكٌ إلى عمر بن الخطاب، وقال: ما أنزل الله على بشرٍ من شيء^(١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٢١/١١) عن سعيد بن جبير.

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾ رُسُلًا، نَزَلَ لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَقَالَتِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بِمَنْ يَتَّخِذُهُ رُسُلًا، كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ وَغَيْرِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ. ﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿٧٦﴾ أَي: مَا قَدَّمُوا وَمَا خَلَّفُوا وَمَا عَمِلُوا وَمَا هُمْ عَامِلُونَ بَعْدُ،

حاشية الصاوي

وقيل: سبب نزولها: أَنَّ اليهود قالوا: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْآحَدِ، وَالْأَرْضَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَالْجِبَالَ يَوْمَ الْثَلَاثَاءِ، وَالْأَوْرَاقَ وَالْأَشْجَارَ يَوْمَ الْارْبِعَاءِ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ وَوَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى وَاسْتَرَاحَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

وقيل: إنها من تَمَّةِ المثل، وعليه درج المفسر.

قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ أي: يختار.

قوله: ﴿وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إن قلت: إنَّ هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم، وآية (فاطر) تقتضي أَنَّ الكلَّ رسلٌ.

وأجيب: بأنَّ التبعض بالنسبة لإرسالهم لبني آدم، والجميع رسلٌ بالنسبة لبعضهم بعضاً.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلاً أشار بذلك إلى أَنَّ في الآية الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه.

قوله: (نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه.

قوله: (كجبريل... إلخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الإنس.

قوله: (ما قَدَّمُوا) أي: من الأعمال.

قوله: (وما خَلَّفُوا) أي: لم يعملوه بالفعل.

قوله: (أو ما عملوا) أي: بالفعل، وقوله: (وما هم عاملون) أي: في المستقبل.

(١) نقله الخطيب في «السراج المنير» (٥٦٦/٢).

وَلِىَّ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.....

﴿وَلِىَّ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾.

﴿٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صَلُّوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: وَحُدُّوهُ،
﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كَصِلَةِ الرَّحِمِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَقُوزُونَ بِالْبَقَاءِ
فِي الْجَنَّةِ.

﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لِإِقَامَةِ دِينِهِ ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ بِاسْتِيفْرَاغِ الطَّاقَةِ فِيهِ، وَنَصَبُ
﴿حَقَّ﴾ عَلَى الْمَصْدَرِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ أي: تَصِيرُ أُمُورَ الْخَلَائِقِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

قوله: (أي: صَلُّوا) أي: وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنْ بَابِ: تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ أَشْرَفِ
أَجْزَائِهِ.

قوله: (كَصِلَةِ الرَّحِمِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) أي: وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمَنْدُوبَةِ.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق؛ أي: فَالْفَلَاحُ مُحَقَّقٌ لِمَنْ فَعَلَ
هَذِهِ الْأُمُورَ.

قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: أَعْدَاءُكُمْ الظَّاهِرِيَّةَ وَالْبَاطِنِيَّةَ؛ فَالظَّاهِرِيَّةُ: فِرْقُ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ،
وَمُجَاهِدَتُهَا مَعْلُومَةٌ، وَيُسَمَّى الْجِهَادُ الْأَصْغَرُ، وَالْبَاطِنِيَّةُ: النَّفْسُ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانُ، وَمُجَاهِدَتُهَا
الْامْتِنَاعُ مِنْ شَهَوَاتِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا، وَيُسَمَّى الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(١)، وَوَجْهُ تَسْمِيَّتِهِ أَكْبَرُ:
أَنَّ الْأَعْدَاءَ الظَّاهِرِيَّةَ تَحْضُرُ تَارَةً وَتَغِيبُ أُخْرَى وَتَصَالِحُ، وَإِذَا قَتَلَهَا الشَّخْصُ أَوْ قَتَلَتْهُ.. فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ،
بِخِلَافِ الْأَعْدَاءِ الْبَاطِنِيَّةِ؛ فَلَا تَغِيبُ أَصْلًا، وَلَا يُمْكِنُ الصِّلَحُ مَعَهَا، وَإِذَا قَتَلَتْ صَاحِبَهَا وَغَلَبَتْهُ..
فَهُوَ فِي النَّارِ.

قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: جِهَادًا حَقًّا.

(١) الذي رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣)، والخطيب في «تاريخه» (٦٨٥/١٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: قدم
على رسول الله ﷺ قوم غزاة، فقال ﷺ: «قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ» قالوا: وما الجهاد
الأكبر؟ قال: «مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ»، وقال البيهقي: هذا إسناد ضعيف.

هُوَ أَجْتَنَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَوْلَهُ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

﴿هُوَ أَجْتَنَبَكُمْ﴾: اختاركم لدينه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، بأن
سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمريض والسفر، ﴿قَوْلَهُ أَيْكُمْ﴾
- منصوب بنزع الخافض الكاف - ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ - عطف بيان - ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَنَكُمْ﴾
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ أي: قبل هذا الكتاب، ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رُسُلهم بلغتهم،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ أَجْتَنَبَكُمْ﴾ أي: اصطفاكم وجعلكم أمة وسطاً.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ المراد بالدين: أصوله وفروعه؛ حيث لم يشدد
عليهم كما شدد على من قبلهم؛ فمن ذلك: قبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا، ولم يجعل توبتهم قتل
أنفسهم، وإذا أذنب الشخص ذنباً.. ستره الله ولم يفضحه في الدنيا؛ بأن يجده مكتوباً في جبهته أو
على باب داره؛ كما كان فيمن قبلهم، وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها... وغير ذلك.

إن قلت: كيف لا حرج في الدين مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار، والمحصن يرجم بزنا مرة
ونحو ذلك؟

أجيب: بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السراق وأصحاب الحدود.. فقد
انتهكوا حرمة الشرع، وانتقلوا من السهولة للصعوبة؛ لأن الله لم يحرم المال مطلقاً، ولا النكاح
مطلقاً، بل أحل أشياء، وحرم أشياء، فما جزاء من يتعدى الحدود إلا التشديد عليه.

قوله: (بنزع الخافض في الكاف) أي: كلمة أَيْكُمْ، فالتشبيه في أصول الدين، وفي سهولة
الفروع.

قوله: ﴿هُوَ سَمَنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى، وقيل:
الضمير عائد على إبراهيم.

قوله: (أي: قبل هذا الكتاب) أي: في الكتب القديمة.

قوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: بقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

قوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ متعلق بـ﴿سَمَنَكُمْ﴾، واللام: للعاقبة.

فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ : دَاوِمُوا عَلَيْهَا، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ : ثِقُوا بِهِ، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ : نَاصِرُكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ، ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أَي : النَّاصِرُ لَكُمْ.



حاشية الصاوي

قوله : (داوموا عليها) أي : بِشروطها وأركانها.

قوله : (﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾) أي : لمستحقَّها.

قوله : (ثِقُوا) أي : في جميع أموركم.

قوله : (هو) قدَّره ؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف، وحذفه من الثاني لدلالة هذا

عليه.



﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)



مَكِّيَّةٌ، وهي مائة وثمانين أو تسع عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿قَدْ﴾ - لِلتَّحْقِيقِ - ﴿أَفْلَحَ﴾ : فَازَ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿٢﴾ - ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ : مُتَوَاضِعُونَ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مكية

(سورة): مبتدأ، و(المؤمنون): مضاف إليه مجرور بياء مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية، و(مكيّة): خبر، وظاهره: أَنَّ جميعها مكّي، وقيل: إلا ثلاث آيات، وهي قوله: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ﴾ إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ فإنهنّ مدنيّات.

قوله: (وثمان) هذا قول الكوفيين، وقوله: (أو تسع عشرة آية) هو قول البصريين، وسبب هذا: اختلافهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ هل هو آية كما قاله البصريين، أو بعض آية كما قاله الكوفيون؟

قوله: ﴿قَدْ﴾: للتّحقيق أي: لتّحقيق ما يحصل في المستقبل، وتنزيله منزلة الواقع.

قوله: (فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: ظفروا بمقصودهم، ونجّوا من كلّ مكروه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والمؤمنون: جمع مؤمن، وهو المصدّق بالله، ورُسّله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حُلوه ومرّه.

قوله: ﴿خَاشِعُونَ﴾ أي: ظاهراً وباطناً؛ فالخشوع الظاهري: التمسك بآداب الصلاة؛ كعدم الالتفات والعبث وسبق الإمام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطني: استحضار عظمة الله، وعدم التفكّر بدنيوي. وقدّم الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ : مؤدّون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السّراري؛ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إثبانهم،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ المراد به: كلُّ ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين والدنيا، كان قولاً أو فعلاً، حراماً أو مكروهاً أو مباحاً؛ كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعني والتغوّل في الشهوات وغير ذلك ممّا نهى الله عنه، وبالجملّة: فينبغي للإنسان أن يرى ساعياً في حسنة لمعاده، أو درهم لمعاشه، و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ اعلم: أنّ الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين، والعشر أو نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل؛ فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿فَافْعِلُونَ﴾: مؤدّون؛ لأنّ القدر المخرج لا معنى لفعله، وعلى الثاني: فـ﴿فَافْعِلُونَ﴾ على بابه.

قوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ (أي: مانعون).

قوله (عن الحرام) أي: عن كلِّ ما لا يحلُّ وطؤه بوجوه من الوجوه.

قوله: (أي: من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أنّ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (من).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ عبّر بـ(ما) دون (من) وإن كان المقام له؛ لأنّ الإناث ناقصات ولا سيّما الأرقاء؛ ففيهنّ شبهة بالبهايم في حلّ البيع والشراء.

قوله: (أي: السّراري) جمع سرّية بالضم، وهي في الأصل: الأمة التي بوّئت بيت، مأخوذة من السرّ، وهو الجماع أو الإخفاء؛ لأنّ الإنسان كثيراً ما يُسرّها ويسترها عن حرّته، أو من السرور؛ لأنّ مالکها يُسرُّ بها.

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ علة للاستثناء.

(١) رواه الترمذي (٣٢١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

﴿فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسَّراري - كالاستمناء بيده في إتيانهنَّ - ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: المتجاوزون إلى ما لا يحِلُّ لَهُمْ.

(٨ - ٩) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ - جمعاً ومُفرداً - ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاةٍ وغيرها ﴿رِعُونَ﴾: حافِظُونَ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ﴾ - جمعاً ومُفرداً - ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يقيمونها في أوقاتها.

(١٠ - ١١) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا غيرهم،

حاشية الصاوي

قوله: (كالاستمناء بيده) أي: فهو حرامٌ عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقال أحمد بن حنبل: يجوز بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، وألا يجد مهرَ حرّةٍ أو ثمنَ أمة، وأن يفعلَه بيده لا بيد أجنبي أو أجنبيّة^(١).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ أي: ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر، وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم.

قوله: (جمعاً ومُفرداً) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ مرادفٌ للأمانات.

قوله: (حافِظُونَ) أي: غير مضيعين لها.

قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أي: يُداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانها.. ابتدأ بها أوصاف المؤمنين، وختمها بها.

قوله: (لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل؛ لأنَّ الجملة المعرفة الطرفين تُفيد الحصر، وهو إضافيٌّ لا حقيقيٌّ؛ لأنه ثبت أنَّ الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا

(١) انظر «حاشية ابن عابدين» (٢٧/٤)، و«الشرح الكبير» للدردير (٢١٦/٢)، و«تحفة المحتاج» (٤٠٩/٣)، و«المغني» لابن قدامة (١٢٨/٣).

(٢) قرأ ابن كثير هنا وفي (سأل): «لأماناتهم» بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٣١٩/٨).

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جَنَّةُ أَعْلَى الْجَنَانِ، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، في ذلك إشارة إلى المَعَادِ، وَيُنَاسِبُهُ ذِكْرُ الْمَبْدَأِ بَعْدَهُ.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَوَلَّى اللَّهُ﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: آدَمُ ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ هي مِنْ (سَلَسَلْتُ الشَّيْءَ مِنْ الشَّيْءِ) أَي: اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْهُ، وَهُوَ خُلَاصَتُهُ، ﴿مِنْ طِينٍ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿سُلَالَةٍ﴾ -، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أَي: الْإِنْسَانَ نَسْلَ آدَمَ ﴿نُطْفَةً﴾: مَنِيًّا

حاشية الصاوي

على الإيمان بعد العفو؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، أو يقال: إِنَّ الْحَصْرَ فِيهِمْ حَقِيقِيٌّ بِالنِّسْبَةِ لِلْفِرْدَوْسِ، وَبَاقِي الْجَنَانِ لِمَنْ لَمْ يَمِتْ كَافِرًا.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾) عِبْرٌ بِالْإِرْثِ دُونَ الْإِسْتِحْقَاقِ؛ لِأَنَّ الْإِرْثَ مَلِكٌ دَائِمٌ.

قوله: (وَيُنَاسِبُهُ ذِكْرُ الْمَبْدَأِ بَعْدَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى وَجْهِ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قَبْلُهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي سَبَقَتْ ذِكْرَ فِيهَا الْمَعَادِ وَمَا يؤولُ إِلَيْهِ أَمْرٌ مِنْ اتِّصَافِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ ذِكْرَ فِيهَا بَيَانِ الْمَبْدَأِ، وَحِينَئِذٍ فَبَيْنَ الْآيَتَيْنِ مُنَاسِبَةٌ، وَهَذَا أَتَمُّ مِمَّا قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَا ارْتِبَاطَ لَهَا بِمَا قَبْلُهَا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...﴾ (إلخ) ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الْفَلَائِكِ تَحْمِلُونَ﴾ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى:

الأول: تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ خِلْقَتِهِ، وَهِيَ تِسْعَةٌ، آخِرُهَا قَوْلُهُ: ﴿تَبْعَثُونَ﴾. الثاني: خَلْقُ السَّمَاوَاتِ. الثالث: إِنْزَالُ الْمَاءِ. الرابع: مَنَافِعُ الْحَيَوَانَاتِ، وَذَكَرَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ.

واللام موطئة لقسم محذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (وَاللَّهُ) ^(١).

قوله: ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ متعلق بـ﴿خَلَقْنَا﴾.

قوله: (متعلق بـ﴿سُلَالَةٍ﴾) أَي: لِأَنَّهُ بِمَعْنَى: مَسْلُولٌ.

قوله: (أَي: الْإِنْسَانَ نَسْلَ آدَمَ) أَشَارَ الْمُفَسِّرُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ، لَكِنْ لَا بِالْمَعْنَى

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف كما قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا
فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّجَم.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دَمًا جَامِدًا، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: لَحْمَةً قَدَرَ
مَا يُمَضَّغُ، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قِراءة: ﴿عَظْمًا﴾
في المَوْضِعَيْنِ، و﴿خَلَقْنَا﴾ في المَوَاضِعِ الثَّلَاثِ بِمَعْنَى: صَيَّرْنَا، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾
بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ،

حاشية الصاوي

الأول، وحينئذٍ: ففي الكلام استخدام، ويُؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [السجدة: ٧-٨].

قوله: ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: في مَقَرٍّ مَتَمَكِّنٍ، وَصِفَ بِذَلِكَ؛ لأنه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال
مع كونه ضيقًا.

قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ قيل: كلُّها، وقيل: جزءٌ منها والباقي يُوضَع نصفه في موضع
تربته، والنصف الثاني يوضَع في السماء، فإذا أَرَادَ الله إحياءَ الخلق من القبور.. أمطرت السماء
مِنْيًا، فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية في الأرض، فتوجد الخلَاق بينهما، وهذا
هو حكمة قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قوله: (وفي قِراءة: «عَظْمًا») أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي: من غير تَوَانٍ، والمعنى: حَوَّلْنَا النطفَةَ عن صفاتها
إلى صِفَةٍ لا يحيط بها وصفُ الواصفين.

قوله: (بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك، وقيل: الخلق الآخر
هو: خروجه إلى الدنيا، وقيل: خروج أسنانه وشعره، وقيل: كمالُ شبابه. والأتمُّ: أنه عامٌّ في هذا
وغيره من النطق والإدراك وتحصيل المعقولات وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم من
الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قولُ بعض العارفين: [المقارب]

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «عَظْمًا» بالإنفراد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٨/٣٢٢).

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: الْمُقَدِّرِينَ، وَمُمَيِّزٌ ﴿أَحْسَنُ﴾ مَحذُوفٌ لِلْعِلْمِ بِهِ،
أي: خَلْقًا.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ لِلْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ.

حاشية الصاوي

وَتَحَسَّبُ أَنَّكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: تَعَاظِمَ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ.

قوله: (المقَدِّرِينَ) أي: المصَوِّرِينَ، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ اسم التفضيل يَقْتَضِي المشاركة مع
أنه لا خالق غيره، فأجاب بأنَّ المراد بالخلق: التقدير، لا الإيجاد والإبداع، والتقديرُ حاصلٌ
من الحوادث.

قوله: (لِلْعِلْمِ بِهِ) أي: من قوله: ﴿الْخَالِقِينَ﴾؛ فإنه يدلُّ عليه.

قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: مِنْ الْأُمُورِ الْعَجَبِيَّةِ.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

إن قلت: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بـ(ثم) والفاء؛ لأنه ورد: أنَّ مدة كلِّ طور أربعون
يوماً^(١)؛ فإنَّ نظرَ لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بـ(ثم)، وإنَّ نظرَ لآخرها اقتضى أن يعطف
بالفاء؟

أجيب: بأنه نَزَلَ التفاوت بين الأطوار بمنزلة التراخي والبعد الحسِّي؛ لأنَّ حصولَ النطفة من
التراب غريبٌ جدًّا، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريبٌ لمشابهته له في اللون
والصورة، وكذا جعلها عظماً، وأمَّا جعلها خلقاً آخر.. فغريبٌ، وكذا الموت والبعث، فظهر حكمة
التعبير في كلِّ موضع بما يناسبه.

(١) روى البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ
المُصَدَّقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عُلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ
ذَلِكَ... الحديث.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿١٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴿﴾ أي: سَمَاوَاتٍ جَمَعَ طَرِيقَةً؛ لِأَنَّهَا طُرُقُ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾ تَحْتَهَا ﴿غَفِيلِينَ﴾ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ فَتُهْلِكَهُمْ، بَلْ نُمِسِكُهَا كَأَيَّةٍ: ﴿وَنُمِسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ مِنْ كِفَايَتِهِمْ، ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فَيَمُوتُونَ مَعَ دَوَابِّهِمْ عَطْشًا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ المراد به: جهة العلو؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا فَوْقَ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ، وَإِلَّا... فَوْقَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ لَمْ يَكُونُوا مَخْلُوقِينَ.

قوله: ﴿لَأَنَّهَا طُرُقُ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: فِي الْعُرُوجِ وَالْهَبُوطِ وَالطَّيْرَانِ، وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿طَرَائِقَ﴾: مَطْرُوقَاتٍ؛ أَي: مَوْضُوعٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَهُوَ مَعْنَى ﴿طَبَاقًا﴾ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِ(أَنْزَلْنَا).

قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: تَقْدِيرٍ؛ لَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى بِقَدَرٍ حَاجَاتِهِمْ، وَإِلَيْهِ يَشِيرُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جَعَلْنَاهُ سَاكِنًا ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا فِي الْأَرْضِ، بَعْضُهُ عَلَى ظَهْرِهَا، وَبَعْضُهُ فِي بَطْنِهَا.

قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ الْبَاءُ فِي (به): لِلتَّعْدِيَةِ، وَالْمَعْنَى: وَإِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى إِذْهَابِهِ، رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سَبْحُونُ، وَجِيحُونُ، وَدَجَلَةُ، وَالْفَرَاتُ، وَالنَّيْلُ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا، عَلَى جَنَاحِي جَبْرِيلَ، اسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالُ، وَأَجْرَاهَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ.. أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَبْرِيلَ، فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَتَابَوْتُ مُوسَى بِمَا فِيهِ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ، فَيَرْفَعُ ذَلِكَ

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً
تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾ هُمَا أَكْثَرُ فَوَاحٍ الْعَرَبِ، ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صَيْفًا وَشَيْئًا.

﴿٢٠﴾ أَنشَأْنَا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ جَبَلٍ - بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا، وَمَنْعِ
الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ لِلْبَقْعَةِ -

حاشية الصاوي

إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدَرُونَ﴾، فإذا رفعت هذه الأشياء كلها
من الأرض.. فَقَدْ أَهْلَهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْدِينِ^(١).

قوله: ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي: الجنات.

قوله: ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من ثمر الجنات؛ كالرُّطْبِ والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك.

قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ المراد بها: شجرة الزيتون، وخصَّصَتْ بسَيْنَاءَ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا
منه ثُمَّ نُقِلَتْ، وهي أَوَّلُ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ، وَتَبَقِيَ فِي الْأَرْضِ كَثِيرًا حَتَّى قِيلَ:
إِنَّهَا تَعْمُرُ ثَلَاثَةَ آلَافِ سَنَةٍ.

قوله: ﴿سَيْنَاءَ﴾ قيل: معناه المبارك، أو الحسن، أو الملتفت بالأشجار، وهو الجبل
الذي نُودِيَ عَلَيْهِ مُوسَى.

قوله: (منع الصرف للعلمية والتأنيث) أي: وقيل: للعلمية والعجمة؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ نطقت به
العرب فاختلفت فيه لغاتهم، فقالوا: سَيْنَاءَ بكسر السين وفتحها، وسَيْنَيْنِ، فهو علمٌ مركَّبٌ كامرئٍ
القيس، ومنع من الصرف وإن كان جزءٌ علمٍ نظرًا إلى أنه عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْعِلْمِ.

قوله: (والتأنيث للبقعة) أي: والهمزة فيه ليست للتأنيث، بل للإلحاق بِقِرطاس^(٢)، وهي منقلبة

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٩٥/٦) لابن مردويه والخطيب عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وفي «صحيح مسلم»
(٢٨٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: «سيحان وجيحان، والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة»، وفي «صحيح
البخاري» (٣٢٠٧) ذكر النيل والفرات.

(٢) الإلحاق هو: زيادة في الكلمة تبلغ بها زنة الملحق به؛ لضرب من التوسُّع في اللغة، فذوات الثلاثة يبلغ بها الأربعة
والخمس، وذوات الأربعة يبلغ بها الخمسة. انظر «المنصف» لابن جني (ص ٣٤).

تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقِرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ

﴿تَنْبُتُ﴾ - من الرباعي والثلاثي - ﴿بِالذَّهْنِ﴾ - الباء زائدة على الأول، ومُعْدِيَةٌ على الثاني - وهي شجرة الزيتون، ﴿وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ - عطف على (الذهن) - أي: إدام يَصْبُغُ اللَّقْمَةَ بِغَمْسِهَا فِيهِ وهو الزَّيْتُ.

(٢١ - ٢٢) ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾: عِظَةً تَعْتَبِرُونَ بِهَا، ﴿تُنْقِضُوا﴾ - يَفْتَحِ الثَّوْنَ وَضَمُّهَا - ﴿وَمِنْهَا فِي بُطُونِهَا﴾ اللَّبَنُ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقِرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أَطِيعُوهُ وَوَحِّدُوهُ،

حاشية الصاوي

عن ياء أو واو؛ لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة^(١).

قوله: (من الرباعي والثلاثي) أي فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ عبّر في جانب الأنعام بالعبرة دون النبات؛ لأنّ العبرة فيها أظهر.

قوله: ﴿وَمِنْهَا فِي بُطُونِهَا﴾ عبّر بلفظ الجمع هنا؛ لأنّ المراد هنا العموم؛ بدليل العطف بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ...﴾ إلخ، وذكر الضمير في (النحل)^(٣) باعتبار البعض؛ فإنّ المراد خصوص الإناث؛ بدليل الاختصار على اللبن.

قوله: (أي: الإبل) خصّها؛ لأنها المحمول عليها غالباً، ويصحّ عودُهُ على الأنعام؛ لأنّ منها ما يحمل عليه أيضاً كالبحر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم، فتكون

(١) وحيتئذ: فكان منع صرفه للتعريف والتأنيث؛ لأن (سيناء) علم على بقعة. «فتوحات» (١٩٩/٣).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «تَنْبُتُ» بضمّ التاء وكسر الباء، والباقون بفتح التاء وضمّ الباء. انظر «الدر المصون» (٣٢٨/٨).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا فِي بُطُونِهَا﴾ إلخ، فإنّ المراد الإناث؛ لأنّ منها ما يحمل عليه أيضاً كالبحر.

مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ

﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ - وهو اسم ﴿مَا﴾ وما قبله الخبر، و﴿مِّنَ﴾ زائدة -، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟

﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَا تَبَاعِئِهِمْ: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ﴾: يَتَشَرَّفُ

حاشية الصاوي

س٢١: الأولى: قصة نوح، الثانية: قصة هود، الثالثة: قصة القرون الآخرين، الرابعة: قصة موسى وهارون، الخامسة: قصة عيسى وأمه، والمقصود منه: إطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى؛ ليقتدوا بهم في الخصال المرضية، ويتباعدوا عن خصالهم المذمومة.

ونوح لقبه، واسمه؛ قيل: عبد الغفار، وقيل: عبد الله، وقيل: يشكر^(١).

قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ بمنزلة التعليل لما قبله.

قوله: (وهو اسم ﴿مَا﴾) أي: قوله: ﴿إِلَهِ﴾، وأما لفظ ﴿غَيْرُهُ﴾ فيصح فيه الرفع إبتاعاً لمحل ﴿إِلَهِ﴾، والجر إبتاعاً للفظه، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (وما قبله الخبر) أي: وهو الجار والمجرور، وما مشى عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة، وهي جواز إعمال (ما) عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً أو مجروراً، والمشهور إهمالها حيثئذ، فكان المناسب أن يقول: وهو مبتدأ مؤخر، وما قبله الخبر.

قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجهلتم فلا تتقون؟

قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُوا﴾ أي: الأشراف، وحاصل ما ذكره خمس مقالات: الأولى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، الثانية: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلْنَا مَلَكًا﴾، الثالثة: ﴿مَا سَمِعْنَا بهذا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾، الرابعة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَّهْدِي سَبِيلًا﴾، الخامسة: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردّها.

(١) في (ط) زيادة: (وعاش من العمر ألف سنة وخمسين، لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت) وقد شطب عليها في (أ).

(٢) قرأ الكسائي بكسر الراء والهاء، والباقون بضمهما. انظر «السراج المنير» (٥٧٦/٢).

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾

﴿عَلَيْكُمْ﴾: بَأَن يَكُون مَتَّبِعاً وَأَنْتُمْ أَتْبَاعُهُ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أَن لَا يُعْبَدَ غَيْرُهُ ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: بِذَلِكَ لَا بَشَرًا، ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ نُوحٌ مِنَ التَّوْحِيدِ ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: أَي: الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

﴿٢٥﴾: ﴿إِنَّ هُوَ﴾: مَا نُوحٌ ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: حَالَةُ جُنُونٍ، ﴿فترَبَّصُوا بِهِ﴾: انتَظِرُوهُ ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: إِلَى زَمَنٍ مَوْتِهِ.

﴿٢٦﴾: ﴿قَالَ﴾: نُوحٌ: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾: عَلَيْهِمُ ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾: أَي: بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ، بِأَن تَهْلِكَهُمْ، قَالَ تَعَالَى مُجِيباً دُعَاءَهُ:

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يكون متبوعاً) أي: بادعاء الرسالة.

قوله: (ألا تعبدوا غيره^(١)) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف.

قوله: (بذلك) أي: بالألا يُعْبَدَ غيره.

قوله: (لا بشراً) أي: لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم يتقاد الخلق إليهم من غير شك، فلما لم يفعل ذلك.. علمنا أنه ما أرسل رسولا.

قوله: (حالة جنون) أي: ف(فعلة) بالكسر للهيئة، قال ابن مالك: [الرجز]

وَفَعَلَةً لِهَيْئَةٍ كَجِلْسَةٍ^(٢)

قوله: (إلى زمن موته) أي: فكانوا يقولون لبعضهم: اصبروا؛ فإنه إن كان نبياً حقاً.. فالله ينصره ويقوّي أمره، وإن كان كاذباً.. فالله يأخذله ويبطل أمره، فنستريح منه.

أو المراد بالحين: الزمان الذي تظهر فيه العواقب، فالمعنى: انتظروا عاقبة أمره؛ فإن أفاق، وإلا.. فاقتلوه.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾) أي: قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم.

(١) في (ط): (ألا يُعْبَدَ غيره).

(٢) صدره كما في «الخلاصة»، باب: أبنية المصادر:

وَفَعَلَةً لِمَرَّةٍ كَجِلْسَةٍ

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا **وَوَحَيْنَا** فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا **وَفَكَرَ التَّنُورُ** فَاسْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ

﴿٢٧﴾ **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾** : السَّفِينَةُ **﴿بِأَعْيُنِنَا﴾** : بِمَرَأَى مِنَّا وَحَفِظْنَا، **﴿وَوَحَيْنَا﴾** : أَمَرْنَا، **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾** : بِإِهْلَاكِهِمْ **﴿وَفَكَرَ التَّنُورُ﴾** : لِلْحَبَّازِ بِالماءِ، وكان ذلك علامةً لِنُوحٍ، **﴿فَاسْلُفْ فِيهَا﴾** أي: ادْخُلْ فِي السَّفِينَةِ **﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾** أي: ذَكَرِ حاشية الصاوي

قوله: **﴿أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾** (أَنْ): مفسرة؛ لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: **﴿بِأَعْيُنِنَا﴾** حال من الضمير في **﴿اصْنَعْ﴾**، وجمع الأعين؛ للمبالغة.

قوله: (بِمَرَأَى مِنَّا وَحَفِظْنَا) أشار بذلك إلى أَنَّ في الآية مجازاً مرسلًا؛ لأنَّ شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه، فأطلق اللازم وأريد الملزوم.

قوله: **﴿وَوَحَيْنَا﴾** أي: تعليمنا؛ فإنَّ الله أرسل إليه جبريل، فعلمه صنعتها، وصنعها في عامين، وجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وارتفاعها ثلاثين، والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم في (هود): وجعلها ثلاث طباق: السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للإنس^(١).

قوله: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾** أي: ابتداء ظهوره.

قوله: **﴿وَفَكَرَ التَّنُورُ﴾** عطف بيان لمجيء الأمر. روي: أنه قيل له عليه السلام: إذا فار الماء من التنور.. فاركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء، فصار إلى نوح، فلمَّا نبع منه الماء.. أخبرته امرأته، فركبوا.

واختلفوا في مكانه؛ فقيل: كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل: كان في عين وردة من الشام.

قوله: (علامة لنوح) أي: على ركوب السفينة.

قوله: **﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾** أي: غير البشر؛ لما يأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٣١/٩).

أَتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٧٧﴾

وأنتى أي: من كل أنوعيهما ﴿أَتَيْنِ﴾ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وهو مَفْعُولٌ و﴿مِنْ﴾ مُتَعَلِّقَةٌ بِ(أَهْلَكَ)، وفي القِصَّة أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَشَرَ لِنُوحٍ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ وَغَيْرَهُمَا، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ فِي كُلِّ نَوْعٍ؛ فَتَقَعَ يَدُهُ الْيُمْنَى عَلَى الذَّكَرِ وَالْيُسْرَى عَلَى الْأُنْثَى، فَيَحْمِلُهُمَا فِي السَّفِينَةِ. - وفي قِرَاءة: ﴿كُلِّ﴾ بِالتَّنْوِينِ، فَ﴿زَوْجَيْنِ﴾ مَفْعُولٌ و﴿أَتَيْنِ﴾ تَأْكِيدٌ لَهُ - ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بِالْإِهْلَاكِ وَهُوَ زَوْجَتُهُ وَوَلَدُهُ كِنْعَانُ، بِخِلَافِ سَامَ وَحَامَ وَيَافِثَ، فَحَمَلَهُمْ وَزَوْجَاتِهِمْ ثَلَاثَةَ، وَفِي سُورَةِ (هُود): ﴿وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] قِيلَ: كَانُوا سِتَّةَ رِجَالٍ وَنِسَاءَهُمْ، وَقِيلَ: جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي السَّفِينَةِ ثَمَانِيَّةً وَسَبْعُونَ نِصْفُهُمْ رِجَالٌ وَنِصْفُهُمْ نِسَاءً، ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا بِتَرْكِ إِهْلَاكِهِمْ؛ ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهما) أي: من كل ما يلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العفونات كالديد والبق فلم يحمله فيها.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (بالتنوين) أي: فحذف ما أضيف إليه (كل)، وعُوِضَ عَنْهُ التَّنْوِينُ.

قوله: (أي: زوجته) أي: المؤمنة؛ لأنه كان له زوجتان: إحداهما مؤمنة، فأخذها معه في السفينة، والأخرى كافرة تركها، وهي أم ولده كنعان.

قوله: (وهو زوجته) أي: الكافرة.

قوله: (بخلاف سام) أي: وهو أبو العرب، وحام هو: أبو السودان، ويافث هو: أبو الترك.

قوله: (سته رجال) أي: فالجملة اثنا عشر.

قوله: (بترك إهلاكهم) متعلق ب﴿تُخَاطِبُنِي﴾.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ أي: محكومٌ عليهم بالغرق.

(١) قرأ العامة بإضافة (كل) ل(زَوْجَيْنِ)، وقرأ حفص بتنوين (كل). انظر الدر المصون: (٦/٣٢٣).

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٨﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ: اعتدلت. ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين وإهلاكهم.

﴿٢٩﴾ وَقُلِ: عند نزولك من الفلك: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا﴾ - بضم الميم وفتح الزاي مصدراً أو اسم مكان، ويفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول - ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر.

﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ: المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرة الله تعالى، ﴿وَإِنْ﴾ - مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن - ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

حاشية الصاوي

قوله: (وإهلاكهم) أي: ونجّانا من إهلاكهم.

قوله: (﴿وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾... إلخ) العبرة بعموم اللفظ، فهذا الدعاء ينبغي قراءته لكل من نزل في محل يريد الإقامة به.

قوله: (عند نزولك من الفلك) أي: حين استوت على الجودي، وكان يوم عاشوراء، وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر.

قوله: (بضم الميم... إلخ) فهما قراءتان سبعيتان^(١)، وظاهره: أنَّ الوجهين على قراءة ضم الميم، وليس كذلك، بل كلُّ من الوجهين يتأتى على كلِّ من القراءتين.

قوله: (﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال) تفسير للضمير في ﴿مُبَارَكًا﴾، والوجهان لكلِّ من الضم والفتح.

قوله: (﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾) (إن): مخففة، واللام: فارقة، والمعنى: وإننا كنا مُعاملين قوم نوح معاملة المختبر؛ لِنَنْظُرَ هل يتبعونه ويتعظون بوعظه.

(١) قرأ أبو بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٣٠).

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا مَّآخِرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ

(٣١ - ٣٢) ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: قوماً ﴿مَّآخِرِينَ﴾ هم عاد. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هوداً، ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿عِقَابَهُ﴾ فتؤمنون؟ ﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد قوم نوح.

قوله: ﴿قَرْنًا﴾ أي: قوماً، سُموا بذلك لأن بعضهم مقترن ببعض في الزمان.

قوله: (هم عاد) اسمُ قبيلةٍ أرسل إليها هود. وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد وبالرسول هود.. هو ما عليه أكثر المفسرين، ويشهد له مجيء قصة هود عقب قصة نوح في (الأعراف) و(هود) و(الشعراء):

وَحَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ^(١)

ولا يشكل على هذا قوله في آخر القصة: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ﴾ الموهم أن القرن ثمود، وأن الرسول صالح؛ لأنه يقال: المراد بالصيحة: صيحة الريح؛ أي: شدة صوته.

قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ أي: في القرن، وإنما جعل القرن موضع الإرسال؛ ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم.

قوله: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أي: من جنسهم وقبيلتهم؛ لأن هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وهم يُنسبون لعاد، وتقدم ذلك في (هود).

قوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا﴾ أشار بذلك إلى أن (أن) مصدرية، ويصح جعلها تفسيرية؛ لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه؛ لأن (أرسلنا) بمعنى: قلنا.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾ عطف على ما قبله، وأتى بالواو؛ إشارة إلى تباين الكلامين، بخلاف ما في (الأعراف) و(هود)؛ فإنه في جواب سؤال مقدر؛ ولذا تركت الواو.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ﴿٣٣﴾ أي: بِالمَصِيرِ إِلَيْهَا ﴿وَأُتْرِفْتُهُمْ﴾: نَعَمْنَاهُمْ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ - فِيهِ قَسَمٌ وَشَرْطٌ، وَالْجَوَابُ لِأَوَّلِهِمَا، وَهُوَ مُغْنٍ عَنْ جَوَابِ الثَّانِي -، ﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: إِذَا أَطَعْتُمُوهُ ﴿لَخَسِرُونَ﴾ أي: مَغْبُوتُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وصف مخصص؛ لأن قومهم بعضهم آمن، وبعضهم كفر.

قوله: ﴿وَأُتْرِفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أَعْطَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا، قَالَ تَعَالَى مَذْكُورًا لَهُمْ بِهَذِهِ النِّعَمِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ: ﴿أَمَذْكُرُ بِالنَّعِيمِ وَبَيْنَ﴾ [الشعراء: ١٣٣-١٣٤].

قوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذه شبهة أولى تنتهي إلى قوله: ﴿لَخَسِرُونَ﴾، والثانية: إنكارهم للبعث وتنتهي لقوله: ﴿يَمُتُّونَ﴾، وأهمل الجواب عنهما؛ لفسادهما وركاكتهما.

قوله: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي: منه، فحذف العائد لاستكمال الشروط التي أشار إليها ابن مالك بقوله^(١): [الرجز]

كَذَا الَّذِي جَرَّ بِمَا الْمَوْصُولُ جَرَّ كُمُرًا بِالَّذِي مَرَرَتْ فَهُوَ بَرٌّ

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ﴾ اللام: مُوطئة لقسم محذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (وَاللَّهُ).

قوله: (وَالْجَوَابُ لِأَوَّلِهِمَا) أي: عَلَى الْقَاعِدَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ مَالِكٍ بِقَوْلِهِ^(٢): [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ

وَلَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ؛ لِإِعْدَمِ وَجُودِ الْفَاءِ.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ﴾... إلخ (الكاف: اسم (إن)، و(خاسرون): خبرها، واللام: للابتداء رُحِلَتْ لِلْخَبَرِ، وَ﴿إِذَا﴾: لِتَأْكِيدِ مَضْمُونِ الشَّرْطِ؛ وَلِذَا قَالَ الْمُفَسِّرُ: (إِذَا أَطَعْتُمُوهُ)^(٣).

(١) «الخلاصة»، باب: الموصول، (ص ١٦).

(٢) «الخلاصة»، باب: عوامل الجزم، (ص ٥٩).

(٣) في «الدر المصون» (٣٨٤/٥): هي حرف جواب وجزاء، اعترضت بين الاسم والخبر، ووهيم من جعلها ظرفية في الاستقبال.

أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ..

(٣٥ - ٣٦) ﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ - هو خَبَر ﴿أَنْتُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنْتُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لَمَّا طَالَ الْفَصْلُ.. ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾ - اسم فعل ماضٍ بِمَعْنَى مَصْدَر - أي: بَعْدَ بَعْدٍ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القُبُور، - وَاللَّامُ زَائِدَةٌ لِلْبَيَانِ ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَيَعِدُّكُمْ﴾ استفهامٌ لتقرير ما قبله.

قوله: ﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ أي: من القبور، أو من العدم إلى الوجود تارةً أخرى.

قوله: (تأكيد لها) أي: تأكيدٌ لفظيٌّ.

قوله: (اسم فعل ماضٍ) واختلف في اسم الفعل؛ ف قيل: مَعْنَاهُ لَفْظُ الْفِعْلِ، وعليه: فهو مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والثاني: توكيد له، واللام: زائدة، و(ما): اسم موصول فاعله، و﴿تُوعَدُونَ﴾: صلته، أو اللام: للبيان، والفاعل مستتر فيه، والمعنى: بَعْدَ وَقَوْعِ خُرُوجِنَا من القبور.

وقيل: معناه المصدر، وعليه: فهو مبتدأ في محل رفع، والثاني توكيد له، و﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾: متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام: ليست زائدة. إذا علمت ذلك.. فكلام المفسر عليه السلام في غاية الإجمال؛ لأنَّ قوله: (اسم فعل ماضٍ) أحد قولين، وقوله: (بمعنى مصدر) هو القول الثاني.

وقوله: (أي: بَعْدَ بَعْدٍ) يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل الماضي، أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر، وقوله: (واللام زائدة) ظاهره على كلٍّ من القولين، وليس كذلك، بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل، والموصول فاعل، لا على كونها للبيان، ولا على كونه مصدراً، وقوله: (للبيان) هذا قول ثان، فكان المناسب أن يأتي به (أو)^(١).

وفي هذه اللفظة لغاتٌ كثيرةٌ تزيد على الأربعين، والمشهور منها ستة عشر، وهي (هيهات) بفتح التاء وضمها وكسرها، وفي كلٍّ مع التنوين وبدونه. و(هيهات) بإسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة،

(١) في (ط) زيادة، وهي: (ويترك التفريع على المصدر، وتقدم أنها ليست زائدة، بل متعلقة بمحذوف خبر)، وقد شطب عليها في (أ).

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَآخَذَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غُشَاءً

(٣٧ - ٣٨) ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بِحَيَاةِ أبنائنا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

(٣٩ - ٤٠) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴿مِنْ الزَّمَانِ - وَ(مَا) زَائِدَةٌ - لَيُصْبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنَّ ﴿نَادِمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

﴿٤١﴾ ﴿فَآخَذَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ﴾: صَبِيحَةُ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ كَائِنَةٌ ﴿بِالْحَقِّ﴾ فَمَاتُوا، ﴿فَجَعَلْنَهُمْ غُشَاءً﴾ وَهُوَ نَبْتُ يَبَسَ، أي: صَيَّرْنَاهُمْ مِثْلَهُ فِي الْيُبْسِ،

حاشية الصاوي

وفي كلٍّ من الثمانِ إما بالهاء أو لا، أو إبدالها همزة، وقرئ بالجميع، لكن المتواتر القراءة الأولى، وهي الفتح من غير تنوين^(١).

قوله: (أي: ما الحياة) أشار بذلك إلى أن (إن) نافية، والضمير عائذٌ على الحياة.

قوله: (بحياة أبنائنا) جوابٌ عمّا يقال: إنَّ في قولهم: ﴿وَنَحْيَا﴾ اعترافاً بِالْبَعْثِ مع كونهم منكِرِينَ له، فأجاب: بأنَّ المراد: وتحيا أبنائنا بعد موتنا.

قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي.

قوله: (صَبِيحَةُ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ) جوابٌ عمّا يقال: إنَّ الصَّبِيحَةَ كانت عذابَ قومٍ صالحٍ، لا قومٍ

هود.

قوله: (كائنةً بالحق) أي: العدلِ فيهم، وأشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور متعلّقٌ بمحذوف

حال من (الصبيحة).

قوله: ﴿غُشَاءً﴾ مفعول ثانٍ لـ(جعلنا).

قوله: (وهو نبت يابس) الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يَبَسَ.

(١) ذكر اللغات والقراءات في هذه اللفظة السمينُ الحلبي في «الدر المصون» (٣٣٧/٨).

فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا

 فَبَعْدًا ﴿٤٤﴾

﴿فَبَعْدًا﴾ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: الْمُكَذِّبِينَ.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾: أَقْصَافًا ﴿ءَاخِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ بِأَن تَمُوتَ قَبْلَهُ، ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ عَنْهُ، - ذَكَرَ الضَّمِيرُ بَعْدَ تَأْنِيثِهِ رِعَايَةً لِّلْمَعْنَى -.
 ﴿٤٤﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ - بِالتَّنْوِينِ وَعَدَمِهِ - أَي: مُتَتَابِعِينَ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ زَمَانٌ طَوِيلٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (بعداً): مصدر بدل من لفظ الفعل، والأصل: بَعْدُوا بُعْدًا، واللام: إمَّا متعلقة بمحذوف للبيان، أو بـ (بعداً)، وهو إخبارٌ، أو دعاءٌ عليهم.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد قوم نوح وهود، وقوله: ﴿قُرُونًا ءَاخِرِينَ﴾ أي: كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.

قوله: ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة.

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ أي: لا يتأخرون عنه، والمقصود من هذه الآية: التقرُّعُ والتخويفُ لأهل مكة، كأنه قال: لا تغتربوا بطول الأمل؛ فَإِنَّ لِلظَّالِمِ وَقْتًا يُؤْخَذُ فِيهِ، لا يتقدَّم عليه ولا يتأخر عنه.

قوله: (بعد تأنيثه) أي: في قوله: ﴿أَجْلَهَا﴾ الراجع إلى ﴿أُمَّةٍ﴾، وقوله: (رعاية للمعنى) أي: لَأَنَّ (أُمَّةً) بمعنى: قوم.

قوله: ﴿تَتْرًا﴾ التاء مبدلة من واو، وأصله: (وَتَرًا)، وهو مصدر على التحقيق، ومعناه: المتابعة مع مهلة، وقيل: المتابعة مطلقاً وإن لم تكن مهلةً، ولكن الآية تفسَّرُ بالأول؛ لأنه الواقع.

قوله: (بالتنوين وعدمه) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)؛ فمن نَوَّن.. قال: إِنَّ أَلْفَهُ لِلْإِلْحَاقِ بِجَعْفَرٍ كـ(عَلَقَى)، فَلَمَّا نَوَّن.. ذهب أَلْفُهُ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، ومن لم يَنْوَّن.. قال: إِنَّ أَلْفَهُ لِلتَّأْنِيثِ كـ(دَعَوَى).

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على أنه مصدر بمعنى: التواتر، وقع حالاً، والباقيون بغير تنوين.

كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوَاوِ - ﴿رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا
بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ فِي الْهَلَاكِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حُجَّةٌ بَيْنَهُ وَهِيَ الْيَدِ
وَالْعَصَا وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنْ الْإِيمَانِ بِهَا وَبِاللَّهِ،
﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

حاشية الصاوي

قوله: (وتسهيل الثانية... إلخ) أي: فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو، وهما قراءتان
سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ (جمع أُحْدُوثة) - ك (أعجوبة) و (أضحوكة) -: ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عَجَبًا
وَتَسْلِيًّا، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الشَّرِّ، وَلَا يُقَالُ فِي الْخَيْرِ.

قوله ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (بُعْدًا): مَنْصُوبٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَي: بَعْدُوا عَنْ رَحْمَتِنَا بُعْدًا لَا يَزُولُ.
قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: التَّسْعِ، وَهِيَ: الْعَصَا، وَالْيَدِ، وَالسَّنُونُ الْمَجْدِبَةُ، وَالطَّمَسُ،
وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ.

قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ عَطْفٌ مُرَادِفٌ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَعْجَزَاتِ كَمَا تَسْمَى بِالْآيَاتِ تَسْمَى
بِالسُّلْطَانِ أَيْضًا.

قوله: (وغيرهما) أي: من باقي التسع.

قوله: ﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ (أفرد مثل) لأنه يجري مجرى المصادر في الأفراد والتذكير، ولا يؤنَّث
أصلًا.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو، والباقون بتحقيقهما. انظر «السراج
المنير» (٥٨٠/٢).

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ: مُطِيعُونَ خَاضِعُونَ؟ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةُ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَوْتَيْنَاهَا بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ عِيسَى ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ لَمْ يَقُلْ: آيَتَيْنِ لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ، وَلَادَتُهُ مِنْ غَيْرِ فَحُلٍ، ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾: مَكَانٌ مُرْتَفِعٌ وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ أَوْ دِمَشْقُ أَوْ فِلَسْطِينَ؛ أَقْوَالٌ، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مُسْتَوِيَةٌ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَاكِنُوهَا، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: مَاءٌ جَارٍ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْعُيُونُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي: من جملة مَنْ هَلَكَ.

قوله: (أي: قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ راجع لقوم موسى، لا لفرعون وقومه؛ لِأَنَّ التَّوْرَةَ إِنَّمَا جَاءَتْهُ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

قوله: (جملة واحدة) إما راجع لقوله: (وأوتيناها)، أو راجع ل(هلاك فرعون وقومه).

قوله: (لأنَّ الآيةَ فيهما واحدة) أي: لِأَنَّ وَلَادَتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، فَيَصْحُحُ نَسْبَتُهُ لَهَا وَلَهُ.

قوله: ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ سببُ ذلك: أَنَّ مَلِكَ ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ عِيسَى، فَهَرَبَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى تِلْكَ الرَّبْوَةِ، وَمَكَثَتْ بِهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ^(١).

قوله: (وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض؛ لِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَى غَيْرِهِ فِي الارتفاع ثمانية عشر ميلاً، فهو أقرب البقاع إلى السماء.

قوله: ﴿وَمَعِينٍ﴾ اسم مفعول من: عَانَ يَعِينُ فهو مَعِينٌ، وأصله: (مَعِيُون) ك(مَبْيُوع)، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وكُسِرَتِ الْعَيْنُ؛ لِتَصَحُّحِ الْبَاءِ.

(١) ذكره الخطيب في «السراج المنير» (٥٨٢/٢).

يَتَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً
وَحِيدَةً

﴿٥١﴾ ﴿يَتَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ : الحَلَالَاتِ ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ مِنْ فَرَضٍ وَنَفْلِ،
﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

﴿٥٢﴾ ﴿وَاعْلَمُوا﴾ ﴿أَنَّ هَذِهِ﴾ أَي : مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ﴿أُمَّةً﴾ : دِينُكُمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ،
أَي : يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ - حَالٌ لَازِمَةٌ، وَفِي قِرَاءَةِ بَتَخْفِيفِ النُّونِ،
وَفِي أُخْرَى يَكْسِرُهَا مُشَدَّدَةٌ

حاشية الصاوي

قوله : ﴿يَتَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ خطابٌ لجميع الرُّسُلِ على وجه الإجمال، فليس المراد
أنهم خوطبوا بذلك دُفْعَةً واحدة، بل المراد: خوطب كلُّ رسولٍ في زمانه بذلك؛ بأن قيل مثلاً لكلِّ
رسولٍ: كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاغْمِلْ صَالِحًا؛ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُ عَلِيمٌ.

وحكمةُ خطابِ النبي بها على سبيل الإجمال: التشنيعُ على رهبانيَّةِ النصارى؛ حيث يزعمون
أنَّ تركَ المستلذاتِ مقربٌ إلى الله، فردَّ الله عليهم: بأنَّ المدارَ على أكلِ الحلال، وفعلِ الطاعات.
قوله : (الحلالات) أي : مستلذَّةٌ أم لا.

قوله : ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي : شكرًا على تلك النعم؛ لتزدادوا بها قرباً من ربكم.

قوله : (فأجازيكم عليه) أي : إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ، فالآية فيها ترغيبٌ وترهيبٌ.

قوله : ﴿وَاعْلَمُوا﴾ ﴿أَنَّ هَذِهِ أُمَّةً﴾ قَدَّرَ المفسِّرُ لفظ (اعلموا)؛ إشارةً إلى أنَّ (أن) بفتح
الهمزة معمولةٌ لمحذوف، و﴿هَذِهِ﴾ : اسمها، و﴿أُمَّةً﴾ : خبرها، و﴿أُمَّةً﴾ : حال، و﴿وَاحِدَةً﴾ :
صفة له.

قوله : (دينكم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأُمَّة : الدِّينُ، والمراد به : العقائد؛ لأنها
هي التي اتَّحَدَتْ في جميع الشرائع، وأمَّا الأحكام الفرعية . . فقد اختلفت باختلاف الشرائع.

قوله : (وفي قراءة بتخفيف النون) أي : والهمزة مفتوحة، والعامل مقدَّرٌ كما في المشددة،
واسمها : ضمير الشأن، و﴿هَذِهِ أُمَّةً﴾ : مبتدأ وخبر، والجملة : خبر (أن).

وَأَنَا رَبُّكُمْ فَالْقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرُّهُمْ فِي
غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾

استئنافاً - ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَالْقُونِ﴾ : فاحذرون .

﴿٥٣﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أي : الاتباع ﴿أَمْرَهُمْ﴾ : دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ - حال من فاعل (تَقَطَّعُوا) - أي : أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم ، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾
أي : عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ : مسرورون .

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿فَذَرُّهُمْ﴾ : اترك كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ : ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾
أي : حين موتهم ؛ ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ﴾ : نُعْطِيهِمْ ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ في الدنيا ،
حاشية الصاوي

قوله : (استئنافاً) أي : فهو إخبار من الله بأن جميع الشرائع متفقة الأصول ، والقراءات الثلاث
سبعيات^(١) .

قوله : ﴿فَالْقُونِ﴾ (أي : افعلوا ما أمرتكم به ، واتركوا ما نهيتكم عنه .

قوله : ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ (أي : جعلوا دينهم مفرقاً ؛ فلذلك صاروا فرقاً مختلفة كاليهود
والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة .

قوله : ﴿زُبُرًا﴾ (جمع زبور بمعنى : فريق .

قوله : ﴿فَرِحُونَ﴾ (أي : لاعتقادهم أنهم على الحق .

قوله : ﴿فَذَرُّهُمْ﴾ (الخطاب لرسول الله ﷺ ، والضمير لكفار مكة ؛ كما أشار لذلك المفسر ،
وهو تسليته له .

قوله : ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ مفعول ثانٍ لـ (ذَرُّهُمْ) أي : مستقرين فيها ، والغمرة في الأصل : الماء الذي
يغمر القامة ، ثم استعير ذلك للجهالة ، والغمر بالضم : يقال لمن لم يجرب الأمور ، والغمر بالكسر :
الحقد .

قوله : ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ (بيان لـ (ما) .

(١) قرأ ابن عامر وحده «وأن» هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون ، والكوفيون بكسرها والتثنية ، والباقون بفتحها والتثنية .
انظر «الدر المصون» (٣٤٩/٨) .

سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

﴿سَارِعُ﴾: نَعَجَلُ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾؟ لا ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

(٥٧ - ٦٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾: خَوْفُهُمْ مِنْهُ ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾: خَائِفُونَ مِنْ
عَذَابِهِ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ﴾: الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا
يُشْرِكُونَ﴾: مَعَهُ غَيْرُهُ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: مَاءً آتَوْا: أَعْطَوْا مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خَائِفَةٌ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أَنَّهُمْ﴾ - يُقَدَّرُ قَبْلَهُ لَأَمْ الْجَر - ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ
رَاجِعُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (إضرابٌ انتقاليٌّ؛ أي: لا يعلمون أن توسعة الدنيا عليهم ليست ناشئة
عن الرضا عليهم، بل استدراجٌ لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنَلِّى لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ﴾ (الَّذِينَ): اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿هُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾: خبره، و﴿مِنْ
خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾: متعلق بـ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾، وكذا يقال فيما بعده.

قوله: ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾ (الإشفاق: الخوف مع زيادة التعظيم، فهو أعلى من الخشية، وهذه
الأوصاف متلازمة؛ من اتصف بواحد منها.. لزم منه الاتصاف بالباقي.

قوله: (القرآن) أي: وغيره من باقي الكتب السماوية.

قوله: (يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يُؤْتُونَ﴾ من الإيتاء، وهو: الإعطاء.

قوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (الجملة حالية من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾ أي: والحال أن قلوبهم خائفة من عدم
قبول أعمالهم الصالحة؛ لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغناؤه؛ ولذا ورد عن أبي بكر
الصادق أنه قال: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها)^(١)، وكان
كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع في خديّه.

قوله: (يقدر قبله لأم الجر) أي: فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

(١) ذكره الإمام ابن السبكي في «الطبقات» (١٣٥/٤) من كلام سيدنا عمر رضي الله عنه.

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَمْ سَيِّئُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا

﴿٦١﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَمْ سَيِّئُونَ ﴿٦١﴾ في علم الله.

﴿٦٢﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٦٢﴾ أي: طاقتها، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ قائماً فليُصَلِّ جالساً، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصُومَ فليأْكُلْ، ﴿وَلَدَيْنَا﴾: عِنْدَنَا ﴿كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عَمِلْتَهُ، وهو اللوح المحفوظ تُسَطَّرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، ﴿وَهُمْ﴾ أي: النَّفُوسُ الْعَامِلَةُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً منها، فلا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِ الْخَيْرَاتِ وَلَا يُزَادُ فِي السَّيِّئَاتِ.

﴿٦٣﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴿٦٣﴾ أي: الْكُفَّارُ ﴿فِي غَمَرٍ﴾: جَهَالَةٍ ﴿مِنْ هَذَا﴾ الْقُرْآنِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ هذه الجملة خبرٌ عن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ وما عُظِفَ عليه، فاسم (إِنَّ) أربعُ موصولات، وخبرها جملة ﴿أُولَئِكَ... إلخ﴾.

قوله: ﴿وَهُمْ لَمْ سَيِّئُونَ﴾ الضمير؛ قيل: لِلْخَيْرَاتِ، وقيل: لِلْجَنَّةِ، وقيل: لِلْسَعَادَةِ.

وقوله: (فِي عِلْمِ اللَّهِ) أي: كَتَبُوا سَابِقِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ، فظهر فيهم مقتضى سَابِقِيَّةِ الْعِلْمِ.

قوله: ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: تَفَضُّلاً مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا... فلا يسأل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين؛ إشارةً إِلَى أَنَّ تِلْكَ الْأَوْصَافَ فِي طَاقَةِ الْإِنْسَانِ، وكذا التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب، وأما المحجوب... فَيَرَى التَّكَالِيفَ ثَقِيلَةً يَشُقُّ عَلَيْهِ تَعَاطِيهَا، قال بعض العارفين: [الوافر]

إِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ فَلَا مَلَالَةَ لِتَكْلِيفِ الْإِلَهِ وَلَا مَشَقَّةَ

قوله: (عِنْدَنَا) أي: عِنْدِيَّةَ رُتْبَةٍ وَمَكَانَةٍ وَاخْتِصَاصٍ.

قوله: ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ أي: يَبَيِّنُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ (نفس)؛ لأنه نكرة في سياق النفي.

قوله: (فلا ينقص من ثواب أعمال الخير... إلخ) أي: لِأَنَّ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا وَالْجِزَاءَ عَلَيْهَا مَثْبُتٌ

فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وهو مُطَابِقٌ لِمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ.

قوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ رجوعٌ لأحوال الكفار.

وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذکور للمؤمنين، ﴿هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ فيُعَذَّبُونَ عليها.
 ﴿٦٤﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ - ابتدائية - ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾
 أي: السيف يوم بدر، ﴿إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾: يَصْجُونَ، يُقال لَهُمْ:
 ﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ﴾: لا تُمنعون؛ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي﴾
 من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ﴾ أي: سيئة.

قوله: ﴿مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: غير ما ذكر للمؤمنين، والمعنى: أنَّ الكفار لهم أعمالٌ مضادةٌ ومخالفةٌ لأوصاف المؤمنين المتقدمة.

قوله: ﴿هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ أي: مُستمرُّون عليها.

قوله: ﴿ابتدائية﴾ أي: تبدأ بعدها الجمل.

قوله: ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ إذا: ظرفٌ لما يستقبل من الزمان، خافضٌ لشرطه، منصوبٌ بجوابه،
 و﴿إذا﴾ الثانية: للمفاجأة، قائمة مقام الفاء، قال ابن مالك: ^(١) [الرجز]

وَتَخْلَفُ الْفَاءُ إِذَا الْمَفْاجَأُ كـ (إِنْ تَجِدْ إِذَا لَنَا مُكَافَأُ)

قوله: ﴿أغنياءهم ورؤساءهم﴾ أي: كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم.

قوله: ﴿يَجْتَرُونَ﴾ أي: يصرخون ويبتهلون ويستقبلون ويلتجئون في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك فلا ينفعهم.

قوله: ﴿يُقَالُ لَهُمْ﴾ الأقرب: أنَّ ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل: يوم القيامة حين يعذبون في النار.

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي﴾... إلخ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿تُنْكِرُونَ﴾ من باب (جلس) و(دخل)، فهو بكسر الكاف وضمها.

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ

تَرْجِعُونَ الْقَهْقَرَى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بِالْبَيْتِ أَوْ الْحَرَمِ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُهُ فِي أَمْنٍ بِخِلَافِ سَائِرِ النَّاسِ فِي مَوَاطِنِهِمْ، ﴿سَمِرًا﴾ - حال - أي: جَمَاعَةً يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيْلِ حَوْلَ الْبَيْتِ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ - مِنَ الثَّلَاثِيَّ -: تَتْرُكُونَ الْقُرْآنَ، - وَمِنَ الرَّبَاعِيِّ -: أَي: تَقُولُونَ غَيْرَ الْحَقِّ فِي النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا؟ - أَصْلُهُ: يَتَذَبَّرُوا فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ - ﴿الْقَوْلَ﴾ أي: الْقُرْآنَ

حاشية الصاوي

قوله: (ترجعون قهقرى) أي: إلى جهة الخلف، وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان.

قوله: ﴿بِهِ﴾ الجارُّ والمجرور: إمَّا متعلق بـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، أو بـ ﴿سَمِرًا﴾، وأشار المفسر إلى أن الضمير إمَّا عائدٌ على البيت، أو الحرم.

قوله: ﴿سَمِرًا﴾ من السَّمر، وهو: الحديث ليلاً.

قوله: (حال) المناسب للمفسر أن يقول: (أحوال)، ويؤخِّره عن قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾؛ لأنَّ الأحوال ثلاثة: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ و﴿سَمِرًا﴾، و﴿تَهْجُرُونَ﴾^(١).

قوله: (أي: جماعة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَمِرًا﴾ اسم جمع، واحده: مُسَامِر.

قوله: (من الثلاثي) أي: مأخوذ من: الهجران، وهو الترك، أو من: هَجَرَ هَجْرًا - بالتحريك -: هَذَى وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْقِل.

قوله: (ومن الرباعي) أي: مأخوذ من الإهجار، وهو: الفحش في الكلام.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾ الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أَعْمُوا فلم يَذَرُوا؟

وهذا شروعٌ في بيان أنَّ إقدامهم على هذه الضلالات لا بدَّ أن يكون لأحد أمور أربعة: أحدها: ألا يتأملوا في دليل نبوته، وهو القرآن المعجز، مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته.

ثانيها: أن يعتقدوا أنَّ بعثة الرسول أمرٌ غريبٌ لم تُسمع ولم ترد عن الأمم السابقة، وليس كذلك؛ لأنهم عرفوا أنَّ الرسل كانت تُرسل إلى الأمم.

(١) أحوال مترادفة على الواو في (تنكصون)، أو متداخلة؛ أي: كل واحدة حال مما قبلها. «فتوحات» (٣/ ٢١٤).

أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَذَّبُوهُ لِيُحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
 الدَّالُّ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(٦٩ - ٧٠) ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴿الاستفهام فيه للتقرير بِالْحَقِّ مِنْ صِدْقِ النَّبِيِّ وَمَجِيءِ الرُّسُلِ لِلْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِم بِالْصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَأَنْ لَا جُنُونُ بِهِ، ﴿بَلْ﴾ - لِلانْتِقَالِ - ﴿جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أَي: الْقُرْآنُ الْمَشْتَمِلُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَكَذَّبُوهُ لِيُحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بِأَنْ جَاءَ بِمَا يَهْوَوْنَهُ مِنَ الشَّرِّكَ وَالْوَلَدِ لِلَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ - ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أَي: خَرَجَتْ عَنْ نِظَامِهَا الْمُشَاهَدِ؛ لَوْجُودِ التَّمَانُعِ فِي الشَّيْءِ عَادَةً عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ،
 حاشية الصاوي

ثالثها: أَلَّا يَكُونُوا عَالَمِينَ بِأَمَانَتِهِ وَصَدَقَهُ قَبْلَ ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ سَبَقَتْ لَهُمْ مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ فِي غَايَةِ الْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ.

رابعها: أَنْ يَعْتَقِدُوا فِيهِ الْجُنُونِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْقَلَ النَّاسِ. وَسَيَاتِي خَامِسٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرِجًا﴾.

و(أم): فِي الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ مَقْدَرَةٌ بـ (بَل) الْإِنْتِقَالِيَّةُ وَهَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِي، وَهُوَ: حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يَعْرِفُهُ.

قوله: (من صدق النبي... إلخ) بَيَانٌ لِلْحَقِّ عَلَى طَبَقِ الْآيَةِ، عَلَى سَبِيلِ الْفِصْلِ وَالنَّشْرِ الْمُرْتَّبِ. قوله: ﴿وَكَذَّبُوهُ لِيُحَقِّ﴾ أَي: الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ، فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْحَقِّ الْأَوَّلِ؛ وَلِذَا أَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبُوهُ﴾ إِلَى أَنَّ الْأَقْلَ لَمْ يَدُمَّ عَلَى كِرَاهَةِ الْحَقِّ، بَلْ رَجَعَ عَنْ كُفْرِهِ وَآمَنَ.

قوله: (عادة) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (عَقْلًا)؛ لِأَنَّ وُجُودَ الشَّرِّكَ يَقْضِي بِفَسَادِ الْعَالَمِ عَقْلًا، لَا عَادَةً.

بَلْ أَلَبَّيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ.....

﴿بَلْ أَلَبَّيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكْرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. ﴿٧٢﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾: أجرًا على ما جنتهم به من الإيمان؟ ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ﴾: أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ - وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرَجًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ أَلَبَّيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ، والمعنى: كيف يكرهون الحقَّ مع أنَّ القرآنَ أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم، فاللائقُ بهم الانقيادُ له وتعظيمه.

والعامةُ على قصر ﴿أَلَبَّيْنَهُمْ﴾، وقرئ بالمدِّ بمعنى: أعطيناهم، وحينئذٍ: فالباء: إمَّا زائدة، و(ذكرهم): مفعول ثانٍ، أو المفعول محذوف، وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم، أو تاء المخاطب^(١).

وقوله: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ هكذا قرأ العامة، وقرئ شذوذاً (بذكرهم) بألف التانيث، و(نذكرهم) بنون العظمة^(٢).

قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ راجعٌ لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ تعليلٌ لنفي السؤال المستفاد من الإنكار^(٣).

قوله: ﴿أجره وثوابه﴾ أي: في الآخرة، وقوله: ﴿ورزقه﴾ أي: في الدنيا، فهذه الأمور كالخراج من حيث إنَّ الله تفضَّل بها لعبيده، فلا يتركها أبداً.

قوله: ﴿وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين... إلخ﴾ أي: فالقراءات الثلاث سبعيات^(٤)، لكن الأولى أبلغ؛ من حيث إنه عبَّر في جانب الله بالخراج المفيد للتكرار، وفي حقِّ العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار، والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشكلة.

(١) العامة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، والمراد: أتتهم رسلنا، وقرأ أبو عمرو في رواية: (أتيناهم) بالمدِّ بمعنى: أعطيناهم، وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو أيضاً: (أتيتهم) بتاء المتكلم وحده، وأبو البرهسم وأبو حيوة والجحدري وأبو رجاء: «أتيتهم» بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٨/٣٦٠).

(٢) قرأ عيسى: (بذكرهم) بألف التانيث، وقتادة: (نذكرهم) بنون المتكلم المعظم نفسه مكان باء الجر، مضارع (ذكر) المشدد، ويكون (نذكرهم) جملةً حاليةً. انظر «الدر المصون» (٨/٣٦٠).

(٣) أي: لا تسألهم ذلك؛ فإن ما رزقك الله خير. «فتوحات» (٣/٢١٥).

(٤) قرأ ابن عامر (خرجاً) بسكون الراء، والأخوان: حمزة والكسائي: (خراجاً)، (فخراج) بالالف، والباقون كقراءة ابن عامر في (خراجاً)، والأخوين في (فخراج). انظر «الدر المصون» (٧/٥٤٧).

وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

فيهما -، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾: أَفْضَلُ مَنْ أَعْطَى وَآجَرَ.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أَي: دِينُ الْإِسْلَامِ. ﴿وَإِنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: بِالْبَعْثِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أَي: الطَّرِيقِ
﴿لَنُكَيِّبُونَ﴾: عَادِلُونَ.

﴿٧٥﴾ ﴿لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أَي: جُوعٍ أَصَابَهُمْ بِمَكَّةَ سَبْعَ سِنِينَ،
﴿لَلَجُّوا﴾: تَمَادَوْا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: ضَلَالَتِهِمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ.

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (وَأَجَرَ) بالقصر من باب: (ضَرَبَ) و(نَصَرَ)، وبالمدة؛ أي: أثناب.

قوله: ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ متعلق بـ(ناكبون).

قوله: (عَادِلُونَ) أي: زائغون ومُنحرفون.

قوله: ﴿لَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾... إلخ قال الأشياخ: الأظهر: أَنَّ هذه الآية واللتين بعدها
إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ مَدَنِيَّاتٌ، وسبب ذلك: أَنَّ رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة.. دعا على أهل مكة
بقوله: «اللهم! اشْدُدْ وطأتك على مُضَرٍّ، اللهم! اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِينَ يَوْسُفَ»^(١)، فقحطوا
حتى أَكَلُوا الْعِلْهَزَ، وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة: شيءٌ كانوا يَتَخَذُونَهُ مِنَ الدَّمِ
وَوَبَرِ الْإِبِلِ فِي سَنِي الْمَجَاعَةِ، فجاء أبو سُفْيَانٍ إِلَى رسول الله ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: أَنَشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ؛
أَلَسْتُ تَزْعَمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؟ قَتَلْتَ الْأَبَاءَ بِالسَّيْفِ، وَالْأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ^(٢).

قوله: ﴿لَلَجُّوا﴾ اللجاج: التَّمَادِي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه.

(١) هذه الرواية على لغة بعض بني تميم وبني عامر؛ فإنهم يجعلون الإعراب بحركات على النون، ويلتزمون الباء
في جميع الأحوال، وأما لغة الحجازيين.. فهي إعراب (سنيين) وبابه إعراب الجمع بالواو رفعاً، وبالباء نصباً
وجراً، وقد روي بها أيضاً دعاؤه ﷺ عليهم.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٧٦/٤)، وأما دعاؤه ﷺ عليهم فرواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن سيدنا
أبي هريرة ؓ، وانظر «زاد المسير» (٢٦٨/٣).

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ

﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ: الجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ﴾: يَرْعَبُونَ إلى الله بالدُّعاء.

﴿٧٧﴾ ﴿حَتَّى﴾ - ابتدائية - ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا﴾: صَاحِبَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من كُلِّ خَيْر.

﴿٧٨﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾: خَلَقَ ﴿لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الأَسْمَاعِ، ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: الْقُلُوبَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ تأكيد لما قبله.

قوله: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أصله: (اسْتُكُونُوا)^(١)، نُقلت حركة الواو إلى ما قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، والمعنى: لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي، ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل.

قوله: (ابتدائية) أي: تبدأ بعدها الجمل.

قوله: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (إذا): شرطية، و(إذا) الثانية: رابطة للجواب، قائمة مقام الفاء.

قوله: (آيسون) أي: فالإبلاس: اليأس، ومنه: إبليس؛ ليأسه من رحمة الله.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ...﴾ (الخ) خطابٌ لِلْخَلْقِ عموماً، قصد به تذكير النعم للمؤمنين، والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها؛ لأنَّ السمع خُلِقَ لسمع به ما يرشد، والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله، والقلوب - بمعنى العقول - ليتأمل بها في مصنوعات الله؛ فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها... فهو بمنزلة عادٍها، قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأحاف: ٢٦]، وأفرد السمع وجمع الأبصار تَفْتِئًا.

(١) أو يقال: أصله: استكن من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يُريده، والألف من إشباع الفتحة، أو: استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له. «تفسير البيضاوي» (٤٢/٢).

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قَلِيلًا مَّا﴾ - تأكيد للقلَّة - ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

(٧٩ - ٨٠) ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُبْعَثُونَ، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾: يَنْفُخُ الرُّوحَ فِي الْمُضْغَةِ، ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: بِالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: صُنْعَهُ تَعَالَى فَتَعْتَبِرُونَ؟

(٨١ - ٨٢) ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿قَالُوا﴾: أَي: الْأَوَّلُونَ: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا، - وفي الهمزتين في المَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقُ، وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالُ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ -.

حاشية الصاوي

قوله: (تأكيد للقلَّة) أي: لفظ (ما) تأكيد للقلَّة المستفادة من التنكير، والمعنى: شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدمه.

قوله: (تُبْعَثُونَ) أي: تحيون بعد الموت.

قوله: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: خلقاً وإيجاداً.

قوله: (بالسواد والبياض) لفٌّ ونشْرٌ مرْتَب.

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة عليه؛ أي: أغفلتم فلا تعقلون أَنَّ القادر على إنشاء الخلق قادرٌ على إعادتهم بعد الموت؟!

قوله: ﴿بَلْ قَالُوا﴾ أي: كُفَّار مكة.

قوله: ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: مِن قوم نوح وهود وصالح وغيرهم.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (إدخال ألف بينهما) أي: وترك الإدخال، فالقراءات أربع: سَبْعِيَّات في الثاني، وثلاث في الأول بترك الإدخال بين المحققين^(١).

(١) انظر تفصيل القراءات في «الدر المصون» (١٧/٧-١٩).

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعْدًا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

﴿٨٣﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعْدًا هَذَا: أي: البعث بعد الموت ﴿مِنْ قَبْلُ إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: كالأصاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة بالضم.
﴿٨٤﴾ قُلْ لَّهُمْ: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من الخلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها وما ليكها؟

﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَّهُمْ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - بإدغام التاء الثانية في الذال -: تَعِظُونَ فَعَلِمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْخَلْقِ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ.
﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: الكرسي؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا﴾ (وُعد): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو الضمير المتصل، و﴿نَحْنُ﴾: توكيد له، و﴿وَعْدًا﴾ (وَأَبَاؤُنَا): معطوف على الضمير المتصل، فهو نائب فاعل أيضاً، وقوله: ﴿هَذَا﴾: مفعول ثانٍ لـ﴿وُعد﴾، ونائب الفاعل مفعول أول، والأصل: وَعَدْنَا الْآنَ مُحَمَّدٌ بِالْبَعْثِ وَوَعَدَ غَيْرُهُ أَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُنَا بِهِ.

وقدّم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا، وعكس في (النمل)^(١)؛ تفتنّاً وإشارةً إلى أنه يجوز الأمران.

قوله: ﴿قُلْ لَّهُمْ﴾ أي: لأهل مكة المنكرين للبعث.

قوله: (من الخلق) أي: المخلوقات، عُقلاء وغيرهم.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابه، والتقدير: فأخبروني بخالفهما.

قوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إخبارٌ من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه.

قوله: (بإدغام التاء) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً وتسكينها.

قوله: (الكرسي) المناسب إبقاؤه على ظاهره؛ فإنَّ العرش على التحقيق غير الكرسي^(٢).

(١) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَوَعْدًا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(٢) خلافاً للحسن البصري. انظر «شرح المصنّف على الجوهرة» (ص ٣٩٠).

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوتُ﴾: تَحَذَرُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ؟

﴿٨٨﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكَوْتُ﴾: مُلْكُ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ - وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ - ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يَحْمِي وَلَا يُحْمَى عَلَيْهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

﴿٨٩﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿لِلَّهِ﴾ بِلَامِ الْجَرِّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ نَظَرًا إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَنْ لَهُ مَا ذُكِرَ؟ - ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: تُخَدَعُونَ وَتُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ؟

حاشية الصاوي

قوله: (والتاء للمبالغة) أي: وكذا الواو، فهما زائدتان كزيادتهما في الرحموت والرهبوت؛ من: الرهبة والرحمة.

قوله: (يحمي ولا يُحمى عليه) الأول بفتح الياء ك(يُرمي)، والثاني بضمها، والمعنى: يمنع ويحفظ من أراد حفظه، ولا يُمنع فيه أحدٌ، ولا ينصر من أراد خذلانه، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قوله: (وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجر) أي: وهي لمُعْظَمِ السبعة^(١).

قوله: (في الموضعين) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول.. فهو باللام باتِّفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحدٌ.

قوله: (نظراً إلى أن المعنى) أي: فلام الجر مقدَّرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وأما على قراءة إسقاطها.. فباعتبار مُراعاة لفظ السؤال؛ لأنه لا فرق بين قوله: من ربُّ السماوات، وبين: لمن السماوات؟ كقولك: من ربُّ هذه الدار؟ فيقال: زيدٌ، وإن شئتَ قلتَ: لزيد؛ لأنَّ السؤال لا فرق فيه بين أن يقال: لمن هذه الدار؟ أو: من ربُّها؟

قوله: ﴿فَأَنَّى﴾ أي: فكيف تسحرون.

قوله: (عبادة الله) بدل من (الحق)، فهو بالجر.

(١) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) من غير لام جر، والباقون: (لله). انظر الدر المصون (٨/ ٣٦٢).

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا
لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

أي: كيف يُخَيَّلُ لَكُمْ أَنَّهُ باطل؟

﴿٩٠﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ: بِالصُّدْقِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي نَفْيِهِ وَهُوَ.

﴿٩١﴾ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا﴾ أَي: لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ ﴿لَذَهَبَ كُلُّ
إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: انْفَرَدَ بِهِ وَمَنَعَ الْآخَرِ مِنَ الِاسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ، ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مُّغَالِبَةٌ
كَفَعَلِ مُلُوكِ الدُّنْيَا، ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بِهِ مِمَّا ذُكِرَ.

﴿٩٢﴾ ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: مَا غَابَ وَمَا شُوهِدَ - بِالْجَرِّ صِفَةً -

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كيف يخيل لكم) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالسحر التخيل والوهم، لا حقيقته.

قوله: (في نفيه) أي: الحق.

قوله: ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾: زائدة في المفعول، وقوله: ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾: زائدة في اسم
﴿كَانَ﴾.

قوله: (أي: لو كان معه إله) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿إِذَا لَذَهَبَ﴾ جوابٌ لشرط محذوف وهو
(لو) الامتناعية، عُلِمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وتقدّم تحقيق الكلام في هذا البرهان
في (الأنبياء) (١).

قوله: (كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضي أَنَّ هذا أمرٌ عاديٌّ لا إلزامٌ قطعيٌّ، وهو خلاف
التحقيق، بل التَّحْقِيقُ: أَنَّهُ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ قَطْعِيٌّ (٢).

قوله: ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ هذا دليلٌ آخرٌ على الوحدانية، كأنه قال: الله عالم الغيب
والشهادة، وغيره لا يعلمها، فغيره ليس بإله.

قوله: (بالجر صفة) أي: للفظ الجلالة، أو بدل منه.

(١) انظر (٤/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) انظر (٤/ ٣٢١) في سورة الأنبياء.

فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

والرفع خبر (هو) مُقَدَّرًا، ﴿فَتَعَلَّى﴾: تَعَظَّمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

(٩٣ - ٩٤) ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾ - فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) الزائدة - ﴿تُرِيدُنِي

مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب، هو صادق بالقتل ببدر، ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك بإهلاكهم.

(٩٥ - ٩٦) ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حاشية الصاوي

قوله: (والرفع خبر هو مقدر) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عطف على معنى ما تقدّم كأنه قال: علم الغيب فتعالى^(٢).

قوله: ﴿قُلْ رَبِّ﴾... إلخ) هذا أمرٌ لرسول الله ﷺ بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم،
وهو مجاب؛ لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له.

قوله: ﴿إِمَّا تُرِيدُنِي﴾ (إن): شرطية، و(ما): زائدة، و﴿تُرِيدُنِي﴾: فعل الشرط، والنون: للوقاية،
والياء: مفعول أول، و﴿مَا﴾: مفعول ثان، و﴿يُوعَدُونَ﴾: صلة ﴿مَا﴾، و﴿رَبِّ﴾: تأكيدٌ للأول،
وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي...﴾ إلخ جواب الشرط.

قوله: (بالقتل ببدر) أي: وهو الذي رآه بالفعل.

قوله: (فأهلك بهلاكهم) أي: لأنّ شؤم الظالم قد يعمّ غيره.

إن قلت: إنّ رسول الله معصومٌ من جعله مع القوم الظالمين؛ فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟

أجيب: بأنه أمرٌ بذلك إظهاراً للعبودية، وتواضعاً لرّبّه، وتعظيماً لأجره، وليكون في جميع
الأوقات ذاكرًا لله تعالى.

قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ﴾... إلخ) (إن): حرف توكيد ونصب، و(نا): اسمها، والجاءُ

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجهر، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٣٦٣/٨).

(٢) ويقال له في غير القرآن: العطف على التوهم، أو يكون على إضمار القول؛ أي: أقول: فتعالى الله. انظر «الدر
المصون» (٣٦٤/٨).

السَّيِّئَةُ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا

أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿السَّيِّئَةُ﴾: أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: يكذبون ويقولون فجازيهم عليه.

(٩٧ - ٩٨) ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾: أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: نزغاتهم بما يوسوسون به، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

(٩٩ - ١٠٠) ﴿حَقَّ﴾ - ابتدائية - ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن، ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ - الجمع للتعظيم - ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾

حاشية الصاوي

والمجرور متعلق بـ ﴿قَدِرُونَ﴾، و﴿مَا﴾: واقعة على العذاب، و﴿قَدِرُونَ﴾: خبر (إن)، واللام: للابتداء رُحِلَتْ للخبر، والمعنى: وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذي نعدهم به.

قوله: (أي: الخصلة... إلخ) أشار بذلك إلى أن (التي) صفة لموصوف محذوف، وقوله: (من الصفح) (من): بيان للخصلة التي هي أحسن.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخ، ويحتمل أن المعنى: ادفع بالتي هي أحسن ولو في حال القتال، كأن الله يقول له: إذا قدرت عليهم.. فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يُعاملونك به، وحينئذ: فتكون الآية محكمة، وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة.

قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ أي: في كل وقت؛ لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جداً، وهو وإن كان معصوماً.. فالمقصود تعليم أمته، وإظهار الالتجاء لربه.

قوله: ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ جمع همزة، وهي: النخسة.

قوله: (نزغاتهم) أي: إفساداتهم، والمعنى: أتحصن بك من وساوس الشياطين.

قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ كرر ذلك؛ للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة.

قوله: (ابتدائية) أي: تُبتدأ بعدها الجمل؛ إشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله، فُصِدَ به وصف حال الكافر بعد موته.

قوله: (الجمع للتعظيم) جواب عما يقال: لِمَ لَمْ يقل: رب أرجعني - بالإفراد - مع أن المخاطب واحد؟ وأجيب أيضاً: بأن الواو لتكرير الطلب، كأنه قال: أرجعن أرجعن أرجعن، أو الجمع باعتبار

فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ

بِأَن أَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَكُونُ ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: ضَيِّعْتُ مِنْ عُمْرِي أَي: فِي مُقَابَلَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَا رُجُوعَ؛ ﴿إِنَّهَا﴾ أَي: رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ وَلَا فَائِدَةَ لَهُ فِيهَا، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾: أَمَامِهِمْ ﴿بَرْزَخٌ﴾: حَاجِزٌ يَصُدُّهُمْ عَنِ الرَّجُوعِ ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وَلَا رُجُوعَ بَعْدَهُ.

﴿١٠١﴾ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: الْقَرْنِ النَّفْخَةُ الْأُولَى أَوِ الثَّانِيَّةُ،

حاشية الصاوي

الملائكة الذين يقبضون روحه، كأنه استغاث بالله أولاً، ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة.

قوله: (يكون فيما تركت) أي: بدلاً عنه.

قوله: (أي: لا رجوع) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿كَلَّا﴾ هنا معناها النفي، ومع ذلك فيها معنى الرُّجْر والردع.

قوله: (أي: ربِّ ارجعون) أي: وما بعدها.

قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ الجمع باعتبار معنى (أحد).

قوله: ﴿بَرْزَخٌ﴾ هو المدة التي من حين الموت إلى البعث، والمعنى: أَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجْعَةِ حِجَاباً وَمَانِعاً مِنَ الرَّجُوعِ، وَهُوَ الْمَوْتُ.

إذا علمت ذلك.. فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدأ، وإنما يبعثون يوم القيامة، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم، وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة.. فالمراد: أَنَّ رُوحَهُ الشَّرِيفَةَ تَشَكَّلَتْ بِصُورَةِ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ، وَكَذَا يُقَالُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَالشَّهَدَاءِ؛ لِأَنَّ أَرْوَاحَ الْمُطِيعِينَ مُطْلَقَةً غَيْرُ مَحْبُوسَةٍ، وَأَمَّا الْكُفَّار.. فَأَرْوَاحُهُمْ مَحْبُوسَةٌ لَا تَسْعَى فِي الْمَلَكُوتِ.

قوله: (ولا رجوع بعده) أي: يوم البعث.

قوله: (النفخة الأولى) هو قول ابن عباس، وقوله: (أو الثانية) هو قول ابن مسعود^(١).

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٢٧١).

فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يَتَفَاخَرُونَ بِهَا ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنْهَا، خِلَافَ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَشْغَلُهُمْ مِنْ عِظَمِ الْأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ، وَفِي بَعْضِهَا يُفَيِّقُونَ، وَفِي آيَةٍ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠].

(١٠٢ - ١٠٤) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالْحَسَنَاتِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالسَّيِّئَاتِ ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، فَهُمْ ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ١٠٣

حاشية الصاوي

قوله: (يَتَفَاخَرُونَ بِهَا) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ الْأَنْسَابَ ثَابِتَةٌ بَيْنَهُمْ لَا يَصَحُّ نَفْيُهَا، فَأُجَابَ: بِأَنَّ مَعْنَى (لَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ): لَا يَتَفَاخَرُونَ بِأَنْسَابِهِمْ، وَأُجِيبَ أَيْضاً: بِأَنَّ مَعْنَى (لَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ): لَا أَنْسَابَ تَنْفَعُهُمْ؛ لَزَوَالِ التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ مِنْ شِدَّةِ الْحَسْرَةِ وَالدَّهْشَةِ.

قوله: (خِلَافَ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا) أَي: لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَلُونَ عَنْ بَعْضِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

قوله: (لِمَا يَشْغَلُهُمْ) عِلَّةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وَدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَقَالُ: كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَآيَةِ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]؟

فَجَمَعَ الْمَفْسَّرُ: بِأَنَّ الْقِيَامَةَ مَوَاطِنٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، وَأَمَّا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ النَّفْخَةَ الْأُولَى.. فَوَجْهُ الْجَمْعِ: أَنَّ نَفْيَ السُّؤَالِ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى؛ لِمَوْتِهِمْ حِينَئِذٍ، وَإِثْبَاتُهُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

قوله: ﴿مَوَازِينُهُ﴾ الْجَمْعُ إِمَّا لِلتَّعْظِيمِ، أَوْ بِإِعْتِبَارِ الْمَوْزُونِ.

قوله: (بِالْحَسَنَاتِ) الْبَاءُ سَبِيئَةٌ؛ أَي: بِسَبَبِ ثِقَلِ الْحَسَنَاتِ.

قوله: (بِالسَّيِّئَاتِ) أَي: الَّتِي بِسَبَبِ ثِقَلِ السَّيِّئَاتِ، وَالْمَعْنَى: فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ.. فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ.. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا... إلخ.

قوله: (فَهُمْ ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾) أَشَارَ الْمَفْسَّرُ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ^(١).

(١) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، وَلَا مَحَلَّ لِلْبَدَلِ وَالْمَبْدَلِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الصَّلَةَ لَا مَحَلَّ لَهَا، أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ (لِأُولَئِكَ). انظر «الكشاف» (٢٠٦/٣).

تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ مَائِنِي تُنَلِّي عَلَيْكُمْ فَكُثِّرَ بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ
.....

تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ: تُحَرِّقُهَا، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شَمَّرَتْ شِفَاهُهُمُ الْعُلْيَا وَالسُّفْلَى
عَنْ أَسْنَانِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ:

﴿١٠٥﴾ ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَائِنِي﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تُنَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوِّفُونَ بِهَا، ﴿فَكُثِّرَ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟
﴿١٠٦﴾ - ﴿١٠٧﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (شَقَاوَتُنَا) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ
وَالْف، وَهُمَا مَصْدَرَانِ بِمَعْنَى -، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عَنِ الْهَدَايَةِ، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا
فَإِنْ عُدْنَا﴾ إِلَى الْمُخَالَفَةِ ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ بِلِسَانِ مَالِكٍ بَعْدَ قَدْرِ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ﴾ اللَّفَح: الإصَابَةُ بِشِدَّةٍ.

قوله: (شَمَّرَتْ شِفَاهُهُمُ الْعُلْيَا) أي: فَالْكُلُوح: تَشْمِيرُ الشِّفَةِ الْعُلْيَا، وَاسْتِرْخَاءُ السُّفْلَى؛
لَمَّا وَرَدَ: «أَنَّهُ تَقَلَّصَ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَخِي السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ»^(١).

قوله: ﴿تُنَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: فِي الدُّنْيَا.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(٢).

قوله: (وَهُمَا مَصْدَرَانِ بِمَعْنَى) أي: وَهُوَ سُوءُ الْعَاقِبَةِ.

قوله: (بَعْدَ قَدْرِ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ) أي: وَقَدَرُهَا؛ قِيلَ: سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ بَعْدَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ،

وَقِيلَ: اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ بَعْدَ الْبُرُوجِ، وَقِيلَ: ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً بَعْدَ أَيَّامِ السَّنَةِ^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قرأ الأخوان: (شَقَاوَتُنَا) بِفَتْحِ الشِّينِ وَأَلْفِ بَعْدِ الْقَافِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِ الشِّينِ وَسُكُونِ الْقَافِ. انظر «الدر المصون»
(٣٧٠/٨).

(٣) وكلُّهَا أَقْوَالٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ بَاطِلَةٌ، وَهِيَ سَبَبُ كُفْرِ كَثِيرٍ مِنَ النَّصَارَى وَالْحَادِثُ بَعْدَ أَنْ كَشَفَ الْعِلْمُ الْحَدِيثَ بِطُلَانِ تِلْكَ
الْأَقْوَالِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ عُمَرُهَا مِلايين السنين.

أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾: ابعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لِيَنْقَطِعَ رَجَاؤُهُمْ.

(١٠٩ - ١١٠) ﴿إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا﴾ - بِضَمِّ السَّيْنِ وَكَسْرِهَا - مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْهُزْءِ، مِنْهُمْ بِلَالٌ وَصُهَيْبٌ وَعَمَّارٌ وَسَلْمَانُ، ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي﴾ فَتَرَكْتُمُوهُ لِاسْتِغَاثِكُمْ بِالْاِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، فَهُمْ سَبُّ الْإِنْسَاءِ فُنُسِبَ إِلَيْهِمْ، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى اسْتِهْزَائِكُمْ بِهِمْ وَأَذَاكُم إِيَّاهُمْ، ﴿إِنَّهُمْ﴾ - بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ - ﴿هُمْ الْفَآئِزُونَ﴾ بِمَطْلُوبِهِمْ، - اسْتِثْنَاءٌ، وَبِفَتْحِهَا: مَفْعُولٌ ثَانٍ لِّ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾ -.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ أي: اسكتوا سكوت هوانٍ وذُلٍّ.

قوله: ﴿فَيَنْقَطِعَ رَجَاؤُهُمْ﴾ أي: وهذا آخر كلامهم في النار؛ فلا يُسْمَعُ لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق، أو الثُّبَاحُ كنباح الكلاب.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿بِضَمِّ السَّيْنِ وَكَسْرِهَا﴾ أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَسَلْمَانُ﴾ المناسب أن يقول بدله: ﴿وَحَبَّابٌ﴾؛ لأنَّ سَلْمَانَ ليس من المهاجرين.

قوله: ﴿فُنُسِبَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: وحقه أن يُنسَبَ إلى الاستهزاء.

قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي: وذلك غاية الاستهزاء.

قوله: ﴿بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا﴾ أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) قرأ الأخوان ونافع بكسر السين. والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٣٧١/٨).

(٢) قرأ الأخوان بكسر الهمزة استثناءً، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٣٧٢/٨).

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

﴿١١٢﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لَهُمْ بِلِسَانِ مَالِكٍ - وفي قِرَاءة: ﴿قُلْ﴾ -: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قُبُورِكُمْ ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ - تَمَيِّز ..

﴿١١٣﴾ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شَكُّوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَقْصَرُوهُ لِعِظَمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ أَي: الْمَلَائِكَةُ الْمُحْصِينَ أَعْمَالَ الْخَلْقِ.

﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى بِلِسَانِ مَالِكٍ - وفي قِرَاءة: ﴿قُلْ﴾ -: ﴿إِنْ﴾ أَي: مَا ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بلسان مالك) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَقَال: إِنْ قَوْلُهُ: ﴿قَالَ﴾ يَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُهُمْ مَعَهُ أَنَّهُ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾، فَأَجَاب: بِأَنَّ الْمَكَلَّمَ لَهُمُ الْمَلَكُ عَنْ اللَّهِ.

قوله: (وفي قِرَاءة: ﴿قُلْ﴾) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ ثَلَاثَ قِرَاءَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ: الْأَمْرُ فِيهِمَا، وَالْمَاضِي فِيهِمَا، وَالْأَمْرُ فِي الْأَوَّلِ، وَالْمَاضِي فِي الثَّانِي^(١).

قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ ﴿كَمْ﴾: فِي مَحَلٍّ نَصَبٍ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ هُوَ مُمِيزُهَا، وَالْمَعْنَى: لَبِثْتُمْ كَمْ عَدَدًا مِنَ السِّنِينَ؟ وَالْقَصْدُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ: التَّوْبِيخُ وَالتَّبْكِيثُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بَقَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُعَوِّلُونَ عَلَى اللَّبْثِ فِيهَا، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، فَلَمَّا أَدْخَلُوا النَّارَ وَأَيَقَنُوا دَوَامَهَا وَخُلُودَهُمْ فِيهَا.. سَأَلَهُمْ عَنْ لُبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا زِيَادَةً فِي تَحَسُّرِهِمْ عَلَى مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ حَيْثُ ظَهَرَ خِلَافُهُ.

قوله: ﴿فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ جَمْعُ عَادٍ، مِنَ الْعَدَدِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ كَلَامِهِمْ؛ لِأَنَّهُ غَشِيَهُمْ مِنَ الْهَوْلِ وَالْعَذَابِ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنْ ضَبْطِ ذَلِكَ وَإِحْصَائِهِ.

قوله: ﴿قَالَ﴾ تعالى أَي: تَقْرِيعًا وَتَخْوِيفًا وَتَصْدِيقًا لَهُمْ.

(١) قَرَأَ الْأَخْوَانُ: (قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ)، (قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ) بِالْأَمْرِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَابْنُ كَثِيرٍ كَالْأَخْوَيْنِ فِي الْأَوَّلِ فَقَطْ، وَالباقون (قَالَ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ. انظر «الدر المصون» (٣٧٢/٨).

لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾
فَتَعَلَّى اللَّهُ

لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ مقدار لُبُّكُمْ مِنَ الطُّولِ كَانَ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى لُبِّكُمْ فِي النَّارِ.
﴿١١٥﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لَا لِحِكْمَةٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ - بِالْبِنَاءِ
لِلْفَاعِلِ وَلِلْمَفْعُولِ - ؟ لَا ، بَلْ لِنَتَّعَبِدْكُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَتَرْجِعُوا إِلَيْنَا وَنُجَازِي عَلَى ذَلِكَ،
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿١١٦﴾ ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ﴾ عَنِ الْعَبَثِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ﴾ (لَوْ): هُنَا امْتِنَاعِيَّةٌ، وَمَفْعُولُ الْعِلْمِ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (مِقْدَارُ لُبِّكُمْ)، وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ أَيْضًا، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (كَانَ قَلِيلًا) أَيْ: فِي عِلْمِكُمْ، وَالْمَعْنَى: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِقْدَارَ لُبِّكُمْ مِنَ الطُّولِ.. لَعَلَّمْتُمْ قَلَّةَ لُبِّكُمْ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ (الْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَجْهَلْتُمْ فَحَسِبْتُمْ؟ وَحَسِبَ: بِمَعْنَى (ظَنَّ)، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَالْإِنْكَارِ.

قوله: ﴿عَبَثًا﴾ (إِمَّا حَالٌ مُؤَوَّلٌ بِاسْمِ الْفَاعِلِ؛ أَيْ: عَابَثِينَ، أَوْ مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ. وَالْعَبَثُ: اللَّعْبُ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ فِيهِ غَرَضٌ صَحِيحٌ؛ فَقَوْلُهُ: (لَا لِحِكْمَةٍ) تَفْسِيرٌ لِلْعَبَثِ.

قوله: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، فَيَكُونُ (حَسِبَ) مُسَلِّطًا عَلَيْهِ.

قوله: (بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ) أَيْ: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: (لَا) قَدَّرَهُ؛ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ.

قوله: (بَلْ لِنَتَّعَبِدْكُمْ) أَيْ: لِنُكَلِّفْكُمْ.

قوله: (عَلَى ذَلِكَ) أَيْ: عَلَى امْتِثَالِ التَّعَبُّدِ الْمَذْكُورِ.

قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: حِكْمَةُ خَلْقِي لَهُمْ: كَوْنُهُمْ يُمَثِّلُونَ أَوْامِرِي، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِي.

قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ﴾ أَيْ: تَنَزَّهَ.

(١) قَرَأَ الْأَخْوَانُ: (تَرْجَعُونَ) مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَالْبَاقُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. انْظُرْ «الدَّرَجَةُ الْمَصُونَةُ» (٨/ ٣٧٥).

الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ

﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾: الكرسي، هو السرير الحسن.

﴿١١٧﴾ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ - صِفَةٌ كَاشِفَةٌ لَا مَفْهُومَ لَهَا - ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾: جَزَاؤُهُ ﴿عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: لَا يَسْعُدُونَ.

﴿١١٨﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ الْمُؤْمِنِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي: الذي يَحَقُّ له التصرف في ملكه بالإيجاد والإعدام، والشواب والعقاب وغير ذلك، فكلُّ ما سواه مقهور، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

قوله: ﴿الْكَرِيمِ﴾ بالجبر: صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾؛ لأنَّ كلَّ بركة ورحمة وخيرٍ نازلة منه، وقرئ شذوذاً بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح^(١).

قوله: (الكرسي) تقدّم أنَّ المناسب إبقاؤه على ظاهره.

قوله: (هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها إسقاطها.

قوله: (صفة كاشفة) أي: بيان للواقع؛ لأنَّ كلَّ من ادَّعى مع الله إلهاً آخر لا بدَّ وأن يكون لا برهان له به.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هو جواب الشرط.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الجمهور على كسر (إنَّ) استئنافاً، وفيه معنى العلة، وقرئ شذوذاً بالفتح على أنه خبر ﴿حِسَابُهُ﴾^(٢)، والأصل: حِسَابُهُ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ هُوَ، فوضع الظاهر موضع المضمَر تسجيلاً عليهم^(٣).

(١) قرأ أبو جعفر وابن محيصة وإسماعيل عن ابن كثير وأبان بن تغلب بالرفع، وفيه وجهان، أحدهما: أنه نعت للعرش أيضاً، ولكنه قطع عن إعرابه لأجل المدح على خبر مبتدأ مضمَر، وهذا جيد لتوافق القراءتين في المعنى، الثاني: أنه نعت لـ (ربِّ). انظر «الدر المصون» (٣٧٥/٨).

(٢) وبها قرأ الحسن وقتادة. انظر «الدر المصون» (٣٧٦/٨).

(٣) حتى لا يتأتى لهم الإنكار.

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

في الرَّحْمَةِ زِيَادَةً عَنِ الْمَغْفِرَةِ، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ : أَفْضَلُ رَاجِمٍ.



حاشية الصاوي

قوله: (في الرحمة) زيادة على المغفرة؛ أي: فذكر الرحمة بعد المغفرة تحليةً بعد تخلية؛ ففي الغفران محو السيئات، وفي الرحمة رفع الدرجات.
قوله: (أفضل رحمة) بالنصب على التمييز.



﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾



مَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ ثِنْتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ هَذِهِ ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّوْرِ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ النُّورِ فِيهَا، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ ذِكْرُ أَحْكَامِ الْعِفَافِ وَالسَّتْرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ الْمَفْصَّلَةِ؛ وَلِذَا كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْكُوفَةِ: (عَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ «النُّورِ»^(١))، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لَا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْغُرَفِ، وَلَا تَعَلِّمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَعَلِّمُوهُنَّ سُورَةَ «النُّورِ»، وَالْعَزْلَ)^(٢).

قَوْلُهُ: (هَذِهِ سُورَةٌ) أَشَارَ الْمَفْسِّرُ إِلَى أَنَّ ﴿سُورَةً﴾ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (هَذِهِ)، وَالْإِشَارَةُ لِمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ لَكُونِهَا فِي حُكْمِ الْحَاضِرِ الشَّاهِدِ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ ﴿سُورَةً﴾ مُبْتَدَأً، وَجُمْلَةً ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صِفَةً لَهَا، وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، وَالْمَعْنَى: السُّورَةُ الْمَنْزِلَةُ وَالْمَفْرُوضَةُ كَذَا وَكَذَا، أَوِ الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ، وَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ الرِّفْعِ، وَهِيَ لِعَامَّةِ الْقُرَّاءِ، وَقُرِئَ (سُورَةٌ) بِالنَّصْبِ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يَفْسِّرُهُ (أَنْزَلْنَا)، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِشْتَغَالِ، أَوْ عَلَى الْإِغْرَاءِ؛ أَيِ: دُونَكَ سُورَةٍ^(٣).

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٢٢١٣).

(٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣٩٧/٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٣٤/٦).

(٣) قَرَأَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعِيسَى الثَّقَفِيُّ وَعِيسَى الْكُوفِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو حَيَّةٍ فِي آخِرِينَ: (سُورَةٌ) بِالنَّصْبِ، وَقَدْ يَكُونُ تَوْجِيهُ النَّصْبِ أَيْضاً بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ غَيْرِ مَفْسَّرٍ بِمَا بَعْدَهُ، تَقْدِيرُهُ: اتْلُ سُورَةً، أَوْ اقْرَأْ سُورَةً، أَوْ حَالٌ مِنْ (هَا) فِي ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٣٧٨/٨).

وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

وَفَرَضْنَاهَا - مُخَفَّفًا، وَمُشَدَّدًا لِكثَرَةِ الْمَفْرُوضِ فِيهَا -، ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ﴾: وَاضِحَاتِ الدَّلَالَةِ، ﴿لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الدَّالِ -: تَتَعَطُّونَ.

﴿٢﴾ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أَي: غَيْرُ الْمُحْصَنَيْنِ لِرَجْمِهِمَا بِالسِّنَّةِ، وَ(أَل) فِيمَا ذُكِرَ مَوْصُولَةٌ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَلِشَبْهِهِ بِالشَّرْطِ دَخَلَتِ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ، وَهُوَ:
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ (أَي: أَوْجَبْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ إيجاباً قطعياً).

قوله: (مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا) أَي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا﴾ كَرَّرَ الْإِنْزَالَ؛ لِكَمَالِ الْاِعْتِنَاءِ بِشَأْنِهَا.

قوله: ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ﴾ (أَي: دَلَائِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ ذُكِرَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ، وَفِي آخِرِهَا دَلَائِلُ التَّوْحِيدِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَحْكَامِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَدَلَّةِ.

قوله: (بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ) أَي: بَعْدَ قَلْبِهَا دَالًا فَذَالًا؛ أَي: وَتَسْكِينِهَا؛ أَي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَبَقِيَتْ ثَلَاثَةٌ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا، وَهِيَ: حَذْفُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ^(٢).

قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ، أَوْ جُمْلَةٌ فَاجْلِدُوهُمَا^(٣) وَدَخَلَتِ الْفَاءُ؛ لِشَبْهِ الْمُبْتَدَأِ بِالشَّرْطِ، وَعَلَيْهِ دَرَجُ الْمَفْسَّرِ.

وَقَدِّمَتِ الْمَرْأَةُ فِي حَدِّ الزَّانَا، وَأُخِّرَتِ فِي آيَةِ حَدِّ السَّرْقَةِ؛ لِأَنَّ شَهْوَةَ الزَّانَا فِي الْمَرْأَةِ أَقْوَى وَأَكْثَرُ، وَالسَّرْقَةُ نَاشِئَةٌ مِنَ الْجَسَارَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهِيَ فِي الرَّجُلِ أَقْوَى وَأَكْثَرُ.

قوله: (لِرَجْمِهِمَا بِالسِّنَّةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي﴾ لَفْظٌ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمُحْصَنَ وَغَيْرَهُ، فَالسِّنَّةُ أَخْرَجَتْ الْمُحْصَنَ وَبَيَّنَّتْ أَنَّ حَدَّ الرَّجْمِ، فَصَارَ الْكَلَامُ فِي غَيْرِهِ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٨/٣٧٩).

(٢) هما قراءتان سبْعِيَّتَانِ: التَّخْفِيفُ وَالتَّشْدِيدُ كَمَا فِي «الْبَدْوَرِ الزَّاهِرَةِ» (ص ٢٢١)، وَعِبَارَةُ «الْفَتْوحَاتِ» (٣/٢٢٠):

(وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْبَهَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ التَّخْفِيفُ بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ؛ فَإِنَّهَا سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا).

(٣) وَلَا يَضُرُّ كَوْنُهُ جُمْلَةً طَلِبِيَّةً عَلَى الْمُعْتَمَدِ؛ كَمَا مَرَّ لِلْمَصْنَفِ فِي «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا».

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: ضَرْبَةٌ، يُقَالُ: (جَلَدَهُ): ضَرَبَ جِلْدَهُ، وَبُزَادَ عَلَى ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ تَغْرِيبُ عَامٍ، وَالرَّقِيقُ عَلَى النُّصْفِ مِمَّا ذَكَرَ، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أَي: حُكْمِهِ بِأَنْ تَتْرُكُوا شَيْئًا مِنْ حَدِّهِمَا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أَي: يَوْمِ الْبَعْثِ، فِي هَذَا تَحْرِيطٌ عَلَى مَا قَبْلَ الشَّرْطِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾... إلخ) أي: بِسَوْطٍ لَيِّنٍ، لَهُ رَأْسٌ وَاحِدَةٌ، وَيَجْرَدُ الرَّجُلُ مِنْ ثِيَابِهِ، وَالْمَرْأَةُ مِمَّا يُقَيِّهَا أَلَمُ الضَّرْبِ، وَتُوضَعُ فِي قَفَّةٍ فِيهَا تَرَابٌ لِلسَّرِّ.

قوله: (وَالرَّقِيقُ عَلَى النُّصْفِ مِمَّا ذَكَرَ) أي: الْجِلْدُ وَالتَّغْرِيبُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَقَالَ مَالِكٌ: لَا يَغْرَبُ إِلَّا الذَّكَرُ الْحُرُّ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ وَالرَّقِيقُ... فَلَا يُغْرَبَانُ^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ﴾) قَرَأَ الْعَامَّةُ بِالتَّائِيثِ مِرَاعَاةً لِلْفُظْ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ^(٢).

قوله: ﴿رَأْفَةٌ﴾) بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَقُرِئَ بِالْمَدِّ بوزن (سَحَابَةٍ)^(٣).

وَالرَأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ، وَيُقَالُ: رَوَّفْتُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ك(كُرِّمَ) وَ(قَطَعَ) وَ(طَرِبَ).

قوله: (بأن تتركوا شيئاً من حدِّهما) أي: لِأَنَّ إِقَامَةَ الْحُدُودِ فِيهَا رِضَا اللَّهِ؛ لَمَا وَرَدَ: «إِقَامَةُ حَدِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٤).

قوله: (في هذا) أي: قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾... إلخ.

قوله: (تحريض) أي: حَثٌّ عَلَى مَا قَبْلَ الشَّرْطِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، فَالْوَاجِبُ الْغَضَبُ لِلَّهِ، وَاسْتِيفَاءُ الْحُدُودِ؛ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: «لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ.. لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٥).

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/٤٥٧).

(٢) وبها قرأ سيدنا علي بن أبي طالب والسلمي ومجاهد؛ لأن التائيث مجازي، ولللفصل بالمفعول والجار. انظر «الدر المصون» (٨/٣٨٠).

(٣) قرأ العامة بسكون الهمزة، وابن كثير بفتحها، وقرأ ابن جريج وتروى أيضاً عن ابن كثير وعاصم: (رأفة) بألف بعد الهمزة بزنة: سحابة. انظر «الدر المصون» (٨/٣٨٠).

(٤) رواه النسائي في «المجتبى» (٨/٧٦)، وابن ماجه (٢٥٣٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٥) رواه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (١٦٨٨) عن سيدتنا عائشة ؓ، وعند ابن ماجه بعد رواية هذا الحديث (٢٥٤٧) =

وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

وهو جوابه أو دالٌّ على جوابه، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾ أي: الجَلْدُ ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة عدد شُهود الزَّنى.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ﴾: يَتَزَوَّجُ ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: الْمُنَاسِبُ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَا ذُكِرَ، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي: نِكَاحُ الزَّوَانِي ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: الْأَخْيَارِ. نَزَلَ ذَلِكَ لَمَّا هَمَّ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا بَغَايَا الْمُشْرِكِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (وهو جوابه) أي: كما هو رأي الكوفيين، وقوله: (أو دالٌّ) أي: كما هو رأي البصريين^(١).

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ﴾ الأمرُ للندب، والطائفة: الفرقة التي يُمكن أن تكون حلقة.

قوله: (قيل: ثلاثة... إلخ) القولان للشافعي، وعند مالك: أقلُّ ذلك أربعة^(٢).

قوله: (أي: المناسب لكل منهما ما ذكر) أي: فهذا زجرٌ لمن يريد نكاح الزانية، والمعنى: أنَّ الزاني يرغب في نكاح الزانية والمشركة، والزانية ترغب في نكاح الزاني أو المشرِك.

قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ؛ كَالطَّعْنِ فِي النَّسَبِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلتُّهْمِ، وَالتَّشَبُّهِ بِالْفَسَاقِ، فَالْوَاجِبُ التَّزَوُّجُ بِالْعَفِيفَاتِ؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ؛ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ»^(٣).

قوله: (نزل ذلك) أي: الآية، وحينئذٍ: فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية، وإنما ذكر الأولى زيادةً في التَّنْفِيرِ.

= قال: (محمد بن رُمح: سمعت الليث بن سعد يقول: «قد أعادها الله عزَّ وجلَّ أن تسرق، وكلُّ مسلمٍ ينبغي له أن يقول هذا»).

(١) والمسألة فيما إذا تقدَّم على أداة الشرط مما هو في معنى الجواب؛ فهو دليل الجواب البصريين، والجواب محذوف، وعند الكوفيين: أن الذي تقدم هو الجواب نفسه. انظر «شرح الكافية الشافية» (٣/١٦١١).

(٢) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/٤٥٦).

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، دون قوله: (فإن العرق دَسَّاس)، وهي عند الشهاب القضاعي في «مُسْنَدِهِ» (٦٣٨) بلفظ: (وانظر في أي نصاب تضع ولدك؛ فإن العرق دَسَّاس).

وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ

وَهُنَّ مُوسِرَاتٌ لِّیُنْفِقْنَ عَلَیْهِمْ، فَقِيلَ: التَّحْرِیمُ خَاصٌّ بِهِمْ، وَقِيلَ: عَامٌّ وَنُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

﴿٤﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ: الْعَفِيفَاتِ

حاشية الصاوي

قوله: (وهنَّ موسرات) أي: غنيَّاتٌ.

قوله: (خاصٌّ بهم) أي: ولم يُنسخ إلى الآن.

قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ﴾ جمع أَيْمٍ، وهي: مَنْ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، بَكَرًا أَوْ ثِيْبًا، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَهُوَ شَمِلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةِ وَغَيْرَهُمَا، فَعَايَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ نِكَاحَ الْفَاسِقِ وَالْفَاسِقَةِ مَكْرُوهٌ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ تَقَدَّمَ أَنَّ الزَّانِي وَالزَّانِيَةَ إِمَّا أَنْ يُرْجَمَا إِنْ كَانَا مُحْصَنَيْنِ، أَوْ يُجْلَدَا إِنْ لَمْ يَكُونَا كَذَلِكَ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الزَّانَا أَمْرُهُ عَظِيمٌ شَدِيدٌ، لَا بَدَّ وَأَنْ يَثْبُتَ إِمَّا بِإِقْرَارِهِ، أَوْ بِأَرْبَعَةِ عُدُولٍ، فَإِنْ انْتَفَى وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ.. حُدِّدَ الْمَدَّعِي، فَبَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا شِدَّةٌ مُنَاسِبَةٌ.

وقوله: (الذين): مبتدأ، و﴿يَزْمُونَ﴾: صلته، والخبر ثلاث جُمَل: الأولى: ﴿فَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ﴾، الثانية:

قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، الثالثة: قوله: ﴿أَوَّلَتِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ومعنى ﴿يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: يَتَّهَمُونَهُنَّ، فَشَبَّهَ الْإِتِّهَامَ بِالرَّمْيِ بِجَامِعِ التَّأْدِيَةِ لِلْهَلَاكِ فِي كُلِّ؛ لِأَنَّهُ إِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ الْأَمْرُ.. فَقَدْ هَلَكَ الْمَرْمِي، وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ.. فَقَدْ هَلَكَ الرَّامِي.

وقوله: ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ لا مفهوم له، بل وكذا المحصنون، وإنما خصَّهن بالذكر؛ لأنَّ الشَّانَ قُوَّةُ

شهوة النساء.

قوله: (العفيفات) تفسيرٌ لـ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ باعتبار اللغة؛ لأنَّ الإحصان كما يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ يُطْلَقُ عَلَى التَّزْوِجِ، وَعَلَى الْحَرِيَةِ، وَمَفْهُومُ قَوْلِهِ: (العفيفات): أَنَّهُ إِذَا رُمِيَ غَيْرُ عَفِيفٍ.. لَا يُحَدِّدُ، وَيَشْتَرِطُ زِيَادَةَ عَلَى الْعَقَّةِ أَنْ يَكُونَ الْمَرْمِي يَتَأَتَّى مِنْهُ الزَّانَا أَوْ اللَّوَاطُ؛ بِأَنْ يَكُونَ ذَا آلَةٍ؛ فَإِنْ رُمِيَ مَجْبُوبًا.. غُرِّرَ وَلَا يَحَدُّ، وَأَنْ يَكُونَ حَرًّا مُسْلِمًا مُكَلَّفًا، فَإِنْ انْتَفَى شَرْطُ مِنْهَا.. لَمْ يُحَدِّدْ الْقَاذِفُ إِلَّا رَامِيَ الصَّبِيِّ بِاللَّوَاطِ بِهِ أَوْ الصَّبِيَّةِ الْمُطِيقِينَ، فَعِنْدَ مَالِكٍ يَحَدُّ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ يُعَرَّرُ^(١).

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/٤٦٤)، و«تحفة المحتاج» (٨/٢١٠).

ثُمَّ لَوْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ

بِالزَّنى ﴿ثُمَّ لَوْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهم بِرُؤْيَيْتِهِمْ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ أي: كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شَيْءٍ ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لِإِتْيَانِهِمْ كَبِيرَةً.
﴿٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَمَلَهُمْ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُمْ قَذْفُهُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾
بِهِمْ بِإِلْهَامِهِمُ التَّوْبَةَ، فِيهَا يَنْتَهِي فَسْقُهُمْ وَتُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ، وَقِيلَ: لَا تُقْبَلُ رُجُوعًا بِالِاسْتِثْنَاءِ
إِلَى الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ.

﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ بِالزَّنى

حاشية الصاوي

قوله: (بالزنا) أي: أو اللواط في آدمي مُطِيق أو جَنِّي تشكَّل بآدمي.

قوله: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي: عُدُول، وقوله: (برؤيتهم) متعلق بـ ﴿شُهَدَاءَ﴾ أي: يَشْهَدُونَ بِأَنَّهُمْ رَأَوْا
الذكر في الفرج، ولا بدَّ أَنْ يَتَّحِدُوا فِي الرُّوْيَةِ وَالْأَدَاءِ؛ فَإِنْ اخْتَلَفُوا وَلَوْ فِي أَيِّ صِفَةٍ.. حُدِّ
الجميع.

قوله: ﴿أَبَدًا﴾ أي: ما داموا مُصْرِّين على عدم التوبة؛ بِدَلِيلِ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَعَلَى هَذَا دَرَجَ مَالِكٌ
وَالشَّافِعِيُّ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ وَلَوْ تَابُوا^(١).

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء مُتَّصِل؛ لِأَنَّ الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ الَّذِينَ يَرْمُونَ، وَالتَّائِبُونَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ.
قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: الْقَذْفِ.

قوله: (فبها ينتهي فسقهم) هذا مبنيٌّ على رُجُوعِ الْإِسْتِثْنَاءِ لِلْجُمْلَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ، وَهُوَ مَذْهَبُ
مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ؛ فَعِنْدَهُمَا: أَنَّ التَّائِبَ يُقْبَلُ شَهَادَتُهُ وَيُزَوَّلُ عَنْهُ اسْمُ الْفِسْقِ.

قوله: (وقيل: لا تقبل) هذا مذهب أبي حنيفة، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ الْقَازِفَ يُجْلَدُ وَإِنْ تَابَ،
فَلَيْسَ الْإِسْتِثْنَاءُ رَاجِعًا إِلَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى.

قوله: ﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾ جمع زوج؛ بِمَعْنَى: الزَّوْجَةِ، وَحُذِفَ التَّاءُ أَفْصَحَ مِنْ إِثْبَاتِهَا
إِلَّا فِي الْمَوَارِيثِ.

(١) انظر «المدونة» (٤/٦٤١)، و«الأم» (٧/٢٧)، و«حاشية ابن عابدين» (٥/٤٦٧).

وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَهَدَهُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَهُ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾
وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَهَدَهُ﴾ عَلَيْهِ ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وَقَعَ ذَلِكَ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، ﴿فَشَهَدَهُ أَحَدُهُمْ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ - نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ - ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيمَا رَمَى بِهِ زَوْجَتَهُ مِنَ الزَّوْنِ.

﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ فِي ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَهَدَهُ﴾ مفهومه: لو كان له بيّنة.. فلا إلعانَ بينهما عند مالك، وقال الشافعي: له ترك البيّنة ويُلَاعَن، وأجاب عن الآية: بأنها خرجت على سبب النزول؛ فإنه لم يكن لهم بيّنة^(١)، قوله: ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ بالرفع بدل من ﴿شَهَدَهُ﴾.

قوله: (وقع ذلك) أي: قَذَفَ الزوجة بالزنا.

قوله: (لجماعة من الصحابة) أي: وهُم هلال بن أمية، وعُويمر العجلاني، وعاصم بن عدي^(٢).

قوله: (نصب على المصدر) أي: والعامل (شهادة)، وفي قراءة سبعة أيضاً بالرفع خبر المبتدأ^(٣).

قوله: (من الزنا) أي: أو نفى الحمل؛ لأنّ اللعان كما يكون في رؤية الزنا يكون في نفى الحمل.
قوله: ﴿وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ...﴾ إلخ بالرفع لا غير باتّفاق السبعة، وقوله: ﴿أَنَّ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ بالنصب لا غير باتّفاق السبعة، وقوله: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ...﴾ إلخ يجوز في السبعة

(١) انظر «المدونة» (٢/٣٦٠)، و«الأم» (٥/١٤٣).

(٢) حديث هلال بن أمية رواه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٤٩٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وحديث عويمر العجلاني رواه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١٤٩٢) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه، وأما حديث عاصم بن عدي.. فأخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٤١٨٥) عن مقاتل بن حيان قال: (لما سأل عاصم عن ذلك.. ابتلي به في أهل بيته، فأتاه ابن عمه تحته ابنة عمه رماها بابن عمه المرأة والزوج والخليل ثلاثهم بنو عم عاصم أخي أبيه)، وانظر «إرشاد الساري» (٧/٢٥٢).

(٣) الذي هو (شهادة)، وقرأ غير حفص وحزمة والكسائي بالنصب، وعلى هذا: فالخبر مقدّر التقديم؛ أي: فعليهم شهادة، أو مؤخره؛ أي: فشهادة أحدهم كافية أو واجبة. انظر «الدر المصون» (٨/٣٨٥).

وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ..

وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف.

(٨ - ٩) ﴿وَيَذَرُوهَا﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: حد الزنى الذي ثبت بشهاداته ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنى، ﴿وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالسَّترِ في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بِقَبُولِهِ التَّوْبَةَ في ذلك وغيره، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حَكَمَ به في ذلك وغيره، لَبَيَّنَ الْحَقَّ في ذلك وعاجَلَ بالعقوبة مَنْ يَسْتَحِقُّهَا.

حاشية الصاوي

رفعه ونصبه^(١)، فتحَصَّلَ أن (الخامسة) الأولى بالرفع لا غير، وفي الثانية الوجهان، ولفظ (أربع) الأول فيه الوجهان، والثاني بالنصب لا غير.

وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب: أنَّ اللعن معناه: الطرد والبعد عن رحمة الله، وفي لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفي لعانها إغضابُ الرَّبِّ والزَّوج والأهل إن كانت كاذبة.

قوله: (وخبر المبتدأ) أي: الذي هو قوله: ﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

قوله: (في ذلك) أي: فيما رماها به.

فائدة:

يترتب على لعانه: دفعُ الحدِّ عنه، وقطع نسب الولد منه، وإيجاب الحدِّ عليها، وعلى لعانها: دفع الحدِّ عنها، وتأيد تحریمها، وفسخ نكاحها.

قوله: (بالستر) متعلق بكل من (فضل) و(رحمة)، قوله: (لبيَّن الحق في ذلك) جواب (لولا).

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾... (إلخ) شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالإفك، وهي ثمانية عشر، تنتهي بقوله: ﴿أَوَّلَتْكَ مَرْءُونَ وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، ومناسبة هذه الآيات

(١) نصبها حفص عطفًا على (أربع شهادات)، وغيره رفعها بالابتداء، و(أن غضب الله) خبره. انظر «الدر المصون»

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ: أسوأ الكذب على عائشة عليها السلام أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصابة ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يَأْجُرْكُمْ الله به، ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان؛ فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة
حاشية الصاوي

لما قبلها: أن الله لما ذكر ما في الزنا من الشناعة والقبح، وذكر ما يترتب على من رمى غيره به، وذكر أنه لا يليق بأحد الأمة فضلاً عن زوجة سيد المرسلين ﷺ . ذكر ما يتعلق بذلك.
قوله: (أسوأ الكذب) أي: أقبحه وأفحشه.

قوله: (على عائشة) متعلق بالكذب، وقد عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة^(١).
قوله: ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ العصابة: من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عيبتهم وذكرتهم أربعة فقط؛ لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر.

قوله: (من المؤمنين) أي: ولو ظاهراً؛ فإن عبد الله بن أبي من كبار المنافقين.

قوله: (قالت) أي: عائشة في تعيين أهل الإفك.

قوله: (وحمنة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله.

قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾ المخاطب به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان؛ تسلياً لهم.

قوله: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: لظهور كرامتكم على الله، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً.

قوله: (يأجركم الله به) أي: بسبب الصبر عليه، قوله: (ومن جاء معها) أي: يقود بها الراحلة،

قوله: (وهو صفوان) أي: السلمي ابن المعطل.

قوله: (في غزوة) قيل: هي غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في السادسة،

(١) رواه البخاري (٥١٣٤)، ومسلم (١٤٢٢) دون: (وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة) فهي عند النسائي في «الكبرى» (٥٣٦٨)، وابن ماجه (١٨٧٧).

بعد ما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة، فمسيّت وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرجل فإذا عقدي انقطع هو بكسر المهملة: القلادة، فرجعت التمسهُ وحملوا هودجي - هو ما يركب فيه - على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً، إنما يأكلن العُلقة - هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي: القليل - ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فعلبتني عيناى فتمت، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش، فادّلع - هما بتشديد الراء والدال، أي: نزل من آخر الليل للاستراحة - فسار منه، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم أي: شخصه، فعرفني حين رأيته وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني أي: قوله إنا لله وإنا إليه راجعون، فحمرت وجهي بجلبابي - أي: غطيته بالملاء -، والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير

حاشية الصاوي

وسببها: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدُهُم الحارث بن ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك.. خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسي، من ناحية قديد إلى الساحل، فافتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، فأفاءها وردّها عليهم.

قوله: (بعد ما أنزل الحجاب) أي: وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قوله: (وأذن بالمد والقصر؛ أي: أعلم، قوله: (وقضيت شأني) أي: حاجتي كالبول مثلاً، قوله: (فإذا عقدي انقطع) أي: وكان من جزع أظفار، وهو الخرز اليماني، غالي القيمة، وكان أصله لأمها أعطته لها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقيل: لأختها أسماء، وقوله: (التمسه) أي: أفش عليه، قوله: (فجلست في المنزل الذي كنت فيه) أي: وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها؛ فإن من الآداب أن الإنسان إذا ضلّ عن رفقة وعلم أنهم يفتشون عليه.. أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه، ولا ينتقل منه، فربما رجعوا فلم يجدوه، قوله: (فتمت) أي: وكانت كثيرة النوم؛ لحدائث سنّها، قوله: (وكان صفوان قد عرس) أي: وكان صاحب ساق رسول الله ﷺ؛ لإشجاعته، وكان إذا رحل الناس.. قام يصلي ثم اتبعهم، فما سقط منهم شيء.. إلا حمله حتى يأتي به أصحابه، قوله: (فسار منه) أي: فادّلع - بالتشديد - سار من آخر الليل، وأما أدلع: سار من أوّل، قوله: (في منزله)

استرجاعه حينَ أَنَاخَ راحِلَتَه، وَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكَبْتُهَا، فَاَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ - أَي: مِنْ أَوْعَرَ وَاقِفِينَ فِي مَكَانٍ وَغَيْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِيَّ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلُولٍ. اهـ قَوْلُهَا، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ.....

حاشية الصاوي.

أَي: مَنْزِلُ الْجَيْشِ الَّذِي مَكَثَتْ فِيهِ عَائِشَةُ، قَوْلُهُ: (وَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا) أَي: الرَّاحِلَةَ خَوْفَ أَنْ تَقُومَ، قَوْلُهُ: (مُوْغِرِينَ) أَي: أَتَيْنَا الْجَيْشَ فِي وَقْتِ الْقِيلُولَةِ، قَوْلُهُ: (فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ) أَي: تَكَلَّمَ بِمَا كَانَ سَبِيًّا فِي هَلَاكِهِ، قَوْلُهُ: (فِيَّ) أَي: بِسَبِيي، قَوْلُهُ: (ابْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ) نُسِبَ أَوَّلًا لِأَبِيهِ ثُمَّ لِأُمِّهِ.

قَوْلُهُ: (انْتَهَى قَوْلُهَا) هَذَا بِاعْتِبَارِ مَا اخْتَصَرَهُ، وَإِلَّا... فَحَدِيثُهَا لَهُ بَقِيَّةٌ كَمَا فِي «الْبُخَارِيِّ»، وَهِيَ: (فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَهُمْ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، وَيَرِيْبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضَ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلُمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ - بَفَتْحٍ فَكَسْرٍ - أَي: بَرِئْتُ مِنْ مَرَضِي - فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مَسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ مَتَبَرِّزًا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُتَّخَذَ الْكُنُفُ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مَسْطَحٍ بَنْتُ رُحْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرْتُ فِي مِرْطُهَا - هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ - فَقَالَتْ: تَعَسَّ مَسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بَشْ مَا قُلْتَ، أَتَسْبِيْنَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هَيْتَا - أَي: قَلِيلَةُ الْمَعْرِفَةِ - أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي... دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، فَقُلْتُ: أَتَذَنُ لِي إِلَى أَبِي؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا، فَأَذَنُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ أَبِي، فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّتِي هُوَ نِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانُ؛ فَوَاللَّهِ قَلَمًا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطْ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يَحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرَقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومًا، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أَسَامَةُ... فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ بِالْوَدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أَسَامَةُ: هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ... فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَاسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ؛ هَلْ رَأَيْتِ

حاشية الصاوي

فيها شيئاً يَرِيبُكَ؟» فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيتُ منها أمراً أغمُصُه - هو بهمزة مفتوحة، فغين معجمة، فصاد مهملة؛ أي: أعيبه وأنكره - أكثر من أنها جارية حديثُ السَّن تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجِنُ - هو بدال مهملة، ثمَّ جيم: ما يألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك - فيأكله.

فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِي؛ فوالله ما علمتُ في أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي؟»، فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله؛ أنا والله أعذرُك منه، إن كان من الأوس.. ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج.. أمرتنا، ففعلنا أمرَك، فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتَمَلته الحميّة، فقال: كذبتَ لعمرُ الله لا تَقْتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبتَ لعمر الله لَنَقْتلَنَّه؛ فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فشار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فحفّضهم حتى سكتوا وسكت، وبكى يومي لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى أظنُّ أن البكاء فالتقُّ كبدي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد ثمَّ قال: «يا عائشة؛ إنه قد بلغني عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئة.. فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتَ بذنب.. فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثمَّ تاب.. تاب الله عليه»، فلمّا قضى رسول الله ﷺ مقالته.. قلص دمعي - أي: انقطع جريانه - حتى ما أحسُّ به بقطرة، وقلتُ لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثُ السَّن، لا أقرأ كثيراً من القرآن، فقلتُ: إني والله لقد علمتُ أنكم سمعتم ما تحدّث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدّقتم به، ولئن قلتُ لكم: إني بريئة - والله يعلم إني لبريئة - لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمرٍ

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أي: عليه ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ في ذلك، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: تَحَمَّلَ مُعَظَمَهُ فَبَدَأَ بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَظِيمٍ ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النَّارُ فِي الْآخِرَةِ.

حاشية الصاوي

- والله يعلم إني لبريئة - لتصدَّقْتِي، والله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ، فاضطجعتُ على فراشي وأنا أرجو أن يُبرِّئني الله، ولكن والله ما ظننتُ أن ينزل في شأني وحي، ولأنا أحقرُ في نفسي من أن يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرِّئني الله بها؛ فوالله؛ ما رام - أي: برح - مجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزلَ عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء - أي: الشدة والكرب - حتى إنه ليتحدَّر منه مثلُ الجُمَانِ - أي: اللؤلؤ - من العرق في يوم شاتٍ، فلما سُرِّي - أي: كُشف - عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أوَّلَ كلمةٍ تكلم بها أن قال: «يا عائشة؛ احمدي الله، فقد برأك الله»، فقالت أُمِّي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: والله لا أقوم إليه ولا أحمدُ إلا الله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ...﴾ الآيات.

فلما أنزل الله هذا في براءتي.. قال أبو بكر الصديق وكان يُنفق على مسطح بن أثانة؛ لإقربته منه: والله؛ لا أنفق على مسطح بشيء أبداً بعد ما قال في عائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ...﴾ الآية إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يُجري عليه.

وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: «يا زينب؛ ما علمتِ مما رأيتِ؟»، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع). انتهى^(١).

قوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من العُصْبَةِ.

قوله: ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لغير عبد الله بن

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ ﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾: أَي: ظَنَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ﴿خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كَذِبٌ بَيِّنٌ،
حاشية الصاوي

أبي؛ فإنهم قد حُدُوا حَدَّ الْقَذْفِ^(١)، وَعَمِيَ حَسَانٌ، وَشَلَّتْ يَدُهُ فِي آخِرِ عُمرِهِ، وَعَمِيَ مَسْطَحٌ أَيْضًا، أَوْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ لَابْنُ أَبِي، فَعَذَّبَهُ اللَّهُ بِخِزْيِ الدُّنْيَا، وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ (لما بَيَّنَّ سبحانه وتعالى حال الخائضين في الإفك وأنهم اكتسبوا الإثم... شَرَعَ فِي تَوْبِيخِهِمْ وَزَجَرَهُمْ بِتَسْعَةِ زَوَاجِرٍ: الْأَوَّلُ هَذَا، الثَّانِي: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ...﴾: إلخ، الثَّالِثُ: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ...﴾: إلخ، الرَّابِعُ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ...﴾: إلخ، الْخَامِسُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾: إلخ، السَّادِسُ: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ...﴾: إلخ، السَّابِعُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ...﴾: إلخ، الثَّامِنُ: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾: إلخ، التَّاسِعُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾: إلخ، ﴿سَكِينٌ عَلَيْهِمْ...﴾.

و(لولا) هنا: للتوبيخ^(٢)؛ لدخولها على الماضي؛ لأنَّ (لولا) لها ثلاثة أحوال: إذا دخلت على ماضٍ... كان معناها التوبيخ، وإذا أدخلت على مضارع... كان معناها التحضيض، وإذا دخلت على جملة اسمية... كانت امتناعية، وقد كُرِّرَتْ هُنَا فِي سِتِّ مَوَاضِعَ^(٣): الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالرَّابِعُ تَوْبِيخِيَّةٌ لَا جَوَابَ لَهَا، وَالثَّالِثُ وَالْخَامِسُ وَالسَّادِسُ شَرْطِيَّةٌ، ذَكَرَ جَوَابَهَا فِي الثَّالِثِ وَالسَّادِسِ، وَحُذِفَ فِي الْخَامِسِ، فَتَدَبَّرْ.

و﴿إِذْ﴾: ظَرْفٌ لـ ﴿ظَنَّ﴾، وَالْمَعْنَى: كَانَ يَنْبَغِي لَكُمْ بِمَجَرَّدِ سَمَاعِهِ أَنْ تُحَسِّنُوا الظَّنَّ فِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تُصَرُّوا عَلَى الْأَمْرِ الْقَبِيحِ بَعْدَ سَمَاعِهِ.
قوله: ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: أَي: بِأَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالصَّحْبَةِ.

(١) رواه أبو داود (٤٤٧٤) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٢) يخالفه ما في «الدر المصون» (٣٩٠/٨)؛ فإنه قال: (لولا هذه: تحضيضية)، وعبارة الكرخي: (قوله: «لولا: هلا... إلخ» أشار به إلى أن «لولا» تحضيضية، وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل، كقوله: ﴿لَوْلَا لَزَقْتَنِي﴾، وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾، فأما إذا وليها الاسم فليس كذلك، كقوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. «فتوحات» (٢٢٩/٣) بتصرف.

(٣) كذا في الأصول، والصواب: مخالفة المعدود.

لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ
تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَنِكَ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَنِكَ

فيه التفات عن الخطاب أي: ظننتم أيها العُصبة وقتلتم:

﴿١٣﴾ ﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿جَاءُوا﴾ أي: العُصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ شاهدوه، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أيها العُصبة أي: خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿١٥﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَنِكَ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض، - وحذف من الفعل إحدى

حاشية الصاوي

قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي: إلى الغيبة؛ إذ كان مقتضى الظاهر: ظننتم، وحكمته: التسجيل عليهم، والمبالغة في توبيخهم.

قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ أي: الإفك، قوله: (شاهدوه) أي: عاينوا الزنا.

قوله: (في حكمه) أي: الشرعي؛ لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر، وهذا جواب عما يقال: إنهم كاذبون عند الله مطلقاً ولو أتوا بشهداء، فأجاب: بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع، ولا شك أنهم لو أتوا ببيّنة معتبرة.. لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، فأراد الله أن يكذبهم ظاهراً وباطناً.

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (لولا): امتناعية، وجوابها قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، والمعنى: امتنع مس العذاب لكم؛ لوجود فضل الله ورحمته عليكم.

قوله: ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ أي: بسببه، و﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿أَفَضْتُمْ﴾: صِلته، أو: مصدرية؛ أي: بسبب الذي أفضتم فيه، أو بسبب إفاضتكم.

قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لغير ابن سلول؛ فإن عذابه محتم.

قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَنِكَ﴾ أي: تتلفظون به باللسان فقط، دون اعتقاده بالقلب، فهم يعتقدون براءتها، وإنما تلفظهم بالإفك محض حسد وعناد.

وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ.....

التَّائِبِينَ، و﴿إِذْ﴾ منصوبٌ بـ(مَسْكُومٍ) أو بـ﴿أَفْضَلْتُمْ﴾ - ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا﴾ لا إثمَ فيه، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْلَا﴾: هَلَا ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾: مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: هُوَ لِلتَّعْجِيبِ هُنَا ﴿هَذَا بُهْتَنٌ﴾: كَذِبٌ عَظِيمٌ.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: يَنْهَاكُم ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ بِذَلِكَ، ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ (لولا): توبيخية، و﴿إِذْ﴾: ظرف لـ﴿قُلْتُمْ﴾، والمعنى: كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا: سبحانك، وفصل بالظرف بين (لولا) و(قُلْتُمْ)؛ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها.

قوله: (هو للتعجب هنا) أي: مع التنزيه، والمعنى: تنزيهاً لك من انتهاك حُرَمَاتِكَ؛ فإنه غير لائق بك ولا بأحبائك الذين قلتَ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قوله: (ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضَمَّنَ ﴿يَعِظُكُمُ﴾ معنى: ينهاكم، فعذاه به (عن).

قوله: ﴿أَبَدًا﴾ أي: مُدَّةَ حَيَاتِكُمْ.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فلا تعودوا لمثله.

قوله: (باللسان) أي: فالمراد بإشاعتها: إشاعة خبرها.

فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ وَهُمْ الْعُصْبَةُ، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بِحَدِّ الْقَذْفِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاءً عَنْهُمْ، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعُصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعُصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٢١﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أَي: طُرُقَ تَزْيِينِهِ، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أَي: الْمُتَّبِعِ ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أَي: الْقَبِيحِ ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شَرْعاً بِاتِّبَاعِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بـ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: خصوص عائشة وصفوان.

قوله: (وهم العصبة) تفسير لـ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾.

قوله: (لحقَّ الله) أي: ذنب الإقدام، وهو محمولٌ على عبد الله بن أبي، وأمَّا غيره.. فقد تاب، وحسنت توبته.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ عطف على ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾.

قوله: (لعاجلكم بالعقوبة) جواب (لولا)، وخبرُ المبتدأ محذوف، والتقدير: موجودان.

قوله: ﴿خُطُوَاتِ﴾ بضم الطاء وسكونها، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابه، تقديره: فلا يُفْلَحَ أبداً، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ﴾... إلخ) تعليلٌ للجواب.

قوله: (أي: المتَّبِع) هكذا بصيغة اسم المفعول، وهو الشيطان.

قوله: (باتِّباعها) متعلق بـ﴿يَأْمُرُ﴾.

(١) قرأ قبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦١٠).

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعُصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾
 أَي: مَا صَلَحَ وَطَهَّرَ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾: يُطَهِّرُ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾
 مِنَ الذَّنْبِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بِمَا قُلْتُمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَا قَصَدْتُمْ.

﴿٢٢﴾ وَلَا يَأْتِلْ : يَحْلِفُ ﴿أَوَّلُوا الْفَضْلَ﴾ أي: أصحابُ الغِنَى ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ﴾ لا ﴿يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ حَلَفَ أَنْ لَا يُفْقَ عَلَى مِسْطَحٍ وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ مَسْكِينٌ مُهَاجِرٌ بِدَرِيٍّ

حاشية الصاوى

قوله: ﴿مَا زَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ هذا يُفيد أنهم تابوا وطهروا، وهو كذلك إلا عبد الله بن أبي؛ فإنه استمرَّ على النفاق حتى هلك كافرًا.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ (لا): ناهية، والفعل مجزومٌ بحذف الياء.

قوله: (أي: أصحاب الغنى) في تفسير ﴿الْفُضْل﴾ بـ(الغنى) نوعٌ تكرارٍ مع قوله: ﴿وَالسَّعَةِ﴾،
وحيثُئذٍ: فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والإحسان، وكفى به دليلاً على فضل الصديق.

قوله: ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يُؤْتَوْنَ﴾ أشار المفسر إلى أَنَّ الكلام على تقدير (لا) النافية.

قوله: ﴿أُولَى الْقُرْبَى﴾ أي: القرابة، وقوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ معطوفان على ﴿أُولَى﴾، فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوفٍ واحدٍ، وهو مسطح.

قوله: (حلف ألا ينفق على مسطح) أي: فبعد ذلك تاب، وجاء إلى أبي بكر واعتذر، وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكتَ وشاركت فيما قيل، وكفَّرَ عن يمينه^(١).

(١) نقله ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/١٧٣).

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ الْغَفْلَاتِ

لَمَّا خَاضَ فِي الْإِفْكِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَقْسَمُوا أَنْ لَا يَتَصَدَّقُوا
عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِفْكِ، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى أَنَا أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، وَرَجَعَ
إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يُنْفِقُهُ عَلَيْهِ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ﴾ بِالزُّنَى ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: الْعَفَائِفُ ﴿الْغَفْلَاتِ﴾ عَنْ الْفَوَاحِشِ

حاشية الصاوي

لطيفة

وقع لابن المقري أنه وقع منه هفوة، فقطع والده ما كان يُجريه له من النفقة، فكتب الولد
لأبيه^(١): [السريع]

لَا تَقْطَعَنَّ عَادَةَ بَرٍّ وَلَا	تَجْعَلْ عِقَابَ الْمَرْءِ فِي رِزْقِهِ
فَإِنَّ أَمْرَ الْإِفْكِ مِنْ مِسْطَحٍ	يَحْطُ قَدْرَ النَّجْمِ مِنْ أَفْقِهِ
وَقَدْ جَرَى مِنْهُ الَّذِي قَدْ جَرَى	وَعُوتِبَ الصُّدِيقُ فِي حَقِّهِ
فكتب إليه والده:	

قَدْ يُمْنَعُ الْمَضْطَرُ مِنْ مِيتَةٍ	إِذَا عَصَى بِالسَّيْرِ فِي طُرْقِهِ
لَأَنَّهُ يَقْوَى عَلَى تَوْبَةٍ	تُوجِبُ إِصْصَالاً إِلَى رِزْقِهِ
لَوْلَمْ يَثْبُ مِسْطَحٌ مِنْ ذَنْبِهِ	مَا عُوتِبَ الصُّدِيقُ فِي حَقِّهِ
قوله: (لما خاض في الإفك) ظرف لقوله: (حلف).	

قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي: أولو الفضل، قوله: ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: يُعرضوا عن لومهم.
قوله: (ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أي: وحلف ألا ينزع نفقته منه أبداً، ومسطح
هو: ابن أُنَاثَةَ بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِبِ بن عبد مناف، وقيل: اسمه عوف، ومسطح لقبه.
قوله: (الغافلات عن الفواحش) أي: لسلامة صدورهن، ونقاء قلوبهن، واستغراقهن
في مشاهدة الله تعالى.

الْمُؤْمِنَاتِ لِعُنُوًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

بِأَن لَا يَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ فِعْلُهَا، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، ﴿لِعُنُوًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٤﴾ يَوْمَ - نَاصِبُهُ الْاسْتِقْرَارُ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ (لَهُمْ) - ﴿تَشْهَدُ﴾ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ - ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٢٥﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَهُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حَيْثُ حَقَّقَ لَهُمْ جَزَاءَهُ الَّذِي كَانُوا يَشْكُونَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِعُنُوًا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بَعَدُوا فِيهَا عَنِ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: بِالْعَذَابِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا.

قوله: ﴿نَاصِبُهُ الْاسْتِقْرَارُ... إلخ﴾ أي: وَالتَّقْدِيرُ: وَعَذَابٌ عَظِيمٌ كَائِنْ لَهُمْ يَوْمَ تَشْهَدُ^(١).

قوله: ﴿بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ﴾ أي: فَهَمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مَعْمُولٌ لـ ﴿يُوفِّيهِمْ﴾، أَوْ لـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿جَزَاؤُهُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الدِّينِ) الْجَزَاءُ؛ لَمَا فِي الْحَدِيثِ: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»^(٣).

قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الزَّوَالَ أَوْ لَا أَبْدَأَ.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي﴾ أَتَى بِهَذَا؛ لِيَصِحَّ قَوْلُهُ: (كَانُوا يَشْكُونَ فِيهِ)، فَالشُّكُّ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَأَمَّا حَسَانٌ وَمِطْطَحٌ وَحَمْنَةُ... فَهُمْ مُؤْمِنُونَ لَا يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَزَاءِ.

(١) وَقِيلَ: نَاصِبُهُ (عَذَابٌ)، وَرَدَّ: بِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُوصُوفٌ، وَأَجِيبُ: بِأَنَّ الظَّرْفَ يُتَسَعُّ فِيهِ مَا لَا يَتَسَعُّ فِي غَيْرِهِ، وَالنَّسْفِي قَدَّرَ النَّاصِبَ: يَعْذَّبُونَ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٣٩٥/٨)، وَ«تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ» (٤٥٢/٢).

(٢) قَرَأَ الْأَخْوَانُ: (يَشْهَدُ) بِالْبَيَاءِ مِنْ تَحْتِ؛ لِأَنَّ التَّائِيثَ مُجَازِي، وَقَدْ وَقَعَ الْفَصْلُ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٣٩٥/٨).

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (١٣٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي قِلَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْخَيْبَتُ لِلْخَيْبِينَ وَالْخَيْبُونَ لِلْخَيْبَتِ وَالطَّيِبُ لِلطَّيِبِينَ وَالطَّيِبُونَ لِلطَّيِبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

والمُحْصَنَاتُ هُنَا أزواجُ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُذْكَرَ فِي قَذْفِهِنَّ تَوْبَةٌ، وَمَنْ ذُكِرَ فِي قَذْفِهِنَّ أَوَّلَ سُورَةِ (التَّوْبَةِ) غَيْرُهُنَّ.

﴿٢٦﴾ ﴿الْخَيْبَتُ﴾ مِنَ النِّسَاءِ وَمِنَ الْكَلِمَاتِ ﴿لِلْخَيْبِينَ﴾ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَالْخَيْبُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿لِلْخَيْبَتِ﴾ مِمَّا ذُكِرَ، ﴿وَالطَّيِبَتُ﴾ مِمَّا ذُكِرَ ﴿لِلطَّيِبِينَ﴾ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَالطَّيِبُونَ﴾ مِنْهُمْ ﴿لِلطَّيِبَتِ﴾ مِمَّا ذُكِرَ، أَي: اللَّائِقُ بِالْخَيْبِ مِثْلُهُ وَبِالطَّيِبِ مِثْلُهُ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الطَّيِبُونَ وَالطَّيِبَاتُ مِنَ النِّسَاءِ - وَمِنْهُمْ عَائِشَةُ وَصَفْوَانُ - ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أَي: الْخَيْبُونَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (أزواج النبي) أي: لأنَّ من قذف واحدةً منهنَّ.. فقد قذف الجميع؛ لاشتراكهنَّ في العقَّة والصَّيَانَةِ والنِّسْبَةِ لرسول الله ﷺ.

قوله: (لم يذكر في قذفهنَّ توبة) أي: مثل ما ذكر فيما تقدَّم في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾. قوله: (ومنَّ ذُكِرَ) مبتدأ، و(غيرهنَّ): خبره، وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الإفك، وإلا.. فهو كغيره من سائر المعاصي التي تُمحى بالتوبة، وأمَّا بعد نزول الآيات.. فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كقرأ؛ لمصادمة القرآن العظيم، فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان.

قوله: ﴿الْخَيْبَتُ لِلْخَيْبِينَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ، سيق لتأكيد البراءة لعائشة، وتقييحاً على مَنْ تكلم فيها، والمعنى: أنَّ المجانسة من دواعي الانضمام؛ فالخبيث لا يكاد يالف غير جنسه، والطَّيْبُ كذلك، وهو بمعنى قولهم: كلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح^(١).

قوله: ﴿وَالطَّيِبَتُ لِلطَّيِبِينَ﴾ الإشارةُ بذلك لرسول الله ﷺ وعائشة؛ أي: فحيث كان رسول الله ﷺ أطيَّب الطَّيِبِينَ.. تبين بذلك أنَّ عائشة من أطيَّب الطَّيِّبَاتِ.

قوله: (من الناس ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير ﴿الْخَيْبَتُ﴾، وقوله: (مِمَّا ذُكِرَ) أي: من الناس والكلمات.

قوله: (أي: اللائق بالخبيث مثله) أي: من نساء أو كلمات.

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا

وَالْحَيِّثَاتُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِيهِمْ، ﴿لَهُمْ﴾: لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ افْتَخَرَتْ عَائِشَةُ بِأَشْيَاءٍ؛ مِنْهَا أَنَّهَا خُلِقَتْ طَيِّبَةً وَوُعِدَتْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقًا كَرِيمًا.

﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها: أَنَّ جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سَرَقَةٍ حَرِيرٍ، وقال: «هذه زَوْجَتُكَ»^(١) - ويروى: أَنَّهُ أَتَى بصورتها في راحته -، ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرٍّ غَيْرِهَا، وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجْرِهَا، وَفِي يَوْمِهَا، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا، وَكَانَ يَنْزِلُ الْوَحْيُ عَلَيْهِ وَهِيَ مَعَهُ فِي اللَّحَافِ، وَنَزَلَتْ بِرَأَئِهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهَا ابْنَةُ الصَّدِّيقِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخُلِقَتْ طَيِّبَةً، وَوُعِدَتْ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا^(٢).

وفي «القرطبي»: (قال بعض أهل التحقيق: إِنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا رُمِيَ بِالْفَاحِشَةِ.. بَرَّاهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ صَبِيٍّ فِي الْمَهْدِ، وَإِنَّ مَرْيَمَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَحْشَاءِ.. بَرَّاهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ وَلَدِهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِنَّ عَائِشَةَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَحْشَاءِ.. بَرَّاهُ اللَّهُ بِالْقَوْلِ، فَمَا رَضِيَ لَهَا بِرَاءَةَ صَبِيٍّ وَلَا نَبِيٍّ، حَتَّى بَرَّاهُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ مِنَ الْقَذْفِ وَالْبُهْتَانِ). انتهى^(٣).

قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾... إلخ) لما ذكر الله أَحْكَامَ الْعَفَافِ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْعَفَافِ عَدَمُ دُخُولِ مَنَازِلِ الْغَيْرِ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.. ذكر الاستئذان عَقَبَ ذَلِكَ.

وسبب نزولها: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلَى حَالٍ لَا أَحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ، لَا وَالِدَ وَلَا وَلَدَ، فَيَأْتِي الْأَبَ فَيَدْخُلُ عَلَيَّ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، فَنَزَلَتْ^(٤).

قوله: ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: غَيْرَ مَحَلِّ سَكْنِكُمْ، وَحَيْثُذُ: فَقَدْ خَرَجَ مَالِكُ ذَاتِ الدَّارِ إِذَا دَخَلَ عَلَى مُكْتَرِبِهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْاسْتِئْذَانُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ بَيْتِهِ.

(١) كما في رواية البخاري (٣٨٩٥)، والسَّرَقَةُ: الْقِطْعَةُ الْجَيِّدَةُ.

(٢) رواه بتمامه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٢٦)، والآجِزِي فِي «الشَّرِيعَةِ» (١٩٠١).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢١٢/١٢).

(٤) انظر «الدر المنثور» (١٧١/٦)، و«زاد المسير» (٢٨٨/٣).

وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا

حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴿٢٨﴾ أَي: تَسْتَأْذِنُوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فَيَقُولُ الْوَاحِدُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟
كما وَرَدَ فِي حَدِيثٍ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الدُّخُولِ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
- بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الذَّالِ - خَيْرِيَّتُهُ، فَتَعْمَلُونَ بِهِ.

﴿٢٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يَأْذَنُ لَكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ من الاستئناس، وهو: ضد الاستيحاش، سُمِّيَ بذلك؛ لَأَنَّ الْمَسْتَأْذِنَ
مُسْتَوْحِشًا، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ.. فَقَدْ زَالَ الْاسْتِحَاشُ.

قوله: (فَيَقُولُ الْوَاحِدُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ السَّلَامَ مُقَدَّمٌ
عَلَى الْاسْتِئْذَانِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ، وَالْحَقُّ: التَّفْصِيلُ؛ فَإِنْ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْبَيْتِ.. قَدَّمَ
السَّلَامَ، وَإِلَّا.. قَدَّمَ الْاسْتِئْذَانَ ثُمَّ يَسْلَمُ.

ويكون كُلُّ مِنَ السَّلَامِ وَالْاسْتِئْذَانِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، يَفْصَلُ بَيْنَ كُلِّ مَرَّتَيْنِ بِسُكُوتٍ يَسِيرٍ: الْأَوَّلُ
إِعْلَامٌ، وَالثَّانِي لِلتَّهْيِئَةِ، وَالثَّلَاثُ اسْتِئْذَانٌ فِي الدُّخُولِ أَوْ الرَّجُوعِ.

وَإِذَا أَتَى الْبَابَ.. لَمْ يَسْتَقْبَلْهُ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ، بَلْ يَجِيءُ مِنْ جِهَةِ رُكْنَيْهِ الْأَيْمَنِ أَوِ الْيَسَرِ، وَإِذَا طَلَبَ
مِنْهُ التَّعْيِينَ.. فَلْيُعَيِّنْ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ تَمَيِّزُهُ، وَلَا يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ: (أَنَا) مَثَلًا؛ لَمَا رَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ: (اسْتَأْذَنْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَنَا»، كَأَنَّهُ كَرِهَ
ذَلِكَ^(١)؛ لِعَدَمِ إِفَادَتِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَفْعَلَ الشَّخْصَ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ حِينَ أَرَادَ الدُّخُولَ
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي مَشْرَبَةٍ، فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَيْدُخِلْ عُمَرَ؟)^(٢).

قوله: (مِنَ الدُّخُولِ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ) أَي: وَمِنْ تَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ حَيْثُ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ
يَدْخُلَ بَيْتًا غَيْرَ بَيْتِهِ يَقُولُ: حَيِّتْكُمْ صَبَاحًا، حَيِّتْكُمْ مَسَاءً، فَرَبَّمَا أَصَابَ الرَّجُلَ مَعَ امْرَأَتِهِ فِي لِحَافٍ.
قوله: (بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الذَّالِ) أَي: بَعْدَ قَلْبِهَا دَالًا فَذَالًا.

قوله: ﴿إِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يَأْذَنُ لَكُمْ السَّالِبَةُ تَصَدَّقُ بِنَفْيِ الْمَوْضُوعِ، فَهُوَ صَادِقٌ بَأَلَّا يَكُونُ فِيهَا أَحَدٌ
أَصْلًا، أَوْ فِيهَا مَنْ لَا يَصْلَحُ لِلْإِذْنِ، أَوْ فِيهَا مَنْ يَصْلَحُ لَكِنْ لَمْ يَأْذَنَ.

(١) رواه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٥٣).

فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ﴾ بعد الاستئذان: ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَى﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدُّخُولِ بِإِذْنٍ وَغَيْرِ إِذْنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

﴿٢٩﴾ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ﴾ أي: مَنَفَعَةٌ ﴿لَكُمْ﴾ بِاسْتِكْنَانٍ وَغَيْرِهِ، كَبُيُوتِ الرُّبُطِ وَالْخَانَاتِ الْمُسَبَّلَةِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظْهِرُونَ ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخْفُونَ فِي دُخُولِ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ مِنْ قَصْدِ صَلَاحٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَسَيَأْتِي أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا بُيُوتَهُمْ يُسَلِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: حتى يَأْتِيَكُمْ الإِذْنُ ولو مع خادم يوثق به.

قوله: ﴿هُوَ أَزْكَى﴾ أي: أظهر؛ للأمن من الرذائل والدنّاءات.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ هذا كاستثناء من قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، وسبب نزولها: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان.. قال: (يا رسول الله؛ كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظُهر الطريق والخانات، أفلا ندخلها إلا بإذن؟) فنزلت ^(١).

قوله: ﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: غير مُعَدَّةٍ لِسُكْنٍ طَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ؛ كَالرُّبُطِ وَالْخَانَاتِ وَالْحَمَّامَاتِ وَالْحَوَانِيتِ وَنَحْوِهَا.

قوله: (بِاسْتِكْنَانٍ) أي: طَلَبِ كَيْفٍ يَسْتَرِ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وقوله: (وغيره) كالبيع والشراء.

قوله: (المُسَبَّلَةُ) اقتصر عليها؛ لِأَنَّ مَوْرِدَ سَوَالِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْخَانَاتِ الْمُسَبَّلَةِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ.

قوله: (وسَيَأْتِي) أي: فِي آخِرِ السُّورَةِ بقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: (قولوا:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ» ^(٢) أي: وَإِنْ كَانَ بِهَا أَهْلٌ.. فَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ).

(١) انظر «الدر المنثور» (١٧٦/٦)، و«زاد المسير» (٢٨٨/٣).

(٢) رواه معمر بن راشد في «جامعه» (١٩٤٥١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٨٤/١٢) من كلام مجاهد وقتادة.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

﴿٣٠﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴿عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ نَظَرُهُ، - وَ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ -
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴿عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ فَعَلُهُ بِهَا، ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أَي: خَيْرٌ ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بِالْأَبْصَارِ وَالْفُرُوجِ فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) شروع في ذكر أحكام نعم المستأذنين وغيرهم.

قوله: ﴿يَغُضُّوا﴾ أي: يخفصوا.

قوله: ﴿و﴿مِنْ﴾﴾ زائدة^(١) أي: يَغُضُّوا أَبْصَارَهُمْ. وحكمة دخول «مِنْ» في غَضِّ البصر دون
حفظ الفرج: الإشارة إلى أَنَّ أمر النظر أوسع من أمر الفرج.

قوله: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أي: لأنه أبعد للريبة، ولا مفهوم للبصر والفرج، بل باقي الجوارح
كذلك، وخصَّ البصر والفرج بالذكر؛ لأنهما مُقَدِّمَاتُ لغيرهما من الجوارح.

قوله: ﴿فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ﴾ أي: فالغاضُّ يُجَازِي بالحسنات، وغيره يجازي بالسيئات.

قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغضِّ
الأبصار وحفظ الفروج، وبسط الكلام في شأنهنَّ؛ لأنَّ النساءَ شأنهنَّ التَّبَرُّجُ والخيلاء والعجبُ؛
لما روي: (إذا أقبلت المرأة.. جلس إبليس على رأسها، فزَيَّنَّها لمن ينظر، وإذا أدبرت.. جلس
على عَجِيزَتِها فزَيَّنَّها لمن ينظر)^(٢).

وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد
لها نظيرٌ في القرآن في هذا الشأن.

قوله: ﴿عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ فَعَلُهُ بِهَا﴾ أي: عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج؛ كأن تمكَّن
المرأة من فرجها غير زوجها نظراً أو فعلاً.

(١) وهو قول الأخفش، ومنعه سيبويه، وقيل: للتبعض؛ لأنه يعنى عن الناظر أول نظرة تقع من غير قصد، وقيل: لبيان
الجنس، قاله أبو البقاء، وفيه نظر؛ من حيث إنه لم يتقدم مُبْهِم يكون مفسراً بـ(من)، وقيل: إنها لا ابتداء الغاية، قاله
ابن عطية. انظر «الدر المصون» (٣٩٧/٨).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٧٧/١٢) من كلام مجاهد.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ ﴿٣٢﴾ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ نَظْرُهُ، ﴿٣٣﴾ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣٤﴾ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ فَعَلُهُ بِهَا، ﴿٣٥﴾ وَلَا يُبْدِينَ ﴿٣٦﴾ : يُظْهِرْنَ ﴿٣٧﴾ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿٣٨﴾ وَهُوَ الْوَجْهَ وَالْكَفَّانِ، فَيَجُوزُ نَظْرُهُ لِأَجْنَبِيٍّ إِنْ لَمْ يَخَفْ فِتْنَةً فِي أَحَدٍ وَجْهَيْنِ، وَالثَّانِي يَحْرُمُ لِأَنَّهُ مَظْنَّةُ الْفِتْنَةِ، وَرُجَّحَ حَسَمًا لِلْبَابِ، ﴿٣٩﴾ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴿٤٠﴾ أَيِ : يَسْتُرْنَ الرُّؤُوسَ وَالْأَعْنَاقَ وَالصُّدُورَ بِالْمَقَانِعِ، ﴿٤١﴾ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴿٤٢﴾ الْخَفِيَّةُ وَهِيَ مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ ﴿٤٣﴾ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴿٤٤﴾ : جَمَعَ بَعْلُ أَيِ : زَوْجٍ، ﴿٤٥﴾ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴿٤٦﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ (أَيِ : موضع زينتهنَّ .

قوله : (فيجوز نظره لأجنبي... إلخ) هذا مذهب مالك، وأحد قولين عند الشافعي^(١) .

قوله : (حسماً للباب) أَيِ : سداً للذريعة .

قوله : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (أَيِ : يُلْقِينَ خُمُرَهُنَّ عَلَى مَوْضِعِ جُيُوبِهِنَّ، وَهُوَ الْعُنُقُ، وَالْجِيبُ فِي الْأَصْلِ : طَوَقُ الْقَمِيصِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْدُلْنَ خُمُرَهُنَّ مِنْ خَلْفِهِنَّ، فَتَبْدُو نَحْوَهُنَّ وَقَلَائِدُهُنَّ مِنْ جُيُوبِهِنَّ ؛ لِسَعَتِهَا، فَأَمْرٌ بِإِرْسَالِ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ؛ سِتْرًا لِمَا يَبْدُو مِنْهَا .

قوله : ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ (أَيِ : مواضع زينتهنَّ .

قوله : ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (حَاصِلُ هَذِهِ الْمُسْتَثْنَايَاتِ اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا، آخَرُهَا : ﴿أَوْ الْوَلَدُ﴾ .

قوله : ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ (أَيِ : وَإِنْ عَلَوْا، قَوْلُهُ : ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ (أَيِ : وَلَوْ مِنَ الرِّضَاعِ، وَإِنْ سَفَلُوا، قَوْلُهُ : ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾ (جَمَعَ أَخٌ، كَانَ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ .

قوله : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ (أَيِ : نِسَاءُ جَنْسِهِنَّ اللَّاتِي اشْتَرَكْنَ مَعَهُنَّ فِي الْإِيمَانِ، فَيُخْرِجُ الْكَافِرَاتِ .

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/٢١٤)، و«تحفة المحتاج» (٢/١١٢) .

أَوْ التَّائِبِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ

فَيَجُوزُ لَهُمْ نَظَرُهُ، إِلَّا مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ فَيَحْرُمُ نَظَرُهُ لِغَيْرِ الْأَزْوَاجِ، وَخَرَجَ بَيْنَهُنَّ الْكَافِرَاتُ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمَاتِ التَّكْشُفُ لَهُنَّ، وَشَمَلَ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الْعَبِيدَ، ﴿أَوْ التَّائِبِينَ﴾ فِي فُضُولِ الطَّعَامِ ﴿غَيْرِ﴾ - بِالْجَرِّ صِفَةً، وَالنَّصْبِ اسْتِثْنَاءً - ﴿أُولَى الْإِرْبَةِ﴾: أَصْحَابُ الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بِأَنْ لَمْ يَنْتَشِرْ ذَكَرُ كُلِّ، ﴿أَوْ الطِّفْلِ﴾ بِمَعْنَى حَاشِيَةِ الصَّاوِي.

قوله: (فيجوز لهم نظره) أي: يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء، ويجوز لهنَّ نظر ذلك منهم، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء: فيحلُّ لهنَّ نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم^(١).

قوله: (فلا يجوز للمسلمات التَّكْشُفُ لهنَّ) أي: باتفاق مالك والشافعي؛ لثلاث تصفها الكافرة لأهل دينها، فتحصل المفاسد^(٢).

قوله: (العبيد) أي: فيجوز أن يكشفَ لهم ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: يفرق بين الوغد وغيره؛ فالوغد يرى من سيّدته الوجه والأطراف، وغيره كالحرِّ الأجنبيِّ يرى منها الوجه والكفين^(٣).

قوله: ﴿أَوْ التَّائِبِينَ﴾ الحقُّ: أن المراد بالتابع: الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء، أو الأبله الذي لا يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة^(٤).

قوله: ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ﴾ بالكسر: الحاجة.

قوله: ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ حال من ﴿التَّائِبِينَ﴾ أي: فيجوز لمن ذُكِرَ نظراً ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك: يحلُّ نظر الوجه والأطراف فقط^(٥).

(١) انظر «الشرح الكبير للدردير» (٢١٥/١)، و«تحفة المحتاج» (١١٢/٢).

(٢) انظر «الشرح الكبير للدردير» (٢١٣/١)، و«تحفة المحتاج» (٢٠٠/٧).

(٣) انظر «تحفة المحتاج» (١٩٦/٧)، و«الشرح الكبير للدردير» (٢٦٣/٢)، والمراد بالوغد: قبيح المنظر.

(٤) وقيل: هو العنّين، أو الخصي، أو المخنث.

(٥) انظر «تحفة المحتاج» (١٩٦/٧)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢٩٠/١).

الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ

الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾: يَظْلَعُوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لِلْجَمَاعِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُبْدِينَ لَهُمْ مَا عَدَا مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ مِنْ خَلْخَالٍ يَتَقَعَّقُ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مِمَّا وَقَعَ لَكُمْ مِنَ النَّظَرِ الْمَمْنُوعِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَنْجُونَ مِنْ ذَلِكَ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْهُ. وَفِي الْآيَةِ تَغْلِيْبُ الذَّكَورِ عَلَى الْإِنَاثِ.

﴿٣٢﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾: جَمَعَ (أَيِّم) وَهِيَ مَنْ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، بِكَرٍّ كَانَتْ أَوْ ثَيِّبًا، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ اعلم: أَنَّ الصَّيِّ إِذَا بَلَغَ أَنْ يَحْكِيَ مَا رَأَى، وَهَذَا غَيْبُهُ كَحُضُورِهِ، أَوْ أَنْ يَبْلُغَهُ وَلَيْسَ فِيهِ ثَوْرَانِ شَهْوَةٍ، وَهَذَا كَالْمَحْرَمِ، أَوْ يَعْرِفُ أَمْرَ الْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ، وَهَذَا كَالْبَالِغِ بِاتِّفَاقِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ.

قوله: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أي: فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الرِّجَالَ مِيلًا إِلَيْهِنَّ، وَهَذَا مِنْ بَابِ سَدِّ الْبَابِ وَتَعْلِيمِ الْأَحْوَطِ، وَإِلَّا... فَصَوْتُ الْخَلْخَالِ مِثْلًا لَيْسَ بِعَوْرَةٍ.

قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ هَذَا حَسَنُ اخْتِطَامٍ لِهَذِهِ الْآيَةِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِي؛ فَمَنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ مِمَّا نَهَيْتَهُ مِنْهُ... فَلْيَتَبَّ؛ فَإِنَّ التَّوْبَةَ فِيهَا الْفَلَاحُ وَالظَّفَرُ بِالْمَقْصُودِ.

قوله: (تغليب الذكور) أي: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتُوبُوا﴾... إلخ.

قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾... إلخ) الْخَطَابُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالسَّادَاتِ، وَالْإِنْكَاحُ: تَزْوِيجُ الْغَيْرِ.

قوله: (جمع أيم) أي: بِوزن (فَيْعَل)؛ قِيلَ: غَيْرُ مَقْلُوبٍ^(١)، وَقِيلَ: إِنَّ الْأَصْلَ: (أَيَّامٌ)، فَقُلِبَ.

قوله: (وهي من ليس لها زوج... إلخ) أي: فَلَفِظَ (الْأَيِّم) يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَنْ الرِّجُلُ وَالْمَرْأَةُ الْغَيْرِ الْمُتَزَوِّجَيْنِ؛ سَوَاءٌ سَبَقَ لِهَمَا تَزَوُّجٌ أَوْ لَا.

(١) أي: (أَيَّامِي) جَمَعَ عَلَى (فَعَالٍ)، غَيْرُ مَقْلُوبٍ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ سَيِّبُوهِ. «فتوحات» (٣/٢٣٥).

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.....

وهذا في الأحرار والحرائر، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، و(عباد) من جموع (عبد)، ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾ بالتزويج ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.....

حاشية الصاوي

والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل، أو اضطرت المرأة للنفقة، لكن المرأة يزوجه وليها، والرجل يتزوج بنفسه إن كان رشيداً، أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: تزوج المرأة نفسها^(١)؛ فإن لم يخف الزنا، أو لم تضطر المرأة.. كان مباحاً عند الشافعي، ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة^(٢).

واعلم: أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة: فتارة يجب؛ وذلك إن خاف الزنا ولو كان يُنفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راغباً فيه ولم يخش الزنا، أو راجياً النسل، وتارة يحرم؛ كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة، أو يُنفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره؛ كما إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة.

قوله: (هذا في الأحرار... إلخ) أي: بقرينة قوله: ﴿وَأَمَّا بَكُمْ﴾.

قوله: (أي: المؤمنين) أي: فالعبيد المؤمنون يُزوّجون وجوباً إن خيف بتركه الزنا، وهذا عند الشافعي^(٣)، وعند مالك: لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا، وحينئذ: فالأمر عنده للندب.

قوله: ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي: فيزوجه سيده ولو بحرّة، وقوله: ﴿وَأَمَّا بَكُمْ﴾ أي: فيزوّج السيد أمته لرقيق، وكذا الحرّ، بشرط ألا يجد للحرائر طَوْلاً، وأن يخشى الزنا، ومحل الشرطين: إن لم يكن عقيماً.

قوله: (من جموع «عبد») أي: وله جموع آخر ك: عبيد وأعابد وأعبُد، ونحو ذلك.

قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: فإن في فضل الله كفاية عن المال؛ لقوله عليه

(١) انظر «المدونة» (١١٧/٢)، و«الأم» (١٣/٥)، و«حاشية ابن عابدين» (٥٦/٣).

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (١٨٤/٧)، و«الشرح الكبير للدردير» (٢١٥/٢)، و«حاشية ابن عابدين» (٦/٣).

(٣) انظر «النجم الوهاج» (١٤٧/٧).

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴿٣٢﴾ لِخَلْقِهِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بِهِمْ.

﴿٣٣﴾ وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا ﴿٣٣﴾ أَي: مَا يَنْكِحُونَ بِهِ مِنْ مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ عَنِ الزَّوْنِ،
﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾: يُوسِّعَ عَلَيْهِمْ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فَيَنْكِحُونَ، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بِمَعْنَى
الْمُكَاتَبَةِ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ الْعِيدِ وَالْإِمَاءِ

حاشية الصاوي

الصلاة والسلام: «اطلبوا الغنى بالتزويج»^(١)؛ فالمهمل تزوج الصالحين من عباد الله نساءً ورجالاً وإن كانوا
فقراء؛ لما في الحديث: «تنكح المرأة لما لها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدين، تربت يداك»^(٢).

قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ أي: ذو العطايا العظيمة التي لا تنفذ.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بهم) أي: بحالهم، فيغنيهم.

قوله: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لِيَجْتَهِدُوا فِي طَلَبِ الْعِفَّةِ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهَا،
وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء، ويكون بملازمة الصوم والريضة؛ لما في الحديث:
«مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ.. فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ.. فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٣)، ويكون
بترك العقاقير التي تُقَوِّي الشهوة واستعمال ضدها.

قوله: (أي: ما ينكحون به) أي: فالمصدر بمعنى اسم المفعول ك: (كِتَاب) بمعنى: (مكتوب).

قوله: (عن الزنا) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ متعلق (يَسْتَغْفِرُ) محذوف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ اسم موصول مبتدأ، و﴿يَبْتَغُونَ﴾: صلته، و﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول ﴿يَبْتَغُونَ﴾،
وقوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ حال من فاعل ﴿يَبْتَغُونَ﴾، وقوله: ﴿فَكَاتَبُوهُمْ﴾ الجملة خبر، و﴿قُرِنَ﴾
بالفاء؛ لما في المبتدأ من معنى الشرط.

قوله: (بمعنى: المكاتبه) أي: وهي مُفاعلة؛ لأنَّ السَّيِّدَ كتب على نفسه العتق، والعبد كتب

على نفسه النجوم.

(١) رواه بنحوه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩٥/٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانةً وقُدرةً على الكسب لإداء مالِ الكتابة، وصِغَتُهَا مَثَلًا: كَاتِبْتُكَ عَلَى أَلْفَيْنِ فِي شَهْرَيْنِ كُلَّ شَهْرٍ أَلْفٌ، فَإِذَا أَدَيْتَهَا فَأَنْتَ حُرٌّ، فَيَقُولُ: قَبِلْتُ. ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾ - أمرٌ لِلسَّادَةِ - ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ ما يَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي إِدَاءِ مَا التَّزَمُوهُ لَكُمْ، وَفِي مَعْنَى الْإِيتَاءِ حَظُّ شَيْءٍ مِمَّا التَّزَمُوهُ، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ﴾ أي: إِمَاءَكُمْ ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ أي: الزَّنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تَعَقُّفًا عَنْهُ، وَهَذِهِ الْإِرَادَةُ مَحَلُّ الْإِكْرَاهِ، فَلَا مَفْهُومَ لِلشَّرْطِ، ﴿لِنَبْتِغُوا﴾ بِالْإِكْرَاهِ ﴿عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي كَانَ يُكْرَهُ جَوَارِيَّ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الأمرُ لِلنَّدْبِ، قوله: (أي: أمانةً) أي: فِي دِينِهِ.

قوله: (وقدرةً على الكسب) أي: بِحِرْفَةٍ وَغَيْرِهَا.

قوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾ الأمرُ قِيلَ: لِلنَّدْبِ، وَقِيلَ: لِلْجُوبِ.

قوله: (حَظُّ شَيْءٍ) أي: وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِعْطَاءِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَصْرِفُهُ فِي غَيْرِ جِهَةِ الْكِتَابَةِ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْحَظُّ فِي آخِرِ نَجْمٍ.

قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ﴾ جمعُ فَتَاةٍ، وَلَا مَفْهُومٌ لِلْإِكْرَاهِ، بَلِ الرِّضَا بِالزَّنا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ النَّزُولِ.

قوله: ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ هُوَ مُصَدَّرٌ: بَغَتْ الْمَرْأَةُ تَبْغِي بَغَاءً؛ أي: زَنْتَ، وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِزْنِ النِّسَاءِ.

قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ لَا مَفْهُومَ لَهُ، بَلِ يَحْرَمُ الْإِكْرَاهُ عَلَى الزَّنا وَإِنْ لَمْ يُرَدَّنِ التَّحَصُّنُ، وَإِنَّمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الَّذِي نَزَلَتْ فِي حَقِّهِ الْآيَةُ^(١).

قوله: (محل الإكراه) أي: فَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِكْرَاهُ إِلَّا عِنْدَ تِلْكَ الْإِرَادَةِ، وَأَمَّا عِنْدَ مِيلِهِمْ لَهُ.. فَذَلِكَ بِاخْتِيَارِهِمْ؛ فَلَا يَتَصَوَّرُ الْإِكْرَاهُ حَيْثُذٍ، فَالتَّقْيِيدُ لِأَجْلِ صِحَّةِ قَوْلِهِ: ﴿تُكْرِهُوا﴾.

قوله: (كَانَ يُكْرَهُ جَوَارِيَهُ) أي: وَكَانَ سَتًّا، فَشَكَى ثَتَانٌ مِنْهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

(١) رَوَى مُسْلِمٌ (٣٠٢٩) عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ يَقُولُ لِحَارِجَةِ لَهُ: أَذْهَبِي فَاغْنِيَا شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ...﴾ الْآيَةُ).

وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

لَهُ عَلَى الْكَسْبِ بِالزُّنَى، ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِنَّ. ﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ - بَفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ -، بَيَّنَّ فِيهَا مَا ذَكَرَ، أَوْ بَيَّنَّ، ﴿وَمَثَلًا﴾: خَبَرًا عَجِيبًا وَهُوَ خَبَرُ عَائِشَةَ، ﴿مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ﴾ أَي: مِنْ جِنْسِ أَمْثَالِهِمْ أَي: أَخْبَارِهِمُ الْعَجِيبَةِ، كَخَبَرِ يُوسُفَ وَمَرْيَمَ، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ... إِنْخَ﴾، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ... إِنْخَ﴾، ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا... إِنْخَ﴾، وَتَخْصِيصُهَا بِالْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُنَّ أَي: مَا وَقَعَ مِنْهُنَّ؛ لِأَنَّ الْمَكْرَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَثْمًا.. فَلَرُبَّمَا يَحْصُلُ مِنْهُ بَعْضُ مَيْلٍ. وَالْإِكْرَاهُ الْمَبِیْحُ لِلزَّنا هُوَ: خَوْفُ الْقَتْلِ، أَوْ الضَّرْبُ الْمُؤَدِّي لَهُ أَوْ لِيَتْلَفَ عَضْوُ، وَأَمَّا الْقَتْلُ.. فَلَا يَبَاحُ بِخَوْفِ الْقَتْلِ، بَلْ يَسْلَمُ نَفْسُهُ وَلَا يَقْتُلُ غَيْرَهُ، وَأَمَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ مَثَلًا.. فَالْإِكْرَاهُ عَلَيْهِ يَحْصُلُ بِالضَّرْبِ وَنَحْوِهِ.

قوله: (بَفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا) أَي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (بَيَّنَّ فِيهَا مَا ذَكَرَ) رَاجِعٌ لِلْفَتْحِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ بَيَّنَّ^(٢)) رَاجِعٌ لِلْكَسْرِ.

قوله: ﴿وَمَثَلًا﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿آيَاتٍ﴾.

قوله: (أَي: مِنْ جِنْسِ أَمْثَالِهِمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ حَذْفَ مُضَافِينَ، وَالْأَصْلُ: وَمَثَلًا مِنْ جِنْسِ أَمْثَالِ الَّذِينَ خَلَوْا.

(١) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِكَسْرِ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٢/٦٢٢).

(٢) فِي (أَوْ مُتَبَيِّنَةً)، وَهِيَ رَاجِعَةٌ لِلْكَسْرِ أَيْضًا؛ أَي: تَبَيَّنَ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ عَلَى النُّسخَةِ الْأُولَى مِنَ اللَّزَامِ، وَعَلَى الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُتَعَدِّي. انْظُرْ «الْفَتْوحَاتُ» (٣/٢٣٧).

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

﴿٣٥﴾ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مُنَوَّرُهُمَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صِفَتُهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هي الْقِنْدِيلُ، وَالْمِصْبَاحُ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... (الخ) اعلم: أَنَّ حَقِيقَةَ النُّورِ كَيْفِيَّةٌ تَدْرِكُهَا الْبَاصِرَةُ أَوَّلًا، وَتَدْرِكُ بِوِاسْطَتِهَا سَائِرَ الْمُبْصِرَاتِ كَالْكَيْفِيَّةِ الْفَائِضَةِ مِنَ النَّيِّرِينَ عَلَى الْأَجْرَامِ الْكَثِيفَةِ الْمُحَاضِيَةِ لَهَا، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُسْتَحِيلٌ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَحِينَئِذٍ: فَيُجَابُ عَنِ الْآيَةِ: بِأَنَّ مَعْنَى كَوْنِهِ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: خَالِقُ النُّورِ فِي السَّمَاوَاتِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَرْشِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَفِي الْأَرْضِ بِالْمِصَابِيحِ وَالسُّرُجِ وَالشُّمُوعِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَأَفَادَ هَذَا الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أي: مُنَوَّرُهُمَا).

وقيل: معنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُظْهِرُهُمَا؛ لِأَنَّ النُّورَ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ يُطْلَقُ عَلَى الظَّاهِرِ فِي نَفْسِهِ، الْمُظْهِرُ لِغَيْرِهِ، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى يَصْحُحُ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نُورٌ بِمَعْنَى: مُظْهِرٌ لِلْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي «الْحَكَمِ»: (الْكُونُ كُلُّ ظِلْمَةٍ، أَنَارَهُ ظَهُورُ الْحَقِّ فِيهِ)^(١) فَوُجُودُ الْعَالَمِ بِوُجُودِ اللَّهِ؛ إِذْ لَوْلَا وَجُودُ اللَّهِ.. مَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ.

قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ خبره، والمثل بمعنى: الصفة، والكلام على حذف مضاف؛ أي: كَمِثْلِ مَشْكَاةٍ.

قوله: (أي: صِفَتُهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ) أشار بذلك إلى أَنَّ فِي الْكَلَامِ شَبَهَ اسْتِخْدَامٍ؛ حَيْثُ ذَكَرَ النُّورَ أَوَّلًا بِمَعْنَى، ثُمَّ ذَكَرَهُ ثَانِيًا بِمَعْنَى آخَرَ، فَتَحْصُلُ أَنَّهُ فَسَّرَ النُّورَ أَوَّلًا بِالْحَسِّيِّ، وَثَانِيًا بِالْمَعْنَوِيِّ.

قوله: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ اِخْتَلَفَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ؛ قِيلَ: عَرَبِيَّةٌ، وَقِيلَ: حَبَشِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ.

قوله: ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ وَاحِدَةُ الزَّجَاجِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: الضَّمُّ وَبِهِ قَرَأَ الْعَامَّةُ، وَالْفَتْحُ، وَالْكَسْرُ، وَبِهِمَا قَرِئَ شَذُوذًا^(٢).

قوله: (هي القنديل) بكسر القاف، قوله: (الموقودة) صوابه: الموقدة.

(١) انظر «الحكم العطائية» بشرح العلامة الشرنوبلي (ص ٢٧).

(٢) انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» (١٠٩/٢).

الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ.....

السَّراج، أي: القَتيلة الموقودة، والمشكاة: الطَّاقة غيرُ النَّافِذة أي: الأنبوبة في القنديل، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنُّورُ فِيهَا ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مُضِيءٌ، - بِكسرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا مِنَ الدَّرءِ بِمَعْنَى الدَّفْعِ لِدَفْعِهِ الظَّلامَ، وَبِضْمِّهَا وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ مَنْسُوبٌ إِلَى الدَّرِّ: اللُّؤْلُؤُ - ﴿تَوْقَدَ﴾ المِصْبَاحُ - بِالْمَاضِي، وَفِي قِرَاءَةِ بِمُضَارِعٍ (أَوْقَدَ) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ بِالتَّحْتَانِيَّةِ، وَفِي أُخْرَى: (تَوْقَدَ) بِالفَوْقَانِيَّةِ أَي: الزُّجَاجَةُ - ﴿مِنْ﴾ زَيْتٍ ﴿شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (غير النافذة) قَيَّدَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَجْمَعُ لِلنُّورِ.

قوله: (أي: الأنبوبة) هي السُّنْبُلَةُ الَّتِي فِي الْقَنْدِيلِ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ آخَرُ لِلْمَشْكَاةِ، وَحِينَئِذٍ: فَكَانَ الْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقُولَ: (أَوِ الْأَنْبُوبَةُ)، فَتَحْصُلُ أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي الْمَشْكَاةِ؛ فَقِيلَ: هِيَ الطَّاقَةُ الْغَيْرُ النَّافِذَةُ الَّتِي وُضِعَ فِيهَا الْقَنْدِيلُ، وَعَلَيْهِ: فَهِيَ ظَرْفٌ لِلْقَنْدِيلِ، وَقِيلَ: هِيَ السُّنْبُلَةُ الَّتِي تَكُونُ وَسْطَ الْقَنْدِيلِ، تُوضَعُ فِيهَا الْفَتِيلَةُ، وَعَلَيْهِ: فَالْقَنْدِيلُ ظَرْفٌ لَهَا.

قوله: (بكسر الدال وضمها) أي: مع الهمز، قراءتان سبعيتان، وقوله: (وبضمها وتشديد الياء) قراءة سبعة أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً^(١).

قوله: (بمعنى الدفع) أي: وبابه: قَطَعَ، وقوله: (منسوب إلى الدر) أي: لشدة صفائه.

قوله: (بالماضي... إلخ) فأصله: أَنَّ الْقِرَاءَاتِ ثَلَاثَ سَبْعِيَّاتٍ: بِالْمَاضِي، وَبِالْمُضَارِعِ بِالتَّحْتَانِيَّةِ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ عَائِداً عَلَى (المصباح)، وَبِالْفَوْقَانِيَّةِ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ عَائِداً عَلَى (الزُّجَاجَةُ) عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: فَتِيلَةُ الزُّجَاجَةِ^(٢).

قوله: ﴿مِنْ﴾ زَيْتٍ ﴿شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾: ابْتِدَائِيَّةٌ، أَشَارَ الْمَفْسَّرُ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: ﴿مُبْرَكَةٍ﴾ أي: لكثرة منافعها، قال ابن عباس: فِي الزَّيْتُونِ مَنَافِعُ: يُسْرَجُ بِزَيْتِهِ،

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ بِكسرِ الدَّالِ وَيَاءٍ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ، وَقَرَأَ حَمْزَةً وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِضَمِّ الدَّالِ وَيَاءٍ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ، وَالباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة. انظر «الدر المصون» (٨/٤٠٥).

(٢) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: (تَوْقَدَ) بِزَنْةٍ (تَفْعَلُ) فِعْلاً مَاضِياً فِيهِ ضَمِيرٌ فَاعِلُهُ يَعُودُ عَلَى الْمَصْبَاحِ، وَالْأَخْوَانُ وَأَبُو بَكْرٍ: (تَوْقَدَ) بِضَمِّ التَّاءِ مِنْ فَوْقٍ وَفَتْحِ الْقَافِ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتٍ. انظر «الدر المصون» (٨/٤٠٧).

لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ

لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ﴿﴾ بل بينهما، فلا يَتَمَكَّنُ مِنْهَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ مُضِرَّانِ، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لِصَفَائِهِ، ﴿نُّورٌ﴾ بِهِ ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بِالنَّارِ، وَنُورُ اللَّهِ أَي: هُدَاهُ لِلْمُؤْمِنِ نُورٌ

حاشية الصاوي

وهو إدام ودهان ودباغ ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يُغسل به الإبريسم، وهي أول شجرة نَبَتَتْ فِي الدُّنْيَا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، وَنَبَتَتْ فِي مَنَازِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة؛ منهم: إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسلام^(١).

قوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ بالجر: صفة لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾، وقرئ شذوذاً بالرفع: خبرٌ محذوف؛ أي: لا هي شرقية ولا هي غربية، والجملة في محل جر نعت لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾^(٢).

قوله: (بل بينهما... إلخ) أشار بذلك إلى أن المراد بقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ أي: أنها متوسطة؛ لا شرقية فقط، ولا غربية فقط، بل بينهما، وهي الشام؛ فَإِنَّ زَيْتُونَهُ أَجْوَدُ الزَيْتُونِ، وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة، ولا خير فيهما في مضحى»^(٣)، والمقناة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة: المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، والمضحى هو: الذي تُشْرِقُ عَلَيْهِ دَائِمًا فَتُحْرِقُهُ. وهو أحد قولين، وقيل: معنى ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾: أَنَّ الشَّمْسَ تَبْقَى عَلَيْهَا دَائِمًا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ لِأَجْرِهَا، لَا يُؤَارِيهَا مِنَ الشَّمْسِ شَيْءٌ، كَالَّتِي تَكُونُ فِي الصَّحَارَى الْوَاسِعَةِ؛ فَإِنَّ ثَمَرَهَا تَكُونُ أَنْصَجَ، وَزَيْتُهَا أَصْفَى، وَعَلَى هَذَا: فَلَا يَتَقَيَّدُ بِشَامٍ وَلَا غَيْرِهَا.

قوله: (مُضِرَّيْنِ) هذا هو محل النفي، وهو حال.

قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ شرطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: لِأَضَاءِ.

قوله: ﴿نُّورٌ﴾ بِهِ أَي: الزيت، وقوله: ﴿عَلَى نُورٍ﴾ أَي: مع نور، وهو نور المصباح والزجاجة، فالأنوار المشبهة بها مُتَعَدِّدَةٌ كَأَنْوَارِ الْمَشْبَهَةِ، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ التَّنْثِيَةُ، بَلِ الْكَثْرَةُ وَتَرَاكُمُ الْأَنْوَارِ.

وقوله: (ونور الله؛ أي: هُداة... إلخ) أي: فبراهينُ الله تزداد في قلب المؤمنين برهاناً بعد برهانٍ.

(١) نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠٤/٧)، وانظر «زاد المسير» (٢٩٦/٣).

(٢) وبها قرأ الضحاك. انظر «الدر المصون» (٤٠٨/٨).

(٣) ذكره الزمخشري في «كشافه»، وقال العلامة الزيلعي في «تخريج أحاديثه» (٤٤٧/٢): (غريب جداً).

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

على نور الإيمان، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾: يُبَيِّنُ ﴿اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

حاشية الصاوي

إن قلت: لم ضرب الله المثل بنور الزيت ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟
أجيب: بأن الزيت فيه منافع كثيرة، ويسهل لكل أحد؛ كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة.
واختلف في هذا التشبيه؛ هل هو تشبيه مرگب؛ بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد: مثل نور الله الذي هو هداه وبراهينه الساطعة كجملة النور الذي يتخذ من هذه الهيئة، أو تشبيه جزء بجزء؛ بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة، وقلبه بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح؟

قوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: من يريد هدايته؛ فإن الأسباب دون مشيئته لاغية، ولولا العناية.. ما كان الوصول لذلك النور.

قوله: (أي: دين الإسلام) المراد به: ما يشمل الإيمان، وهو الذي ضرب له المثل المتقدم. وأظهر في مقام الإضمار؛ اعتناءً بشأنه.

قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ أي: تقريباً للمعقول من المحسوس؛ فحيث كان نور الإيمان - والمعارف مثله - هكذا.. فلا تدخل شبهة على المؤمن إلا شاهدتها بعين البصيرة كما تُشاهد بعين البصر، ويشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده بعين البصر، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون، فأدناهم أهل المراقبة، وأعلامهم أهل المشاهدة، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقوله في الحديث: «اتَّقُوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»^(١)، وقوله في الحديث أيضاً: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه»^(٢)، وللعارفين تفنُّنات وضرب أمثال في هذه المقامات، لا يدركها إلا من كان من أهل النور.

(١) رواه الترمذي (٣١٢٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فِي يُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ

﴿٣٦﴾ (فِي يُوتٍ) - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يُسَبِّحُ﴾ الْآتِي - ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ﴾: تَعْظُمُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(فِي يُوتٍ)﴾ المراد بها: جميع المساجد، وقيل: خصوصُ مساجد أربع: الكعبة، ومسجد المدينة، وبيت المقدس، وقباء؛ لأنه لم يبينها إلا نبي؛ فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله ﷺ، والأقرب: الأول؛ لأن العبرة بعموم اللفظ.

قوله: (يتعلق بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي) أي: سواء قرئ بنائه للفاعل أو للمفعول، وكرر الظرف وهو قوله: ﴿فِيهَا﴾ اعتناءً بشأن المساجد؛ لما ورد: «يُوت الله في الأرض تُضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»^(١)، ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف دل عليه قوله: ﴿يُسَبِّحُ﴾، والتقدير: سَبَّحُوا رَبَّكُمْ فِي بُيُوتٍ، وعلى هذين: فالوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾، ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لـ ﴿كَيْشْكُورٌ﴾، أو لـ ﴿مُضْبَحٌ﴾، أو لـ ﴿زُجَاجَةٌ﴾، أو متعلق بـ﴿يُوقَدُ﴾، وعلى هذه الأربعة: لا يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿(أَذِنَ اللَّهُ)﴾ أي: أمر، والجملة صفة لـ ﴿يُوتٍ﴾، و(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة، والتقدير: أمر الله برفعها.

قوله: (تعظم) أي: حساً ومعنى؛ فالتعظيم الحسي: رفعها بالبيان المتين الحسن، مساوياً لبنيان البلد أو أعلى، ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا ساء عمل قوم.. زخرفوا مساجدهم»^(٢)؛ لأن المنهي عنه الزخرفة والتزيق، لا حُسْنُ البنيان وإتقانه. ومن التعظيم الحسي: تطهيرها من الأقدار والنجاسات. قال القرطبي: (كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد؛ لأنهم لا يتحرزون عن الأقدار والأوساخ، فيؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطيبها، فقال: «جئوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وسل سيفوكم، وإقامة حدودكم، ورفع أصواتكم، وخصوماتكم، وجمروها في الجمع، واجمعوا لها على أبوابها المطاهر»^(٣). والتعظيم المعنوي: بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوي وغير ذلك مما لا يعني.

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٦٨٧) موقوفاً على سيدنا ابن عباس ؓ.

(٢) رواه ابن ماجه (٧٤١) عن سيدنا عمر ؓ.

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٧٠/١٢)، والحديث رواه ابن ماجه (٧٥٠) عن سيدنا وإثله بن الأسقع ؓ. و(المطاهر):

محال يتوضأ فيها المحتاج ويقضي حاجته.

وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ

﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بِتَوْجِيدِهِ، ﴿يُسَبِّحُ﴾ - يَفْتَحُ الْمُوَحَّدَةَ وَكَسَرِهَا - أَي: يُصَلِّي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْغَدَوَاتِ أَي: الْبُكْرِ، ﴿وَالْآصَالِ﴾: الْعِشَاءُ مِنْ بَعْدِ الزَّوَالِ.

﴿٣٧﴾ ﴿رِجَالٌ﴾ - فاعِلٌ ﴿يُسَبِّحُ﴾ بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَعَلَى فَتْحِهَا نَائِبُ الْفَاعِلِ ﴿لَهُ﴾، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعِلُ فِعْلٍ مُقَدَّرٌ جَوَابُ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ يُسَبِّحُهُ؟ - ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ أَي: شِرَاءٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ (أي: بأيِّ ذِكْرٍ كان).

قوله: (بفتح الموحدة وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)؛ فعلى الفتح: يكون نائب الفاعل على أحد المجرورات الثلاث، والأول أولى؛ ولذا اقتصر عليه المفسر، و﴿رِجَالٌ﴾: فاعِلُ فِعْلٍ محذوف، أو خبرٌ لمحذوف، تقديره: يسبحه، أو المسبح، وعليه: فالوقف على (الآصال)، وعلى الكسر: ف﴿رِجَالٌ﴾: فاعله، ولا يُوقف على (الآصال).

قوله: (أي: يصلي) فسر التسبيح بالصلاة؛ لاشتمالها عليه، واختلف في المراد بالصلاة؛ فقليل: المراد: صلاة الصبح في الغدو، وباقي الصلوات الخمس في الآصال، وقد أشار المفسر لهذا بقوله: (من بعد الزوال)، وقيل: المراد: صلاة الصبح والعصر؛ لما قيل: إنهما الصلاة الوسطى^(٢).

قوله: (مصدر) أي: في الأصل، وأمّا هنا.. فالمراد منه: الأزمنة.

قوله: (أي: البكر) أي: وهي أوائل النهار، وقوله: (العشايا) هي: أواخر النهار.

قوله: ﴿رِجَالٌ﴾ خضوا بالذكر؛ لأنَّ شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة.

قوله: (شراء) خصَّ التجارة بالشراء وإن كان لفظُ (التجارة) يقع على البيع أيضاً؛ لذكره البيع بعده، وقيل: المراد بالتجارة حقيقتها، ويكون خصَّ البيع بالذكر؛ لأنَّ الاشتغال به أعظم؛ لكون

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء مبنياً للمفعول، وباقي السبعة بكسر الباء. انظر «الدر المصون» (٨/٤٠٩).

(٢) وقال ابن عباس: التسبيح بالغدو: صلاة الضحى، وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة.. كان أجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يقصد إلا ذاك.. كان أجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما.. كتاب في عليين» أخرجه أبو داود. «فتوحات» (٣/٢٤٢).

وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ

﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ - حَذَفُ هَاءِ (إِقَامَةِ) تَخْفِيفٌ - ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾: تَضَطَّرِبُ ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ مِنَ الْخَوْفِ؛ الْقُلُوبُ بَيْنَ النَّجَاةِ وَالْهَلَاكِ، وَالْأَبْصَارُ بَيْنَ نَاحِيَتَيِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٣٨﴾ ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أَي: ثَوَابِهِ، وَ(أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَنٍ، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾

حاشية الصاوي

الربح الحاصل من البيع ناجزاً محققاً، والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل؛ فلا يكاد يشغله.

قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَي: عن حقوق الله؛ صلاة أو غيرها؛ فقوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ من ذكر الخاص بعد العام؛ اعتناء بشأنهما؛ فَإِنَّ الْمَوَاطِبَ عَلَيْهِمَا كَامِلُ الْإِيمَانِ.

قوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أَي: أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أَي: إِنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ وَإِنْ أَكْثَرُوا الذِّكْرَ وَالطَّاعَاتِ فَإِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ وَجِلُونَ خَائِفُونَ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ مَا عَبْدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ.

قوله: (بَيْنَ النَّجَاةِ وَالْهَلَاكِ) رَاجِعٌ لَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ، وَقِيلَ: مَعْنَى تَقَلَّبُ الْقُلُوبُ: ارْتِفَاعُهَا إِلَى الْحَنَاجِرِ؛ فَلَا تَنْزِلُ وَلَا تَخْرُجُ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ.

قوله: (بَيْنَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ) وَقِيلَ: تَقَلَّبُ الْأَبْصَارُ: شُخُوصُهَا مِنْ هَوَلِ الْأَمْرِ وَشِدَّتِهِ.

قوله: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ﴾ اللّامُ: لِلْعَاقِبَةِ وَالصِّيْرُورَةِ؛ أَي: إِنَّ مَالَ أَمْرِهِمْ وَعَاقِبَتَهُ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ، وَلَيْسَتْ لَامُ الْعِلَّةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ مَرْتَبَةٌ عَامَّةٌ الْمُؤْمِنِينَ، وَتِلْكَ الْأَوْصَافُ إِنَّمَا هِيَ لِكَامِلِ الْإِيمَانِ.

قوله: (و«أَحْسَنَ» بِمَعْنَى: حَسَنَ) أَي: فَالْمَحْتَرِزُ عَنْهُ الْمَجَازَاةُ عَلَى الْقَبِيحِ، فَالْمَعْنَى: يُجَازَوْنَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ حَسَنٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وَلَا يُجَازَوْنَ عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ.

قوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أَي: فَلَا يَقْتَصِرُ فِي إِعْطَائِهِمْ عَلَى جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ يُعْطَوْنَ أَشْيَاءَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِمْ.

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ يُقَالُ: فَلَانٌ يُنْفِقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَي: يُوسِّعُ كَأَنَّهُ لَا يَحْسُبُ مَا يُنْفِقُهُ.

﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴿٣٩﴾ جَمَعَ قَاعٍ أَي: فِي فَلَاةٍ، وَهُوَ شُعَاعٌ يُرَى فِيهَا نِصْفُ النَّهَارِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ يُشَبِّهُ الْمَاءَ الْجَارِيَّ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (تذليلٌ ووعدٌ كريمٌ بأنه تعالى يُعطيهم فوق أجرِ أعمالهم من الخيرات ما لا يقي به الحساب).

قوله: (يُقَالُ: فَلَانٌ يُنْفِقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ... إلخ) أَي: فَهُوَ كَنَائَةٌ عَنْ كَوْنِ اللَّهِ يُعطيهم ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، فَوْقَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) لما ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَشْرَفِ الْأَمْثَالِ وَأَعْلَاهَا.. ضَرَبَ الْمَثَلَ لِلْكَافِرِ بِأَشْرُّ الْأَشْيَاءِ وَأَخْسَهَا^(١).

والحاصل: أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَ لِلْكَافِرِ مَثَلَيْنِ: مَثَلٌ لِأَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَسَرَابٍ...﴾ إلخ، وَمَثَلٌ لِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَطُلُمَنْتٍ...﴾ إلخ، وَالْأَسْمُ الْمَوْصُولُ: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿كَفَرُوا﴾: صَلَاتُهُ، وَ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَ﴿كَسَرَابٍ﴾: خَبَرُ الثَّانِي، وَالثَّانِي وَخَبَرُهُ: خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ بَدَلًا اشْتِمَالًا، وَ﴿كَسَرَابٍ﴾ خَبَرُ ﴿الَّذِينَ﴾.

قوله: ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ (أَي: الصَّالِحَةُ؛ كَصَدَقَةٍ وَعَتَقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَى نِيَّةٍ).

قوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ (الْبَاءُ: بِمَعْنَى (فِي) كَمَا يُشِيرُ لَهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (أَي: فِي فَلَاةٍ).

قوله: (جَمَعَ «قَاعٍ») أَي: ك: (جَبِيرَةٌ) جَمَعَ (جَارٍ)، وَقِيلَ: الْقِيعَةُ مَفْرَدٌ بِمَعْنَى: الْقَاعِ.

قوله: (يُشَبِّهُ الْمَاءَ الْجَارِيَّ) وَيُسَمَّى أَلَا أَيْضًا، قَالَ الشَّاعِرُ^(٢): [الوافر]

إِذَا أَنَا كَالَّذِي يَجْرِي لِوَرْدٍ إِلَى آلٍ فَلَمْ يُذْرِكْ بِأَلَا

(١) كَذَا هُوَ فِي الْأَصُولِ فِي بِنَاءِ التَّفْضِيلِ مِنْهُ، وَلَا يَكَادُونَ يَسْتَعْمِلُونَهُ إِلَّا عَلَى لُغَةِ لُبْنِي عَامِرٍ، وَقُرِئَ فِي الشَّاذِ: (مِنْ) الْكَذَابِ الْأَشْرُّ عَلَى هَذِهِ اللَّغَةِ. انْظُرْ «شرح التسهيل» لابن مالك (٥٣/٣).

(٢) الْبَيْتُ لِعَمْرِو بْنِ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيِّ، مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَنْدُبُ فِيهَا قَوْمَهُ وَيُبْكِيهِمْ، مَطْلَعُهَا كَمَا قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي «شرح الشواهد الكبرى» (٨٨٠/٢):

أَبْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا أَنْ تُلْحَا وَتَحْتَالَا بِمَائِهِمَا اخْتِيَالَا

يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

﴿يَحْسَبُهُ﴾: يَظُنُّهُ ﴿الظَّمْثَانُ﴾ أي: العطشان ﴿مَاءً حَقًّا﴾ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿مِمَّا حَسِبَهُ﴾، كذلك الكافر يحسب أن عمله كَصَدَقَةٍ يَنْفَعُهُ، حتَّى إِذَا مَاتَ وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ لَمْ يَجِدْ عَمَلَهُ أَي: لَمْ يَنْفَعْهُ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أَي: عِنْدَ عَمَلِهِ ﴿فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ أَي: جَازَاهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أَي: الْمُجَازَاةِ.

حاشية الصاوي

وسمي سراً؛ لأنه يتسرّب - أي: يجري - كالماء.

قوله: ﴿يَحْسَبُهُ﴾ بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيتان^(١)، وماضيه: حَسِبَ بكسر السين، وهو من باب (تعب) في لغة جميع العرب إلا بني كنانة؛ فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً.

قوله: ﴿الظَّمْثَانُ﴾ أَي: وكذا كُلُّ مَنْ رآه، وإنما خصّ الظمآن؛ لأنه أحوَجُ إليه من غيره. قوله: ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ﴾ أَي: جاء ما قصده وظنّه ماءً، وهو غاية في محذوف؛ أَي: يستمرّ سائراً إليه حتّى إِذَا جاءه... إلخ.

قوله: (كذلك الكافر... إلخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه، فتحصّل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح يَنْفَعُهُ في الآخرة؛ فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذي كان يَظُنُّه، بل وجد العقابَ العظيم، والعذابَ الأليم، فعظمت حسرته... بحال الظمآن الذي اشتدّت حاجته إلى الماء؛ فإذا شاهد السراب... تعلق به، فإذا جاءه... لم يجدْهُ شَيْئًا.

قوله: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ﴾ أَي: وجد وعد الله بالجزاء على عمله، أو المعنى: وجد عذاب الله له.

قوله: (أي: جازاه عليه في الدنيا) أَي: المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقّق أن الله جازاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نيّة في الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا، هكذا قال المفسّر، وهو وإن كان صحيحاً في نفسه إلا أن المفسّرين على خلافه؛ فإنهم قالوا: معنى (وقاه حسابه): جازاه عليه في الآخرة بالعذاب.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر بفتح السين، والباقون بكسرها. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٥٦).

أَوْ كَظُلُمَتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا

﴿٤٠﴾ ﴿أَوْ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ ﴿كَظُلُمَتِ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾: عَمِيقٌ، ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ﴾: أَي: الْمَوْجُ ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ﴾: أَي: الْمَوْجُ الثَّانِي ﴿سَحَابٌ﴾: أَي: غَيْمٌ، هَذِهِ ﴿ظُلُمَتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: ظُلْمَةُ الْبَحْرِ وَظُلْمَةُ الْمَوْجِ الْأَوَّلِ وَظُلْمَةُ الثَّانِي وَظُلْمَةُ السَّحَابِ، ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾: النَّظَرُ ﴿يَكْدُهُ﴾: فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ ﴿لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا﴾: أَي: لَمْ يَقْرُبْ مِنْ رُؤْيَيْهَا،

حاشية الصاوي

والحاصل: أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نيّة.. فمسلّم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة، ولا تنفعه أصلاً، وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نيّة.. فقليل: لا يجد لها نفعاً أصلاً، وقيل: يجد نفعها؛ إمّا في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك، أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر.

قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَتِ﴾ ﴿أَوْ﴾: للتقسيم؛ أي: إن أعمال الكافر تنقسم قسمين: قسم كالسراب، وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات، وهو العمل السيئ، وقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَتِ﴾ معطوف على قوله: ﴿كَرَّيْ﴾ على حذف مُضَافٍ، تقديره: أو كذي ظلمات، يدلُّ عليه قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا﴾.

قوله: ﴿لُجِّي﴾ (منسوب لـ (لُجٌّ) أو لـ (لُجَّة))، وهو: الماء الغزير.

قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾... (الخ) أي: يعلّوه، وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكبها، والمعنى: أن البحر اللُّجِّي يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء، فإذا ترادفت الأمواج.. ازدادت الظلمة، فإذا كان مع ذلك سحاباً.. ازدادت الظلمة جدّاً. ووجه الشّبه: أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات: ظلمة البحر، والأمواج، والسحاب؛ كذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة الفعل.

قوله: ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾: أي: قد غطّى أنوار النجوم.

قوله: (هذه ﴿ظُلُمَتِ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ظُلُمَتِ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ﴾: خصّها؛ لأنها أقرب الأشياء إليه.

وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ نَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالطَّيْرِ صَفَنَتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ أي: مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللهُ لَمْ يَهْتَدِ.

﴿٤١﴾ ﴿أَلَمْ نَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التَّسْبِيحِ صَلَاةٌ، ﴿وَالطَّيْرِ﴾: جَمْع طَائِرَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ﴿صَفَنَتٍ﴾ - حال - : بِاسِطَاتٍ أَجْنَحَتَهُنَّ، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ - فِيهِ تَغْلِيْبُ الْعَاقِلِ - .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ استُفِيدَ مِنْ هَذَا: أَنَّ النُّورَ لَيْسَ بِالْحَوْلِ وَلَا بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ يُعْطِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالْمَعْنَى: مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ دِينًا وَإِيمَانًا.. فلا دين له. قوله: ﴿أَلَمْ نَرَ﴾ الخطابُ لِكُلِّ عَاقِلٍ، وَهُوَ تَوْبِيخٌ لِلْكَفَّارِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ تَسْبِيحِي لَيْسَ قَاصِرًا عَلَيْكُمْ، بَلْ جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْبِّحُونِي^(١). قوله: (وَمِنْ التَّسْبِيحِ صَلَاةٌ) ذَكَرَ ذَلِكَ؛ تَوْطِئَةً لِقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، فَالْصَّلَاةُ مَنْدَرَجَةٌ فِي عُمُومِ التَّسْبِيحِ.

قوله: ﴿وَالطَّيْرِ﴾ بِالرَّفْعِ عَطْفٌ عَلَى ﴿مَنْ﴾، وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَعْيَةِ، وَ﴿صَفَنَتٍ﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْقَرَاءَتَيْنِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِرَفْعِهَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، وَمَفْعُولٌ ﴿صَفَنَتٍ﴾ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: أَجْنَحَتَهَا^(٢).

قوله: (بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ الْعَطْفَ مَغَايِرٌ؛ لِأَنَّهُ فِي حَالَةِ الطَّيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلَاتَهُ﴾... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي (عَلِمَ) عَائِدٌ عَلَى (اللَّهُ)، وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى (كُلِّ) أَيْ: عَلِمَ صَلَاةَ نَفْسِهِ وَتَسْبِيحَهَا. قوله: (فِيهِ تَغْلِيْبُ الْعَاقِلِ) أَيْ: حَيْثُ عَبَّرَ بِالْفِعْلِ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهِيَ لَفْظٌ مَشْهُورَةٌ تَحْذِفُ فِيهَا نُونُ الرَّفْعِ تَخْفِيفًا.

(٢) قَرَأَ الْعَامَّةُ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ مَعَهُ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَخَارِجَةُ عَنْ نَافِعٍ: (وَالطَّيْرِ صَافَاتٌ) بِرَفْعِهِمَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ. انْظُرْ «الدر المصون» (٤/٤١٨).

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ.....

﴿٤٢﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالرِّزْقِ وَالنَّبَاتِ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

المرجع.

﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا: يَسُوقُهُ بِرَفْقٍ، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ يَضُمُّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، فَيَجْعَلُ الْقِطْعَ الْمُتَفَرِّقَةَ قِطْعَةً وَاحِدَةً، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: الْمَطَرُ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: مَخَارِجِهِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: (خزائن المطر والرزق) راجع للسماء، وقوله: (والنبات) راجع للأرض، وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل: والله مُلك خزائن السماوات والأرض، والأصح: بقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره، وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له. قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: مرجع الخلائق كلها إلى الله، فيجازي كلَّ أحدٍ بعمله. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطابُ لكلِّ عاقلٍ، لا خصوص النبي ﷺ؛ لأنَّ من تأمل ذلك.. حصل له العلم به.

قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: بين أجزائه؛ لأنَّ كلَّ جزءٍ سحابٍ، وبهذا اندفع ما قيل: إنَّ (بين) لا تدخل إلا على متعدّد، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: (يضمُّ بعضه إلى بعض). قوله: ﴿رُكَّامًا﴾ الركام: الشيء المتراكمُ بعضه على بعض. قوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: تُبصره.

قوله: (مخارج) أي: نُقبه، فالسحاب غربال المطر، قال كعب: لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء.. لأفسد ما يقع عليه من الأرض^(١).

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/١٢٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٢٣).

وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (٤٣)

﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء - بَدَلُ بِإِعَادَةِ الْجَارِ - ﴿مِنْ بَرَرٍ﴾
أي: بعضه، ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ﴾: يَقْرُبُ ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾: لَمَعَانُهُ
﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ النَّاطِرَةُ لَهُ، أي: يَخْطِفُهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ السماءَ كما يَنْزِلُ منها المطر
الذي هو نفعٌ للعباد.. ينزل منها بعضُ الجبال التي هي البرد، وهو ضرٌّ للعباد، فسبحان من جعل
السماء منشأً للخير والشر.

قوله: ﴿مِنْ﴾: زائدة... إلخ) الحاصل: أن ﴿مِنْ﴾ الأولى ابتدائية لا غير، والثانية فيها ثلاثة
أوجه؛ قيل: زائدة، وقيل: ابتدائية، وقيل: تبعيضية وهو الأحسن، والثالثة فيها أربعة أوجه؛ الثلاثة
المتقدمة، وقيل: بيانية وهو الأحسن، وحينئذٍ: فيكون المعنى على ذلك: وتنزل بعض جبال كائنة
في السماء التي هي البرد إنزالاً ناشئاً ومبتدأً من السماء.

قوله: ﴿فِيهَا﴾ الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿جِبَالٍ﴾.

قوله: (بدل بإعادة الجار) هذا راجع لقوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾، والمناسب للمفسر أن يقول: (أو بدل)
فيكون قولاً ثانياً؛ لأنَّ هذا لا يتأتى على جعلها زائدة، بل على جعلها ابتدائية.

قوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالبرد.

قوله: ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ هو بالقصر في قراءة العامة، معناه: الضياء، وأمَّا بالمد.. فمعناه:
الرفعة، وليس مراداً.

قوله: (أي: يَخْطِفُهَا) أشار بذلك إلى أَنَّ الباءَ في ﴿الْأَبْصَرِ﴾ للتعدي، والمعنى: يُذهِبُها بسرعة؛
لأنَّ الضوءَ القويَّ يُذهِبُ الضَّعِيفَ، ومن ذلك قول الفقهاء: إذا فعل رجلٌ بآخر فعلاً أذهب بصره،
وأريد أن يقتصَّ منه بإذهاب بصره.. فإنه يؤتى له بمرآة وتوضع في الشمس، ويجلس الشخص
قُبالتها، وتقلب المرآة يميناً وشمالاً؛ فإنَّ ذلك يَخْطِفُ بصره^(١).

(١) انظر «الشرح الكبير للدردير» (٢٥٤/٤).

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ . . .

﴿٤٤﴾ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يَأْتِي بِكُلِّ مِنْهُمَا بَدَل الْآخَرِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التَّقْلِيلِ ﴿لَعِبْرَةً﴾: دَلَالَةٌ ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: لِأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى .
 ﴿٤٥﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ أي: حَيَّوَانٍ ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ أي: نُطْفَةٍ، ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ . . .

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يَأْتِي بِكُلِّ مِنْهُمَا بَدَل الْآخَرِ) أي: وَيَقْصُرُ هَذَا، وَيَطْوِلُ هَذَا، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ يَنْسِبُ الْأُمُورَ لِلدَّهْرِ^(١).

قوله: (﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾) جمع بصيرة، وَخَصَّصَهُم بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِذَلِكَ؛ حَيْثُ يَتَأَمَّلُونَ فَيَجِدُونَ الْمَاءَ وَالنُّورَ وَالنَّارَ وَالظُّلْمَةَ تَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَسُبْحَانَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .
 قوله: (على قُدْرَةِ اللَّهِ) متعلق بـ(دلالة).

قوله: (أي: حيوان) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ بِالدَّابَّةِ: مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَا خُصُوصُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ.

قوله: (أي: نطفة) هذا بِحَسَبِ الْغَالِبِ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْأَرْضِيَّةِ، وَإِلَّا . . . فَالْمَلَائِكَةُ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، وَالْجِنُّ خُلِقُوا مِنَ النَّارِ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنَ الطِّينِ، وَعِيسَى خُلِقَ مِنَ النَّفْسِ الَّذِي نَفَخَهُ جِبْرِيلُ فِي جِيبِ أُمِّهِ، وَالدُّودُ تُخْلَقُ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَالْعُفُونَاتِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمَاءِ: حَقِيقَتُهُ؛ لَمَّا وَرَدَ: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مَاءً، وَجَعَلَ بَعْضُهُ رِيحاً وَنُوراً فَخُلِقَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَجَعَلَ بَعْضُهُ نَاراً فَخُلِقَ مِنْهُ الْجِنُّ، وَجَعَلَ بَعْضُهُ طِيناً فَخُلِقَ مِنْهُ آدَمُ^(٢).

قوله: (﴿فَمِنْهُمْ﴾) الضمير راجع لـ﴿كُلِّ﴾ باعتبار معناه، وفيه تغليبُ العاقلِ على غيره؛ حيثُ أَتَى بِضَمِيرِ جَمَاعَةِ الذُّكُورِ الْعُقُلَاءِ فِي الْجَمِيعِ.

قوله: (﴿مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾) قَدَّمَهُ لِعَرَابَتِهِ، وَسَمَّاهُ مَشِياً مُشَاكِلَةً لَمَّا بَعْدَهُ، وَإِلَّا . . . فَهُوَ زَحَفٌ.

(١) فالدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بجميع المخلوقات. «خازن» (٣/٣٠١).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٦/٥٥).

وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُوا ءَمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا رَسُولَ اطْعَمْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ

كَالْحَيَّاتِ وَالْهُوَامِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ أي: بَيِّنَات هي القرآن، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَقُولُوا﴾ أي: المنافقون: ﴿ءَمَنَّا﴾: صدَّقنا ﴿بِاللَّهِ﴾: بِتَوْحِيدِهِ، ﴿وَيَا رَسُولَ مُحَمَّدٍ﴾ ﴿وَاطْعَمْنَا﴾ هُما فيما حَكَمَا بِهِ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾: يُعْرِضُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عَنْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (كَالْحَيَّاتِ وَالْهُوَامِ) بالتشديد؛ أي: خشاش الأرض، وأدخلت الكاف الدودَ والسَّمَكَ.

قوله: (كالإنسان والطير) أي: والنَّعام.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثرَ كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأربع وأربعين، وإنما لم يصرِّح بهذا القسم؛ لندوره، ولدخوله في قوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ممَّا ذكر وممَّا لم يذكر.

قوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف؛ أي: والله لقد أنزلنا... إلخ^(١).

قوله: ﴿مُتَّبِعَاتٍ﴾ بكسر الياء وفتحها، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الهدى بيد الله وعنايته؛ فلا يهتدي إلا من حَفَّه الله بالعناية، فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله.

قوله: ﴿وَيَقُولُوا ءَمَنَّا بِاللَّهِ﴾ شروع في ذكر أحوال المنافقين.

قوله: ﴿وَاطْعَمْنَا﴾ قدَّر المفسر الضمير؛ إشارة إلى أنَّ مفعول (اطعنا) محذوف.

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف كما قدَّره المفسر رحمه الله.

(٢) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء التحتية، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/٦٢٢).

وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لالستهم.
 (﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلّغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن المجيء إليه. ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: مسرعين طائعين.
 ﴿٥٠﴾ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: كُفْرٌ ﴿أَمْ ارْتَابُوا﴾ أي: شكوا في نبوته، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ في الحكم أي: فيظلموا فيه؟ لا، ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ تفصيل لما أجمل أولاً.
 قوله: (المبلّغ عنه) جوابٌ عمّا يقال: لِمَ أفرد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ مع أنه تقدّمه اثنان، فأجاب: بأنّ الرسول هو المباشر للحكم، وإنما ذكر الله معه؛ تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لقدره.
 قوله: ﴿(وَإِذَا فَرِيقٌ)﴾: فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط.
 قوله: ﴿(مُعْرِضُونَ)﴾ أي: إن كان الحكم عليهم؛ بدليل ما بعده.
 قوله: ﴿(إِلَيْهِ)﴾ يصح أن يكون متعلقاً بـ ﴿يَأْتُوا﴾ أو بـ ﴿مُذْعِنِينَ﴾.
 قوله: ﴿(أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)﴾ أشار بذلك إلى أنّ منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة.
 قوله: ﴿(أَمْ ارْتَابُوا)﴾ (أَمْ): بمعنى بل والهمزة، وكذا يُقال فيما بعده، والاستفهام للتقرير.
 قوله: (لا) أشار به إلى أنّ الاستفهام بمعنى النفي، والمعنى: لا محلّ لخوفهم؛ لاستحالة الحيف على الله ورسوله.
 قوله: (بالإعراض عنه) أي: الحكم.

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقَوْلِ اللَّائِقِ بِهِمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا بِالْإِجَابَةِ، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: النَّاجُونَ.

﴿٥٢﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ: يَخَافُهُ ﴿وَيَتَّقُهُ﴾: بِسُكُونِ الْهَاءِ وَكُسْرِهَا - بِأَنْ يُطِيعَهُ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بِالْجَنَّةِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ العامة على نصب القول خبراً لـ ﴿كَانَ﴾، والاسم: (أن) وما دخلت عليه، وقرئ شذوذاً برفعه على أنه اسمها، و(أن) وما دخلت عليه: خبرها^(١).

قوله: (بالإجابة) أي: قولاً وفعلاً.

قوله: (حينئذ) أي: حين إذ قالوا هذا القول.

قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾... إلخ قال بعض الأخبار: هذه الآية جمعت ما في توراة موسى، وإنجيل عيسى.

قوله: (يخافه) هذا حلٌ معنى، وإلاً.. فكان حقه أن يقول: (يخفه).

قوله: (وكسرها) أي: بإشباع ودونه، فهذه ثلاث قراءات، وسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع، فتكون أربعة، وكلها سبعة^(٢).

قوله: ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الظافرون بمقصودهم، النَّاجُونَ من كلِّ مكروه.

(١) وهي قراءة سيدنا علي عليه السلام والحسن وابن أبي إسحاق، وهي مرجوحة عند العامة؛ لأنه متى اجتمع معرفتان... فالأولى: جعل الأعراف الاسم وإن كان سيويه خيراً في ذلك بين كلِّ معرفتين، ولم يُفرق هذه التفرقة. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» (١١٥/٢)، و«الدر المصون» (٤٢٨/٨).

(٢) القراء فيه بالنسبة إلى القاف على مرتبتين: الأولى: تسكين القاف، ولم يقرأ بها إلا حفص، والباقون بكسرها، وأما بالنسبة إلى هاء الكناية فهي على خمس مراتب: الأولى: تحريكها مفصولة قولاً واحداً، وبها قرأ ورش وابن ذكوان وخلف وابن كثير والكسائي. الثانية: تسكينها قولاً واحداً، وبها قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم. الثالثة: إسكان الهاء أو وصلها بياء وبها قرأ خلاد. الرابعة: تحريكها من غير صلة، وبها قرأ قالون وحفص. الخامسة: تحريكها موصولة أو مقصورة، وبها قرأ هشام. انظر «الدر المصون» (٤٢٩/٨).

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا

﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ: غَايَتُهَا ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بِالْجِهَادِ ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ لِلنَّبِيِّ خَيْرٌ مِنْ قَسَمِكُمْ الَّذِي لَا تَصْدُقُونَ فِيهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ طَاعَتِكُمْ بِالْقَوْلِ وَمُخَالَفَتِكُمْ بِالْفِعْلِ.

﴿٥٤﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا: عَنْ طَاعَتِهِ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ خِطَابِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير عائدٌ على المنافقين، وهو معطوفٌ على قوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾.

قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ ﴿جَهْدٌ﴾: منصوبٌ على المفعوليَّة المطلقة، والمعنى: جَهَّدُوا اليمينَ جَهْدًا، حذف الفعل، وأقيم المصدرُ مقامه، وأضيف إلى المفعول ك: (ضَرَبَ الرَّقَابَ). وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنَّا نحن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا^(١).

قوله: ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ اللام: موطئة للقسام^(٢)، و(يخرجن): فعل مضارع مؤكد بالنون، وأصله: لَيَخْرُجُونَنَّ، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكتان: الواو ونون التوكيد، حذفت الواو؛ لالتقائهما، وبقيت الضمة؛ لتدلَّ عليها.

قوله: ﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأ، و﴿مَعْرُوفَةٌ﴾: صفته، والخبر محذوف، قدره المفسر بقوله: (خيرٌ من قسمكم)، ويصح أن يكون ﴿طَاعَةٌ﴾ خبراً لمحذوف، تقديره: أمركم طاعةً معروفةً؛ أي: الأمرُ المطلوبُ منكم طاعةً معروفةً بالصدقِ وموافقةِ الواقعِ، لا مجردُ القولِ باللسان.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تعليلٌ لما قبله، والمعنى: لا تحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والإخلاص؛ فإنَّ الله مُطَّلَعٌ على بواطنكم وظواهركم، لا تخفى عليه خافية.

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابُهُ، والتقدير: فلا ضررَ عليه، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ علةٌ لذلك المحذوف.

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١١٤/٧)، وانظر «زاد المسير» (٣٠٣/٣).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، والموطئة هي الداخلة على حرف الشرط.

فَأَنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ
 الْمَيْتِ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

لَهُمْ - ﴿فَأَنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ مِنَ التَّبْلِيغِ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ مِنْ طَاعَتِهِ، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾
 وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ ﴿٥٤﴾ أَي: التَّبْلِيغُ الْبَيِّنُ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بَدَلًا عَنْ
 الْكُفَّارِ، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ - ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ بَدَلًا عَنْ الْجَبَابِرَةِ،
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا حُمِّلَ﴾ أي: كُلف.

قوله: ﴿تَهْتَدُوا﴾ أي: تَصَلُّوا للرشاد والفوز برضا الله، وهذا راجع لقوله: ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا
 حُمِّلْتُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ﴾ راجع لقوله: ﴿فَأَنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على سبيل اللف
 والنشر المشوِّش.

قوله: (أي: التبليغُ البينُ) أي: الظاهرُ، وقد أدَّاه، فعليكم أن تُؤدُّوا ما حُمِّلتم من الطاعة لله
 ورسوله.

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ... إلخ﴾: فعل ماضٍ، ولفظُ الجلالة: فاعله، والاسم الموصول:
 مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوفٌ، تقديره: الاستخلافُ في الأرض، وتمكينُ دينهم، وتبديلُ
 خُوفهم أماناً، يدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ... إلخ﴾؛ فإنَّ اللامَ مُوطئةً لقسم
 محذوف، تقديره: أقسم الله ليستخلفنهم.

قوله: ﴿مِنكُمْ﴾ الجارُّ والمجرور: حال من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والخطابُ لعموم الأمة.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جميعها، وقد حصل ذلك.

قوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ (ما): مصدرية، والمعنى: استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

(١) العامة على بناء «استخلف» للفاعل، وأبو بكر بناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/٤٣٤).

وَلْيَمَكِّنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلْيُبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

﴿وَلْيَمَكِّنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام، بِأَن يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ وَيُوسِّعَ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَيَمْلِكُوهَا، ﴿وَلْيُبَدِّلْهُمْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿أَمْنًا﴾، وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ لَهُمْ بِمَا ذَكَرَ، وَأَتْنَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا﴾ هُوَ مُسْتَأْنَفٌ فِي حُكْمِ التَّعْلِيلِ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْإِنْعَامُ مِنْهُمْ بِهِ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وَأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ قَتْلَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَصَارُوا يَقْتَتِلُونَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا.

﴿٥٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ العائدُ محذوفٌ؛ أي: ارتضاهُ لهم، والمعنى: وليجعلنَّ دينَهُم الذي رَضِيَهُ لَهُمْ ظَاهِرًا وَفَائِقًا عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (بِمَا ذَكَرَ) أي: وهو ما تقدَّم من الأمور الثلاثة.

قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أي: يُوحِّدُونَنِي، وقوله: ﴿لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾، أَوْ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ.

قوله: (هُوَ مُسْتَأْنَفٌ) أي: وَقَعَ فِي جَوَابِ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا بِالْهَمْ يَسْتَخْلِفُونَ وَيَجْعَلُ دِينَهُمْ ظَاهِرًا عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ وَيُؤْمِنُونَ؟ فَقِيلَ: يَعْبُدُونَنِي... إلخ.

قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْإِنْعَامُ) أي: بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَالْمُرَادُ بِالْكَفْرِ: كُفْرُ النَّعْمِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ مَا قَابِلُ الْإِيمَانِ، وَإِلَّا... لَقَالَ: (الْكَافِرُونَ).

قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ) أي: بِالْإِنْعَامِ.

قوله: (قَتْلَةُ عُثْمَانَ) أي: وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الرِّعْيَةِ أَخَذُوهُ بَغْتَةً.

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

(١) قرأ ابن كثير وأبو بكر بسكون الباء الموحدة وتخفيف الدال، والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال. انظر «السراج المنير» (٢/٦٣٧).

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْزَبِ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ
الْأَثَرُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْزِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
الْحُلُمَ مِنْكُمْ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٠﴾ أَي: رَجَاءَ الرَّحْمَةِ.

﴿٥٧﴾ لَا تَحْسِبَنَّ - بِالْفُوقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ، وَالْفَاعِلُ الرَّسُولُ - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ لَنَا فِي الْأَرْضِ ﴿بِأَن يَفُوتُونَا﴾، ﴿وَمَاؤُهُمْ﴾: مَرْجِعُهُمْ ﴿النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ هِيَ.

﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَنْذِلكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعَنُوا أَلْعَنُكُمْ مِنْكُمْ﴾ مِنَ الْأَحْرَارِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق.

قوله: (بالفوقانيّة والتحتانيّة) قراءتان سبعيّتان^(١).

قوله: (والفاعلُ الرسولُ) أي: على كلِّ من القراءتين، والاسم الموصول: مفعول أول، و﴿مُعْجِزِينَ﴾: مفعول ثانٍ.

قوله: (بأن يفوتونا) أي: يَفْرُوا من عذابنا.

قوله: ﴿وَمَا أَوْثَقُهمُ النَّارُ﴾ معطوف على جملة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾^(٢)، أو على مقدر تقديره: بل هم مقهورون وماؤا هم.

قوله: (هي) قدره؛ إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ ءَمَلَتْ ءَيْمَنُكُمْ﴾) اختلف في الأمر؛ فقيل: للوجوب، وقيل: للندب، والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم.

وسبب نزول هذه الآية: أنَّ رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يُقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب يدعوه، فوجده نائماً وقد أغلق عليه الباب، فدقَّ الغلام عليه الباب، فتداه فدخل، فاستيقظ عمر، فانكشف منه شيءٌ، فقال عمر: وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ نَهَى أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَخُدَمَنَا

(١) قرأ العامة بناء الخطاب، وقرأ حمزة وابن عامر بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٨/٤٣٥).

(٢) عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم. «فتوحات» (٣/٢٥١).

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ

وَعَرَفُوا أَمْرَ النِّسَاءِ، ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أَي: وَقْتُ الظُّهْرِ، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ - بِالرَّفْعِ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُقَدَّرٌ بَعْدَهُ مُضَافٌ، وَقَامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، أَي: هِيَ أَوْقَاتٌ، وَبِالنَّصْبِ بِتَقْدِيرِ (أَوْقَاتٍ) مَنْصُوبًا بَدَلًا مِنْ مَحَلٍّ مَا قَبْلَهُ، قَامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ -، وَهِيَ لِإِلْقَاءِ الثِّيَابِ تَبَدُّو فِيهَا الْعَوْرَاتُ،

حاشية الصاوي

ألا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثُمَّ انطلق إلى رسول الله ﷺ، فَوَجَدَ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ، فَخَرَّ سَاجِدًا؛ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى^(١).

قوله: (وَعَرَفُوا أَمْرَ النِّسَاءِ) أَي: مَيَّزُوا بَيْنَ الْعَوْرَةِ وَغَيْرِهَا.

قوله: (فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ أَي: لِأَنَّهُ وَقْتُ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ، وَلِبَسِ ثِيَابِ الْيَقِظَةِ.

قوله: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ أَي: الَّتِي تُلْبَسُ فِي الْيَقِظَةِ، تَضَعُونَهَا لِأَجْلِ الْقِيلُولَةِ.

قوله: ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أَي: مِنْ أَجْلِ الظَّهِيرَةِ، وَهِيَ: شِدَّةُ الْحَرِّ.

قوله: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ أَي: لِأَنَّهُ وَقْتُ التَّجَرُّدِ عَنِ الثِّيَابِ، وَالنَّوْمِ فِي الْفِرَاشِ.

قوله: (بِالرَّفْعِ) أَي: وَعَلَيْهِ: فَالْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الْعِشَاءِ﴾.

قوله: (أَي: هِيَ أَوْقَاتٌ... إلخ) أَي: فَالْأَصْلُ: أَوْقَاتُ ثَلَاثِ عَوْرَاتٍ، حُذِفَ الْمُضَافُ، وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.

قوله: (وَبِالنَّصْبِ) أَي: وَعَلَيْهِ: فَالْوَقْفُ عَلَى ﴿لَكُمْ﴾، وَالْقَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: (وَهِيَ لِإِلْقَاءِ الثِّيَابِ) مُبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: (تَبَدُّو بِهَا الْعَوْرَاتِ) خَبَرُهُ^(٣).

(١) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ» (١١٦/٧)، وَانْظُرْ «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣٠٤/٣).

(٢) قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِالنَّصْبِ، وَالباقون بِالرَّفْعِ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٦٣٨/٢).

(٣) وَقَوْلُهُ: (لِلْإِلْقَاءِ الثِّيَابِ... إلخ) عِلَّةٌ مُقَدِّمَةٌ، وَهَذَا بَيَانٌ لِحِكْمَةِ النَّهْيِ، وَبَيَانٌ لِتَسْمِيَّتِهَا عَوْرَاتٍ. «فَتْوَحَاتُ» (٢٥٢/٣).

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ اسْتِثْنَانٍ ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هُم ﴿طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ﴾ لِلْخِدْمَةِ، ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طَائِفٌ ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾، والجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بَيَّنَّ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: الأحكامَ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِأُمُورِ خَلْقِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ بِمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ. وَآيَةُ الاسْتِثْنَانِ قِيلَ: مَنْسُوخَةٌ، وَقِيلَ: لَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم.

قوله: ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدخول؛ لعدم تكليفهم.

قوله: (هم ﴿طَوَفَاتٌ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿طَوَفَاتٌ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ الجارُّ والمجرور متعلقٌ بمحذوف خبر عن قوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾، قدره

المفسر بقوله: (طائِف).

قوله: (والجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا) وقيل: ليست مؤكدة؛ لأنَّ المعنى: الأطفال والمماليك

يَطُوفُونَ عَلَيْكُمْ لِلْخِدْمَةِ، وَأَنْتُمْ تَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ لِلْإِسْتِخْدَامِ، فَلَوْ كُفِّتُمُ الاسْتِثْنَانِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَغَيْرِهَا.. لَصَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْكُمْ، فَقَوْلُهُ: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ.

قوله: (وَآيَةُ الاسْتِثْنَانِ) أي: قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (قيل: منسوخة) أي: لِمَا رُوِيَ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْعِرَاقِ قَالُوا لِبْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ تَرَى فِي هَذِهِ

الْآيَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، يُحِبُّ السُّتْرَ، وَكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبَيوتِهِمْ سُتُورٌ وَلَا حِجَابٌ، فَرَبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالِاسْتِثْنَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ بِالسُّتُورِ وَالْحِجَابِ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدَ)^(١).

قوله: (وقيل: لا) أي: كما رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ؛ حَيْثُ قَالَ: يَقُولُونَ: نَسَخْتُ، وَاللَّهُ

مَا نَسَخْتُ، وَلَكِنْ مِمَّا تَهَاوَنَ بِهَا النَّاسُ)^(٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١٣/١٩).

(١) رواه أبو داود (٥١٩٢).

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ

وَلَكِنْ تَهَاوَنَ النَّاسُ فِي تَرْكِ الاسْتِثْنَاءِ.

﴿٥٩﴾ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ أَيُّهَا الْأَحْرَارُ ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا﴾ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ﴿كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَيُّ: الْأَحْرَارُ الْكِبَارُ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قَعَدَنَ عَنِ الْحَيْضِ وَالْوَلَدَ لِكِبَرِهِنَّ، ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لِذَلِكَ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ

حاشية الصاوي

قوله: (ولكن تهاون الناس في ترك الاستثناء) أي: لكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك: فالمناسب تعليم الاستثناء في هذه الأوقات للصبيان والمماليك؛ ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة.

قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ﴾ مقابل قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتْلُوا الْحُلُمَ﴾.

قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الذين ذكروا في قوله: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ...﴾ الآية.

قوله: ﴿ءَايَتِهِ﴾ أي: أحكامه.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: بأمور الخلائق، فالذي ينبغي التخلُّق بأخلاق الشرع، ولا يعول الإنسان على ما يعلمه من صيانة حريمه، ويترك آداب الشرع.

قوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعد، بغير تاء؛ كـ(حائض) و(طامث)؛ فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء، وكلُّ وصفٍ مخصوص بالنساء... فلا يحتاج لتمييز بتاء. وهو مبتدأ، و(اللاتي): صفته، وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: خبره، وقرن بالفاء؛ لعموم المبتدأ؛ فإن (أل) فيه اسم موصول، أو لكونه وُصف بالاسم الموصول.

قوله: (قعدن عن الحيض) أي: انقطع حيضهن.

قوله: ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يطمعن فيه؛ لموت شهوتهن عن الرجال.

﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ.....﴾

أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴿من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾: مُظْهِرَاتٍ ﴿بِزِينَةٍ﴾ خَفِيَّة كِفْلَادَةٍ وَسِوَارٍ وَخُلْخَالٍ، ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ﴾ بِأَنْ لَا يَضَعْنَهَا ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِكُمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ.

﴿١١﴾ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فِي مُوَآكَلَةِ مُقَابِلِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾ (أي: يَنزَعْنَ).

قوله: (من الجلباب) أي: وهو الملحفة التي يُغَطَّى بِهَا جَمِيعُ الْبَدَنِ؛ كَالْمَلَاءَةِ وَالْحَبْرَةِ.

قوله: (والقناع) أي: الذي يُلبس فوق الخمار؛ لستر الوجه والعنق.

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ (أي: مُتَزَيِّنَاتٍ؛ فَحَيْثُ وَجَدَ الشَّرْطُ... جَازَ لَهُنَّ كَشْفَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بَيْنَ الْأَجَانِبِ؛ لَعَدَمِ الْفِتْنَةِ، وَهُوَ الْمَفْتَى بِهِ عِنْدَ مَالِكٍ، وَأَحَدِ قَوْلَيْنِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ^(١)).

قوله: (بِأَنْ لَا يَضَعْنَهَا) أي: بِأَنْ يُدْمَنَ السَّتْرُ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ بَيْنَ الْأَجَانِبِ.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ (أي: لِمَا فِيهِ مِنْ سَدِّ الذَّرَائِعِ، فَالْأَفْضَلُ لَهُنَّ السَّتْرُ لِلْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ؛ لِأَنَّ كُلَّ سَاقِطَةٍ لَهَا لَاقِطَةٌ).

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾... إلخ) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية؛ فقال ابن عباس: لما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ تحرَّج المسلمون عن مُوَآكَلَةِ الْمَرَضِيِّ وَالزَّمْنِيِّ وَالْعُمِّيِّ وَالْعُرْجِ، وَقَالُوا: الطَّعَامُ أَفْضَلُ الْأَمْوَالِ، وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَالْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مَوْضِعَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ، وَالْأَعْرَجُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْجُلُوسِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَزَاحِمَةَ عَلَى الطَّعَامِ، وَالْمَرِيضُ يَضْعَفُ عَنِ التَّنَاولِ، وَلَا يَسْتَوْفِي حَقَّهُ مِنَ الطَّعَامِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَعَلَى هَذَا: فَتَكُونُ (عَلَى) بِمَعْنَى (فِي). أي: لَيْسَ عَلَيْكُمْ فِي مُوَآكَلَةِ الْأَعْمَى وَالْأَعْرَجِ وَالْمَرِيضِ حَرَجٌ.

وقيل: سبب نزولها: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ عَنْ مُوَآكَلَةِ الْأَصْحَاءِ؛ خَوْفَ أَنْ يَسْتَغْدِرُوهُمْ، وَعَلَى هَذَا: فَ(عَلَى) عَلَى بَابِهَا.

(١) انظر «الذخيرة» للإمام القرافي (٣١٥/١٣)، و«تحفة المحتاج» (١٩٣/٧).

وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ.....

﴿وَلَا﴾ حَرَجَ ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بُيُوتِ أولادكم، ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾.....

حاشية الصاوي

وقيل: إِنَّ الآيَةَ نزلت في الجهاد، والمعنى: ليس على هؤلاء حرجٌ في التخلف عن الجهاد. وقيل: كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو.. دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة، ويقولون لهم: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا ممَّا في بيوتنا، فكانوا يتحرَّجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وأصحابها غائبون؛ مخافة ألا يكون إذنهم عن طيب نفس، فنزلت هذه الآية رخصةً لهم. وكلُّ صحيح^(١). إذا علمت ذلك.. فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة، وليس ذلك على العموم؛ فإنَّ ما كُلِّفَ به الصحيح كُلِّفَ به غيره.

قوله: (مُقابليهم) أي: السالمين من هذه الثلاثة.

قوله: (﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾) معطوف على ﴿الْأَعْمَى﴾، والمعنى: ليس عليكم حرجٌ في الأكل من بيوتكم.

قوله: (﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾) بضمِّ الباء وكسرِها، قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي^(٢). قوله: (أي: بيوت أولادكم) أي: ذكوراً أو إناثاً؛ لأنَّ بيت الولد كبيتته؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك»^(٣)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ أطيَّب ما يأكل المرء من كسبه، وإنَّ ولده من كسبه»^(٤)، والحاملُ للمفسِّر على هذا التقدير عدمُ توهُّمِ حرمة الأكل من بيت نفسه، وعدمُ ذكر الأولاد صراحةً، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد بـ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: بيوت أولادكم. قوله: (﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾) أي: وإن علوا.

قوله: (﴿إِخْوَانِكُمْ﴾) جمع أخ، ويجمع على (إخوة) وهو المراد هنا؛ لأنَّ المراد بهم إخوة النسب، وهم مَنْ شاركوهُ في رحم أو صلب.

(١) ذكر الأقوال كلها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٣٠٧)، وانظر «الدر المنثور» (٦/٢٢٣ - ٢٢٦).

(٢) قرأ ورش وأبو عمر وحفص بضمِّ الباء الموحدة، والباقون بكسرِها. انظر «السراج المنير» (٢/٦١٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ.

(٤) رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والنسائي في «المجتبى» (٧/٢٤٠)، وابن ماجه (٢١٣٧) عن سيدتنا عائشة ؓ.

أَوْ بُيُوتِ أَخَوَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ أَخَوَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مِفَاتِحُهُ أَي: خَزَنْتُمُوهُ لِغَيْرِكُمْ، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وَهُوَ مَنْ صَدَّقَكُمْ فِي
مَوَدَّتِهِ، الْمَعْنَى: يَجُوزُ الْأَكْلُ مِنْ بُيُوتِ مَنْ ذَكَرَ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرُوا، أَي: إِذَا عَلِمَ رِضَاهُمْ
بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَتِكُمْ﴾ جمع أخت؛ أَي: مِمَّا تَمْلِكُهُ، أَوْ مِنْ مَلِكِ زَوْجِهَا إِنْ كَانَ صَدِيقاً
لَهُ أَوْ مَأْذُوناً فِيهِ^(١)، وَكَذَا يُقَالُ فِيمَا يَأْتِي.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَقُرِئَ شَذُوذاً بِضَمِّ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَكْسُورَةً؛
أَي: مَلِكُكُمْ غَيْرَكُمْ^(٢).

قوله: ﴿مِفَاتِحُهُ﴾ جَمْعُ (مِفْتَاحٍ) بِكسر الميم فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ: (مِفَاتِيحِهِ) بِالْبَاءِ،
و(مِفْتَاحِهِ) بِالْإِفْرَادِ^(٣).

قوله: (أَي: خَزَنْتُمُوهُ لِغَيْرِكُمْ) أَي: حَفِظْتُمُوهُ بِأَنْ تَكُونُوا وَكَلَاءَ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (عَنِ
بِذَلِكَ وَكَيْلِ الرَّجُلِ وَقِيَمُهُ فِي ضَيْعَتِهِ وَمَاشِيَّتِهِ؛ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرَتِهِ وَثَمَرَةِ ضَيْعَتِهِ،
وَيَشْرَبَ مِنْ لَبَنِ مَاشِيَّتِهِ، وَلَا يَحْمِلُ وَلَا يَدْخُرُ). انْتَهَى^(٤).

قوله: (وَهُوَ مِنْ صَدَقَتِكُمْ فِي مَوَدَّتِهِ) أَي: مَنْ كَانَ خَالِصاً لَكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ.

قوله: (مِنْ بُيُوتِ مَنْ ذَكَرَ) أَي: الْأَصْنَافُ الْأَحَدُ عَشَرَ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الشَّانَ التَّبَسُّطَ بَيْنَهُمْ.

قوله: (أَي: إِذَا عَلِمَ رِضَاهُمْ بِهِ) أَي: وَلَوْ بِقَرِينَةٍ، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ، وَقِيلَ: يَجُوزُ
الْأَكْلُ مِنْ بُيُوتِ مَنْ ذَكَرَ وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ رِضَاهُمْ بِهِ؛ لِأَنَّ الْقِرَابَةَ الَّتِي بَيْنَهُمْ تَقْتَضِي الْعُطْفَ وَالسَّمَاحَ.

(١) فِي (ط ٢): (أَوْ مَأْذُونَةٍ فِيهِ).

(٢) وَبِهَا قَرَأَ ابْنُ جَبْرِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٨/٤٤٤).

(٣) قَرَأَ ابْنُ جَبْرِ (مِفَاتِيحِهِ) بِالْبَاءِ بَعْدَ التَّاءِ جَمْعُ مِفْتَاحٍ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةِ هَارُونَ عَنْهُ: (مِفْتَاحِهِ) بِالْإِفْرَادِ،
وَهِيَ قِرَاءَةُ قَتَادَةَ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٨/٤٤٤).

(٤) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ» (٧/١١٩).

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ : مُجْتَمِعِينَ ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ : مُتَفَرِّقِينَ، جَمَعَ شَتَّ، نَزَلَ فِيمَنْ تَحَرَّجَ أَنْ يَأْكُلَ وَحْدَهُ، وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُؤَاكِلُهُ يَتْرُكُ الْأَكْلَ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لَكُمْ لَا أَهْلَ بِهَا ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: قُولُوا: السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ بِهَا أَهْلٌ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، ﴿تَحِيَّةً﴾ : - مَصْدَرٌ (حَيًّا) -

حاشية الصاوي

فَإِنْ قُلْتُ: عَلَى الْأَوَّلِ حَيْثُ كَانَ مُشْرُوطًا بِعِلْمِ رِضَاهُمْ؛ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ.

وَأَجِيبْ: بِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَكْفِي فِيهِمْ أَدْنَى قَرِينَةٍ، بَلِ الشَّرْطُ فِيهِمْ أَلَّا يَعْلَمَ عَدَمُ الرِّضَا، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؛ فَلَا بَدَّ مِنْ عِلْمِ الرِّضَا بِصَرِيحِ الْإِذْنِ أَوْ قَرِينَةٍ.

قَوْلُهُ: (مُجْتَمِعِينَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿جَمِيعًا﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿تَأْكُلُوا﴾، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿أَشْتَاتًا﴾.

قَوْلُهُ: (جَمَعَ شَتَّ) هُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: التَّفَرُّقُ.

قَوْلُهُ: (نَزَلَ فِيمَنْ تَحَرَّجَ... إلخ) أَي: فَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ بَيَانٌ لِحُكْمِ آخَرٍ، وَهُمْ فَرِيقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَيْثِ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ كِنَانَةٍ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَا يَأْكُلُ وَيَمْكُثُ يَوْمَهُ حَتَّى يَجِدَ ضَيْفًا يَأْكُلُ مَعَهُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُؤَاكِلُهُ.. لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ تَحَرَّجُوا عَنِ الْجُمُعَةِ عَلَى الطَّعَامِ؛ لِاخْتِلَافِ الْآكِلِينَ فِي كَثَرَةِ الْأَكْلِ وَقَلَّتِهِ^(١).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لَكُمْ أَي: مَسَاكِنُكُمْ.

قَوْلُهُ: ﴿تَحِيَّةً﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ مَعْنَى ﴿فَسَلِّمُوا﴾، مِنْ بَابِ: جَلَسْتَ قَعُودًا، وَقُمْتَ وَقُوفًا.

(١) وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ إِلَّا مَعَ ضَيْفِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَرُخِّصَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا، قَالَهُ عِكْرَمَةُ. انْظُرْ «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣/٣٠٨).

مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ يُشَابِعُهَا، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: يُفَصِّلُ لَكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لِكَيْ تَفْهَمُوا ذَلِكَ.

﴿٦١﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ أي: الرَّسُولِ ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كَخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لِعُرُوضِ عُذْرِ لَهُمْ ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أَمْرِهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ثابتة بأمره.

قوله: ﴿مُبْرَكَةٌ﴾ أي: لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب.

قوله: ﴿لِكَيْ تَفْهَمُوا ذَلِكَ﴾ أي: معالِمَ دينكم، فهذا أمرٌ إرشادي وأدبٌ للعباد.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾... إلخ المقصود من هذه الآية: مدحُ المؤمنين الخالصين، والتعريضُ بدمِ المنافقين، و﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ، وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: خبره.

قوله: ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ إسناده الجمع للأمر مجازٌ عقلي، وحقه أن يُسند للمؤمنين.

قوله: (كخطبة الجمعة) أي: والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر... لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي ﷺ؛ بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.

قوله: ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أي: يطلبوا منه الإذن، فيأذن لهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾... إلخ هذا توكيد لما تقدّم، ذكر تفخيماً وتعظيماً للاستئذان.

قوله: ﴿فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك حين استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله، فأذن له النبي ﷺ وقال له:

فَإِذْ لَمَنِ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا

﴿فَإِذْ لَمَنِ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بِالْإِنْصِرَافِ، ﴿وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ﴿٦٢﴾ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بِأَنْ تَقُولُوا: يَا مُحَمَّد، بَلْ قُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِي لِينٍ وَتَوَاضُعٍ وَخَفَضِ صَوْتٍ،
حاشية الصاوي

«ارجع فلست بمنافق»^(١)، وكتخلّف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله ﷺ حين ماتت والنبي مُتجهز لغزوة بدر.

قوله: ﴿فَإِذْ لَمَنِ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم، فإذا أذن لأحد.. عُلِمَ من ذلك أَنَّ رضا الله في إذنه، قال العارف^(٢):
[الوافر]

وخصّك بالهدى في كُلِّ أمرٍ فَلَسْتَ تَشَاءُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لِيُعْوَضَهُمْ بَدَلُ مَا فَاتَهُمْ مِنْ مُجَالَسَتِكَ مِنْ أَجْلِ الْعُذْرِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ.

قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أي: نداءه، بمعنى: لا تُنادوه بِاسْمِهِ فَتَقُولُوا: يَا مُحَمَّد، وَلَا بِكُنْيَتِهِ فَتَقُولُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، بَلْ نَادُوهُ وَخَاطِبُوهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّوْقِيرِ؛ بِأَنْ تَقُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَا إِمَامَ الْمُرْسَلِينَ، يَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ... وغير ذلك.

واستفيد من الآية: أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يُفِيدُ التَّعْظِيمَ؛ لا في حياته، ولا بعد وفاته، فبهذا يعلم أن من استخفّ بجنابه ﷺ.. فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة.

قوله: (وخفض صوت) أي: لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا

(١) وهو قول الضحاك ومقاتل، وقال ابن عباس: إن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة، فأذن له ثم قال: «يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك». انظر «السراج المنير» (٢/٦٤٤).

(٢) من قصيدة للإمام العارف عبد الله بن محمد الشبراوي في ديوانه «مناجى الألفاظ بمدائح الأشراف» (ص ٣٩) مطلعها:
رسول الله ضائق بي الفضا .. وجلّ الخطب وانقطع الرجاء

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، - و﴿قَدْ﴾ للتحقيق - ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: الله أو رسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ﴿٦٤﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق،

حاشية الصاوي

يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿الحجرات: ٢﴾، وهذه الآداب كما تكون في حق النبي تكون في حق حَمَلَة شريعته؛ فينبغي لتلامذة الأشياء أن يفعلوا معهم هذه الآداب، ويتخلقوا بها؛ ليحصل لهم الفتوح والفلاح.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ﴾ أي: يذهبون واحداً بعد واحد؛ لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقي النبي ﷺ المنبر، فإذا كثر الناس.. نظروا يمينا وشمالاً، ويخرجون واحداً بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعاً.

قوله: ﴿لَوْ آذًا﴾ حال من الواو في ﴿يَسْتَلْلُونَ﴾^(١)، من: التلاوذ، وهو: الاستتار؛ بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج.

قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾... إلخ مرتب على ما قبله، وضمّن ﴿يُخَالِفُونَ﴾ معنى (يعرضون) فعده (عن).

قوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول (يحذر)؛ أي: إصابة فتنة.

قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ «أو»: مانعة خلوّ تجوّز الجمع.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾... إلخ كالل دليل لما قبله.

قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والمعنى: أن الله يعلم الأمر الذي في قلوب المنافقين من المخالفة والإعراض عن أوامر الله تعالى.

(١) وقد يكون منصوباً على المصدر من معنى الفعل الأول؛ إذ التقدير: يستللون منكم تسلاً، أو يلاوذون لواءاً. انظر

وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَبِهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

﴿و﴾ يَعْلَمُ ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ - فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْخِطَابِ - أَي: مَتَى يَكُونُ، ﴿فَيُنْتَبِهُهُمْ﴾ فِيهِ ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِهَا ﴿عَلِيمٌ﴾.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ معطوف على (ما) أي: يردُّون إليه، وهو يوم البعث.
قوله: ﴿فَيُنْتَبِهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يخبرهم بأعمالهم، فيثيبهم على الحسنات، ويُعاقبهم على السيئات.



﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ.....﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ إِلَى: رَجِيمًا ﴿فَمَدَنِي، وَهِيَ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعَالَى ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: الْقُرْآنُ؛

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ بِهَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَأَدْلَتِهِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَحْوَالِ الْمَعَادِ.

قَوْلُهُ: (إِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَجِيمًا﴾) أَي: وَهُوَ ثَلَاثُ آيَاتٍ.

قَوْلُهُ: (تَعَالَى) أَي: تَنَزَّهَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَمُمَاثِلَةِ مَا سِوَاهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدِيمٌ، وَمَا سِوَاهُ حَدَثٌ. أَوْ مَعْنَى ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعَازَمَ؛ أَي: اتَّصَفَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَلَا يُوصَفُ بِهَذَا الْوَصْفِ غَيْرُهُ تَعَالَى، فَلَا يُقَالُ: تَبَارَكَ النَّبِيُّ، وَلَا تَبَارَكَ السُّلْطَانُ مِثْلًا، وَهُوَ فَعْلٌ مَاضٍ غَيْرُ مُتَصَرِفٍ؛ فَلَا يَأْتِي مِنْهُ مُضَارِعٌ وَلَا مُصَدَّرٌ وَلَا اسْمٌ فَاعِلٌ.

قَوْلُهُ: (﴿الْفُرْقَانَ﴾) أَي: مِنَ الْفَرْقِ، وَفَعْلُهُ: فَرَّقَ مِنْ بَابِ (قَتَلَ)، وَبِهَا قُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَفَرُّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، وَقُرِئَ شَذُوذًا مِنْ بَابِ (ضَرَبَ)^(١)، وَهُوَ بِالتَّخْفِيفِ فِي الْمَعْنَى، وَبِالتَّشْدِيدِ فِي الْأَجْسَامِ، يُقَالُ: فَرَّقْتُ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ، وَفَرَّقْتُ بَيْنَ الْعَبْدَيْنِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي الْمَعْنَى وَالْأَجْسَامِ.

قَوْلُهُ: (الْقُرْآنُ) وَيُسَمَّى بِهِ الْبَعْضُ كَمَا يُسَمَّى بِهِ الْكُلُّ؛ فَالسُّورَةُ الْوَاحِدَةُ تَسَمَّى فَرْقَانًا، وَالْجَمِيعُ

(١) وَبِهَا قَرَأَ يُوسُفُ بْنُ دَاوُودَ وَعَبِيدُ بْنُ عَمِيرٍ. انظر «الدر المصون» (٤/٢٣٦).

عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

لأنه فرّق بين الحقّ والباطل ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ﴾ أي: الإنسِ والجِنِّ دُونِ الْمَلَائِكَةِ ﴿نَذِيرًا﴾: مُخَوِّفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٢﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

حاشية الصاوي

يسمّى فرقاناً؛ لأنه مُعْجِزٌ للبشر، وفارقٌ بين الحق والباطل، كلاً أو بعضاً، ويصح أن يراد به جملة القرآن، ويكون ﴿نَزَّلَ﴾ مستعملاً في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك، وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل.

قوله: (لأنه فرق بين الحق والباطل) أي: ميّز بينهما، وقيل: لأنه نزل مفرّقاً في أوقات كثيرة.

قوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ إنما وصفه بهذا الوصف؛ لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها.

قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ علة لقوله: ﴿نَزَّلَ﴾، والضمير عائِدٌ على النبي ﷺ؛ لأنه أقرب مذكور،

ويصح أن يكون عائداً على ﴿الْفُرْقَانِ﴾، أو الْمُتَزَّلِ وهو الله تعالى، والأوضح الأول.

قوله: (دون الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ الإنذار خاصٌّ بالإنسِ والجِنِّ؛ لأنَّ الملائكة لا تجوز

عليهم المعاصي والمخالفة؛ لعصمتهم من ذلك وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أُرْسِلَ لهم إرسالٌ تكليفي بما يليق بهم على المعتمد.

والحاصل: أنَّ إرسالَ النبي ﷺ للثقلين إرسالٌ تكليفي، وكذا للملائكة، وأمّا الحيوانات

التي لا تعقل والجمادات.. فإرسالٌ تشريفي.

قوله: ﴿نَذِيرًا﴾ أي: وبشيراً، وإنما اقتصر على الإنذار؛ لأنَّ السورة مكيّة، وفي ذلك الوقت

لم يصلحوا للتبشير.

قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعتٌ للموصول الأول، أو بيانٌ، أو بدلٌ، أو خبرٌ

لمحذوف؛ أي: هو الذي، أو منصوبٌ على المدح، وما بعده من تمام الصلة؛ فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني على جعله تابعاً له.

قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢﴾ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْلَقَ ﴿٢﴾ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا: سَوَاهُ تَسْوِيَةً.

﴿٣﴾ وَاتَّخَذُوا: أَي: الْكُفَّارُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ردُّ على عبَاد الأصنام.

قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كالدليل لما قبله؛ لأنَّ الخالق لكلِّ شيءٍ لا شريك له ولم يتخذ ولدًا.

قوله: (مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْلَقَ) دفع بذلك ما يقال: إنه دخل في (الشيء) ذاته تعالى وصفاته، فأجاب: بأنَّ المراد بالشيء: ما شأنه أن يتعلَّق به الخلق وهو المعدوم.

قوله: (سَوَاهُ تَسْوِيَةً) أي: عدلُه تعديلاً؛ بأن جعله على شكلٍ حسنٍ. ودفع بذلك ما قيل: إنَّ الآية فيها قلبٌ؛ لأنَّ الخلق متأخِّر عن التقدير؛ لأنَّ التقدير أزليٌّ لأنه تعلَّق العلم والإرادة الأزلي، والخلق حادثٌ؛ لأنه تعلَّق القدرة التنجيزيُّ الحادث.

فأجاب: بأنَّ التقدير معناه: التصوير على شكلٍ حسنٍ، ولا شكَّ أنَّ ذلك حاصلٌ بعد إيجاده على طبق العلم والإرادة، وهذا سرُّ قول الغزالي: (ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان)^(١)؛ لأنَّ ما أوجده الله من المخلوقات تعلَّق به العلم والإرادة أزلاً، فوجدَ على طبق ذلك، فإذا كان كذلك.. كان التغيير لذلك مستحيلاً؛ لأنه حينئذٍ ينقلب علم الله جهلاً، وهو لا تعلَّق به القدرة.

إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْكُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١] فإنه يقتضي أنَّ في قدرة الله إذهابَ هذا العالم والإتيانَ بغيره.

أجيب: بأنَّ ما في الآية باعتبار التعلُّق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزاليُّ باعتبار التعلُّق التنجيزيُّ الذي حصل متعلِّقه.

قوله: (أي: الكفار) أي: المعلومون من قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/٢٥٨).

(٢) ويجوز أن يعود على من ادَّعى الله شريكاً وولداً؛ لدلالة قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾، وأن يعود على المنذرين؛ لدلالة ﴿نَذِيرًا﴾ عليهم. انظر «الدر المصون» (٨/٤٥٤).

مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةٌ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله أي: غيرَه ﴿إِلَهَةٌ﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَرَّه، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: إماتةً لِأَحَدٍ وإحياءً لِأَحَدٍ، ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بَعَثًا لِلْأَمْوَاتِ.
 ﴿٤﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا﴾ أي: مَا الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا إِفْكُ﴾: كَذِبٌ ﴿افْتَرَاهُ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾: كُفْرًا وَكَذِبًا، أي: بِهِمَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَهَةٌ﴾ وصفهم بسبعة أوصاف أولها: قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾، وآخرها قوله: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾.

قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يصوِّرون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها.

قوله: ﴿لِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: فضلاً عن غيرهم.

قوله: ﴿ضَرًّا﴾ قدَّمه؛ لأنَّ دفعه أهمُّ، وقدَّم الموت؛ لمناسبة الضرِّ.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله تعالى.

قوله: ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: اختلقه.

قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أراد بهم اليهود؛ حيث قالوا: إنهم يأتون له بالأخبار الماضية، وهو يعبر عنها بعباراتٍ من عنده، فهذا معنى إعانتهم له.

قوله: ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ أي: ردًّا لمقالتهم.

قوله: ﴿كُفْرًا وَكَذِبًا﴾ لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: ﴿أَيُّ: بِهِمَا﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ منصوبان بنزع الخافض، ويصح نصبهما بـ(جاء) بتضمينه معنى (فعل).

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ

﴿٥﴾ وَقَالُوا: أيضاً: هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم، جمع أسطورة - بالضم - ﴿اكْتَتَبَهَا﴾: انتسخها من ذلك القوم بغيره، ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾: تُقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾: لِيَحْفَظَهَا ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: غُدوة وعشيًا، قال تعالى ردًا عليهم:

﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ: الْغَيْبِ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿رَحِيمًا﴾ بِهِمْ.

﴿٧﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أيضاً أي: كما قالوا ما تقدم.

قوله: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدره بقوله: (هو).

قوله: ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ أي: أمر بكتبتها؛ لأنهم يعلمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

قوله: (من ذلك القوم) المناسب أن يقول: (من أولئك القوم).

قوله: (تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾) أي: فليس المراد بالإملاء الإلقاء على الكاتب ليكتبه.

قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ المراد: دائماً أبداً.

قوله: (ردًا عليهم) أي: مقالتهم الشنيعة.

قوله: (الغيب) أي: ما غاب عنا.

قوله: (للمؤمنين) كذا قال المفسر، ويصح أن يكون المراد الكفار، فيكون تعليلاً لمحذوف تقديره: وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به؛ لأنه... إلخ، وقوله: ﴿كَانَ﴾ أي: ولم يزل.

قوله: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾... إلخ^(١) شروع في بعض قبائحهم التي قالوها في حق الرسول عليه السلام، والمعنى: أي شيء حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق لطلبه الرزق كما نفعل؛ فتسميتهم إياه رسولاً بطريق الاستهزاء به.

(١) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن (هذا) خارجة عن أوضاع الخط العربي، وخط المصحف سنة لا تتغير. انظر «الكشاف» (٣/ ٢٧٠).

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا ﴿٧﴾ هَلَّا ﴿٨﴾ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٩﴾ يُصَدِّقُهُ.

﴿٨﴾ أَوْ يُنْفِقَ إِلَيْهِ كَنْزٌ ﴿٩﴾ مِنَ السَّمَاءِ يُنْفِقُهُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ لَطَلَبِ الْمَعَاشِ، ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ﴿١١﴾: بُسْتَانٌ ﴿١٢﴾ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴿١٣﴾ أَي: مِنْ ثِمَارِهَا فَيَكْتَفِي بِهَا، - وَفِي قِرَاءَةٍ: (نَأْكُلُ) بِالنُّونِ أَي: نَحْنُ - فَيَكُونُ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَيْنَا بِهَا، ﴿١٤﴾ وَقَالَ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾ أَي: الْكَافِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿١٦﴾: مَا ﴿١٧﴾ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٨﴾: مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ. قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية.

قوله: (﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾) بالنصب في قراءة العامة على جواب التحضيض، وقرئ شذوذاً بالرفع عطفاً على ﴿أُنْزِلَ﴾^(١).

قوله: (يُصَدِّقُهُ) أَي: يَشْهَدُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ وَالصِّدْقِ.

قوله: (﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾) بالتاء في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالياء؛ لَأَنَّ تَأْنِيثَ الْجَنَّةِ مجازي^(٢).

قوله: (﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾) إظهارٌ في موضع الإضمار، وللإشعار بوصف الظلم وتجاوز الحدِّ فيما قالوا.

قوله: (مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ) أَي: فَالمراد بالسحر: الاختلال في العقل، من إطلاق المَلْزُوم وإرادة اللازم.

(١) وجاز عطفه على الماضي؛ لأن المراد بالماضي المستقبل؛ إذ التقدير: لولا ينزل. انظر «الدر المصون» (٨/٤٥٨).

(٢) وبها قرأ الأعمش وقتادة. انظر «الدر المصون» (٨/٤٥٨).

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ

﴿٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ بِالْمَسْحُورِ وَالْمُحْتَاجِ إِلَى مَا يُنْفِقُهُ وَإِلَى مَلِكٍ يَقُومُ مَعَهُ بِالْأَمْرِ، ﴿فَضَلُّوا﴾ بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا إِلَيْهِ.

﴿١٠﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾: تَكَاثَرَ خَيْرٌ ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الَّذِي قَالُوهُ مِنَ الْكَنْزِ وَالْبُسْتَانِ، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَيَجْعَلُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ خطابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ على سبيل الاستفهام التعجبي؛ أي: تعجَّب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التي كانت سبباً في ضلالهم.

قوله: ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك) أي: ضرب الأمثال.

قوله: (عن الهدى) أي: الحق.

قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يقدرون على الوصول إلى الهدى؛ لما طُغِيَ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ جَامِعٌ لِكُلِّ كَمَالٍ، مُسْتَلَزِمٌ لِنَفْيِ كُلِّ نَقْصٍ، وَحِينَئِذٍ: فَيَحْسَنُ تَفْسِيرَهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يَنَاسِبُهُ، فَلَمَّا كَانَ مَا تَقَدَّمَ مَقَامَ تَنْزِيهِهِ.. فَسَّرَهُ بِ(تَعَالَى)، وَلَمَّا كَانَ مَا هُنَا مَقَامَ إِعْطَاءٍ.. فَسَّرَهُ بِ(تَكَاثَرَ خَيْرُهُ)، وَلَمَّا كَانَ مَا يَأْتِي فِي آخِرِ السُّورَةِ مَقَامَ عَظَمَةِ وَكِبَرِيَاءِهِ.. فَسَّرَهُ بِ(تَعَاضَمَ)، وَهَكَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ مَقَامٍ.

قوله: ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: مما اقترحوا؛ بَأَنْ يُعْجَلَ لَكَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿خَيْرًا﴾.

قوله: (لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله: (أي: في الدنيا)، والمعنى: تَكَاثَرَ خَيْرِ اللَّهِ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِمَّا تَمْنُوهُ لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِإِرَادَةِ اللَّهِ بِهِ؛ لِكَوْنِهِ فَانِيًا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ الْفَانِيَّ جَزَاءً لِأَحِبَّابِهِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ لَا مَقَرٍّ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، وَحَاشَاهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوقَعَ حَبِيبُهُ وَمَنْ كَانَ عَلَى قَدَمِهِ فِي الْحِسَابِ أَوْ الْعِقَابِ.

لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ

- بِالْجَزْم - ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضاً، - وفي قراءة بِالرَّفْعِ اسْتِثْنَاءً - .
﴿١١﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ : الْقِيَامَةِ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ : نَاراً مُسَعَّرَةً
أَي : مُشْتَدَّةً .

﴿١٢﴾ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله : (بالجزم) أي : عطفاً على محل ﴿جَعَلَ﴾ ؛ لأنه جوابُ الشرط ، والمعطوفُ على الجواب جوابٌ .

قوله : (بالرفع استثناءً) أي : أو معطوفٌ على جواب الشرط ، بناءً على أنه غير مجزوم ؛ لقول ابن مالك^(١) : [الرجز]

وَبَعْدَ مَا ضَرَفْتُكَ الْجَزَا حَسَنٌ

وإنما لم يجزم ؛ لضعف تأثير (إن) في الشرط ؛ لكونه ماضياً فارتفع ، والقراءتان سبعيتان^(٢) .
قوله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ : إضرابٌ انتقاليٌّ من ذكر قبائحهم إلى بيان ما لهم في الآخرة من أنواع العذاب .

قوله : ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ (أي : هيئنا وأحضرنا ، وفي هذا دليلٌ على أَنَّ النار مخلوقة الآن ؛ كما أَنَّ الجنة كذلك ؛ لقوله تعالى : ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .
قوله : (ناراً مُسَعَّرَةً) بالتشديد والتخفيف .

قوله : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ (أي : حقيقةً بعينها ؛ لما في الحديث : «من كذب عليَّ معتمداً . . فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً» ، قيل : يا رسول الله ؛ أو لها عينان ؟ قال : «أما سمعتم الله عز وجل يقول : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَعَوْا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ ، يخرج عُنُقَ من النار ، له عينان يُبصران ، ولسان ينطق ، فيقول : وَكَلْتُ بِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ إِلَهًا آخَرَ ، فلهو أَبْصَرَ بِهِ مِنَ الطَّيْرِ بِحَبِّ السَّمْسِمِ يَلْتَقِطُهُ»^(٣) ،

(١) «الخلاصة» ، باب : عوامل الجزم .

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر برفع (ويجعل) ، والباقون بإدغام لام (يجعل) في لام (لك) . انظر «الدر المصون» (٤٥٩/٨) .

(٣) عزاه ابن الأثير في «جامع الأصول» (٥١٨/١٠) بهذا اللفظ لـرزين ، وعند الطبراني في «الكبير» (٧٥٩٩) نحوه .

مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا

مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا: غَلِيَانًا كَالْغَضَبَانِ إِذَا غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الْغَضَبِ، ﴿وَزَفِيرًا﴾: صَوْتًا شَدِيدًا أَوْ سَمَاعَ التَّغَيُّظِ رُؤْيُهُ وَعِلْمُهُ.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - بِأَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، وَ﴿مِنْهَا﴾ حَالٌ مِنْ

حاشية الصاوي

وفي رواية: «يخرج عُتْقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ يَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عُنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ». انتهى^(١).

وهذا مذهبُ أهل السنة، وقالت المعتزلة: الكلام على حذف مضاف؛ أي: رَأَتْ زَبَانِيَّتُهَا؛ بِنَاءٍ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الرُّؤْيَا مُشْرُوطَةٌ بِالْحَيَاةِ.

قوله: ﴿مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ﴾ قيل: هو مَسِيرَةُ سَنَةٍ، وَقِيلَ: مِثْلُ سَنَةٍ، وَقِيلَ: خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ.

قوله: ﴿أَوْ سَمَاعُ التَّغَيُّظِ: رُؤْيُهُ وَعِلْمُهُ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ السَّمَاعَ لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ الرُّؤْيَا وَالْعِلْمُ، وَأَجِيبُ أَيْضًا^(٢): بِأَنَّ الْمُرَادَ سَمَاعَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ الْغَلِيَانُ، وَقَدْ أَفَادَهُ أَوَّلًا، فَتَحَصَّلَ أَنَّ الْمَفْسَّرَ أَجَابَ بِجَوَابَيْنِ^(٣).

قوله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا﴾ أي: طُرِحُوا.

قوله: ﴿مَكَانًا﴾ منصوب على الظرفية؛ أي: فِي مَكَانٍ.

قوله: ﴿بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ﴾ أي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٤).

قوله: ﴿بِأَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كَضِيقِ الْحَائِظِ عَلَى الْوَتْدِ الَّذِي يَدْقُ فِيهِ بَعْنَفٌ.

(١) رواها الترمذي (٢٥٧٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: عما قيل: إن التغيط لا يسمع.

(٣) عبارة السمين في «الدر المصون» (٤٦١/٨): (إن قيل: التغيط لا يسمع. . فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها: أنه على حذف مضاف؛ أي: صوت تغيطها، والثاني: أنه على حذف تقديره: سمعوا وراوا تغيطاً وزفيراً، فيرتفع كل واحد إلى ما يليق به؛ أي: راوا تغيطاً، وسمعوا زفيراً، والثالث: أن يضمن «سمعوا» معنى يشمل الشيتين؛ أي: أدركوا لها تغيطاً وزفيراً).

(٤) قرأ المكي بسكون الياء، وغيره بكسرها مُشَدَّدَةً. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٦).

مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ.....

﴿مَكَانًا﴾ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لَهُ، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مُصَفَّيْنِ قَدْ قُرِنَتْ - أَي: جُمِعَتْ - أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ، - وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ - ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هَلَاكًا، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كَعَذَابِكُمْ. ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المَذْكُورُ مِنَ الْوَعِيدِ وَصِفَةِ النَّارِ.....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنه في الأصل صفة له) أي: وهو نكرة، ومن المعلوم: أن نعت النكرة إذا تقدّم عليها يعرب حالاً؛ كقول الشاعر^(١): [مجزوء الوافر]

لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلُلُ

والأصل: لميّة طللٌ موحش.

قوله: (﴿مُقَرَّنِينَ﴾) حال من الواو في ﴿الْقَوَا﴾، والتقرين: تقييدُ الأرجل، وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل.

قوله: (﴿مُصَفَّيْنِ﴾ من التصفيد، وهو: الشّدُّ والإيثاقُ بالقيود.

قوله: (﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾) أي: في ذلك المكان.

قوله: (﴿ثُبُورًا﴾) أي: فيقولون: يا ثُبُوراه؛ هذا أوانك فاحضر؛ لأنه أخفّ ممّا هم فيه.

قوله: (فيقال لهم) أي: على سبيل التّهكّم والسخرية بهم.

قوله: (﴿ثُبُورًا وَاحِدًا﴾) أي: مرة واحدة.

قوله: (﴿كَعَذَابِكُمْ﴾) تشبيهٌ في الكثرة، وفي نسخة: باللام؛ أي: لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك.

قوله: (﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾) الاستفهام للتوبيخ والتفريع، وإلا... فليس في النار خيرٌ.

(١) تمام البيت: يلوح كأنه خلل، ومن روى أوله: لعزة موحشاً... إلخ قال: هو لكثير عزة، منهم أبو عليّ في «التذكرة القصريّة»، ومن رواه: لميّة موحشاً... قال: إنّه لذى الرّمة؛ فإنّ عزة اسم محبوبه كثير، وميّة اسم محبوبه ذي الرمة. والشاهد فيه على مذهب سيبويه من جواز مجيء الحال من النكرة، وغيره يجعل الحال من الضمير في الخبر. انظر «خزانة الأدب» (٢١١/٣).

خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِيراً ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَاءً﴾: ثواباً ﴿وَمَصِيراً﴾: مرجعاً؟

﴿١٦﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ - حال لازمة - ﴿كَانَتْ﴾ وعدُّهم ما ذُكِرَ ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً﴾ يسأله مَنْ وُعدَ به، ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، أو تسأله لَهُم الملائكة، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨].

﴿١٧﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (في علمه تعالى) جوابٌ عمّا يقال: إنها لم تكن جزاءً ومصيراً الآن، فأجاب: بأنَّ المعنى قد سبق في علم الله بأنها تكون لهم جزاءً ومصيراً.
قوله: (مرجعاً) أي: مستقراً.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ (أي: من النعيم اللائق بهم، وأمّا ما لا يليق بهم.. فلا يخطر ببالهم، فكلُّ إنسانٍ يرضيه الله بما أعطاه، ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه، ولا يخطر بباله سؤاله، وبهذا اندفع ما قيل: إنَّ مقتضى الآية أن الإنسان يتمنّى مراتب الأنبياء في الجنة ويُعطاه).

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿لَهُمْ﴾، أو من الواو في ﴿يَشَاءُونَ﴾.

قوله: ﴿كَانَتْ﴾ وعدُّهم ما ذكر) أشار بذلك إلى أنَّ اسم ﴿كَانَ﴾ يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا﴾ (أي: كما قال تعالى حكايةً عن دعائهم لأنفسهم، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (أي: كما قال تعالى حكايةً عن دعاء الملائكة للمؤمنين).

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ (ظرفٌ معمولٌ لمحذوفٍ تقديره: اذكر، والضمير في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ للعابدين لغير الله).

وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۖ

- بِالنُّونِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ - ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعُزَيْرٍ وَالْجِنِّ، ﴿فَيَقُولُ﴾ تَعَالَى - بِالتَّحْتَانِيَّةِ وَالنُّونِ لِلْمَعْبُودِينَ - إِبْطَاتًا لِلْحُجَّةِ عَلَى الْعَابِدِينَ: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا، وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾: أَوْقَعْتُمُوهُمْ فِي الضَّلَالِ بِأَمْرِكُمْ إِيَّاهُمْ بِعِبَادَتِكُمْ، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: طَرِيقَ الْحَقِّ بِأَنْفُسِهِمْ؟

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون) أي: مع النون في (نقول)، أو الياء، وقوله: (والتحتانية) أي: مع التحتانية في (يقول)، فالقراءات ثلاث سبعيات، خلافاً لما يوهمه المفسر أنها أربع^(١).

قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ (مَعْطُوفٌ عَلَى مَفْعُولٍ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، وَأَوْقَعَ (مَا) عَلَى الْعُقَلَاءِ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَهَذَا مَا يَفِيدُهُ الْمَفْسَّرُ بِالتَّمْثِيلِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَرَادَ مِنْ (مَا) الْعَاقِلُ وَغَيْرُهُ كَالْأَصْنَامِ، وَغَلَبَ غَيْرُ الْعَاقِلِ عَلَى الْعَاقِلِ؛ لِكَثْرَتِهِ.

قوله: (إِثْبَاتًا لِلْحُجَّةِ عَلَى الْعَابِدِينَ) أي: وَتَبْكِيتًا لَهُمْ، وَهُوَ جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ فِي الْأَزَلِّ بِمَا ذَكَرَ؛ فَمَا فَائِدَةُ هَذَا السُّؤَالِ؟

قوله: (بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ) أي: مَعَ إِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا وَتَرْكِه؛ فَالتَّحْقِيقُ فِيهِ قِرَاءَتَانِ، وَالتَّسْهِيلُ كَذَلِكَ، وَالإِبْدَالُ وَاحِدَةٌ، فَتَكُونُ خَمْسًا، خِلَافًا لِمَا يُوْهَمُهُ الْمَفْسَّرُ مِنْ أَنَّهَا أَرْبَعٌ، وَكُلُّهَا سَبْعِيَّةٌ^(٢).

إِنْ قُلْتَ: عَلَى قِرَاءَةِ الإِبْدَالِ يَلْزِمُ عَلَيْهِ التَّقَاءُ السَّاكِنِينَ عَلَى غَيْرِ حَذِّهِ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ. . أَجِيبُ: بِأَنَّ مَحَلَّ مَنَعِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَسْمُوعًا، وَهَذَا مَسْمُوعٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ نَعْتٌ لـ ﴿عِبَادِي﴾، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ، أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ.

(١) قرأ ابن عامر: (نحشروهم)، (فنقول) بالنون فيهما، وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما، والباقون بالنون في الأول، وبالياء في الثاني. انظر «الدر المصون» (٨/٤٦٣).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتسهيل والتحقيق، وكلُّ منهما مع الإدخال، والباقون بالتحقيق بلا إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٦).

قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ
حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾

﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ تَنْزِيهًا لَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ، ﴿مَا كَانَ يَلْبِغِي﴾: يَسْتَقِيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غَيْرِكَ ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ - مفعول أول، و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني - فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾: تَرَكُوا المَوْعِظَةَ والإيمانَ بِالْقُرْآنِ، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: هَلَكَى. قال تعالى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: المعبودون، وهو كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا في الجواب؟

قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أتباعاً يعبدوننا، ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون؛ أي: معبودون لنا؛ لأنَّ الولي كما يطلق على المتبوع يُطلق على التابع؛ كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني.

إذا علمت ذلك.. فالتبري حاصلٌ في هذه الآية من الأولياء بمعنى: المعبودين أو العابدين لغير الله، وأما بمعنى: مَنْ تَوَلَّوْا خدمةَ الله، أو مَنْ تَوَلَّاهُمْ الله فلم يَكِلْهُمْ لغيره.. فقد اتَّخذهم الله وأمرَ بالتعلُّق بأذيالهم.

قوله: (مفعول أول) أي: لـ ﴿نَتَّخِذُ﴾:

قوله: (وما قبله) أي: وهو قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾.

قوله: (فكيف نأمر بعبادتنا) أي: بعبادتهم إيانا، فنحن لم نُضِلَّهُمْ.

قوله: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ﴾... إلخ استدراكٌ لرفع ما يتوهم ثبوته، والمعنى: أنت أنعمت عليهم بنعمٍ عظيمةٍ، فجعلوا ذلك سبباً للضلال، وليس لنا مدخلٌ في ذلك، وفي هذا الاستدراك رجوعٌ للحقيقة.

قوله: (تركوا الموعظة) أي: غفلوا عن التذكر في آياتك؛ فالنسيان معناه: الترك.

قوله: ﴿بُورًا﴾ (يحتمل أنه جمع بائر، أو مصدر من البوار، وهو الهلاك).

فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذْفُهُ
عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَكْمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ

﴿١٩﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ أَي: كَذَّبَ الْمَعْبُودُونَ الْعَابِدِينَ ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ - بِالْفُوقَانِيَّةِ -
أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ - بِالتَّحْتَانِيَّةِ وَالْفُوقَانِيَّةِ - أَي: لَا هُمْ وَلَا أَنْتُمْ ﴿صَرْفًا﴾: دَفْعًا
لِلْعَذَابِ عَنْكُمْ، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: مَنَعًا لَكُمْ مِنْهُ، ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ﴾: يُشْرِكُ ﴿مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا
كَبِيرًا﴾: شَدِيدًا فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَكْمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ
فَأَنْتَ مِثْلُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ خطابٌ للعابدين، فالواو واقعة على المعبودين، والكاف
على العابدين، وقوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أَي: فيما تقولون، وقوله: ﴿بِالْفُوقَانِيَّةِ﴾ أي باتفاق العشرة،
وقوله: ﴿إِنَّهُمْ آلِهَةٌ﴾ مَقُولُ الْقَوْلِ.

قوله: ﴿أَي: لَا هُمْ﴾ راجع للتحتانية، وقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ راجع لل فوقانية^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ﴾ أَي: أيها المكلفون من العابدين والمعبودين، فظلم العابد
بعبادته غير الله، وظلم المعبود برضاه بذلك.

قوله: ﴿نَذْفُهُ﴾ بنون العظمة في قراءة العامة.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾... إلخ المقصود من هذه الآية: تَسْلِيَتُهُ ﷺ، والردُّ على
المشركين حيث قالوا: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ الجملة حالية، و﴿إِنَّ﴾: مكسورة باتفاق القراء، واللام: للابتداء رُحِلَتْ
للخبر، والمعنى: ما أُرْسِلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالَةٍ أَكَلَهُمُ الطَّعَامَ
وَمَشَاهُم فِي الْأَسْوَاقِ؛ أَي: فهذه عادتهم ودأبهم؛ فَإِنَّ هَجُوكَ بِذَلِكَ.. فقد هَجَوْا جميع الأنبياء،
فلا تحزن.

(١) قرأ حفص بناء الخطاب، وغيره بياء الغيبة. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٦).

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: بَلِيَّةٌ؛ ابْتَلَى الْغَنِيُّ بِالْفَقِيرِ وَالصَّحِيحُ بِالْمَرِيضِ وَالشَّرِيفُ بِالْوَضِيعِ، يَقُولُ الثَّانِي فِي كُلِّ: مَا لِي لَا أَكُونُ كَالأَوَّلِ فِي كُلِّ؟ ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ عَلَى مَا تَسْمَعُونَ مِمَّنْ ابْتُلِيتُمْ بِهِمْ؟ - اسْتَفْهَامٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ - أَي: اصْبِرُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي: إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، فَجَعَلَ بَعْضَ الْعَبِيدِ فِتْنَةً لِبَعْضٍ؛ لِيُظْهِرَ الصَّابِرَ مِنْ غَيْرِهِ.

قوله: (ابتلى الغني بالفقير... إلخ) أي: فَالْغَنِيُّ مُمْتَحَنٌ بِالْفَقِيرِ بِحَسَدِهِ، وَالْفَقِيرُ مُمْتَحَنٌ بِالْغَنِيِّ يَسْخَرُ بِهِ وَيَحْتَقِرُهُ، وَالصَّحِيحُ مُمْتَحَنٌ بِالْمَرِيضِ يَقُولُ: لِمَ لَمْ تُعَافَ وَنَصِيرَ مِثْلَ هَذَا؟ وَالْمَرِيضُ مُمْتَحَنٌ بِالصَّحِيحِ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ وَيَغْتَرُّ بِصِحَّتِهِ، وَالشَّرِيفُ - كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ - مُمْتَحَنٌ بِالْوَضِيعِ بِحَسَدِهِ عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَهَكَذَا.

والمخلص من ذلك: الصبرُ على أحكام الله، والرضا بها؛ لأنَّ الواجب على الإنسان أن يَنْظُرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ؛ لِثَلَا يَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَفِي أُمُورِ الْآخِرَةِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ؛ لِيَعْرِفَ نَفْسَهُ فَيَرْجِعَ عَلَيْهَا بِاللُّومِ وَالنَّدَمِ، وَمَنْ هُنَا يَنْبَغِي صَحْبَةُ الصَّالِحِينَ وَالْمَسَاكِينِ وَمُرَافَقَتُهُمْ؛ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ.

قوله: (يقول الثاني) أي: الْفَقِيرُ وَالْمَرِيضُ وَالْوَضِيعُ، وَقَوْلُهُ: (فِي كُلِّ) أَي: مِنْ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْفِتْنَةُ أَنْ يَحْسَدَ الْمَعَافَى الْمُبْتَلَى، وَالصَّبْرُ أَنْ يَحْبِسَ كُلُّ مَنْهُمَا نَفْسَهُ؛ هَذَا عَنِ الْبَطْرِ، وَهَذَا عَنِ الضَّجَرِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْجَاهِلِ، وَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مِنَ الْعَالَمِ، وَوَيْلٌ لِلْمَالِكِ مِنَ الْمَمْلُوكِ، وَوَيْلٌ لِلْمَمْلُوكِ مِنَ الْمَالِكِ، وَوَيْلٌ لِلشَّدِيدِ مِنَ الضَّعِيفِ، وَوَيْلٌ لِلضَّعِيفِ مِنَ الشَّدِيدِ، وَوَيْلٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنَ الرُّعِيَّةِ، وَوَيْلٌ لِلرُّعِيَّةِ مِنَ السُّلْطَانِ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةٌ»، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾^(١).

قوله: (استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين، والوجه الآخر: أَنَّ الاسْتَفْهَامَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ أَي: لِيَنْظُرَ أَحْصُلُ مِنْكُمْ صَبْرًا أَمْ لَا؟ فَيُجَازِيَكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

(١) رواه الثعلبي بإسناده في «الكشف والبيان» (١٢٨/٧).

وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بِمَنْ يَصْبِرُ وَبِمَنْ يَجْزَعُ.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ﴾: فَكَانُوا رُسُلًا إِلَيْنَا، ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾: فَتُخْبِرُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾: تَكَبَّرُوا ﴿فِي﴾: شَأْنِ ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾: طَغَوْا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: بِطَلْبِهِمْ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا. وَ(عُتُوًّا) بِالْوَاوِ عَلَى أَصْلِهِ، بِخِلَافِ (عِتْيٍ) بِالِإِبْدَالِ فِي (مَرِيم).

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ في ذلك تأنيسٌ للعبد؛ أي: إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ وَمَطْلَعٌ عَلَى مَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ يَجْزَعُ؛ فَلَا تَبْغِي الشُّكُوى لِلْخَلْقِ، وَلَا إِظْهَارُ مَا فِي الْقُلُوبِ، بَلْ إِنْ وَجَدَ الشَّخْصَ فِي نَفْسِهِ صَبْرًا.. فَلْيَشْكُرِ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ.. فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ بِالْندَمِ وَالتَّوْبَةِ.

قوله: ﴿لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ﴾ أي: لِأَنَّهُمْ مُنْكَرُونَ لَهُ، فَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُونَ مِنْهُ.

قوله: ﴿هَلَّا﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ تَحْضِيضِيَّةٌ.

قوله: ﴿فَكَانُوا رُسُلًا إِلَيْنَا﴾ أي: بِالشَّرَائِعِ وَنَحْوِهَا بَدَلَ مُحَمَّدٍ.

قوله: ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ أي: يَكْشِفُ الْحِجَابَ لَنَا، فَتَرَاهُ عَيَانًا.

قوله: ﴿فَتُخْبِرُ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ؛ أي: يَخْبِرُنَا هُوَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ.

قوله: ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ أي: رَدًّا عَلَيْهِمْ مَقَالَتِهِمْ.

قوله: ﴿تَكَبَّرُوا﴾ أي: حَيْثُ لَمْ يَرْضَوْا بِأَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، بَلْ طَمَعُوا أَنْ يَكُونَ

مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

قوله: ﴿فِي﴾ شَأْنِ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: إِنَّهُمْ عَدُّوا أَنْفُسَهُمْ كَبِيرَةً لِأَمْرِ قَامَ بِهَا.

قوله: ﴿بَطْلِبُهُمْ رُؤْيَا اللَّهِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ(عُتُوًّا)، وَالبَاءُ لِلْسَّبِيَّةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ مُتَعَلِّقٌ ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾ وَقَدْ عَلِمْتَهُ، وَفِي الْآيَةِ لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ، فَالِاسْتِكْبَارُ رَاجِعٌ لَطَلْبِهِمْ لِنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْعُتُوُّ رَاجِعٌ لَطَلْبِهِمْ رُؤْيَا اللَّهِ.

قوله: ﴿عَلَى أَصْلِهِ﴾ أي: مِنْ غَيْرِ إِبْدَالٍ.

قوله: ﴿بِالِإِبْدَالِ فِي «مَرِيم»﴾ أي: لِمُنَاسَبَةِ رُؤُوسِ الْآيِ، وَأَصْلُهُ: ﴿عُتُوًّا﴾، كَسَرَتْ التَّاءُ،

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

﴿٢٢﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جُمْلَةِ الْخَلَائِقِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، - وَنَصَبُهُ بِ(اذْكُرْ) مُقَدَّرًا - ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الْكَافِرِينَ، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمُ الْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ شِدَّةٌ، أي: عَوْدًا مُعَاذًا يَسْتَعِيدُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَدِمْنَا﴾: عَمَدَنَا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ مِنَ الْخَيْرِ كَصَدَقَةٍ وَصِلَةٍ رَجِمَ وَقُرَى ضَيْفٍ وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ
حاشية الصاوي

فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة، قلبت ياء، ثُمَّ اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء.

قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي: المتولين عذابهم.

قوله: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾ هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾، تقديره: قائلين لهم: لا بشرى.

قوله: (لهم البشرى بالجنة) أي: لقوله تعالى: ﴿بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحديد: ١٢].

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾، فالضمير للكفار.

قوله: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ العامة على كسر الحاء، وقرئ شذوذاً بفتحها وضمها^(١).

قوله: (يستعيدون من الملائكة) أي: يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة.

قوله: (عمدنا) أي: تعلقت إرادتنا، ودفع بذلك ما قيل: إِنَّ الْقُدُومَ مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، وَهُوَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَفَسَّرَهُ بِإِلْزَامِهِ وَهُوَ الْقَصْدُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْقَصْدِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: تَعَلَّقَ إِرَادَتُهُ بِالشَّيْءِ.

قوله: (وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصير، أو فتحها مع المد، ومعناه: الإحسان إليه.

(١) الضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وهو لغة فيه، وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح، قال: (وقد قرئ بها). انظر «الدر المصون» (٨/٤٧٤).

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

في الدنيا، ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يُرى في الكُوى التي عليها الشمس كالغبار المُفَرَّق، أي: مثله في عَدَمِ النِّفَعِ بِهِ؛ إذ لا ثَوَابَ فِيهِ لِعَدَمِ شَرْطِهِ، وَيُجَازُونَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿٢٤﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مِنْهُمْ أَي: مَوْضِعَ قَائِلَةٍ فِيهَا وَهِيَ الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ فِي الْحَرِّ، وَأُخِذَ مِنْ ذَلِكَ انْقِضَاءُ الْحِسَابِ فِي نِصْفِ نَهَارٍ كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا) متعلق بـ﴿عَمِلُوا﴾.

قوله: (في الكوى) جمع كُوة وهي: الطاقة في الحائط، بفتح الكاف وضمُّها.

قوله: (لعدم شرطه) أي: وهو الإيمان.

قوله: (ويجازون عليه في الدنيا) أي: بإعطاء المال والولد وغير ذلك من مَلَاذُ الدنيا، فأعمالُ الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نِيَّةٍ يُعْطَى جزاءها في الدنيا، وَأَمَّا مَا تَتَوَقَّفُ عَلَى نِيَّةٍ.. فلا يجد لها جزاءً أصلاً؛ لعدم صحتها.

قوله: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين) أي: إِنَّ مُسْتَقَرَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا، فـ(أفعل) التفضيل على بابه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (في الدنيا)، فهو جوابُ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ مُسْتَقَرَّ أَهْلِ النَّارِ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ اسْتِقْرَارُ كُلِّ فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّفْضِيلُ لَيْسَ مُرَادًا، بَلِ الْمَقْصُودُ التَّفْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ لِلْكَفَارِ.

قوله: (من ذلك) أي: من قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

قوله: (كما ورد في الحديث) قال ابن مسعود: (لا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ)^(١). وَالْقِيلُ: الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ نَوْمٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ وَالْجَنَّةُ لَا نَوْمَ فِيهَا، وَيُرْوَى: «أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْصُرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ كَمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ»^(٢).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٣/٢)، والبخاري في «شرح السنة» (٤٣٦٩).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٥٩/١٩) عن سعيد الصواف أنه بلغه: «أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... إلخ».

وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾

﴿٢٥﴾ «وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ» أي: كُلُّ سَمَاءٍ «بِالْغَمِّ» أي: مَعَهُ، وهو غَمٌ أبيض، «وَنُزِلَ الْمَلَكُ» مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ «تَنْزِيلًا» هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، - وَنَصَبُهُ بِ(اذْكُرْ) مُقَدَّرًا، وفي قِرَاءَةِ بِتَشْدِيدِ شَيْنٍ «تَشَقُّ» بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا، وفي أُخْرَى: (تُنْزِلُ) بِنُونَيْنِ الثَّانِيَةِ سَاكِئَةٍ، وَضَمِّ اللَّامِ وَنَصْبِ (الْمَلَائِكَةِ) ..

حاشية الصاوي

قوله: «وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ» (يوم): ظُفِرَ معمولٌ لمحذوفٍ، تقديره: اذكر؛ كما قال المفسر.

قوله: (أي: كل سماء) أشار بذلك إلى أَنَّ (أل) في «السَّمَاءُ» استغراقية.

قوله: (أي: معه) أشار بذلك إلى أَنَّ الباء بمعنى (مع)، ويصح أن تكون للسبيبة، أو للملابسة، أو بمعنى (عن).

قوله: (وهو غيمٌ أبيض) أي: سحابٌ فوق السماوات السبع، يُخَنُّهُ كُثُخُنُ السماوات السبع، ويُثَقِّلُهُ كَثَقْلُهَا، فيُنْزَلُ عَلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فيُخْرِقُهَا بِثِقَلِهِ، وهكذا حتى يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، وفيه ملائكة كُلِّ سَمَاءٍ، فيُنْزَلُ أَوَّلًا ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل أهل الأرض عشر مَرَاتٍ، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم مثلهم عشرون مرة، وهكذا، وإذا نَزَلَ ملائكة سماء الدنيا.. اصطَفَوْا حَوْلَ الْعَالَمِ المجموع في المحشر صفًا، وإذا نَزَلَ ملائكة السماء الثانية.. اصطَفَوْا خَلْفَ هَذَا الصَّفِّ صفًا آخَرَ، وهكذا حتى تُصِيرَ الصَّفُوفُ سَبْعَةً، كُلُّهُمْ يَحْرُسُونَ أَهْلَ الْمَحْشَرِ مِنَ الْفِرَارِ، وَيَطْرُدُونَ عَنْهُمْ النَّارَ، وتَقَدَّمَ بَسَطَ ذَلِكَ فِي (سورة إبراهيم) عند قوله تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» [إبراهيم: ٤٨] ^(١).
صقوله: (ونصبه بـ«اذكر» مقدرًا) أي: وهو معطوف على «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ»، وكذا قوله: «وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ».

قوله: (في الأصل) أي: قبل قلبها شيئاً وتسكينها وإدغامها في الشين.

قوله: (وفي أخرى: «وننزل» بنونين... إلخ) هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، فتحصل أنَّ القراءات ثلاثٌ سَبْعِيَّاتٌ؛ فعند تشديد الشين يجوز في (ننزل) القراءتان، وعند التخفيف يجوز في (ننزل) قراءة واحدة، وهي كونه ماضياً مبنياً للمفعول، خلافاً لما يُوهمه المفسر من أنها أربع ^(٢).

(١) انظر (٣/٤٩١-٤٩٢).

(٢) قرأ الكوفيون وأبو عمرو: (تشقق) بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وقوله: «وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ» فيها اثنتا عشرة قراءة: ثتان في المتواتر، وعشرٌ في الشاذ؛ فقرأ ابن كثير من السبعة: (وننزل) ونصب (الملائكة)، وقرأ الباقيون من السبعة: (وننزل). انظر «الدر المصون» (٨/٤٧٧).

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ

﴿٢٦﴾ «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» لا يَشْرِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، «وَكَانَ» الْيَوْمُ «يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا»: شديداً، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٢٧﴾ «وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ»: الْمُشْرِكُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، كَانَ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ ثُمَّ رَجَعَ إِرْضَاءً لِأَبِي بَنْ خَلَفَ «عَلَى يَدَيْهِ» نَذْمًا وَتَحَسُّرًا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: («الْمَلِكُ») مبتدأ، و«يَوْمَئِذٍ»: ظرف له، و«الْحَقُّ»: نعت له، و«لِلرَّحْمَنِ»: خبره، والمعنى: أَنَّ الْمَلِكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وحكمة التقييد بهذا اليوم وإن كان الملك لله في كل يوم: أَنَّ ثبوت الملك له خاصّة في ذلك اليوم، فليس لأحد ملك ظاهر أبداً، وأمّا فيما عداه من أيام الدنيا.. فيكون للخلق تصرفٌ صوريٌّ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (لا يشركه فيه أحد).

قوله: (بخلاف المؤمنين) أي: فليس عليهم عسيراً؛ لما ورد: «أَنَّهُ يَهُونُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ»^(١).

قوله: («وَيَوْمَ») منصوب بـ(اذكر)، أو معطوفٌ على «يَوْمَ بَرٍّ» كما تقدّم.

قوله: («يَعِضُّ الظَّالِمُ») هو من باب (تعب) أو (نفع)، والمعنى: أَنَّ الْكَافِرَ حِينَ يَرَى النَّارَ وَيَسْمَعُ تَغِيظَهَا وَزَفِيرَهَا يَعِضُّ عَلَى يَدَيْهِ، قَالَ عَطَاءٌ: يَأْكُلُ الظَّالِمُ يَدَيْهِ حَتَّى يَأْكُلَ مَرْفَقَيْهِ، ثُمَّ يَنْبَتَانِ، ثُمَّ يَأْكُلُهُمَا، وَهَكَذَا كُلَّمَا تَنَبَّتْ يَدَاهُ يَأْكُلُهُمَا^(٢).

قوله: (عقبة بن أبي معيط) أشار المفسر بذلك إلى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ظَالِمٍ خَاصٍّ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِ كُلُّ ظَالِمٍ، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الظَّالِمِينَ عَمُومًا.

قوله: (كان نطق بالشهادتين...) إلخ) وذلك أَنَّهُ صَنَعَ طَعَاماً وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدَّمَ الطَّعَامَ.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِأَكْلٍ طَعَامَكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٧٥/٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٨١/٦).

يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

﴿يَقُولُ يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ : مُحَمَّدٌ ﴿سَيْلًا﴾ : طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى .

﴿٢٨﴾ ﴿يَوَيْلَتِي﴾ - أَلِفُهُ عَوْضٌ عَنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ - أَي : وَيَلْتِي ، وَمَعْنَاهُ : هَلَكْتِي ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا﴾ أَي : أُبَيًّا ﴿خَلِيلًا﴾ .

حاشية الصاوي

إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ففعل، فأكل رسول الله من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأبي بن خلف، فلما أخبر بذلك.. قال له: يا عقبة صبات؟ قال: لا، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له، فطعم، فقال: ما أنا راض عنك حتى تأتية فتبرق في وجهه، ففعل ذلك عقبة، فعاد بزاقه على وجهه فحرقه، فقال رسول الله ﷺ: «لا أراك خارج مكة إلا علوث رأسك بالسيف»، فأسير يوم بدر فأمر علياً فقتله، وطعن النبي ألياً بأحد في المبارزة، فرجع إلى مكة ومات^(١).

وحكم الآية عامٌ في كل صاحبين اجتمعوا على معصية الله تعالى؛ لما روي: «يُحْشَرُ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢).

قوله: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَعُضُّ﴾.

قوله: (للتنبية) أي: وليست للنداء؛ لأنَّ المنادى شرطه أن يكون اسماً، و(ليت) حرف تمنٍّ، أو للنداء والمنادى محذوف؛ أي: يا قوم.

قوله: (عوض عن ياء الإضافة) أي: وأصله: ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، فتحت التاء، فتحرّكت وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه: ويلنا: مضاف، والألف مضاف إليه في محل جرٍّ، وليس لنا ألفٌ في محل جرٍّ إلا ما كانت عوضاً عن ياء المتكلم.

قوله: ﴿لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ فلان: كناية عن عَلمٍ مَنْ يَعْقِلُ مِنَ الذَّكُورِ، وفُلانة: كناية عن عَلمٍ مَنْ يَعْقِلُ مِنَ الْإِنَاثِ.

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠١)، وفيه أن الذي قتله عاصم بن ثابت. وانظر «زاد المسير» (٣/٣١٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ بدون لفظ «يحشر».

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

﴿٢٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بِأَنْ رَدَّنِي عَنِ الْإِيمَانِ
بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرَ﴾ خَذُولًا بِأَنْ يَتْرُكُهُ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ عِنْدَ
الْبَلَاءِ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ: ﴿يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي﴾ قُرَيْشًا ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾:
مَتْرُوكًا، قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي﴾ (علة لتميئه، وأكَّده باللام القسمية؛ إظهاراً لندمه وتحسره.

قوله: (أي: القرآن) أي: وقيل: كلمة الشهادة.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ...﴾ إلخ جملة مستأنفة من كلامه
تعالى، وكلام الظالم تمَّ عند قوله: ﴿جَاءَنِي﴾.

قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: وهو كلُّ عاتٍ متمردٍ صَدَّ عن سبيل الله من الجنِّ والإنس.

قوله: (بأن يتركه) أي: يترك نصره.

قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، وما بينهما اعتراضٌ
مَسْجُوقٌ لاستعظام ما قالوه، أو لبيان ما يحقُّ بهم في الآخرة من الأهوال. وهذا القول قيل: صدر
منه في الدنيا، وعليه يحمل قول المفسِّر: (فاصبر كما صبروا)، وقيل: سيقع منه في الآخرة حال
إقامة الحجة عليهم؛ ولذا ورد أنه يقول حين نزول العذاب بهم: «سحقاً سحقاً»^(١).

قوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ أي: فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين
عن القرآن الذين لم يؤمنوا به، لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وإن كان يُعَاتَبُ عليه في الآخرة؛
لما ورد: «من تعلَّم القرآن وعلَّق مصحفه لم يتعهده ولم ينظر فيه... جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول:
يا رب؛ عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه»^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠/٢٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في ردِّ أقوام عن حوضه ﷺ.

(٢) رواه الثعلبي بإسناده في «الكشف والبيان» (١٣٢/٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ

﴿٣١﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوًّا من مُشْرِكِي قَوْمِكَ ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قَبْلَكَ ﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: المُشْرِكِينَ، فاصْبِرْ كما صَبَرُوا، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لَكَ ﴿وَنَصِيرًا﴾: نَاصِرًا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، قَالَ تَعَالَى: نَزَّلْنَاهُ ﴿كَذَلِكَ﴾ مُتَفَرِّقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: نُقْوِي قَلْبَكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾... إلخ) شروع في تسليته ﷺ، والمعنى: كما جعلنا لك عدوًّا جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا.

قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء: زائدة في الفاعل.

قوله: ﴿هَادِيًا﴾ أي: مُوصِلًا لَكَ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن، ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء.. اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبدأها.

قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ نزل: بمعنى (أنزل)؛ لأن (نزل) بالتشديد معناه: الإنزال مفرقًا، و(أنزل) معناه: الإنزال جملة؛ فلو لم يجعل بمعنى أنزل.. لَنَاقَضَهُ قَوْلُهُ: ﴿جُمْلَةً﴾، يؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] حيث عبّر بـ(أَنْزَلْنَاهُ) دون (نَزَّلْنَاهُ)؛ لأن المراد: نزوله جملة في سماء الدنيا.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًا لتلك الشبهة بأمور ثلاثة مُقتضية لنزوله مفرقًا: الأول: تثبيت فؤاده ﷺ، الثاني: ترتيبه ليسهل حفظه، الثالث: قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾.

قوله: (نزلناه) ﴿كَذَلِكَ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف، والمعنى: نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا مِثْلَ ذَلِكَ التَنْزِيلِ.

قوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾) علة للمحذوف الذي قدّره المفسّر، والمعنى: أنزلناه مفرقًا؛ لِيَتَقَوَّى

وَرَقَّلْنَهُ تَرْيَلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ

﴿وَرَقَّلْنَهُ تَرْيَلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيءٍ بِتَمَهُّلٍ وتُودَةٍ لِتَيْسِيرِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ .
﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطالِ أمرِك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدَّافِعُ لَهُ ،

حاشية الصاوي

قلبك على تَلْقِيهِ، فلا يحصل لك منه ثقل؛ لأنَّ القرآن في نفسه ثَقِيلٌ سَيِّمًا على مَنْ لم يقرأ ولم يكتب، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأُولَا قِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ^(١)؛ ولذلك لما نزل عليه ﷺ ﴿أَفْرَأَ﴾.. فتر الوحي ثلاث سنين؛ لِيَشْتَاقَ لِلتَّلْقِي؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا جَاءَ عَلَى شَوْقٍ.. كان أثبت ^(٢).

قوله: ﴿وَرَقَّلْنَهُ تَرْيَلًا﴾ أي: فرَّقناه آيةً بعد آيةٍ، وشيئاً بعد شيءٍ، في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة.

قوله: (لِتَيْسَّرَ فَهْمُهُ وَضَبْطُهُ) أي: لك ولأمتك عن ظهر قلب، وهذه عطيةٌ عظيمةٌ لهذه الأمة المحمدية لم يُعْطَها غيرهم؛ ولذا ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم» ^(٣)، ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سَيِّمًا للأطفال؛ لِيَتَبَيَّنَ في قلوبهم، واغتفر التنكيس في تعليمه ^(٤)؛ لِيَسْهُلَ حفظه؛ فَإِنَّ الطِّفْلَ إِذَا رَأَى السُّورَةَ قَصِيرَةً.. قَوِيَ عَلَى حِفْظِهَا، وَنَشِطَ لِمَا بَعْدَهَا.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: سؤالٍ عجيبٍ يُرِيدُونَ بِهِ الْقَدَحَ فِي نَبَوَّتِكَ.

قوله: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ استثناءٌ مفرغٌ من عُمومِ الأحوال، كأنه قيل: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق، وبما هو أَحْسَنُ بياناً له، والمعنى: كلما أوردوا شبهةً أو أتوا بسؤالٍ عجيبٍ.. أجبنا عنه بجوابٍ حسنٍ يرُدُّه ويدفعه من غير كلفةٍ عليك فيه؛ فلو نزل القرآن جملةً.. لكان النبيُّ هو الذي يبحث في القرآن عن ردِّ تلك الشبهة؛ كالعالم

(١) واختلف في معنى كونه (ثَقِيلًا)؛ فقال قتادة: ثَقِيلٌ وَاللهُ فَرَاثُضُهُ وَحُدُودُهُ، وقال مجاهد: حلاله وَحَرَامُهُ، وقال محمد بن كعب: ثَقِيلٌ عَلَى الْمَنَافِقِينَ؛ لِأَنَّهُ يَهْتِكُ أَسْرَارَهُمْ، وَيُبْطِلُ أَدْيَانَهُمْ، وَقِيلَ: ثَقِيلٌ بِمَعْنَى كَرِيمٍ، وَقِيلَ: ثَقِيلٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا قَلْبٌ مُؤَيَّدٌ بِالتَّوْفِيقِ، وَنَفْسٌ مُزَيَّنَةٌ بِالتَّوْحِيدِ؛ كَمَا سَيَأْتِي لِلْمُصَنِّفِ فِي تَفْسِيرِ (سورة المزمل).

(٢) أو يقال: ﴿لِيَتَبَيَّنَ بِهِ فَوَادُكُ﴾ حَتَّى تَعْبَهُ وَتَحْفَظَهُ؛ لِأَنَّ الْمُتَلَقَّنَ إِنَّمَا يَقْوِي قَلْبَهُ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، وَجِزْءاً بَعْدَ جِزْءٍ، وَلَوْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ جُمْلَةٌ وَاحِدَةً.. لَعَجَزَ عَنْ حِفْظِهِ، أَوْ: لَنَتَبَتَ بِهِ فَوَادُكَ عَنِ الضَّجْرِ بِتَوَاتُرِ الْوُصُولِ، وَتَتَابُعِ

الرُّسُولِ؛ لِأَنَّ قَلْبَ الْمُحِبِّ يَسْكُنُ بِتَوَاصُلِ كُتُبِ الْمُحِبِّوبِ. «تفسير النسفي» (٤٨٨/٢).

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٤٢٤/١٤)، ونحوه عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦).

(٤) أي: قراءة المتأخر قبل المتقدم من القرآن الكريم.

وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ
 ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةَ، ﴿٣٦﴾ وَجَعَلْنَا مَعَهُ

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بيانا.

﴿٣٤﴾ هُم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُسَاقُونَ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ هو جهنم، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم.
 ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ، ﴿٣٦﴾ وَجَعَلْنَا مَعَهُ

حاشية الصاوي

الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يُسأل عنها، فيكون الأمر موكولاً له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولاً إلى الله كان أتم مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمع للمعانددين.

قوله: ﴿وَأَحْسَنَ﴾ معطوف على (الحق)، فهو مجرور بالفتحة؛ للوصفية ووزن الفعل.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (هم).

قوله: (أي: يُساقون) أي: يُسحبون مقلوبين يَطْوُونَ الأرض برؤوسهم ووجوههم، وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى^(١).

قوله: (من غيرهم) متعلق بكلٍّ من (شرٌّ) و(أضلُّ)، والمراد بغيرهم: باقي الكفار، والمعنى: أَنَّ مَنْ عَانَدَهُ ﷺ .. فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة^(٢).

قوله: (وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ شروع في تسليته ﷺ على مكائد قومه؛ بذكر بعض قصص الأنبياء على سبيل الإجمال، والمعنى: لا تحزن يا محمد؛ فَإِنَّ مَنْ خَالَفَكَ وعاندك يحلُّ به الدمار كما حلَّ بالمخالفين من الأمم المتقدمة.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ﴾ معطوف على ﴿آتَيْنَا﴾، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فَإِنَّ إِيْتَاءَ

(١) وفي الحديث: (أن رجلاً قال: يا نبي الله؛ يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة: بلى وعزة ربنا). رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصل على بناء التفضيل منه، ولا يكادون يستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشر) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٥٣/٣).

أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْراً ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْراً: مُعِيناً.

﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا: أي: القبط فرعون وقومه، فذهباً إليهم بالرسالة فكذبوهم، ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أهلكناهم إهلاكاً.

﴿٣٧﴾ وَ﴿٣٥﴾ أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا الرُّسُلَ: بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم، فكانه رُسُل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرُّسُل لا اشتراكهم في المَجِيء بالتوحيد، ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ - جَوَاب ﴿لَمَّا﴾ -

حاشية الصاوي

موسى التوراة كان بعد رسالة هارون وهلاك فرعون وقومه. ويمكن أن يجاب عن الآية: بأن المراد بقوله: ﴿ءَايَاتِنَا مُوسَى أَلَكْتَبَ﴾: قَدَرْنَا له أن يأتيه في علمنا، فهو إخبار عما سيحصل، فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله.

قوله: ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول أول لـ (جعلنا)، و﴿هَارُونَ﴾: بدل منه، و﴿وَزَيْراً﴾: مفعول ثان لـ (جعلنا)، والمعنى: جعلنا هارون مُعِيناً لموسى بوحى مَّا له في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة، فهو نبي ورسول بما جاء به موسى، بخلاف وزارة علي للنبي ﷺ المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(١) فالمراد بها: مُطلق الإعانة، لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة؛ فَإِنَّ مَنْ أَثْبَتَهَا لِعَلِيٍّ.. فقد كفر.

قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: أدلة توحيدنا، لا خصوص التسع.

قوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ عطف على محذوف، قَدَرَه المفسر بقوله: (فذهباً... إلخ).

قوله: ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ (لما): شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ كما قال المفسر.

قوله: (لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال: لِمَ جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح؟

فأجابه بجوابين: الأول: أنه جمعه؛ لِطُول مدته في قومه، فكانه رُسُل متعددة. الثاني: أن من

كَذَّبَ رسولاً.. فقد كَذَّبَ باقي الرسل.

(١) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾: عبرة، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً سوى ما يحلُّ بهم في الدنيا.

﴿٢٨﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَتُمُودًا﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: اسمُ بشر ونبيِّهم قيل: شعيب، وقيل: غيره، كانوا قُوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، ﴿وَقُرُونًا﴾: أقواماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عادٍ وأصحابِ الرِّسِّ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: جعلنا هلاكهم وما وقع منهم.

قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير؛ تسجيلاً عليهم بوصف الظلم.

قوله: (سوى ما يحلُّ) أي: ينزل بهم، وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها، بخلاف سائر معانيه؛ فهو بالكسر لا غير.

قوله: ﴿وَتُمُودًا﴾ بالصرف على معنى الحي، وتركه على معنى القبيلة، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (اسم بشر) اختلف؛ هل هي اسمٌ للبئر التي لم تطو، أو للبئر مطلقاً^(٢)؟

وما قاله المفسر أحد أقوالٍ في الرِّس، وقيل: هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود، فُبِعِثَ إليهم نبيٌّ، فقتلوه فهلكوا، وقيل: الأخدود، وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاههم الله بطيرٍ عظيمٍ فيه من كل لون، فسَمَّوه العنقاء؛ لطول عنقها، وكانت تَسْكُنُ الجبال وتختطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه فأهلكوا.

قوله: (وقيل: غيره) أي: وهو حنظلة.

قوله: (فانهارت) أي: انخسفت بهم.

(١) قرأ حمزة وحفص بالمنع من الصرف، والباقون بالصرف. انظر «الدر المصون» (٦/٣٥٠).

(٢) قيدها المفسرون كالبيضاوي بأنها التي لم تطو؛ أي: لم تبَنَ بالحجارة، وقيدها أهل اللغة كـ«القاموس» بأنها التي طويت؛ أي: بُنيت بالحجارة. «فتوحات» (٣/٢٧٤).

وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوءِ أَفَكُم يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

﴿٣٩﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ ﴿٣٩﴾ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ نُهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْإِنْذَارِ، وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٩﴾: أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا بِتَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَاءَهُمْ.

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَنَوَّا ﴿٤٠﴾ أَي: مَرَّ كُفَّار مَكَّةَ ﴿٤٠﴾ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوءِ ﴿٤٠﴾: مَصْدَر (سَاء) أَي: بِالْحِجَارَةِ، وَهِيَ عُظْمَى قَرْيَ قَوْمِ لُوطٍ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَهْلَهَا لِفِعْلِهِمُ الْفَاحِشَةَ، ﴿٤٠﴾ أَفَكُم يَكُونُوا يَكُونُهَا ﴿٤٠﴾ فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الشَّامِ فَيَعْتَبِرُونَ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، ﴿٤٠﴾ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴿٤٠﴾: يَخَافُونَ ﴿٤٠﴾ نُشُورًا ﴿٤٠﴾: بَعَثًا فَلَا يُؤْمِنُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بفعل محذوف يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في معناه، تقديره: وخوَّفْنَا كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ، والمعنى: بَيَّنَّا لِكُلِّ الْقِصَصِ الْعَجِيبَةِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَتَبَرَّأْنَاهُمْ تَنْبِيْرًا؛ أَي: فَتَنَّاهُمْ تَفْتِيْرًا، فَجَعَلْنَاهُمْ كَالْتَّبَرِّ، وَهُوَ: قَطْعُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الْمَفْتَتَةِ.

قوله: (مَرَّ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ ضَمَّنَ ﴿أَنَوَّا﴾ مَعْنَى (مَرُّوا)، فَعُدِّي بِ(عَلَى)، وَإِلَّا.. فـ(أَتَى) يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، أَوْ بِ(إِلَى)، وَالْمَعْنَى: مَرُّوا عَلَيْهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ.

قوله: (مَصْدَر «سَاء»): أَي: بِحَسَبِ الْأَصْلِ، وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ بِالْمَطَرِ السَّوءِ: الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ. قوله: (وَهِيَ عُظْمَى قَرْيَ لُوطٍ) أَي: وَاسْمُهَا سَدُومٌ^(١)، وَتَقَدَّمَ أَنَّ الْقَرْيَ خَمْسَةٌ، وَقِيلَ: (أَل) فِي (الْقَرْيَةِ) لِلْجِنْسِ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَهَا؛ لِأَنَّ الْخَسْفَ وَنَزُولَ الْأَحْجَارِ عَمَّ جَمِيعَهَا، وَقِيلَ: نَجَتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ كَانَتْ لَا تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ.

قوله: ﴿يَكُونُهَا﴾ أَي: يَرُونَ آثَارَهَا.

قوله: (وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ) أَي: وَهُوَ حَمْلُ الْمَخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يَعْرِفُهُ.

قوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أَي: كَانُوا كُفَّارًا لَا يَتَوَقَّعُونَ نُشُورًا وَلَا عَاقِبَةً، فَهُوَ إِضْرَابٌ اِنْتِقَالِيٌّ مِنْ تَوْبِيْخِهِمْ إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ قَبَائِحِهِمْ، وَهُوَ عَدَمُ إِيْمَانِهِمْ بِالْبَعْثِ.

(١) تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ لِلْمَصْنَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ ضَبْطُهَا بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ مِنْ قَالَ بِالْمَهْمَلَةِ.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ
 إِلَهِتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
 أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ

﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مهزوءاً به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي
 بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه؟ مُحْتَقِرِينَ لَهُ عن الرسالة.

﴿٤٢﴾ إِن: - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمها مَحْذُوفٌ - أي: إِنَّهُ ﴿كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾: يَصْرِفُنَا
 عَنْ إِلَهِتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا لَصَرَفْنَا عَنْهَا، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ
 يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ عَيَانًا فِي الْآخِرَةِ ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أَخْطَأُ طَرِيقًا، أَهْمُ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ؟

﴿٤٣﴾ أَرَأَيْتَ: أَخْبِرْنِي ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ أي: مَهْوِيَّهِ، - قَدَّمَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي
 لِأَنَّهُ أَهْمٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ جواب (إذا).

قوله: ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مفعول ثانٍ لـ (يتخذون)، وقوله: (مهزوءاً به) أشار إلى أَنَّ المصدر مَزُولٌ
 بِاسْمِ الْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّ الْمَفْعُولَ الثَّانِي فِي الْأَصْلِ خَبَرٌ، وَالْمَصْدَرُ لَا يَصِحُّ الْإِخْبَارُ بِهِ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ.

قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾... إلخ) الجملة في محل نصب مَقُولٍ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، قَدَرَهُ الْمُفَسِّرُ.

قوله: (في دعواه رسولاً^(١)) قَدَّرَ ذَلِكَ؛ دَفْعًا لِمَا يُقَالُ: هُم لَا يَعْتَرِفُونَ بِرِسَالَتِهِ فَكَيْفَ يَقُولُونَ مَا ذَكَرَ؟

قوله: ﴿لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِتِنَا﴾ أي: بِكَثْرَةِ الْأَدْلَةِ وَالْمَعْجَزَاتِ.

قوله: ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ثَبَّتْنَا وَاسْتَمْسَكْنَا بِعِبَادَتِهَا.

قوله: (قال تعالى) أي: رَدًّا لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾.

قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (مَنْ): اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَضَلُّ﴾: خبره، و﴿سَبِيلًا﴾: تمييز،
 وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله: (أهم أم المؤمنون؟).

قوله: (قَدَّمَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي) أي: وقيل: لا تقديم ولا تأخير؛ لاستوائيهما في التعريف.

(١) عبارة «الفتوحات» (٢٧٦/٣): (في دعواه متعلق بـ «رسولاً»)، وهي أنسب لما عند المفسر رحمه الله تعالى.

أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ

وجملة ﴿مَنْ أَخَذَ﴾ مفعول أول لـ (رَأَيْتَ)، والثاني - ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا .

﴿٤٤﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَفْهَمُ، ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأ طريقاً منها؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدوها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم .

﴿٤٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وجملة ﴿مَنْ...﴾ إلخ) أي: بحسب الصورة، وإلا... فهي وصلتها في قوة المفرد.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ (أم): منقطعة تفسر بـ (بل) والهمزة، والاستفهام فيها إنكاري.

قوله: ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ استفيد منه: أن الأقل سمع وعقل فآمن .

قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ (أي: في عدم انتفاعهم بالآيات .

قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (أي: لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدوها، وتميز من يحسن إليها ممن

يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وترهب مما يضرها، وهؤلاء ليسوا كذلك .

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفراد

تعالى بالالوهية، وذكر منها خمسة: الأول: هذا، الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾،

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾، الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾،

الخامس: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ .

وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل؛ فإن من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل... عرف

أن موجدَها فاعلٌ مختارٌ منفردٌ بالكمال .

قوله: (تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية، فقوله: ﴿كَيْفَ﴾ منصوب بـ ﴿مَدَّ﴾ على الحال،

والمعنى: ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف؟ أي: على أي حالة؟ وقدّر المفسر (فعل)؛ إشارة

وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

مِنْ وَقْتِ الْإِسْفَارِ إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ رَبُّكَ ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: مُقِيمًا لَا يَزُولُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أَي: الظِّلُّ ﴿دَلِيلًا﴾، فَلَوْلَا الشَّمْسُ مَا عُرِفَ الظِّلُّ.

حاشية الصاوي

إلى أَنَّ المراد رؤية المصنوعات، لا رؤية الذات^(١)؛ لأنَّ المقصود نصب الأدلة؛ ليستدل بها على مؤثرها؛ فإنَّ كُلَّ صنعة لا بدَّ لها من صانع وإن كان يلزم من التَّفَكُّر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب؛ لأنه لا يَغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل: العارف يرى الله في كُلِّ شيء؛ فالآثارُ كالمرآة للنَّظر، فمن تأمَّل فيها.. رأى مؤثرها، ولا تُحجب إلا مَنْ سبقت له الشقاوة.

قوله: (من وقت الإسفار... إلخ) المناسب أن يقول: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين، ثانيها: من غروب الشمس إلى طلوعها، ثالثها: من طلوع الشمس إلى أن تزول، ومن زوالها إلى غروبها، وأمَّا ما قاله المفسر.. فلم يُوافقه عليه أحد من المفسرين.

وهذا الوقت - أعني: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس - أطيب الأوقات وأفضلها؛ ولذا وَصِفَتْ به الجنة، قال تعالى: ﴿وَبِظِلِّ مَدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وفيه يجد المريض راحته، والمسافر وكلُّ ذي علة، وفيه تردُّ أرواح الأموات منهم إلى الأجساد، وتطيب نفوس الأحياء، قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة يُصلون صلاة الفجر^(٢).

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً مستقرّاً لا يذهب عن وجه الأرض.

قوله: (لا يزول بطلوع الشمس) أي: بالألّا تطلع فلا يزول^(٣)؛ بأن يستمرَّ الليل مقيماً، أو تطلع من غير ضوء.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: جعلنا الشمس دليلاً على الظِّلِّ ليلاً ونهاراً، فالمراد

(١) ولعلَّ توجيه الرؤية إليه سبحانه وتعالى مع أنَّ المراد تقرير رؤيته ﷺ لكيفية مدِّ الظِّلِّ: للتنبيه على أنَّ نظره ﷺ غير مقصور على ما يُطالعه من الآثار والصَّنائع، بل مَطْمَح أنظاره معرفة شؤون الصَّانِعِ المَجِيد. انظر «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود (٢٢٢/٦).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٣٧/١٣).

(٣) فالنفي مسلط على مجموع القيد والمقيّد. «فتوحات» (٢٧٨/٣).

ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِيَاسًا وَلِالْوَمِّ سُبَاتًا

﴿٤٦﴾ ﴿ثُمَّ قَبَضَتْهُ﴾ أي: الظِّلَّ المَمْدُود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: خَفِيفًا يُطْلُوعُ الشَّمْسِ.

﴿٤٧﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِيَاسًا﴾: سَاتِرًا كَاللِّبَاسِ، ﴿وَالْوَمِّ سُبَاتًا﴾: رَاحَةً

لِلْأَبْدَانِ

حاشية الصاوي

بالظِّل: ما قابل نور الشمس، وكلُّ من الظل ونور الشمس عَرَضٌ؛ لقيامه بغيره، وأمَّا ذات الشمس.. فجوهرٌ.

قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: قليلاً شيئاً فشيئاً، وذلك أنَّ الشمس إذا طلعت.. ظهر لكلِّ شاخصٍ ظلٌّ إلى جهة المغرب، فكلما ارتفعت في الأفق.. نقص الظل شيئاً فشيئاً إلى أن تصلَ الشمس وسط السماء؛ فعند ذلك ينتهي نقص الظل، فبعض البلاد لا يبقى فيها ظلٌّ أبداً في بعض أيام السنة كمكة وزيد، وما عداها تبقى له بقيةٌ، وهذا على حسب الأشهر القبطية، وضبط ذلك بعضهم بقوله: (طرزه جبا أبدوحي)؛ فالطاء بتسعة لطوبة، فظل الزوال فيه تسعة أقدام، والزاي بسبعة لأمشير، والهاء بخمسة لبرمهات، والجيم بثلاثة لبرمودة، والباء باثنين لبشنس، والألف بواحد لبؤونه، والألف الثانية بواحد لأيب، والباء باثنين لمسرى، والداد بأربعة لتوت، والواو بستة لبابه، والحاء بثمانية لهاتور، والياء بعشرة لكيهك^(١)، فإذا زالت الشمس.. زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً حتى تغرب الشمس.

قوله: (كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة، والجامع بين المشبه والمشبه به: السَّتْرُ في كلِّ.

قوله: ﴿وَالْوَمِّ سُبَاتًا﴾ من السبت، وهو: القَطْع؛ لِقَطْعِ الأشغال فيه كما قال المفسر.

(١) أسماء الشهور في السنة القبطية، وأول شهورهم: توت، وهو أيلول بالسريانية، والثاني: بابه، وهو تشرين الأول، والثالث: هاتور، وهو تشرين الثاني، والرابع: كيهك، وهو كانون الأول، والخامس: طوبه، وهو كانون الآخر، والسادس: أمشير، وهو شباط، والسابع: برمهات، وهو آذار، والثامن: برمودة، وهو نيسان، والتاسع: بشنس، وهو أيار، والعاشر: بؤونه، وهو حزيران، والحادي عشر: أيب، وهو تموز، والثاني عشر: مسري، وهو آب، وبقي منها شهر النسيء، ويعرف بالقبطية باسم الشهر الصغير، وهو خمسة أيام في ثلاث سنوات متتالية، وفي السنة الرابعة يكون فيها ستة أيام. انظر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١/٣٨).

وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾

بِقَطْعِ الْأَعْمَالِ، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: مَنْشُورًا فِيهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ.
 ﴿٤٨﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ - وفي قِرَاءَةِ: ﴿الرِّيحَ﴾ - ﴿نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: مُتَفَرِّقَةٌ قُدَّامَ الْمَطَرِ، - وفي قِرَاءَةِ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا، وفي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَفَتْحِ النَّوْنِ مَصْدَرٌ، وفي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ بَدَلِ النَّوْنِ، أَي: مُبَشِّرَاتٍ، وَمُفْرَدِ الْأُولَى: نُشُورٌ كـ(رَسُولٍ)، وَالْأَخِيرَةُ: (بَشِيرٌ) -، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: مُطَهَّرًا.

حاشية الصاوي

قوله: (بقطع الأعمال) الباء: سببية، والجار والمجرور متعلق بـ(راحة).

قوله: (لابتغاء الرزق) أي: طلبه.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ أي: المبشِّرات، وهي ثلاث: الشمال وتأتي من جهة القطب، والجنوب تقابلها، والضُّبا وتأتي من مطلع الشمس، والدُّبُور تأتي من المغرب، وبها أهلك عاد.

قوله: (وفي قراءة: ﴿الرِّيحَ﴾) أي: وهي سبعة أيضاً، و(أل) فيها للجنس^(١).

قوله: (وفي قراءة بسكون الشين... إلخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراءات أربع، وكلها سبعة: الأولى والثانية جمع (نُشُور) كـ(رَسُول)، والثالثة: مصدر (نُشْر)، والرابعة: جمع (بَشِير)^(٢).

قوله: (ومفرد الأولى) أي: والثانية.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيه التفاتٌ من الغيبة للتكلم.

قوله: ﴿طَهُورًا﴾ أي: طاهراً في نفسه، مُطَهَّرًا لغيره.

(١) وبها قرأ ابن كثير. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٧).

(٢) قرأ المدنيان والمكي والبصريان بالنون مضمومة مع ضم الشين، وابن عامر بالنون مضمومة مع إسكان الشين، والأخوان وخلف بالنون مفتوحة مع إسكان الشين، وعاصم بالياء الموحدة المضمومة مع إسكان الشين. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٧).

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا

﴿٤٩﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا - بالتَّخْفِيفِ، يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ، ذَكَرَهُ بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ - ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا﴾: إِبْلًا وَيَقْرَأُ وَغَنَمًا، ﴿وَأَنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾: جَمْعُ إِنْسَانٍ، وَأَصْلُهُ: أَنَاسِيْنُ، فَأُبْدِلَتِ التَّوْنُ يَاءً وَأُدْغِمَتِ فِيهَا الْيَاءُ، أَوْ جَمَعَ إِنْسِيًّا. ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ أَصْلُهُ: يَتَذَكَّرُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْدَةً﴾ أي: أرضاً.

قوله: (بالتخفيف) أي: لا غير؛ لأنَّ المخفَّفَ لِمَا لَيْسَ ذَا رُوحٍ، وَأَمَّا بِالتَّشْدِيدِ.. لِمَا كَانَتْ فِيهِ الرُّوحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ^(١): [الطويل]

أَيَا سَائِلِي تَفْسِيرَ مَيِّتٍ وَمَيِّتٍ فَذُونَكَ قَدْ فَسَّرْتُ مَا عَنْهُ تَسْأَلُ

فَمَا كَانَ ذَا رُوحٍ فَذَلِكَ مَيِّتٌ وَمَا الْمَيِّتُ إِلَّا مَنْ إِلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ

قوله: (يستوي فيه المذکر... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: لَمْ ذَكَرْ (مَيِّتًا) مَعَ أَنَّهُ نَعَتْ لـ(بلدة) وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ؟ وَقوله: (ذَكَرَهُ... إلخ) جوابٌ ثَانٍ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَأْتِيَ بِ(أو).

قوله: ﴿أَنْعَمًا﴾ خَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا عَزِيزَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا؛ لِكُونِهَا سَبِيًّا لِحَيَاتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ.

قوله: (جمع إنسان) هذا هو الراجح، وَقِيلَ: جَمَعَ إِنْسِيًّا، وَهُوَ مُعْتَرِضٌ بِأَنَّ الْيَاءَ فِي (إِنْسِي) لِلنَّسَبِ، وَهُوَ لَا يَجْمَعُ عَلَى (فَعَالِي)، كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(٢): [الرجز]

وَاجْعَلْ فَعَالِي لَعْنِرٍ ذِي نَسَبٍ

قوله: (وأصله: أناسين) أي: ك: سرحان وسراحين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: فَرَّقْنَاهُ فِي الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْمُتَغَايِرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا قُدِّرَ

فِي سَابِقِ عِلْمِهِ. رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: (لَيْسَ مِنْ سَنَةٍ بِأَمْطَرٍ مِنْ أُخْرَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ هَذِهِ الْأَرْزَاقَ، فَجَعَلَهَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فِي هَذَا الْقَطْرِ، يَنْزِلُ مِنْهُ كُلُّ سَنَةٍ بِكَيْلٍ مَعْلُومٍ،

(١) نَقَلَهَا الْخَلِيلُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو. انْظُرْ «تَاجُ الْعُرُوسِ» (١٠٠/٥).

(٢) «الْخُلَاصَةُ»، بَابُ: جَمَعَ التَّكْسِيرِ.

فَأَيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ.....

أُدْغِمَتِ النَّاءُ فِي الذَّالِ، وَفِي قِرَاءَةِ: (لِيَذْكُرُوا) يَسْكُونِ الذَّالِ وَضَمُّ الْكَافِ أَي: نِعْمَةً اللَّهُ بِهِ، ﴿فَأَيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُودًا لِلنَّعْمَةِ، حَيْثُ قَالُوا: مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا. ﴿٥١﴾ ﴿لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يُخَوِّفُ أَهْلَهَا، وَلَكِنْ بَعَثْنَاكَ إِلَى أَهْلِ الْقَرْيِ كُلِّهَا نَذِيرًا لِيَعْظُمَ أَجْرُكَ.

﴿٥٢﴾ ﴿فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ فِي هَوَاهُمْ، ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أَي: بِالْقُرْآنِ.....

حاشية الصاوي

وإذا عمل قومٌ بالمعاصي.. حوّل الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً.. صرف الله ذلك المطرر إلى الفياقي والبحار^(١).

قوله: (أُدْغِمَتِ النَّاءُ فِي الذَّالِ) أَي: بعد قلبها دالاً فذالاً.

قوله: (وفي قراءة) أَي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: (أَي: نعمة الله به) أَي: فيقوموا بشكرها؛ ليزدادوا خيراً.

قوله: (جحوداً للنعمة) أَي: حيث أضافوها لغير خالقها.

قوله: (مطرنا بنوء كذا) النَّوْءُ: سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطلوع رقبه من المشرق في ساعته، في عدة أيام معلومة لهم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط، وقيل: إلى الطالع، واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر؛ لأنه لا أثر لشيء في شيء، بل المؤثر هو الله وحده، وإنما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي تُوجَدُ الأشياء عندها لا بها، ويمكن تخلفها؛ كالإحراق للنار، والرّي للماء، والشّع للأكل.

قوله: ﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أَي: في رَمْنِكَ.

قوله: (ليعظم أجرك) أَي: فالنبي ﷺ له مثل أجر مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَعَثْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: ﴿فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: بل اصبر على أحكام ربك.

(١) رواه الثعلبي بسنده إلى سيدنا ابن مسعود مرفوعاً في «الكشف والبيان» (١٤٠/٧).

(٢) قرأ الأخوان وخلف بإسكان الذال وضم الكاف مخففة، وغيرهم بفتح الذال والكاف مشدتين. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٧).

جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ: أَرْسَلَهُمَا مُتَجَاوِرَيْنِ؛ ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شَدِيدُ الْعُذُوبَةِ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حَاجِزًا لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أَي: سِتْرًا مَمْنُوعًا بِهِ اخْتِلَاطُهُمَا. ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا: مِنَ الْمَنِيِّ إِنْسَانًا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: لَأَنَّ مَجَاهِدَةَ السَّفَهَاءِ بِالْحُجَجِ أَكْبَرُ مِنْ مَجَاهِدَةِ الْأَعْدَاءِ بِالسِّيفِ.
قوله: ﴿أَرْسَلَهُمَا مُتَجَاوِرَيْنِ﴾ أي: أَجْرَاهُمَا مُتَلَاصِقَيْنِ؛ لَا يَتِمَازَجَانِ، وَلَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ.

قوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: كيف مرجهما؟ ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول؛ أي: مقولاً فيهما: (هذا عذب... إلخ)، وسمي الماء العذب فراتاً؛ لَأَنَّهُ يَفُوتُ الْعَطَشَ؛ أَي: يَشْقُهُ وَيَقْطَعُهُ.

قوله: (شديد الملوحة) أي: وقيل: شديد الحرارة، وقيل: شديد المرارة، وهذا من أحسن المقابلة؛ حيث قال: (عذب فرات، وملح أجاج).

قوله: (حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر) أي: فالماء العذب داخل في المِلْحِ وجارٍ في خلاله، ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان، بل يبقى كلٌّ على ما هو عليه بسبب منع الله لكلٍّ منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يُحَسُّ، بل بِمَحْضِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وهذا من أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالالوهية.

قوله: ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ تقدّم أن معناه: تَعَوُّذُنَا تَعَوُّذًا، والمراد هنا: السِّتْرُ الْمَانِعُ، فَشَبَّهَ الْبَحْرَانِ بِطَائِفَتَيْنِ مُتَعَادِيَتَيْنِ، كُلٌّ مِنْهُمَا تَحَصَّنَ مِنَ الْآخَرَى، وَطَوَّى ذِكْرُ الْمَشَبِّهِ بِهِ، وَرُمِزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ.

قوله: ﴿بَشَرًا﴾ أي: خَلَقًا كَامِلًا مَرْكَبًا مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعَصَبٍ وَعُرُوقٍ وَدَمٍ عَلَى شَكْلِ حَسَنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [النين: ٤].

فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ
وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ذا نَسَب، ﴿وَصِهْرًا﴾: ذا صِهْر، بِأَن يَتَزَوَّجَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، طَلَبًا لِلتَّنَاسُلِ، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قَادِرًا عَلَى مَا يَشَاءُ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أَي: الْكُفَّار ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بِعِبَادَتِهِ، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بِتَرْكِهَا، وَهُوَ الْأَصْنَامُ، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: مُعِينًا لِلشَّيْطَانِ بِطَاعَتِهِ.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُخَوِّفًا مِنَ النَّارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (ذا نسب... إلخ) أي: فقسّمه قسمين: ذوي نسب؛ أي: ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صِهْر؛ أي: إناثاً يُصَاهِرُ بهنَّ، وآخر الصَّهْر؛ لأنه لا يحصل إلا بعد الْكِبَرِ وَالتَّزَوُّجِ.

قوله: (ذا صهر) صِهْرُ الرَّجُل: أَقَارِبُ زَوْجَتِهِ، وَصِهْرُ الْمَرْأَةِ: أَقَارِبُ زَوْجِهَا.

قوله: (﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾) أي: حيث خَلَقَ مِنْ مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ إِنْسَانًا ذَا أَعْضَاءَ مُخْتَلِفَةٍ، وَطِبَاعَ مُتَبَاعِدَةٍ، وَأَخْلَاقَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَجَعَلَهُ قِسْمَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ؛ فَمَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ وَأَمثَالِهِ.. فَهُوَ حَقِيقٌ بِالْأَلَا يُعْبَدُ غَيْرُهُ.

قوله: (﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾) شروعٌ فِي ذِكْرِ قَبَائِحِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ ظُهُورِ تِلْكَ الْأَدْلَةِ.

قوله: (﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾) قَدَّمَ النِّفْعَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ وَأَخَّرَهُ فِي بَعْضِهَا؛ تَفَنُّنًا.

قوله: (﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾) أي: يُعَاوَنُ الشَّيْطَانُ وَيَتَابَعُهُ بِالْعِدَاوَةِ وَالشَّرْكِ، وَ(أَل) فِي ﴿الْكَافِرُ﴾: لِلْجِنْسِ، فَالْمُرَادُ: كُلُّ كَافِرٍ، وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿ظَهِيرًا﴾: مَهِينًا لَا يُعْبَأُ بِهِ، فَ(عَلَى) بِمَعْنَى (عِنْدَ)، وَالمَعْنَى: وَكَانَ الْكَافِرُ عِنْدَ رَبِّهِ مَهَانًا لَا حَرَمَةَ لَهُ، مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: ظَهَرَتْ بِهِ: إِذَا نَبَذَتْهُ خَلْفَ ظَهْرِكَ.

قوله: (بطاعته) أي: الشَّيْطَانِ، وَالبَاءُ: سَبَبِيَّةٌ، وَالمَعْنَى: صَارَ الْكَافِرُ مُعِينًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

قوله: (﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾) أي: لَمْ تُرْسَلْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا حَالُ كَوْنِكَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا؛ فَمَنْ آمَنَ.. فَقَدْ تَحَقَّقَ بِالْبَشَارَةِ، وَمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْكُفْرِ.. فَلَهُ النَّذَارَةُ.

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْهِدْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ.....

﴿٥٧﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ: على تبليغ ما أُرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً بإتفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ.
﴿٥٨﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْهِدْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي﴾ مُتَلَبِّساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: قل: سُبْحَانَ اللَّهِ والحمد لله،

حاشية الصاوي

قوله: (على تبليغ ما أُرسلت به) أي: المفهوم من قوله: ﴿أُرْسَلْنَاكَ﴾.
قوله: (لكن ﴿مَنْ شَاءَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستثناء منقطع، والمعنى: لا أطلب من أموالكم جُعْلاً لنفسي، لكن من شاء أن يُنفق أمواله لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته.. فليفعل.
قوله: (في مرضاته تعالى) أي: كالصدقة والتَّفَقُّة في سبيل الله تعالى.
قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْهِدْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾) لما قَدَّمَ أَنَّ الكافر خارجٌ عن طاعة ربِّه، وعن طاعة رسوله، وأمر الرسول ألاَّ يسألهم أجراً على تبليغه.. أمره بالاعتماد عليه تعالى؛ ليكفيه شُورهم، ويُغْنِيَهُ عن أجورهم؛ فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون؛ فإنهم إذا ماتوا.. ضاع من توكل عليهم. والتوكل هو: وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتمادٍ على الأسباب وإن تعاطاها.

قوله: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾) صفة كاشفة؛ لأنَّ معنى الحيِّ في حقِّه تعالى: ذو الحياة الأبدية التي يستحيل عليها الموت والفناء، ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزمٌ لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية.

قوله: ﴿وَسَيَحْيِي﴾) أي: نَزَّهه عن كلِّ نقص.

قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾) الباء: للملابسة كما قال المفسر؛ أي: صِفُهُ بالكمالات.

قوله: (أي: قل: سبحان الله، والحمد لله) أي: فذلك مجمعُ التسبيح والتحميد؛ لأنَّ معنى (سبحان الله): تَنَزِيْهِه الله عن كلِّ نقص، ومعنى (الحمد لله): كلُّ كمال ثابت لله، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أُوتِيَهَا رسول الله ﷺ، وهما مِنْ جملة الباقيات الصالحات وِغْرَاس الجنة التي بقيَّتْها: لا إله إلا الله، والله أكبر.

وَكَفَى بِهِ يَذُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..

﴿وَكَفَى بِهِ يَذُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾: عالماً، تعلق به ﴿يَذُوبٍ﴾.

﴿٥٩﴾ هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحّة، والعُدُول عنه لتعليم حاشية الصاوي.

وحكمة تأخير (لا إله إلا الله) عن هاتين الجملتين؛ ليكون النطق بها عن معرفة ويقين، فهي نتيجة ما قبلها، و(الله أكبر) نتيجة الثلاث قبلها؛ لأنه إذا تنزّه عن النقائص واتّصف بالكمالات وثبت أنه لا إله غيره.. فقد انفرد بالكبرياء والعظمة.

وحكمة الاختصار هنا على التسبيح والتحميد: لأنهما مُستلزمان للجملتين بعدهما.

قوله: ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ (الباء: زائدة في الفاعل).

قوله: (عالماً) أي: بالمذنب والطائع.

قوله: (تعلق به) أي: بـ﴿خَيْرًا﴾.

قوله: ﴿يَذُوبٍ﴾ (أي: لفظ ﴿يَذُوبٍ﴾، وقُدّم رعاية للفاصلة، والمعنى: أن الله قادرٌ على مجازاة الخلق في كلِّ وقتٍ؛ فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم، بل عليك بنفسك، وفوّض أمرهم إليه.

قوله: (هو ﴿الَّذِي﴾) أشار بذلك إلى أن الموصول خبرٌ لمحذوف^(١)، وهذه الجملة سبقت تحريضاً للتوكل عليه تعالى؛ فإنَّ مَنْ كان قادراً على ذلك.. فهو حقيقٌ بالتوكل عليه.

قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (أي: فالأرض في يومين: الأحد والاثنين، وما عليها في يومين: الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومين: الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة).

قوله: (أي: في قدرها) دفع بذلك ما يقال: إنَّ الأيام لم تكن موجودةً إذ ذاك.

قوله: (والعدول عنه) أي: عن الخلق في لمحّة.

(١) أو مبتدأ، و(الرحمن) خبره - كما سيأتي - أو منصوباً بإضمار فعل، أو صفة لـ(الحي الذي لا يموت)، أو بدلاً أو بياناً، وهذا كله على قراءة العامة بالرفع، وأما على قراءة زيد بن علي بالجر.. فيتعين أن يكون (الذي خلق) صفة لـ(الحي) فقط؛ لثلا يُفصل بين النعت ومنعوته بأجنبي. انظر «الدر المصون» (٤٩٢/٨).

ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا ۝٥٩.....

خَلَقَهُ التَّثْبُتُ، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللُّغَةِ سَرِيرُ الْمُلِكِ، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿أَسْتَوَى﴾ - أي: استواءٌ يَلِيْقُ بِهِ، ﴿فَسَلَّ﴾ أيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿بِهِ﴾: بِالرَّحْمَنِ ﴿خَيْرًا﴾ يُخْبِرُكَ بِصِفَاتِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (التَّثْبُتُ) أي: التَّائِي والتُّودَةُ في الأمور، وعدمُ العجلة فيها؛ لما ورد: «العجلة من الشيطان»^(١)، واستثنى العلماء من ذلك مسائل: إقراء^(٢) الضيف، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، والصلاة في أول وقتها، وقضاء الدين، وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته.

قوله: (هو في اللغة: سرير الملك) أي: ومنه قوله تعالى: ﴿أَنكُم بِأَرْشِيهَا﴾ [النمل: ٣٨]، والمراد هنا: جسمٌ عظيمٌ محيطٌ بالعالم فوق السماوات السبع.

قوله: (بدل من ضمير ﴿أَسْتَوَى﴾) ويصح أن يكون خبراً لمحذوف، أو خبر ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾. قوله: (أي: استواءٌ يليقُ به) هذا إشارةٌ لمذهب السلف، وهم: من كانوا قبل الخمس مئة، ومذهب الخلف: تفسيرُ الاستواء بالاستيلاء عليه والتَّصَرُّفُ فيه، وهو أحدُ معنيي الاستواء، واستدلوا لذلك بقول الشاعر^(٣): [الرجز]

قَدْ اسْتَوَى بِشُرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ
وفي قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ إشارةٌ إلى أَنَّ الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة، فوسيع العالمين، وكان سقف الجنة، لا بوصف الجلال، وإلَّا... لَذَابَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ.

قوله: ﴿فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿خَيْرًا﴾، قَدَمُ رِعَايَةٍ لِلْفَاصِلَةِ، والمعنى: اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى، ويصح أن يكون الجارُ والمجرور متعلقاً بـ(اسأل)، والباء بمعنى (عن)، والمعنى: اسأل عنه خبيراً؛ أي: عالماً بصفاته، يُطْلِعُكَ عَلَى مَا خَفِيَ عَلَيْكَ، والخبير يختلف باختلاف السائل؛ فإن كان السائلُ النبي عليه الصلاة

(١) رواه الترمذي (٢٠١٢) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصول، وفي «المختار»، مادة (ق ر ا): (وَقَرَى الضيف يُقْرِيه، قَرَى بالكسر والقصر، وَقَرَأَ بالفتح والمد: أحسن إليه).

(٣) قال الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠٦/٢): (وهو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو لإلأخل كما قاله الجوهري... كذا نسبه إسماعيل بن عباد في كتابه «نهج السيل»).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا

﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ، وَالْأَمْرُ مُحَمَّدٌ - وَلَا نَعْرِفُهُ؟ لَا، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هَذَا الْقَوْلُ لَهُمْ ﴿نُفُورًا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿٦١﴾ ﴿نَبَارَكَ﴾: تَعَاظَمَ ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثْنِي عَشَرَ:

حاشية الصاوي

والسلام.. فالخبير هو الله، وإن كان السائل الصحابة.. فالخبير النبي ﷺ، وإن كان السائل التابعين.. فالخبير الصحابة عن النبي عن الله... وهكذا، فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين يُقيدون الطالب عن الله، وفيه دليلٌ على وجوب معرفة التوحيد.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لِكُفَّارِ مَكَّةَ.

قوله: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أي: ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُقُونَ الرَّحْمَنَ عَلَى مَسِيلَةِ الْكَذَابِ^(١).

قوله: (بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (وَالْأَمْرُ مُحَمَّدٌ) أي: عَلَى كُلِّ مِنَ الْقَرَاءَتَيْنِ.

قوله: (وَلَا نَعْرِفُهُ) رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ ذِكْرَهُ بِلِصْقِهِ.

قوله: (لَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ إِنْكَارِيًّا.

قوله: (تَعَاظَمَ) أي: انْفَرَدَ بِالْعِظْمَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَوْصَافُهُ فَهُوَ مُنْفَرِدٌ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ، وَتَقَدَّمَ أَنَّ لَفْظَةَ (تَبَارَكَ) مِنَ الصِّفَاتِ الْجَامِعَةِ، تُفَسَّرُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ.

قوله: ﴿بُرُوجًا﴾ (جمع بُرْج، وهو في الأصل: القصر العالي، سُمِّيَتْ هَذِهِ الْمَنَازِلُ بِبُرُوجًا؛ لِأَنَّهَا لِلْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ كَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي هِيَ كَالْقُصُورِ لِسُكَّانِهَا، فَالْمُرَادُ بِالْبُرُوجِ: الطَّرِيقُ وَالْمَنَازِلُ لِلْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ.

(١) ويجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول بـ(ما)، ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه؛ لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى. انظر «الكشاف» (٣/٢٩٥).

(٢) قرأ الأخوان: (يَأْمُرُنَا) بِيَاءِ الْغِيْبَةِ، وَالباقون بالخطاب. انظر «الدر المصون» (٨/٤٩٤).

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾

الْحَمْلُ وَالثَّوْرَ وَالْجُوزَاءُ وَالسَّرَطَانُ وَالْأَسَدَ وَالسُّنْبُلَةَ وَالْمِيزَانَ وَالْعَقْرَبَ وَالْقَوْسَ وَالْجَدْيَ وَالذَّلُوَ وَالْحُوثَ، وَهِيَ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ: الْمَرِيخَ وَلَهُ الْحَمْلُ، وَالْعَقْرَبَ وَالزُّهْرَةَ وَلَهَا الثَّوْرَ وَالْمِيزَانَ، وَعُطَارِدَ وَلَهُ الْجُوزَاءُ وَالسُّنْبُلَةُ، وَالْقَمَرَ وَلَهُ السَّرَطَانُ، وَالشَّمْسَ وَلَهَا الْأَسَدَ، وَالْمُشْتَرِيَّ وَلَهُ الْقَوْسَ وَالْحُوثَ، وَزُحْلَ وَلَهُ الْجَدْيَ وَالذَّلُوَ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أَيْضاً ﴿سِرَاجًا﴾ هُوَ الشَّمْسُ، ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (سُرْجًا) بِالْجَمْعِ،

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (الحمل) أي: ويسمى بالكبش.

قوله: (والأسد) أي: ويسمى بالليث أيضاً، وقوله: (والدلو) ويسمى الدالي أيضاً.

قوله: (المريخ) بكسر الميم.

قوله: (وله) أي: من البروج المذكورة، والحاصل: أنَّ خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج؛ كل واحد اثنين، واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج، وتقدّم في (سورة الحجر) نظم الكواكب والبروج، وتقدّم أنَّ زُحْلَ نجمٌ في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزُّهْرَةُ في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى.

وتخصيص الشمس بالأسد؛ لكونه يبتها المنسوب لها؛ فلا ينافي سيرها في البروج كلها، وكذا غيرها من باقي الكواكب السبعة؛ وذلك لأنَّ البروج أصلها في سماء الدنيا، وتمتدُّ للسماء السابعة، فالبروج كلها طرقٌ للكواكب السبعة كلها.

قوله: (والزُّهْرَةُ) بفتح الهاء.

قوله: (وعطارد) بضم العين، ممنوع من الصرف؛ لصيغة منتهى الجموع.

قوله: (وزحل) ممنوع من الصرف؛ للعلمية والعدل ك(عمر).

وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع في العالم السفلي كالأكل والشرب؛ يُوجد النفع عندها لا بها، فهي من جملة الأسباب العادية، فمن اعتقد تأثيرها بطبعها.. فقد كفر، أو بقوة جعلها الله فيها.. فقد فسق.

قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: السماء.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ

أي: نِّيرَاتٍ - وَخُصَّ الْقَمَرُ مِنْهَا بِالذِّكْرِ لِنَوْعِ فَضِيلَةٍ.

﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴿٦٢﴾ أي: يَخْلُفُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ كَمَا تَقَدَّمَ - مَا فَاتَهُ فِي أَحَدِهِمَا مِنْ خَيْرٍ فَيَفْعَلُهُ فِي الْآخَرِ، ﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ أي: شُكْرًا لِنِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْهِ فِيهِمَا.

﴿٦٣﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴿٦٣﴾ - مُبْتَدَأٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: نِّيرَاتٍ) صفة لموصوف محذوف؛ أي: كواكب نِّيرَاتٍ، ودخل فيها القمر؛ فلذلك قال: (وُخِصَّ الْقَمَرُ... إلخ).

قوله: (لنوع فضيلة) أي: لَأَنَّ مَوَاقِيتَ الْعِبَادَةِ تُبْنَى عَلَى الْأَشْهُرِ الْقَمَرِيَّةِ، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَيَّامِ فَقُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوله: (أي: يَخْلُفُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ) أي: بِأَن يَقُومَ مَقَامَهُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَخْلُفُ صَاحِبَهُ.

قوله: (بالتشديد) أي: فَأَصْلُهُ: (يَتَذَكَّرُ) قَلْبُ التَّاءِ دَالًا ثُمَّ ذَالًا وَأَدْغَمَتْ فِي الذَّالِ.

قوله: (والتخفيف) أي: فَهِمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (كما تقدم) أي: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾.

قوله: (ما فاتته في أحدهما من خير... إلخ) أي: فَمَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ بِاللَّيْلِ... أَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ، وَمَنْ فَاتَهُ بِالنَّهَارِ... أَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ؛ مِنْ فَرَائِضَ وَسُنَنِ وَغَيْرِهِمَا.

قوله: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ (أو): مَانَعَةُ خَلْوٍ، تُجَوِّزُ الْجَمْعَ.

قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾... إلخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم... ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين، ووصفهم بأوصاف ثمانية، بها تنال المراتب العالية، وإضافتهم إليه

(١) قرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف مخففة من (ذكر) بمعنى (تذكر)، والباقون بفتح الكاف والذال مُشَدَّدَتَيْنِ. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٧١).

الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

وما بعده صفات له إلى ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾، غير المُعْتَرَض فيه - ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بِسَكِينَةٍ وَتَوَاضَعٍ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قَوْلًا يَسْلُمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ.

حاشية الصاوي

تعالى للتشريف، وإلا.. فكلُّ المخلوقات عبادُ الله، أو يقال: إضافتهم له من حيث كونه رحماناً^(١)؛ لكونهم مظهر الرحمة، وستختص بهم في الآخرة.

قوله: (وما بعده) أي: من الموصولات الثمانية التي أولها قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾، وآخرها قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا...﴾ إلخ.

قوله: (إلى ﴿أُولَئِكَ﴾) أي: وهو الخبر كما سيذكره هناك.

قوله: (غير المُعْتَرَض فيه) أي: وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾ وهو ثلاث آيات، وحاصل ما ذكره من الأوصاف: أنَّ بعضها متعلق بالخلق، وبعضها متعلق بالخالق.

قوله: ﴿هَوْنًا﴾ هو مصدر (هان) ك(قال).

قوله: (أي: بسكينة) أي: تُؤدِّدَةٌ وتأنُّ.

قوله: ﴿الْجَاهِلُونَ﴾ أي: السفهاء.

قوله: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: مع القدرة على الانتقام، فالمراد: الإغضاء عن السفهاء، وترك مُقابلتهم في الكلام، وهذا الخلق من أعظم الأخلاق؛ لما في الحديث: «كاد الحليم أن يكون نبياً»^(٢)، وفي الحديث: «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم»^(٣)، والآثار في ذلك كثيرة.

(١) من زعم أنَّ الشرط في منع الصرف وجودُ (فَعَلَى)، صرفه؛ إذ ليس له (فَعَلَى)، ومن زعم أنَّ الشرط انتفاء (فَعَلَانَةٍ).. منعه من الصرف؛ إذ ليس له (فَعَلَانَةٍ). انظر «تفسير النسفي» (٢٩/١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٦/٦) عن سيدنا عمر رضي الله عنه، وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٨٨) إلى الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٢/٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وتعامه: «وإن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته».

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا: جَمْعُ (ساجد) ﴿وَقِيَمًا﴾: بِمَعْنَى: قَائِمِينَ أَي: يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أَي: لَازِمًا. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾: بِثَبَتِ ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هِيَ، أَي: مَوْضِعَ اسْتِقْرَارٍ وَإِقَامَةٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ شروع في ذكر معاملتهم للخالق إثر معاملتهم للخلق، وخصّ البيوتة بالذكر؛ لأنّ العبادة بالليل أبعد عن الرياء، وفي الحديث: «لا زال جبريل يُوصيني بقيام بالليل حتى علمتُ أنّ خيار أمتي لا ينامون»^(١)، وأخر القيام؛ مراعاة للفواصل.

قوله: (أَي: يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ) هذا صادقٌ بِصلاةِ العشاء والصبح في جماعة، ولكن كلّما كثرت العبادة بالليل.. كان خيراً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾... إلخ) أَي: فَهُمْ مع حُسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرورٌ ولا أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، بل هم خائفون من عذابه، وَجِلُّونَ مِنْ هَيْبَتِهِ.

قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾... إلخ) تعليلٌ لقولهم: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

قوله: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾) أَي: فِي عِلْمِهِ تَعَالَى.

قوله: (أَي: لَازِمًا) أَي: لَزُومًا كَلْبِيًّا فِي حَقِّ الْكَفَّارِ، وَلَزُومًا بَعْدَهُ خُرُوجٌ فِي حَقِّ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور، والمخصوص بالذم محذوف، قدّره المفسر بقوله: (هي).

قوله: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾) هما بمعنى واحد، وهو الذي يشير إليه المفسر، وقيل: مستقرًّا لعصاة المؤمنين، ومقامًا للكافرين.

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٧/ ٧٩٠) إلى الديلمي عن أنس رضي الله عنه.

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفُ

- ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ﴿﴾ عَلَى عِيَالِهِمْ ﴿﴾ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴿﴾ - يَفْتَحِ أَوَّلُهُ وَضْمُهُ -
أي: يُضَيِّقُوا، ﴿﴾ وَكَانَ ﴿﴾ إِنْفَاقُهُمْ ﴿﴾ بَيْنَ ذَلِكَ ﴿﴾ الإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ ﴿﴾ قَوَامًا ﴿﴾: وَسَطًا.
﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴿﴾ قَتْلَهَا ﴿﴾ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿﴾ أي: وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ ﴿﴾ يَلْقَ أَثَامًا ﴿﴾ أي: عُقُوبَةً.
﴿٦٩﴾ يُضَاعَفُ ﴿﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (يُضَاعَفُ) بِالتَّشْدِيدِ -

حاشية الصاوي

- قوله: (بفتح أوله) أي: مع كسر التاء وضمها من باب: (ضرب) و(نصر)، وقوله: (وضمه)
أي: مع كسر التاء لا غير، فالقراءات ثلاثٌ سبعيات^(١).
قوله: (أي: يضيقوا) أي: على عيالهم مع إيسارهم.
قوله: ﴿﴾ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿﴾ هو بمعنى قوله تعالى: ﴿﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ... ﴿﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.
قوله: ﴿﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ... ﴿﴾ إلخ) شروع في بيان اجتنابهم المعاصي إثر إتيانهم بالطاعات.
قوله: ﴿﴾ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿﴾ أي: لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق؛
بأن تكون مستحقة للقتل كالمرتد، والزاني المحصن، والقاتل.
قوله: (أي: واحدًا من الثلاثة) في بعض النسخ: (أي: ما ذكر)، وهو المناسب لقوله:
﴿﴾ يُضَاعَفُ ﴿﴾؛ لأنَّ المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك.. تضاعفت له العقوبة.
قوله: (وفي قراءة: ﴿﴾ يُضَاعَفُ ﴿﴾) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وكلُّ منهما مع جزم الفعل ورفع،
فالقراءات أربعٌ سبعيات^(٢).

(١) قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء، وابن كثير وأبو عمرو بالفتح والكسر، ونافع وابن عامر بالضم والكسر. انظر
«الدر المصون» (٨/ ٥٠٠).

(٢) قرأ نافع والبصري وحفص والأخوان: (يُضَاعَفُ) بالالف والجزم، وقرأ شعبة بالالف والرفع: (يُضَاعَفُ)، وقرأ ابن =

لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

﴿لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ﴾ - بِجَزْمِ الْفَعْلَيْنِ بَدَلًا، وَبِرَفْعِهِمَا اسْتِثْنَاءً - ﴿مُهَانًا﴾ - حَالٌ -
 ﴿٧٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ مِنْهُمْ ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾
 الْمَذْكُورَةَ ﴿حَسَنَاتٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.
 ﴿٧١﴾ ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ مِنْ ذُنُوبِهِ غَيْرَ مَنْ ذَكَرَ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾
 أَي: يَرْجِعُ إِلَيْهِ رُجُوعًا، فَيُجَازِيهِ خَيْرًا.

حاشية الصاوي

قوله: (بدلاً) أي: من ﴿يَلْقَى﴾ بدل اشتمال^(١).

قوله: (﴿مُهَانًا﴾) أي: ذليلاً حقيراً.

قوله: (﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾) استثناءً مُتَّصِلٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي ﴿يَلْقَى﴾.

قوله: (﴿فَأُولَٰئِكَ﴾) اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿مَنْ تَابَ﴾.

قوله: (﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾) أي: يَمْحُو مَا سَبَقَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي بِسَبَبِ التَّوْبَةِ، وَيُثَبِّتُ مَكَانَهَا الطَّاعَاتِ أَوْ نِيَّتَهَا، وَفِي «القرطبي»: (ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صَحَّتْ تَوْبَةُ الْعَبْدِ أَنْ يَضَعَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً)^(٢).

قوله: (﴿وَمَنْ تَابَ﴾) أي: مِنَ الْمَعَاصِي؛ بتركها والتَّوْبَةُ عَلَيْهَا.

قوله: (﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾) أي: فَعَلَ الطَّاعَاتِ وَلَوْ بِالنِّيَّةِ؛ كَمَنْ فَجَّاهُ الْمَوْتُ عَقِبَ التَّوْبَةِ.

قوله: (﴿فَيُجَازِيهِ خَيْرًا﴾) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَتَوَهَّمُ مِنْ اتِّحَادِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا.. فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى جِزَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ الْجِزَاءَ الْحَسَنَ.

= عامر بحذف الألف مع الرفع: (يُضَعَّفُ)، وقرأ بحذف الألف والجزم ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب: (يُضَعَّفُ). انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٨).

(١) عند من يجيز إبدال فعلٍ من فعلٍ بدل اشتمال، وقيل: لا يجوز؛ لأنَّ الفعل لا يشتمل على الفعل، وعليه: فهو بدل كلٍّ من كلٍّ. انظر «مع الهوامع» (٣/١٨٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (٧٨/١٣)، وفيه: (كرم الله) بدل (كلام الله)، ولعله أولى مراعاة للمعنى.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبَآئِتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ أي: الكَذِبَ والباطِلَ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: مُعْرِضِينَ عنه.

﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا: وَعِظُوا ﴿بِبَآئِتٍ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يُخِرُّوا﴾: يَسْقُطُوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، بَلْ خَرُّوا سَامِعِينَ نَاطِرِينَ مُتَّقِعِينَ.

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا - بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ - ﴿فُرَّةً أَعْيُنَ﴾ لَنَا بِأَنْ نَرَاهُمْ مُطِيعِينَ لَكَ، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فِي الْخَيْرِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لَا يَحْضَرُونَهُ، أَوْ لَا يَشْهَدُونَ بِهِ.

قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي: من غير تقصُّدٍ منهم له.

قوله: (وغيره) أي: وهو الفعل القبيح.

قوله: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: مُكْرَمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْغَضِّ عَنْ الْفَوَاحِشِ.

قوله: (بَلْ خَرُّوا سَامِعِينَ... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ النَّفْيَ مَسْلُطٌ عَلَى الْقَيْدِ فَقَطْ وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، وَالْمَعْنَى: إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ.. ذَكَرُوا آخِرَتَهُمْ وَمَعَادَهُمْ، وَلَمْ يَتَغَافَلُوا حَتَّى يَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ.

قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ﴿مِنْ﴾: لِلْبَيَانِ.

قوله: (بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ) أي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: ﴿فُرَّةً أَعْيُنَ﴾ أي: مَا يَحْصُلُ بِهِ سُرُورُهَا.

قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: اجْعَلْنَا هُدَاةً يُتَّبَعُونَ فِي مَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ؛

بِأَنَّ تَصْفِيَّ بَوَاطِنِنَا مِنْ غَيْرِكَ حَتَّى يَكُونَ حَالُنَا سَبِيًّا فِي هِدَايَةِ الْخَلْقِ؛ وَلِذَا قِيلَ: (حَالُ رَجُلٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ أَنْفَعُ مِنْ وَعْظِ أَلْفِ رَجُلٍ فِي رَجُلٍ). وَلَفْظُ (إِمَامٍ) يَسْتَوِي فِيهِ الْجَمْعُ وَغَيْرُهُ، فَالْمُطَابَقَةُ حَاصِلَةٌ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بـألف بعد الياء على الجمع، والباقيون بغير ألف على الإفراد. انظر «السراج

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

﴿٧٥﴾ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا فِي الْجَنَّةِ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾
على طاعةِ الله، ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ، والتَّخْفِيفِ مَعَ فَتْحِ الْيَاءِ - ﴿فِيهَا﴾: فِي الْغُرْفَةِ
﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

﴿٧٦﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: مَوْضِعَ إِقَامَةٍ لَهُمْ، - و﴿أُولَئِكَ﴾
وما بَعْدَهُ خَبَرٌ (عِبَادِ الرَّحْمَنِ) الْمُبْتَدَأُ ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أُولَئِكَ﴾﴾ اسم الإشارة عائذ على المتصفين بالأوصاف الثمانية.

قوله: ﴿﴿الْغُرْفَةَ﴾﴾ اسم جنس أريد به الجمع، والغُرْفَةُ: أعلى منازل الجنة وأفضلها؛ كما أنَّ
الغُرْفَةَ أعلى مساكن الدنيا.

قوله: (بالتشديد) أي: ومعناه يُعْطُونَ، والفاعل (الله)، وقوله: (والتخفيف) أي: فمعناه:
يجدون، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾﴾ جمع بينهما؛ لأنَّ المراد بالتحية: الإكرام بالهدايا والتحف،
وبالسلام: سلامه تعالى عليهم بالقول، أو سلام الملائكة، أو سلام بعضهم على بعض.

قوله: (من الملائكة) أي: أو من الله، أو من بعضهم لبعض، والمعنى: تُحْيِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ
ويدعون لهم بطول الحياة، والسلامة من الآفات، فتحصَّلَ أن قوله: ﴿﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾﴾ قيل: هما
بمعنى واحد، وجمع بينهما لاختلاف لفظهما، وقيل: متخالفان؛ فالتحية: الإكرام بالهدايا والتحف،
والسلام: الدعاء إما من الملائكة، أو من الله، أو من بعضهم لبعض.

قوله: ﴿﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون.

قوله: (و﴿أُولَئِكَ﴾) أي: الواقع مبتدأ، وقوله: (وما بعده) أي: قوله: ﴿﴿يُجْزَوْنَ﴾﴾ الواقع
خبره.

(١) قرأ الأخوان وأبو بكر بفتح الياء، وسكون اللام، والباقون بضمها وفتحها، وتشديد القاف. انظر «الدر المصون»

قُلْ مَا يَعْجَبُا يَكُزِرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿٧٧﴾ قُلْ يا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿مَا﴾ - نافية - ﴿يَعْجَبُا﴾: يَكْتَرِثُ ﴿يَكُزِرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إِيَّاهُ فِي الشَّدَائِدِ فَيَكْشِفُهَا، ﴿فَقَدْ﴾ أي: فَكَيْفَ يَعْجَبُا بِكُمْ وَقَدْ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ الْعَذَابُ ﴿لِزَامًا﴾: مُلَازِمًا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَا يَحُلُّ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا. فَقُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعُونَ، وَجَوَابُ ﴿لَوْلَا﴾ دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبِلَهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُا يَكُزِرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾... إلخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين.. أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التي بها العبادة لله، فلولا العبادة الواقعة من الخلق.. لم يكثر بهم ولم يعتد بهم عنده؛ فإنَّ الإنسان خُلِقَ ليعرف ربَّه ويعبده، وإلا.. فهو شبيهة بالبهائم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ففي العبادة يتنافس المتنافسون، وبها يفوز الفائزون.

قوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إِيَّاهُ) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مضاف لفاعله.

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ الْعَذَابُ) أي: الذي دَلَّ عليه قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

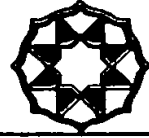
قوله: ﴿لِزَامًا﴾) مصدر لازِمٌ ك: (قاتل قتالاً)، والمراد هنا: اسم الفاعل، وفي الآية تهديد لكفار مكة.

قوله: (فقتل منهم يوم بدر سبعون... إلخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: «خمسٌ قد مضَيْنَ: الدخان، واللزام، والروم، والبطشة، والقمر»^(١)، وقوله: (خمس) أي: خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وَقَعْنَ بالفعل، فالدخان هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، والمراد به: شيءٌ يُشَبِّه الدخان، وقد نزل بقريش من شدة الجوع؛ صار الواحد يرى كأنَّ بينه وبين السماء دخاناً، والقمر في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، والروم في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ٢١ فِي أَذَى الْأَرْضِ [الروم: ٢-٣]، والبطشة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ [الدخان: ١٦] وهي القتل يوم بدر، واللزام هو الأسر يومها.

قوله: (دَلٌّ عليه ما قبلها) أي: وهو قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُا يَكُزِرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، والتقدير: لولا دعاؤكم - أي: طلبكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة - ما يَعْجَبُا بِكُمْ؛ أي: ما يكثرث بكم فلا يرفعها عنكم، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾) أي: دُتِمَ على تكذيبه بعد إخراجهم من بينكم، فسوف يكون العذاب لازماً لكم لا يُرَدُّ عنكم، ولا يقبل منكم دعاء، فتدبر.

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٦٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨).

فهرس السور



٥	سورة الاسراء
١١١	خاتمة الإمام السيوطي
١١٥	سورة الكهف
١٩٧	سورة مريم
٢٤٩	سورة طه
٣١١	سورة الانبياء
٣٧٣	سورة الحج
٤٢٧	سورة المؤمنون
٤٧٣	سورة النور
٥٣٧	سورة الفرقان

